ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ ܕܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ
History: Sayfo
Beth Mardutho Library

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܓܙܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠܐ ܩܕܡ ܒܝܡܐ
ܘܗܘܒܢܐ ܡܢ ܒܢ̈ܝ ܗܝܟܠܐ ܘܫܒܪܐ ܕܢܣܒܗ ܢܩܠ ܐܘ
ܩܕܡ ܠܗ ܫܒܪܐ ܗܘ ܠܠ ܢܣܒܗ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܒܪܐ ܩܕܡ
ܟܬܒܢܘܗܝ ܒܥܠܐ ܕܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

القصارى في نكبات النصارى

سلسلة المسيحية في الشرق

1 - أخبار بطاركة كرسي المشرق وهو أقدم المصادر في تاريخ النصارى في الإسلام تأليف ماري بن سليمان وصليبا بن يوحنا مع دراسة ومدخل بعنوان النساطرة والإسلام: جدلية علاقة للدكتور لويس صليبا،420 ص.

2 - خلاصة تاريخ المسيحية في مصر ويليه منتخبات تهذيبية من تاريخ الأمّة القبطية تأليف لجنة التاريخ القبطي،325 ص.

3 - تاريخ نواحي مصر وأديرتها والبلدان المجاورة لها للشيخ أبو صلح الأرمني، 150 ص.

4 - نبذة في تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية وخفايا دور أخوية القبر المقدّس لجرجس عبدالله العيسى،140 ص.

5 - تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا وأميركا الجنوبية، للخوري موسى حجّار، 370ص.

6 - القصارى في نكبات النصارى، للأب إسحق أرملة،520 ص.

7 - الصادق في خدمة الحقائق، بحث في الخلافات التاريخية والعقائدية بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية،522 ص.

8 - المجمل في تاريخ الكنيسة الجامعة. وهو تاريخ مكثّف للمسيحية في الشرق والغرب للأب أنطون فرغاني ويليه جداول مفصّلة لبابوات روما وبطاركة القسطنطينية والأقباط وأنطاكية للروم الأرثوذكس والكاثوليك والموارنة،290 ص.

9 - مرشد الزائرين للقدس بأورشليم، تاريخ موجز للقدس ووصف لأبرز معالمها وضواحيها لشفيق جرجس روفايل،260 ص.

سلسلة المسيحية في الشرق 6

الأب إسحق أرمله

القصارى في نكبات النصارى

دراسة وتقديم العلاّمة الخورأسقف بولس الفغالي

دار ومكتبة بيبليون
جبيل - لبنان

دار ومكتبة بيبليون
طريق المريميين – حي مار بطرس
جبيل / بيبلوس – لبنان
هـ : 09/540256 – 03/847633 ف: 09/546736
byblion1@gmail.com
www.thoughts.com/lwiissaliba
2011 – جميع الحقوق محفوظة للناشر

مقدّمة

الخوري بولس الفغالي

سلسلة المسيحية في الشرق

10 - تاريخ الكنيسة وهو أقدم المصادر في تاريخ المسيحية وفرقها وعقائدها وعلمائها تأليف يوسابيوس القيصري (ت 264 م). تحقيق وترجمة القس مرقس داود،470 ص.

11 - موجز تاريخ المسيحية، من كتب التراث القبطي يتناول المسيحية في العصور الرومانية والدولة الإسلامية تأليف العلامة، ديسفورس، تحقيق ميخائيل إسكندر،560 ص.

12 - المعرفة الباطنية، دراسة للتقليد الباطني للأرثوذكسية الشرقية مع مقدّمة عن سوء التفاهم التاريخي بين الأرثوذكسية والإسلام، عربي/فرنسي: ترجمة وتقديم فؤاد رامز، 650 ص.

13 - فصل الخطاب في الوعظ للمطران جرمانوس فرحات ويليه ثلاث محاورات في علم الخطابة ترجمة سعيد الشرتوني،330 ص.

14 - الصمت في المسيحية: مفهومه الإنجيلي واختباراته في كنائس المشرق والغرب. د. لويس صليبا،425 ص.

15 - عناية الرحمان في هداية السريان وهو تاريخ للسريان في العراق ولبنان وسائر المشرق للمطران ديونوسيوس نقاشة،690ص.

16 - تاريخ الانشقاق بين الكنيستَين الكاثوليكيّة والأرثوذكسيّة مع دراسة للعلاقات والصراع بين الكنيستَين من القرن الأوّل إلى اليوم للمطران جراسيموس مرّة، 3 أجزاء في مجلّدين، 1120ص.

انطلقت المسيحيَّة باكرًا من أورشليم فوصلت إلى أرض السامرة والجليل، وأخذت تمتدُّ أوّلاً على الساحل الرومانيّ، في صور وصيدا وطرابلس وصولاً إلى أنطاكية حيث دُعيَ التلاميذ للمرَّة الأولى مسيحيِّين. فسفر الأعمال يخبرنا عن بولس الآتي إلى أورشليم. قال الراوي: "اتَّجهنا إلى سورية فنزلنا صور... ووجدنا تلاميذ هناك، فأقمنا عندهم سبعة أيَّام". ويواصل الراوي كلامه: "ومن صور وصلنا إلى بتولمايس (أي عكّا الحاليَّة) فسلَّمنا على الإخوة هناك وأقمنا عندهم يومًا واحدًا".

ويروي الخبر المنسوب إلى كليمان، أسقف رومة، كيف أنَّ بطرس وعظ في صور وصيدون وبيروت قبل أن يصل إلى طرابلس. "لبث بطرس عند أهل بيروت عددًا كبيرًا من الأيّام. فعلَّم الكثيرين ديانة المعلِّم الأوحد وعمَّدهم. وبعد أن أقام لهم أسقفًا من الكهنة الذين تبعوه، مضى إلى بيبلوس (جبيل). ويتواصل الكلام: "حين دخل بطرس إلى طرابلس، انضمَّ إليه أناس من صور وصيدا وجبيل وبيروت، ومن الجوار..." نشير هنا إلى أنَّ بطرس أقام سنة كاملة في طرابلس.

وما قلناه عن الشاطئ البحريّ، نقوله عن الداخل حيث يكلِّمنا متّى عن "الجليل والمدن العشر (دمشق، جرش، عمّان...) وأورشليم واليهوديَّة وعبر الأردنّ". أمّا سفر الأعمال الذي دُوّن حوالي سنة 85، فذكر المناطق التي كان فيها مسيحيُّون: إيران (برثية، ماداي، عيلام)، العراق (ما بين النهرين)، تركيّا (كبادوكيا، بنطس، آسية الصغرى وعاصمتها أفسس)، فريجية، بمفيلية. وذكر أيضًا مصر، ليبيا والعرب.

هي منطقة الشرق الأوسط التي فيها انتشرت المسيحيَّة، فعدَّت تركيّا القديمة مثلاً ما يقارب 500 أسقف. ولمّا توقَّف الاضطهاد مع قرار ميلانو سنة 313، راحت المسيحيَّة تعمُّ الإمبراطوريَّة الرومانيَّة كلَّها.

وعن كنيسة ما بين النهرين باتِّجاه الشرق الأقصى. نقرأ قصَّة البطريرك يهبالاها الثالث المغوليّ الذي قال إنَّ رفيقه الربّان صوما قال إنَّ كنيسته أسَّسها مار توما وأداي وماري، وأنَّهم ما يزالون متمسِّكين بتعاليم هؤلاء المبشِّرين الأوَّلين. أمّا الرسول الأوَّل لهذه المنطقة والدافع إلى تبشيرها، فهو القدِّيس توما.

هناك **أعمال مار توما** التي دوِّنت في السريانيَّة، في نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث، في الرها، وربَّما في بلاد فارس. تروي **الأعمال** هذه علاقة توما مع الملك غوندوفاريس، الذي كان ملكًا في الهند سنة 45- 46 كما تقول مدوِّنة وُجدت في البنجاب.

ارتبط خبر توما بمدينة الرها. وهناك نقرأ **تعليم أداي**. أمّا **تعليم ماري** فيروي كيف أنَّ الرسول جال في الطريق التجاريَّة بين الرها ونصيبين حتّى أرصون في أرمينيا، كما جال في بلاد الرافدين من الشمال إلى الجنوب: بيت زبداي، بيت عرباي، حدياب، بيت جرماي ثمَّ مضى إلى المدائن وإلى كوزخستان، وفي النهاية وصلت الكنيسة الشرقيَّة إلى الصين ومنغوليا.

❖ ❖ ❖

واليوم، أين صار هؤلاء المسيحيُّون؟ في القرون الأولى اعتُبروا أعداء النظام الحاكم فرفضوا أن يسجدوا لآلهة رومة، للإمبراطور، ويقدِّموا له البخور. فنالوا الاضطهاد والموت إلى أن جاء الإمبراطور قسطنطين فأعطى الحرِّيَّة الدينيَّة في قرار ميلانو، سنة 313. وفي الشرق أراد الفرس أن

يجمعوا البلاد تحت راية المزدويَّة فاضطهدت الكنيسة اضطهادًا مريعًا ودمَّرتها. "فالذي ليس من ديانتي هو عدوّي". وكذلك الغريب هومن استُبيح ماله وعرضه. ليس له من يدافع عنه. لهذا يصبح عرضة لأن يُسلَب ويُنهَب ويعذَّب.

في الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة، حاولت السلطة أن توحِّد الناس، فأرادت للمسيحيِّين عقيدة واحدة. ولكنَّها لم تستطع وهكذا تشتَّت المؤمنون في جماعات وجماعات. ولمّا جاء الفاتح العربيّ، منهم من سار معه، بل صار جزءًا منه. ومن رفض أُجبر على دفع الجزية التي كانت قاسية وبعض المرّات قاسية جدًّا بل ظالمة، فترك المسيحيُّ إيمانه ليتهرَّب من الجزية. أمّا من رفض الالتحاق والجزية فكان نصيبه الموت. في الماضي، لم يكن مجال للهرب كبير. مثلاً، النساطرة لجأوا إلى شرقيّ الفرات. واليعاقبة احتموا مع مصر حيث لا تطالهم يد السلطة.

ذاك كان الوضع المسيحيُّ في الشرق. مع الدول المتعاقبة، بين فترات تسامح وفترات عنف. خصوصًا في مصر، فصار المسيحيُّون أقلّيَّة بعد أن كانوا الأكثريَّة. وكذا، نقول عن فلسطين وسورية والعراق وسائر البلدان. ومن المعلوم أنَّ المسيحيِّين كانوا في تلك البلدان ربع السكّان حين جاء الانتداب سنة 1919. أسباب كثيرة لهذا الوضع وأوّلها الهجرة والتهجير، كما حصل في لبنان وفي العراق، وهدف القويّ في الاضطرابات السلب والنهب كما عرف لبنان إبّان الحرب التي بدأت سنة 1975.

ونصل إلى تركيّا. كان المسيحيُّون على الساحل التركيّ الذي ازدهر بشكل خاصٍ بسبب وجودهم هناك، وما زال مزدهرًا على المستوى السياحيّ. أين مضى المسيحيُّون؟ جرى تبادلُ السكّان بعد الحرب العالميَّة

الأولى مع اليونان: ملايين من الناس اقتُلعوا من أرضٍ سقوها بعرق الجبين فصاروا غرباء في أرض الآباء والأجداد. تلك كانت لعبة الدول الكبرى، فلم يعُد المسيحيُّون سوى قلَّة قليلة في بلد يضمُّ اليوم 74877000 نسمة، وهم يعيشون كأنَّهم سجناء بالرغم من ضغط أوروبّا عليهم، بعد أن وضعت السلطة الحاكمة يدها على كلّ شيء لهم. وتواصلت لعبة الأمم، فاقتطعت لواء الإسكندرون من سورية وقدَّمته هديَّة لتركيّا لئلاَّ تدخل في الحرب العالميَّة الثانية مع المحور الذي ضمَّ ألمانيا والنمسا وإيطاليا. والمسيحيُّون الذين كانوا الأكثريَّة، تركوا بلادهم بسبب تعسُّف السلطة ومضوا إلى أوروبّا، إلى السويد وهولندا وألمانيا، كما إلى أوستراليا وكندا والولايات المتَّحدة. ولمّا زرنا المنطقة منذ سنتين، وجدنا بعض البيوت، وأديرة مهدَّدة بالخراب وبوضع اليد. فالمسيحيُّون يُعتبرون هناك غرباء وربَّما أعداء يريدون أن يأخذوا معهم كنوز تركيّا. فكيف يبقى الإنسان المهدَّد في أرض لا يحسُّ فيها أنَّها أرضه، مع أنَّه مقيم عليها ألف سنة قبل المسيح!

كانت تركيّا مسيحيَّة منذ أيّام بولس الرسول الذي مرَّ في منطقة غلاطية وحيث أنقرى العاصمة الحاليَّة، مع أساقفة معروفين عُرفوا بحضورهم الفاعل في الكنيسة الجامعة. إيقونية هي كونيا الحاليَّة. أين المسيحيُّون فيها؟ وأفسس، مدينة العذراء، وموضع المجمع المسكونيّ الذي أعلن مريم والدة اللّه. لا نريد أن نقول كيف تحوَّلت هذه الدولة بشكل خاصّ بعد الاستيلاء على القسطنطينيَّة سنة 1453. ونترك جانبًا الطريقة التي بها كان حكم الآستانة يأخذ من كلِّ أسرة شابًّا أو شابَّين، أو يستعبد أسرة بكاملها. فالتعصُّب قديم العهد في ذلك البلد ولا يزال، بحيث نفهم ما حصل في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين،

خصوصًا قبل الحرب العالميَّة الأولى وخلالها. وهكذا نصل إلى كتابنا: **القصارى في نكبات النصارى.**

❖ ❖ ❖

ما هو مضمون هذا الكتاب؟ نقرأ على الغلاف الخارجيّ: "وثيقة تاريخيَّة نادرة تسجِّل بشمول وتفصيل ما لحق بالمسيحيِّين في تركيّا وبلاد ما بين النهرين ولاسيَّما في ماردين، من الظلم والتعدِّي والخطف والنفي والسبي والذبح والقتل وسائر الفظائع وذلك في سنة 1895 وفيما بين سنة 1914 وسنة 1919".

لم يُوضَع اسم الكاتب في الأصل، لأنَّ بلادنا الشرقيَّة لا تراعي حرِّيَّة الرأي ولا تقبل أن تُقال الحقيقة. لهذا يكون الحرم والقتل وكلّ تحليل لمن يجسر أن يتحدَّث عمّا شاهده وسمعه.

ولكن يبدو أنَّ الكاتب هو العلاَّمة الأب إسحق أرملة، الذي لم يوضع اسمه في الطبعة الأولى التي ظهرت سنة 1919. ولكنَّه يوضع في الطبعة الثانية، سنة 2011، فقط في لبنان الذي ما زال يتمتَّع ببعض الحرِّيَّات.

ومن هو الخورأسقف إسحق أرملة؟ كان اسمه الياس. وُلد في ماردين سنة 1879. دخل دير الشرفة – في لبنان – حيث يدرس طلاَّب الكهنوت للطائفة السريانيَّة الكاثوليكيَّة، في 5 تشرين الثاني 1895. وفي 24 كانون الثاني سنة 1898 رُقّي إلى درجة الشمّاسيَّة الإنجيليّة واتَّخذ اسم إسحق. وفي 8 أيلول من السنة نفسها رقّاه البطريرك أفرام الثاني رحماني إلى الدرجة الكهنوتيَّة واتَّخذه أمينًا لأسراره.

ذاك ما نقرأ عند الأب ألبير أبونا في **أدب اللغة الأراميَّة** الذي نشرته دار المشرق في طبعة ثانية سنة 1996. ويتواصل الكلام: "وبعد

أسفار إلى أوروبّا وإلى بعض المراكز السريانيَّة في تركيّا، تعيَّن في ماردين سنة 1910 لتعليم الرهبان الأفراميّين. وقد قاسى من أهوال الحرب الكونيَّة الأولى ما تقشعرُّ له الأبدان" (ص 552). تحدَّث عنه أيضًا **تاريخ دير سيِّدة النجاة** (ص 395- 398). والكونت فيليب دي طرازي في **أصدق ما كان من تاريخ لبنان** (الجزء الثاني، ص 376- 378).

وقال الأب ألبير أبونا: "سنة 1919، عاد إلى بيروت وهناك طبع مذكَّراته التي أسماها **القصارى في نكبات النصارى**، معدِّدًا فيها ما قاساه المسيحيُّون من فظائع الأتراك إبّان الحرب العالميَّة الأولى (1914- 1918). وبعد نشاط في التأليف والكتابة، توفِّي سنة 1954.

هذا العارف باللغات السريانيَّة والعربيَّة والفرنسيَّة والتركيَّة، أورثنا الكتب العديدة نذكر منها **أديار ماردين القديمة ودير مار أفرام**. ثمَّ **سياحة في طورعبدين سنة 1912**. وبعدها: **سلسلة بطاركة السريان الأنطاكيِّين**، ثمَّ **أنباء الزمان في جثالقة المشرق ومطارنة السريان**... وما يستحقُّ النشر أيضًا مرَّة ثانية: **الحروب الصليبيَّة في الآثار السريانيَّة**. فنحن لا نعرف عن الحروب الصليبيَّة أو ما دُعي حروب الفرنج سوى ما كتبه المؤلِّفون الأوروبِّيُّون، وبعض العرب. كلُّ فئة كانت تدافع عن وجهتها، ولهذا لا يمكن الركون إليها ركونًا كاملاً. أمّا السريان فما كانوا مع هذه الفئة ولا مع تلك، لهذا يمكن أن يكون كلامهم لامتحيِّزًا.

المجموع 30 كتابًا. لم نذكرها كلَّها. ونضيف أنَّه ترجم إلى العربيَّة **التاريخ السريانيّ** أو **تاريخ الزمان** لابن العبريّ. نُشرت هذه الترجمة أوَّلاً في مجلَّة **المشرق** البيروتيَّة (من سنة 1949 وما بعد). ثمَّ في كتاب بمناسبة المئويَّة السابعة لوفاته (1286- 1986) في سلسلة:

المجموعة التاريخيَّة، نصوص ودروس. والعنوان: **تاريخ الزمان لأبي الفرج جمال الدين ابن العبريّ** (دار المشرق، بيروت، 1986)، بهمَّة الآب سليم دكّاش اليسوعيّ، مع مقدِّمة للأب الدكتور جان موريس فييه، وبإيعاز من كاتب هذه المقدّمة، الذي كانت له اليد الطولى في تنظيم مؤتمر حول ابن العبريّ في الجامعة اللبنانيَّة.

أثبت الخورأسقف إسحق أرملة في كتابه **تاريخ دير سيِّدة النجاة** (ص 398- 400) جدول كتاباته، "فأربت على الخمسين مصنَّفًا في شتّى المواضيع". لم تُطبَع المصنَّفات كلُّها، فبقي منها سبعة كتب مخطوطة. ونضيف إلى ذلك مقالات عديدة في المجلاّت: **المشرق البيروتيَّة، البشير، الآثار الشرقيَّة، الحبّ والسلام**...

❖ ❖ ❖

وها نحن نعود إلى القصارى في نكبات النصارى، ونقرأ في المقدِّمة: "أمّا بعد، فهذا كتاب تضمَّن حوادث الحرب المشؤومة الأليمة، وأخبار الفواجع المبكية الجسيمة، وماجريّات المذابح الفظيعة، والفواحش والمنكرات المستبشعة الشنيعة، التي جرت في أغلب بلاد ما بين النهرين...".

الكاتب "شاهد عيان" وهو الذي أقام بين المسيحيِّين من أرمن وسريان، من سنة 1910 إلى سنة 1919. قال: "لأنِّي شاهدتُ آبائي وإخواني أُلقوا في السجون المطبقة ساكتين، وضُربوا وصُفعوا ولُطموا وجُلدوا صامتين، وسيقوا سوق الخراف للذبح ذليلين طائعين، وقضَوا في قمم الجبال وبطون المغاور صاغرين خاضعين، وزُجّوا في الآبار والأنهار عطاشًا جائعين، واستباح وحوش صقر المحرَّمات والمحظورات من هتك نسوة حازمات مخدَّرات، وافتراع عذارى وفتيات عفيفات طاهرات...".

لوحة شاملة تعطي فكرة عمّا حصل على مرحلتين: سنة 1895، هي المذابح الحميديَّة، ومن لا يعرف السلطان العثمانيّ عبد الحميد الذي حكم من سنة 1876 إلى سنة 1904. حين أحسَّ بضعفه لجأ إلى العصبيَّة التي تدَّعي حماية المسلمين، فراح يذبح الأقلّيّات سنة 1894- 1896 ولاسيّما الأرمن منهم. أُجبر عبد الحميد على الاستقالة وحلَّ محلَّه شقيقه محمَّد الخامس الذي كان ألعوبة في يد تركيّا الفتاة وجماعة الاتّحاد والترقّي. فدخلت الإمبراطوريَّة العثمانيَّة في الحرب بجانب ألمانيا، واعتبرت المسيحيِّين ولاسيّما الأرمن منهم معاونين لفرنسا، وكأنَّهم الطابور الخامس.

المرحلة الثانية، كانت ذروتها سنة 1915 مع مليون ونصف المليون من القتلى، هذا عدا آلاف وعشرات آلاف المنفيِّين المنتشرين على الطرق. من وصل منهم حيًّا يعثُر عاش حياة جديدة. ومن مات مات. ذلك كان تخطيط موجِّهي "هيئة الاتِّحاد والترقّي" التي لم يختلف أسلوبها عن أسلوب عبد الحميد، وهي التي "جوَّعتْ" سكّان لبنان في الحرب العالميَّة الأولى، فمات ثلث السكّان.

من الذي بدأ بالقتل والذبح؟ جماعة عبد الحميد. ثمَّ الأكراد بإيعاز من الدولة العثمانيَّة، التي كانت تطالب المسيحيّين دومًا بالسلاح الذي عندهم، ولاسيّما "المدافع" المخبّأة في الكنيسة.

❖ ❖ ❖

ماذا نعرف عن المنطقة التي شهدَتْ هذه "المذابح"؟ اسمها دياربكر. سكّانها 471462، كما ورد في الإحصاء الرسميّ، حسب ما نقرأ في كتاب إيف ترنون: **ماردين دراسة تحليليَّة لإبادة عام 1915** (دار نعمان للثقافة، 2008، ص 59- 60). الإسلاميُّون: 328644. المسيحيُّون: 135549.

ولكنَّ تلك الأرقام كانت كاذبة. لأنَّ البطريركيَّة الأرمنيَّة (في استنبول) قامت بإحصاء سنة 1912، فكان عدد سكّان دياربكر (بعد المذابح سنة 1895 وسنة 1909) 296000 نسمة. الإسلام: 131000 والمسيحيُّون: 165000. أرادت الدولة أن تجعل المسيحيِّين "أقلِّيَّة" لا يحقُّ لها بالحياة. وما نلاحظ هو أنَّ الإحصاء بدأ سنة 1881 وانتهى بعد عشر سنوات.

وقبل أن ندخل في صلب كتاب إسحق آرملة **القصارى في نكبات النصارى**، الذي استفاد منه إيف ترنون فقال: "هو من تأليف الأب إسحق أرملة الذي حرص على آن يظلَّ مجهولاً، لكنَّ اسمه ظهر في تقرير نائب المدافع الذي ترجم قسمًا من هذا الكتاب" (ص 13).

"تمَّ إبعاد الأرمن عن دياربكر في حزيران 1915. وقد عملت السلطة العثمانيَّة وفقَ المنهاج المحدَّد في القسطنطينيَّة والمطبَّق بشكل واحد في كافَّة المقاطعاتِ الشرقيَّة، وهذا المنهاج يجتنب إعادة أحداث سنة 1895 حيث كان القتلة يدخلون إلى البيوت ويذبحون الضحايا في أماكنهم. فكانت تقنيَّة الإبعاد تقضي إفراغ المدينة تدريجيًّا من سكّانها الأرمن بدءًا بفصل الرجال، ثمَّ تنظيم ترحيل النساء والأطفال والشيوخ في قوافل. ففي مطلع شهر حزيران، بينما كان الأرمن المروَّعون يلازمون بيوتهم، يعتقل الدرك ورجال الشرطة كلَّ يوم مئة إلى مئتين من الرجال الأرمن ويسوقونهم موثقي الأيدي إلى خارج المدينة على طريق "غوزْزْله" أو إلى بساتين باب ماردين حيث يُقتلون بالسلاح الأبيض. ويُضاف إلى هؤلاء عُمّال ملحقون بخدمات المقذرة (مكان رمي الأقذار) أو بإدارة المصادرات العسكريَّة. هكذا، في أقلَّ من شهر، ما عدا بعض الرجال الذين توصّلوا إلى الهرب عبر الجبال، وبعض الشيوخ، جميع البالغين الأرمن من الرجال ذُبحوا" (ص 108).

وما فعلوا بالرجال فعلوا بالنساء، اللواتي سرن في قوافل بعد أن اعترفن بمخبأ المال أو الذهب. "اقتادوهنَّ وقتلوهنَّ". وصاحب هذا العمل "المجيد"، قائد الدرك رشدي. ورئيس الميليشيا. أمّا المفتى إبراهيم فكان يدعو العائلات لاعتناق الإسلام للنجاة من الذبح وكان يقبض عن كلّ عائلة تجحد إيمانها 4000 أو 5000 ليرة، وقد يصل الثمن إلى 20000.

والأطفال. كان 400 طفل (من سنة إلى ثلاث). أقنع "رشيد" المستشار الأعلى بقتلهم. النصف منهم رماهم في نهر دجلة. والنصف الآخر فسخهم، بقرَ بطونهم. قطعهم بالخناجر قطَّعهم وألقاهم للكلاب. وهكذا فرغت دياربكر من الأرمن، من شهر حزيران إلى شهر أيلول سنة 1915. وما حصل في دياربكر حصل في سائر المدن. ماذا وجدنا في هذه المدينة التي صارت كلُّها كرديَّة؟ كنيسة كبيرة، مفرغة، تحمل آثار المذابح.

❖ ❖ ❖

جاء كتاب **قصارى في نكبات النصارى** في خمسة أجزاء.

الجزء الأوَّل: **الحوادث الغابرة**. نتعرَّف هنا إلى ماردين ووصول النصرانيَّة إلى ما بين النهرين. وكانت عودة إلى التاريخ، منذ الأشوريِّين أي منذ القرن الثاني عشر ق.م. وصولاً إلى المسلمين "هجر العرب النصارى إيمانهم وتبعوا الدين الإسلاميّ طمعًا في بقاء الملك تحت حوزتهم" (ص 8). وكانت إمارات وصولاً إلى الدولة العثمانيَّة ومظالمها ولاسيَّما على مستوى الجزية.

ثمَّ كان كلام عن الكنيسة الأرمنيَّة والكنيسة الكلدانيَّة، وعن المرسلين اللاتين، من يسوعيِّين وكبُّوشيِّين، أتوا بشكل خاصّ من فرنسا، كما عن المرسلين البروتستانت. وبدأ الكلام عمّا حصل سنة 1895.

بدأ الاضطهاد في غرَّة تشرين الثاني سنة 1895. استعدى الباشوات الأكراد ووعدوهم بأن يعطوهم السلاح. أوّلاً في دياربكر. ثمَّ في السعديَّة وميافرقين وقرَّة باش وقطربل والرها (ص 1- 66) وأنهى الخورأسقف أرملة هذا الجزء: "تلك جريدة أحوال سنة 1895 نقلناها بتصرُّف عن المقدسيّ حبيب ده جروه" (ص 66).

وإليك مثلاً الكلام عن الرها: "أمّا الرها فإنَّ المسلمين قصدوا أوّلاً دار ساغاتيل (شآلتيل) أحد وجهاء الأرمن الغريغوريِّين وهجموا على ساكنيها وأعملوا فيهم الخناجر والسيوف. فبادر النصارى المجاورون إلى السطوح لينجوا بنفوسهم... ولمّا أتى اليوم المعيَّن للمذبحة، احتشد الأرمن في كنيستهم الكبرى وقلاَّية مطرانهم ومدرستهم، فغار عليهم المسلمون كأنَّهم من الوحوش وأنزلوا بهم أشكال العذاب، وفتكوا بأرواحهم داخل الكنيسة وخارجها، فغدت الدماء تجري كالجداول حتّى امتلأت الكنيسة..." (ص 53).

الجزء الثاني: **نبكات الحرب العامَّة**. منذ إشهارها حتّى حزيران 1915. بعد كلام عن إعلان الحرب ودخول تركيّا بعد أن صرَّح غليوم الألمانيّ بحبِّه لها. وتوسَّع الكاتب في استعداد البلاد. ووضع اليد على الغنم والدوابّ (ص 67- 147).

الجزء الثالث: **في الحبوس والمذابح والسبي وسائر الفظائع**. من حزيران 1915 إلى تشرين يُذكر رشيد الذي عزل الذين لا يجاروه مقصده. وصوَّر جثث القتلى النصارى وكتب تحت الصور: "النصارى يعذِّبون المسلمين" (ص 149). لا مجال لذكر ما حصل بالتفصيل، فنترك للقارئ أن يعرف الأسماء والعذابات التي نالها المسيحيُّون من أسقف وراهب ومؤمن ومؤمنة، وشيخ وطفل (ص 148- 331).

ونذكر مذبحة القافلة الأولى في شهر حزيران: "سار المسيحيُّون موثقين أربعة أربعة وخمسة خمسة، وكان القسّان والمطران مربوطين آخر الجميع، والجنود محيطين بهم إحاطة الطوق بالعنق... (ص 192). عنَّفوهم لأنَّهم خانوا الدولة. وخيَّروهم في المناداة بالإسلاميَّة وإلاَّ فينزل بهم أفدح العذاب ويذبحهم" (ص 193). وإذ رفضوا الجحود، "أشرعوا فيهم السيوف والخناجر..." . وقالوا للرؤساء إنَّهم أوصلوهم إلى بيوتهم.

ولم يكن نصيب القافلة الثانية (ص 207) أفضل من الأولى. هنا استشهد 84 مسيحيًّا ثمَّ 15 شهيدًا في 15 حزيران. "أخذوا أسلابنا وأموالنا وأحذيتنا وطرابيشنا وثيابنا ولم يدَعوا علينا إلاَّ ما يسترنا. فلاح لنا إذ ذاك أنَّنا عمّا قليل نغادر هذه الدنيا... فنهضتُ أنا وجميع إخوتي الكهنة رفاقي في النفي والاضطهاد وجعلنا نحثُّ المؤمنين... فبدأوا يرنِّمون نشيد: "ننال، ننال، جزانا في السماء" (ص 213). أما هكذا كان يفعل المسيحيُّون في القرون الأولى، فيمضون إلى الموت وهم ينشدون. والمشهد المضحك المبكي هو ازدحام الأكراد والجنود ليسلبوا كلَّ شيء علينا" .

بقي بعض من القافلة الثانية فأُخذوا إلى السجن (ص 215). ثمَّ ميَّزوا بين الأرمن والسريان. ثمَّ أخذوا يعذِّبون الواحد بعد الآخر. في القافلة الأولى قُتل 417 وفي الثانية، 99، وفي الثالثة، 600. وذُكرت الأسماء.

وذكر الكاتب قوافل النساء القادمات من دياربكر في 5- 15 تمُّوز. يخطفون النساء الحسان والبقيَّة يذبحونهنَّ ويلقون الجثث في المغاور والآبار (ص 271). وإن إحد الجلاَّدين كان "يحسو" من دم المعذَّبين "ليستجمع قواه ويواصل العمل" . وينتهي هذا الجزء بالمراثي التي تلاها أولئك الذين نجوا من الذبح: "يا ما يتَّموا الأولاد، وحرقوا الفؤاد، يا ما خرَّبوا البلاد، وداسوا حقوق العباد" (ص 331).

الجزء الرابع: **أخبار مذابح بلاد الجزيرة كالرها ودياربكر ورأس العين ودير الزور وطور عبدين وسعرت...** (332- 444). نذكر هنا مذبحة كفرجوه التي قام بها يوسف حسن شحدين آغا. "حشد ذكور النصارى واستاقهم حفاة عراة إلى النهر القريب وألقاهم فيه قاطبة، وكانوا في مسيرهم ينشدون الترانيم بالسريانيَّة ويحمِّس بعضهم بعضًا لنيل إكليل الشهادة" (ص 410).

الجزء الخامس: **تواقع المذابح ولواحق النكبات وخاتمتها**، كبيع متروكات النصارى، ونبش الدفائن، واستخراج الخزائن، وقدوم المسلمين المهاجرين (ص 445- 499).

❖ ❖ ❖

كتاب جريء يكشف الحقائق التي يحاول الأتراك إلى أيّامنا أن يطمسوها، وينكرون المذابح التي حلَّت بالمسيحيِّين دون أن يرفَّ جفن للسلطة الحاكمة. وكان لهذه الدولة البغيَّة أن ترتاح من الذين حسبتهم "أعداءها"، وهكذا امتدَّت في كلِّ الاتِّجاهات مع أنَّها خسرت الحرب مع حليفتها ألمانيا. أما آن الأوان لكي يعترف أولئك الذين حكموا الشرق وقسمًا من أوروبّا، بما تركوه من سرقة واستعباد وذبح للعباد؟ أما حان الوقت لكي نعرف نحن أبناء القرن الحادي والعشرين أنَّ الإنسان إنسان سواء كان من بلدي أو من بلد آخر، من ديني أو من دين آخر، من حزبي أو من حزب آخر؟ هل نسينا أنَّنا كلَّنا مخلوقون على صورة الله ومثاله، أنَّ الأحبَّ إلى قلب الله هو التقيّ؟ حروبنا في هذه البلاد هي من أجل السلب والنهب. هذا ما عرفناه في لبنان. أمّا البغض والحقد والإذلال فهي تزدهر في زمان العنف والعدوان، ولاسيّما حين يأتي الخارج فيثير هذه الفئة على تلك. وما رأيناه في هذا الكتاب أنَّ الأكراد الذين عاشوا مع المسيحيِّين

انقلبوا عليهم بعد أن أُخذوا بأقوال الدولة وبعض عملائها. ومن يدري؟ أما تكون الدول الغربيَّة مذنبة بسبب سياساتها التي تريد أن تكون هذه الفئة لها تجاه الفئة الأخرى. كم يجب أن نتعلَّم في هذا الشرق أن نفصل بين الإيمان الذي يعلِّمنا كيف نضع ثقتنا في الله بانتظار أن نضع ثقتنا بالقريب. فكلُّ إيمان يدعو إلى المحبَّة. وكيف نعلن أنّنا نحبُّ الله ونقتل أناسًا مخلوقين على صورة الله، وهكذا نشوِّه وجه الله في الكون.

تاريخ العالم يُدمي القلب. باسم الدين نقتل، نذبح، نحرق، نسلب، ننهب، ننتهك الأعراض. قولوا لي: في أيَّة ديانة نجد هذه "الوصايا"؟ وإذا كان الغرب تخلَّص كثيرًا من هذا المناخ، فالشرق ما زال متأخّرًا، عائشًا في القرون الوسطى. كانت هناك القبائل المتصارعة، المتقاتلة بين كرٍّ وفرّ، فصارت الطوائف والمذاهب قبائل تتناتش وتتعادى وتتصادم إن لم يكن بالكلام فأقلَّه بالنوايا. فماذا ربحت تركيّا ممّا حصل فيها سوى وصمة عار لن تزول ما لبثت في كبريائها وتعنُّتها ورفضها لما حصل فيها؟ أدينَتْ ألمانيا بعد الحرب العالميَّة الثانية، ويوغوسلافيا في الأحداث الأخيرة.

وكلمة أخيرة. عرفنا مذابح الأرمن، ولكن يجب ألاّ ننسى سائر المسيحيّين الذين نالوا نصيبهم من التعذيب والقتل من قبل السلطات التركيَّة، وإن لم يكن بمقدار ما حصل للأرمن الذين اعتُبروا حلفاء فرنسا فمنذ البداية عرفت تلك المنطقة اضطهاد المسيحيِّين. كتب إيف ترنون في ترجمة لطيفة عرنوق: "لقد تمَّ الفتح العربيّ أقلَّ سلمًا في المناطق الجبليَّة. ففي ماردين، ذبح العربُ المسيحيِّين وأجبروا الباقين على قيد الحياة باعتناق الإسلام. في العام 833، في دارا ونصيبين وأميدا ورأس العين، ذُبح وجهاء القوم" (ص 47). وكان مسك الختام ما أصاب المطران جبرائيل تبّوني الذي اعتبر جاسوسًا إنكليزيًا يهرِّب الأسرى. وكان خلاصه في 7 تشرين الأوَّل عربونًا لخلاص إخوته.

القصارى

في نكبات النصارى

بقلم

شاهد عيان

العلاّمة الاب إسحق أرملة

وثيقة تاريخية نادرة تسجّل بشمول وتفصيل ما لحق بالمسيحيين في تركيا وبلاد ما بين النهرين ولاسيما في ماردين، من الظلم والتعدّي والخطف والنفي والسبي والذبح والقتل وسائر الفظائع وذلك في سنة ١٨٩٥ وفيما بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٩

جميع الحقوق محفوظة للناشر

دار ومكتبة بيبليون
جبيل – لبنان

المقدمة

سبحان من فطر الانسان من التراب · وجاد عليه بكلّ ما عذب وطاب · ووعده ان سار في جادّة البرّ والصواب · بأجزل الاجر وافضل الثواب · ولما ان تعدّى طوره وخالف امره استهدف لنبل المشقات والاوصاب · وتحوّل عزّه وسروره الى الذلّ والاكتئاب ونزل به صارم العقاب · وأليم العذاب

اما بعد فهذا كتاب تضمّن حوادث الحرب المشؤومة الاليمة · وأخبار الفواجع المبكية الجسيمة · وما جريات المذابح الفظيعة · والفواحش والمنكرات المستبشعة الشنيعة · التي جرت في اغلب بلاد ما بين النهرين · وقد افتتحناه بنبذة في سالف تواريخها · الممعنا فيها بذكر سابق احاديثها · ودعوناه " القصارى في نكبات النصارى " تلويحاً بما جعل المسيحيين حيارى · وشده عقول المتبصرين · وخلّف سوء الذكرى للقتلة الجائرين · الذين ذبحوا قاتلهم الله خضرانا · واعملوا حسام الحيف في كبارنا وصغارنا : فاكتحلنا بعدهم السهاد

وافترشنا الرماد والقتاد . وورثنا الكمد وحرقة الفؤاد . وبتنا نندب زمناً خوّوناً لم يزدد فيه الخير الا بُعداً وادباراً . والشرّ الا قرباً واقبالاً . ومصداقاً لما نقول ندعوك ايها العزيز لتضرب بطرفك اينما شئت فما ترى الا فقيراً كابد العري والجوع . وغنيًّا تجبّر فبدّل نعمة الله الكريم بالكفر والجحود . ومظلوماً فقد أمواله وحُرم أملاكه وخسر أرزاقه . وظالماً غالى في الغدر وتقدّم بالأذى والمكر ليزيد ثروته ويشبع أطماعه

على اننا رأينا لقوم في هذا المؤلَّف مسلاةً من الهموم والاكدار ولغيرهم مَصحاةً من سكرة الغرور والاستكبار . كي يتذكر هولاء ما صار فيصغرون ويخزون . ويفتكر اولئك في ما حاق بهم فيتباهون ويتعزّون . وما اصدق من قال :

لكلِّ شيء اذا ما تم نقصان فلا يغرُّ بطيب العيش انسانُ

فالخطوب اذا توالت تولّت . والكروب اذا شملت عزّت وسلّت . وقد صحّ فينا قول القائل :

ليس البليـة في أيامنـا عجباً بل السلامة فيها أعجب العجبِ

فادّرع صبراً ايها الاخ الحبيب . وان نبا عنه قلبك الجريح الكئيب . وازكن اني اخوك في النائبات . حليفك في النكبات . نعقت في دياري نظيرك بومة الخراب . وانباجت علي مثلك بوائج الحيف من كلّ باب . والتفّ عليّ الغدر والدهاء . واحتف بي الضرر والشقا . فخسرت الاقارب والاصحاب . وحرمت الأهل والأحباب . حتى انك اذا استخبرتني عما دهمني ودهاني . ما اجبتك الا بدمع عيني وأشجاني . لاني شاهدتُ آبائي واخواني ألقوا

في السجون المطبقة ساكتين · وضربوا وصفعوا ولطموا وجلدوا صامتين · وسيقوا سوق الخراف للذبح ذليلين طائعين · وقضوا في قمم الجبال وبطون المغاور صاغرين خاضعين · وزجوا في الآبار والأنهار عطاشاً جائعين. واستباح وحوش صقر المحرمات والمحظورات من هتك نسوة حازمات مخدرات · وافتراع عذارى وفتيات عفيفات طاهرات · ولم يستوف ابليس الخناس من ذلك مآربه وافراحه · ولم يخفض للانين والزفرات جناحه · بل جعل النكال والبغي والطمع ديدنه مساءه وصباحه · حتى غدا لا جزاه الله خيرا كالجوارح الكاسرة · والوحوش الضائرة · والكلاب العاقرة · لم تسلم عليه الشفقة والرأفة · ولم يسمع بخبر التؤدة والرحمة · فلم يصعد والحالة هذه باليد شيء الا اللياذ بجميل الاصطبار · والاستسلام لحكم الله العدل القهار

هذا ولما استفحلت مفاسد أعداء الانسانية · وعظمت منهم الأذية والرزية · حلبت العيون ماءها دماً · وقطرت القلوب دماءها عندماً · فقلت رحماك يا مقلتي أسعديني وأسعفيني لأبكي ما حييت ولمندب أحباراً اجلاء نبلاء · وكهنة غيراً بسلاء · وشمامسة نزهاء فضلاء · ووجهاء كرماء شرفاء · ورجالاً اتقياء · وشباناً نجباء · وفتياناً ودعاء · ورضعاناً أبرياء · خطفهم اعداء مرداء فطروا على الشحناء والبغضاء · وخلونا نتململ على احرّ من جمر الغضا · أجل لأبكين ما وسقت عيني الماء · امهات كريمات · وسيدات حكيمات · وعذارى محتشمات · وفتيات منيعات · ومخدرات عفيفات · ومحصنات طاهرات شريفات · انقضّ عليهن بزاة الجحيم

الاجلاف . وحاولوا سلبهن حلل الطهر والعفاف . من دون شفقة ولا انصاف . فحبط والحمد لله مسعاهم . وخاب خبيث أملهم ومُتمناهم لانهن استعذبن النكال والعذاب والموت الاحمر حباً لمن ضحى بحياته لاجلهنَّ . وذاق الوان العذاب والالم في سبيلهن

تلك حقيقة الحال ستراها في تصفحك هذا الكتاب المؤثر الذي جعلناه خمسة أجزاء بحثنا في الاول عن الحوادث الغابرة من ص ١ ــ ٦٦ واوردنا في الثاني نكبات الحرب العامة مياومة منذ مفتتحها حتى سلخ ايار ١٩١٥ من ص ٦٧ ــ ١٤٧ وكتبنا في الثالث اخبار الحبوس والمذابح والسبي وسائر الفظائع التي جرت بماردين من حزيران ١٩١٥ الى تشرين من ص ١٤٨ ــ ٣٣١ واثبتنا في الرابع نتفاً من اخبار مذابح بلاد الجزيرة كالرها ودياربكر وراس العين ودير الزور وطورعبدين وسعرت الخ من ص ٣٣٢ ــ ٤٤٤ واضفنا الى ذلك جزءا خامساً ضمناه توابع الذابح ولواحق النكبات وخاتمتها كبيع متروكات النصارى ونبش الدفائن واستخراج الخزائن . وقدوم المسلمين المهاجرين الى ماردين الخ ختمناه بما اصاب السيد جبرائيل مطران السريان من العذابات وقتما نفاه الاعداء وحبسوه وهي خاتمة النكبات من ص ٤٤٥ ــ ٤٩٩

واعلم ايها العزيز ان الذي لم نشاهده بامّ عيننا لقفناه عن شهود عيان كان العناية الصمدانية شاءت افلاتهم من مخالب الموت ليطلعونا عمّا جرى لهم ولمن استصحبهم كي ندرج حوادثهم وننشرها موعظة للظالمين وتعزية للمنكوبين . وينبغي ان يتاكد لديك ان الاخبار الصادقة في ذلك كثيرة جداً جداً تكاد تملأ حافتي السمع

والبصر . وتشغل حيز الفكر والنظر . فاقتضبنا المهمَّ وأوجزناه قدر ما ساعدتنا الفكرة القاصرة وظروف الاحوال . ولو شئنا من هذه البضاعة لوزنَّا وكلنا شيئاً كثيراً اقتضى له مجلداً آخر ضخماً . ولكنا اكتفينا اليوم بما سردناه تبصرةً لغير المؤمنين . وهداية للشاردين الغافلين . حتى اذا شاهدوا الفضيلة بأبهى نقائها . والعفة بانصع بياضها وسنائها . والديانة المسيحية بأرسخ بنائها وأوطد دعائمها وأثبت قواعدها . هاموا بحبها وكلفوا بها . وبذلوا كل نفيس في سبيل احتضانها واعتناقها بل في سبيل نشرها واحياء معالمها

وفي الختام نسال المولى الكريم ان يجعل عملنا راجعاً لمجده العظيم وانتصار الكنيسة الكاثليكية امّ جميع الكنائس وهداية الضالين عنها الى الصراط المستقيم انه تعالى على كلّ شيء قدير

الجزء الاول

حوادث ما بين النهرين الغابرة

الفصل الاول

ماردين

ماردين بلدة شهيرة عامرة في بلاد ما بين النهرين مشيدة فوق جبل باذخ تعلوه قلعة حريزة حصينة منصوبة على اضيق المسالك سمّاها الكتبة سيدة القلاع ومركز الحصار والدفاع . لم يكُ في بلاد الجزيرة قلعة أمنع واحكم منها . حتى ان الملوك والولاة ملّوا حصارها وتعذّر عليهم نوالها . وهي تطلّ على دارا ونصيبين وسنجار ودنيسر وكفرتوث والخابور وراس العين وما جاورها من البلاد القديمة والقرى الشهيرة . ويكتنفها غيرها من القلاع المنيعة والحصون الرفيعة مما جعل اسم تلك الحصون ان يتغلب على المدينة فدعيت ܡܪܕܐ بالارامية

اعني الحصون . ثم عربها العرب فقالوا هذه ماردون ورأيت ماردين اشارة الى كثرة معاقلها ومناعة حصونها

وابتنى الملوك داخل القلعة قصوراً باذخة ودوراً فسيحة وحفروا بها آباراً جرورة وزرعوا في ارضها اشجاراً متنوعة كثيرة ليتيسر لهم الدفاع والثبات عند هجوم العدو . فكانت والحالة هذه ماردين وبقاعها كدار حرب متصلة يتنافس ملوك الارض واقطابها في الاستيلاء عليها

قال صفي الدين الحلي

كم ماردين لماردين تواثبوا ومن المحال طلاب ما لا يُلحق ..
يا من يقايس ماردين بجلّقٍ بَعُدَ القياس وأين منها جلّق

والمدينة في لحف القلعة الى جنوبيها تحاكي مرقاة شاهقة فسيحة . دورها كالدرج كل دار فوق أُخرى . مبنية بالحجر الابيض او الاصفر الصُلب . موصوفة بجودة المناخ وعذوبة الماء . في شماليها البساتين النضرة والحدائق الغنّاء والرياض الزاهية والكروم المخصبة الحافلة بضروب الثمار الجنية والبقول اليانعة الطيبة والغلال الوافرة

واشهر حاصلاتها السمن والصوف والمرعزى والاجاص واللوز والكرز والمحلب والعفص والبطم

وسكانها مسلمون ونصارى وكان مجموع النصارى قبل الحرب الشعواء عشرين الفاً من ارمن وسريان وكلدان وبرتستان

الفصل الثاني

النصرانية في ما بين النهرين

ذهب غير واحد من أيمة المؤرخين البيعيين الى ان النصرانية ذاعت في بلاد ما بين النهرين منذ اواخر القرن الثاني للتجسد بحيث ساغ لبرديصان العلّامة السرياني الرهاوي + ٢٢٢ ان يدوّن في كتاب شرائع البلاد ما شرحه "ما قولنا في طائفتنا النصرانية الحديثة التي أنشأها السيد المسيح في كل قطر ومصر . فقد انتشرت في بلاد الفرثيين وفارس وماداي والرها الخ [١] وايد كلامه هذا ترتليان الشهير بقوله « قد آمن بالمسيح جميع الامم من فرثيين وماديين وعيلاميين وسكّان ما بين النهرين » . وذكر ديونوسيوس الاسكندري « ان في ما بين النهرين كنائس مسيحية شُيدت قبل عصره »

وكانت ماردين فيما نرى في مقدمة المتنصرين . ذلك تؤيده كنائسها وأديارها القديمة ككنيستي الارمن والكلدان وديري السريان وكنيسة الشهيدة شموني . ومما تتناقله الالسنة ان العصرة التي تحت باب القلعة الجنوبي كانت في سالف الزمان كنيسة الروم

ولا يخفى ان جامع الشهيد حيث ابتنيت المنارة الحديثة اثناء الحرب العامة كان كنيسة للنصارى السريان كما حقق ذلك جماعة من مورخي السريان كميخائيل الكبير والرهاوي وابن العبري

لكنا لسوء الحظ لم نعثر على شيء من احوال النصارى الاولين

---

(١) برديصان ، طبع الاب نو ص ٢٩ باريس . وانظر أعمال الرسل ٢ : ٩

ولاسيما في القرون الثلاثة الاولى للتجسد . ذلك لكثرة الحروب والنكبات التي المّت بهم فغيّبت عنا جليل آثارهم وضيّعت حقيقة اخبارهم

الفصل الثالث

حوادث ما بين النهرين السياسية

ورد في اخبار تغلثفاسر الاول ملك آشور ١١١٥ — ١١١٠ قبل المسيح انه في السنة الاولى لتتويجه ملكاً اقبل في جيش جرار الى سواحل الفرات ومر بسنجار ونصيبين وماردين وآمد وبشّ الغارة على الماشكيين بكماجين وقهرهم وملأ الاودية والجبال من جثثهم وكلّل الاسوار بجماجمهم

غير انه عام ٢٥٠ ق م تغلب الارشاقيون او الاشكانيون على العراق والجزيرة وسوريا وجعلوا المدائن عاصمتهم وهم الذين حصّنوا قلعة ماردين وحصنوها واقاموا فيها جيشاً كثيفاً ليردّ عنهم غارات الروم وغزواتهم . وكانت مملكتهم مؤلفة من ممالك شتى صغيرة عرف العرب ملوكها بملوك الطوائف ونصبوا لكل منها حاكماً يراجعهم . واشهر تلك الممالك الرها وتدمر وحدياب والحضر بنواحي تكريت وميشان وهي البصرة وباجرماي وسنجار

وفي ٢٨ نيسان سنة ٢٢٦ م قويت شوكة ملوك الفرس فانقض اردشير بن بابك في جيوش جرارة على سهول ما بين النهرين وارزون وبازبدى وبابل وظفر بارطبان آخر الملوك الفرثيين ونصب كرسيه في

المدائن. ولما ملك نرسى على الفرس + ٣٠٢ حمل على الارمن وغلبهم وعقد الصلح مع ديوقلطيانوس ملك الروم فقررا ان تكون نصيبين الحدود الفاصلة المملكتين . فسماها المؤرخون مدينة الحدود

غير ان شابور الثاني نقض العهود فدوّخ نصيبين وخلفه قباد فحصر آمد سنة ٤٨٨ وسباها ولما ملك كسرى انوشروان غزا بلاد الروم وملكها حتى حماه ثم ارسل يسطنيانس طلائعه الى دارا فخرج عنها كسرى وهادن الروم

ولما قُتل موريقي لبس كسرى الحداد حزناً عليه واحوجه الامر الى الخلاف مع الروم . فاوفد شهربراز قائده الى دارا فحصرها لستة اشهر ودوّخها واحتوى على كتب شتى . وملك طور عبدين وحصن كيفا . فلما سمع ذلك الروم الساكنون في قلعة ماردين اخذهم الرعب فخلّوا القلعة وانهزموا الى بلاد الروم الغربية فاجتمع الرهبان وصاروا الى القلعة واوفدوا الى باسيل مطران السريان بكفرتوث يستأذنونه في مقاتلة الفرس . غير ان الفرس كبسوهم وفتكوا بهم واستولوا على القلعة سنة ٦٠٧ م

الفصل الرابع

العرب وما بين النهرين[٢]

كانت الامم القديمة تتزاحم في تلك بلاد ما بين النهرين لكثرة

---

(١) تاريخ ابن العبري المدني السرياني ص ٩٢ و٩٣ وتاريخ الرهاوي السرياني طبع غبطة العلامة السيد اغناطيوس رحماني بطريرك السريان بدير الشرفة ٨١: ١٣٣

(٢) راجع مجلة المشرق ١٥ : ١٤٥

خصوبتها وسعة غلّاتها . وأزهرت فيها مدن عديدة وحواضر ممصرة لم يبق من اكثرها اليوم سوى اخربة مهيبة او مدن ثانوية تشير الى عظم مقامها في القرون الغابرة . واخص تلك المدن نصيبين ودارا وراس العين وماردين ودنيسر وآمد والرها وميافرقين وكفرتوث وتل موزان وحصن كيفا وقرقيسيا والرقة ويطلق على مجموعها اسم الجزيرة . فهذه البلاد المتدفقة فيها الخيرات والغلات أحبتها قبائل العرب سواء كانوا حضرا او مدرا واستوطنوها من سالف الاجيال ومما يدلّ على انتشار القبائل العربية فيها أعلامها المشيرة الى قاطنيها كديار ربيعة وديار مضر وديار بكر وجزيرة ابن عمر وغيرها

اما ديار ربيعة فكانت بين الموصل وراس العين وماردين ودنيسر والخابور وما تتضمن من البلاد والقرى . واسم ربيعة لهذه البلاد قديم كانت العرب تحل في بواديه قبل الاسلام . ويتصل نسب ربيعة بن نزار باسمعيل بن ابرهيم عليه السلام . وتفرع من ربيعة عقيل فتفردت بأرياف الخابور واختصت جشم بكفرتوث وسكن النمر براس العين . وكان مقام ربيعة خاصة بجبال الجودي وخلفهم الاكراد وخلف الاكراد الارمن

اما ديار بكر فهي بلاد واسعة بين ديار ربيعة وديار مضر وتنسب الى بكر بن وائل .. بن ربيعة . وحدّها ما غرّب من دجلة الى بلاد الجبل المطلّ على نصيبين . ومنها حصن كيفا وآمد وميافرقين وسعرت ويدخل فيها جبل الطور البرّي وهو لبني شيبان بن بكر بن وائل . اما اليوم فيراد بديار بكر مدينة آمد وحدها

اما ديار مضر فهي في السهول القريبة من شرقي الفرات كحرّان

والرقة وشميشاط وسروج والرها والرافقة . وكان يسكنها بنو تيم وبنو سليم وأخلاط مضر . ومضر هو اخو ربيعة بن نزار . . بن اسمعيل

اما جزيرة ابن عمر فمنسوبة الى اوس وكامل ابني عمر بن اوس التغلبي من بني ربيعة . وروى ابن البعري في تاريخه المدني السرياني ص ٤٩٣ ان جزيرة ابن عمر ابتنتها قبيلة من العرب تدعى قبيلة عمر وانها ليست من أبنية اليونان

وكانت النصرانية قد اصابت الحظ الاوفر في هذه البلاد جمعاء كما تشير اليه الآثار التاريخية والكتابية والبنائية ولاسيما الاديار والكنائس

الفصل الخامس

المسلمون وما بين النهرين

ولما ولي أمر الخلافة عمر بن الخطاب ٦٣٥ — ٦٤٥ اوفد الى ابي عبيدة ان اعقد عقداً لعياض بن غنم وجهز معه الجيوش الى ديار ربيعة وديار بكر . فعقد له عقداً على ثمانية آلاف مقاتل فسار عياض يريد الجزيرة ففتح بالس والرقة وراس العين وجملين وكفرتوث ودارا وماردين وتل موزل وغيرها . ثم ارسل الوليد بن عقبة فجمع بني تغلب النصارى وارادهم على الاسلام فأسلموا . واطبق النعمان بن المنذر على شهرياض صاحب راس العين من قبل الروم وفاجأه بطعنة فألقاه صريعاً . ثم حمل المسلمون سنة ٦٤٢ على قرقيسيا وملكوها وبنوا كنيستها جامعاً وولوا عليها شرحبيل بن كعب . واستولى عبدالله بن غسان

على ماكسين والشمسانية وعربان والمجدل بالخابور

اما ارسوس بن جارس صاحب ماردين فانهزم الى حران فاقبل المسلمون الى ولايته واستحوذوا على قاعتها وبذلوا السيوف في النصارى فقتلوهم عن آخرهم . وملكوا راس العين وبنوا كنيستها جامعاً . ودوخوا جبل السناسنة وعزلوا ملكه سوسى بن سلنطور الارمني . واستعملوا على كفرتوث يرغون وابتذوا كنيستها جامعاً . وفعلوا كذلك في دارا ونصيبين وقلعة المرأة وآمد وميافارقين . فأمست بلاد الجزيرة برمتها في حوزة المسلمين وتبعهم في المذهب نصارى بلاد ربيعة وديار بكر وديار مضر . وفتكوا بيزدجرد آخر ملوك الفرس وحزّوا هامته وارسلوها الى سعيد بن وقص واوفدوا تاجه الى عثمان أبيه فوضعه في الجامع بالكعبة [المورخ الرهاوي السرياني ١٣٣ : ١٧٥]

ولما قويت شوكة المسلمين في بلاد ما بين النهرين هجر العرب النصارى ايمانهم وتبعوا الدين الاسلامي طمعاً في بقاء الملك تحت حوزتهم . فسمى المسلمون محمد بن مروان التغلبي اميرا على ما بين النهرين ٦٩٣ — ٧٠٩ وهو الذي اوفد الى الموعد رئيس العرب التغلبيين النصارى يريده على الاسلام . غير ان الموعد لم يذعن لكلامه فاحتدم محمد غضباً وألقاه في بئر مملوة حمأة ثم امر باخراجه والتوسيع عليه لعله يدخل في دين الاسلام . ولكنه اي الموعد ابى الا الثبات على ايمان اجداده فارسل محمد وقتله . وعام ٦٩٦ سار الحجاج الى نصيبين وقتل وسلب واخرب وصلب مردنشا ونجله وشمعون برنونا

امراء البلد النصارى وجمع روساء الارمن في الكنيسة واحرقهم[1]

وجاء عن الوليد أنه استدعى اليه سمعال رئيس العرب التغلبيين المسيحيين وقال له « عارٌ عليك السجود للصليب واضطرار العرب اصحابك الى السجود له نظيرك . على اني أنصح لك ان تذعن لامري وتتبع الدين الاسلامي»

قال له سمعال « اني لا انكر اني إمام التغلبيين قاطبة . غير اني اخاف كل الخوف ان أردت أصحابي على الاسلام وعلى انكار دين عيسى فاني اغدو سبباً لهلاكهم»

فما كان من الوليد الا ان اصدر الامر الى اصحابه فاوثقوا سمعال وجروه في الشوارع ثم ارسل يتهدده ويقول له « ان لبثت مصراً اطعمناك لحم جسدك » لكن سمعال لم يكترث للوعد والوعيد . فاوفد الوليد وقطع فخذه وشواه والقاها في فيه فالتقمها سمعال مصطبرا فانذهل الوليد وسرحه على تلك الصورة الى بيته وظل حياً دون فخذ[2]

وعام ٨٣٣ هاج هائج المسلمين في دارا ونصيبين وآمد وماردين وراس العين وفتكوا بكثيرين من وجهاء المسيحيين وتجارهم واحرقوا دساكرهم وآخربوا قراهم وبقروا العذارى وقتلوا الفتيان[3]

وآخر من عُرف من الامراء المروانيين محمد خليفة غانم . تولى ديار ربيعة والخابور وما والاها وولي بعده ابو جود التركي ٨٦٢—

(١) ابن العبري تاريخه المرياني ص ١١٢ والرهاوي ١٤٨ : ١٨٩

(٢) ابن العبري ص ١١٥ المرياني (٣) الرهاوي ٢١٧ : ٢٤١

٨٦٨ فوجه الجنود الى ابي العمود التغلبي فقتلوه في كفرتوث

ثم تولى أمر الجزيرة حمدان بن حمدون التغلبي الربعي جد الامراء الحمدانيين ٨٦٨ — ٩٨٢ وجعل هو وخلفاؤه مدينة برقعيد قصبة ملكهم . وشخص المعتضد خليفة بغداد عام ٨٩٤ الى ماردين يريد قلعتها فانهزم حمدان بن حمدون وخلف بها ابنه فنازلها المعتضد وقاتل من فيها يومه ذلك . ولما كان من الغد ركب المعتضد وصعد الى باب القلعة وصاح بابن حمدان فاجابه فقال افتح الباب ففتحه فقعد المعتضد في الباب وأمر بنقل ما في القلعة وهدمها . وكان عضد الدولة آخر من تولى أمر ماردين من بني حمدان وحلّت وفاته سنة ٩٨٢ وبموته انتهت مملكة بني حمدان التغلبي

وسنة ٩٨٣ قوي امر الاكراد في بلاد الجزيرة . وملك بعد باذ بن دوستك ابو علي بن مروان سنة ٩٩٠ وخلفه اخوه ممهد الدولة وملك بعده ابو نصر بن مروان ١٠١١ — ١٠٦١ وكان مقصداً للعلماء من جميع الافاق واستتبت الراحة في ايامه وسادت الطمأنينة في جميع بلاده . وخلفه نصر ابنه ١٠٦١ — ١٠٨٠ وولي بعده منصور ابنه ١٠٨٠ — ١٠٩٥ وعلى يده انقرض امر بني مروان

الفصل السادس

الدولة الارتقية ١٠٩٥ — ١٤٣١

تفرّد بنو ارتق بمملكة ماردين واحتصنوا بمعاقلها ولعبوا دوراً مُهمًّا مدة ثلاثة قرون . وعرف منهم اثنان وعشرون ملكاً تولوا

امر ماردين وغيرها خلفاً عن سلف . ولهم اليد الطولى والرتبة الاولى في بناء المساجد والمدارس وإحياء المعارف وتجديد الدوارس وكانوا اصحاب شوكة ومراس يضيفون العلماء ويعزّون ارباب المحابر ويجلّون اصحاب المنابر

واول من ملك منهم ارتق بن اكسب ١٠٧٦ — ١٠٨٥ وخلفه امين الدين ايلغازي المعروف بالملك الجبار ١٠٨٥ — ١٠٩٢ وولي بعده ايلغازي بن ارتق سنة ١٠٩٢ ثم ياقوتي ثم علي ثم ايلغازي ١١٠٤ — ١٠٢٢ وهو الذي ضم حلب الى ماردين سنة ١١١٨ — ١١٢٧ وتقلد زمام الملك بعده حسام الدين تمرتاش ١١٢٢ — ١١٥٣ وشاد في ماردين مدرسة سميت المدرسة الحسامية ابتنى الى جانبها مسجداً مفخماً . ووليه نجم الدين ألبي ١١٥٣ — ١١٧٦ وفي عهده استحلّ المسلمون كنيسة الاربعين شهيداً ودار المطرنة السريانية وضموها الى الجامع سنة ١١٧٠ واستولوا كذلك على كنيسة مار توما كما اورد ابن العبري والمؤرخ الرهاوي في تاريخيهما السريانيين .

وخلف نجم الدين قطب الدين ١١٧٦ — ١١٨٤ ثم حسام الدين يواق ارسلان ١١٨٤ — ١٢٠٤ ثم قطب الدين فناصر الدين احمد ١٢٠٤ — ١٢٣٤ وشاد المدرسة الشهيدية . وجامعاً ومدرسة ومنارة في دنيسر ومدرسة في حرزم

وقام بعده السعيد ابنه ١٢٣٤ — ١٢٥٩ ثم المظفر ابنه ١٢٥٩— ١٢٨٥ فالملك المنصور ١٢٨٥ — ١٣١١ فالعادل ثمانية عشر يوماً . فالملك الصالح ١٣١١ — ١٣٦٣ فالمنصور الثاني ١٣٦٣ — ١٣٦٤ فمحمود ابنه ١٣٦٤ — ١٣٦٦ فداود بن صالح ١٣٦٦ ـ ١٣٧٦ فالملك الطاهر

عيسى ١٣٧٦ ـ ١٤٠٦ وفي عهد مملكته اي عام ١٣٩٣ شخص تيمورلنك الى ماردين وخيّم في دنيسر يتربص الفرصة للاستيلاء على الولاية . ثم شخص الى البلد وأخربه ولبث حتى سنة ١٤٠٠ يحاول اخذ القلعة فامتنعت عليه فهدّ اسوار البلد وقوّض الجوامع والحمامات والدور وانقلب راجعا

وخلف الملك عيسى الملك الصالح ١٤٠٦ ـ ١٤١٠ ثم اولاده الثلاثة موسى ومحمود وعبد النبي . وفي تلك الغضون قوي امر قره يوسف التركماني فحصر القلعة سنتين واستولى على سواد البلد وملك آمد وميافرقين وحصن كيفا والصور وراس العين

الفصل السابع

الأمارة القرقوينلية ١٤١٠ ـ ١٤٦٨

والامارة الاغقوينلية ١٤٦٨ ـ ١٥١٤

وفي تلك الاثناء اشتدت صولة التركمان وتولى امارتهم قره يوسف بن محمد . فظهر على صاحب بغداد والبصرة وخطب له فيهما وفي الكوفة وكردستان . وسنة ١٤١٠ شخص الى ماردين واخضعها واستعمل العمال عليها وعلى آمد وقفل راجعاً الى تبريز . وولي بعده ابنه اسكندر ١٤٣٥ فقتله قباد عبد اخيه عام ١٤٣٧ وملك حسن الطويل دياربكر وماردين فسار اليه جهانشاه في خمسين الفاً فانهزم حسن الى خربوط فماردين فجد جهانشاه في طلبه فانقلب حسن الطويل الى ماردين وقاتل جهانشاه وفتك به وبجنوده سنة ١٤٦٨ وملك

مكانه · ثم سار حسن الى العراق وولى اخاه القاسم شؤون ماردين وديار بكر واستنهضه ليعمّر ما تهدم ويجدد ما تقوض · فنقل الامير قاسم الى ماردين نيفاً وثمانين الف عائلة من نواحي توريز واذربيجان ورمّم المساجد والحمامات والاسواق والدور وشاد مدرسة غربي البلد عرفت بالقاسمية حتى يومنا ورتب لها الاوقاف وابتنى جامع التكيه وشادت زوجته الى جانبه مدرسة الخاتونية · واقام ابرهيم ابن اخته والياً على ماردين فدبرها سبعاً وثلاثين سنة · وعام ١٥٠٧ تولى امور ماردين اوستاجلو المعروف بمحمد كبونه فظهر عليه السلطان سليم خان الاول ابن السلطان بايزيد ١٥١٣ ـ ١٥٢٠ فامست ماردين مذ ذاك خاضعة للسلاطين العثمانيين ينصبون لها الحكام واحداً فواحداً

الفصل الثامن

الدولة العثمانية

وسنة ١٦٢١ اوفد السلطان مصطفى الى ماردين عيتابلي محمد آغا ليتولى شؤونها من قبله · وخلفه سبعة حكام لم تطل مدتهم الا تسعة اعوام · وسنة ١٦٣٠ سمي يعقوب حاكماً لماردين فانشأ السراي الجديد شرقي البلد · وشدد الحكام بعده على النصارى · وانزلوا بهم النكبات والعقوبات فاضطر نصارى الصور والاحمدي واستل ورشمل وقباله وعشائر المحلية والراشدية والمخاشنية ان يهجروا النصرانية ويدينوا بالاسلامية

ومذ عام ١٦٤٧ جعل حكام ماردين يراجعون وزراء بغداد

ليستعينوا بوافر غلاتها على مقاتلة الذين يناصبون الدولة ويعادونها كاهالي سنجار ومن نحا نحوهم . وظلت ماردين خاضعة لوزراء بغداد حتى سنة ١٧٢٧

وعام ١٧٣٥ اقام السلطان محمود الاول علي الرضا باشا الماrديني والياً للبلد وانعم عليه وعلى اولاده من بعده ان يتولوا شوونها . وحدثت فتن شديدة سنة ١٧٧٧ في بلدة ماردين فثار الاهالي على يوسف الحاكم وسمّوه وسمّوا عبد القادر خليفته سنة ١٧٧٩ وعثمان المكتوبجي سنة ١٧٨٥

وسنة ١٧٩١ شخص الى ماردين سليمان باشا وزير بغداد وامر بصلب حسين السراكجي وحسين الفرسي في سوق الطحين ثم قفل راجعاً الى بغداد . وعام ١٨٠٧ تغلب الداشية على المدينة وضعضعوا اسوارها ونهبوا الاسواق وابتزوا الاموال وفتحوا تحت الليل الفاً وخمسمائة بيت واحتووا على ما فيها وواصلوا اطلاق البنادق في المدينة ثلاثة ايام كاملة . وكان ذلك في رمضان سنة ١٨٠٨ فتأتى من ذلك ان جملة من الحوامل لقين حتفهن ازيد الرعب والهلع

ولما تولى حسين العزب امور ماردين فتك بامير الفرس وامير العمريان وامير الكيكية وامير الملية وعبد الفتاح . وقتل اربعة وعشرين من الداشية والبنابلية وبعث برؤوسهم الى وزير بغداد فأثنى الوزير على شهامته وايده في وظيفته وخلع عليه الخلع الثمينة

وسنة ١٨١٥ نصب يونس الاربلي حاكماً لماردين فحدثت في ايامه مشاغب وفتن بين السركجية والداشية والعمريان اذ كانوا يطوفون الاسواق يضربون ويقتلون كل نصراني . ولما تولى الحكم احمد آغا

السلاحدار القى القبض على بطريرك السريان اليعاقبة في عاشر رمضان ١٨١٧ وزجه في سجن القلعة فاخذت الحمية الخواجا الياس شادي كبير الارمن المشهور اذ ذاك بنفوذه فحامى عنه وافتداه بثلاثة وثلاثين كيساً اضاف اليها سبعة اكياس . فاضطر السريان ان يبيعوا اوقاف بيعة الاربعين ودير مار ميخائيل وبيعة شموني ليوفوا المبلغ والزموا السريان الكاثليك ان يغرموا شيئاً من ذلك فأدّوه وانقذوا البطريرك .

وفي نيسان ١٨٢١ استدعى عبد القادر حاكم ماردين الخواجا الياس شادي الارمني واستقرضه خمسة عشر كيساً اضاف اليها فيما بعد اربعين كيساً اخرى ففرض الخواجا الياس على المسلمين ثلاثين كيساً وفرض الباقي على المسيحيين . غير ان المسلمين ابوا الدفع فاضطرّ الحاكم نصارى البلد ان يدفعوا المبلغ اجمع ولم يقرّ قراره حتى استوفاه منهم عن آخره

وعام ١٨٣٠ وافى الى ماردين علي باشا وزير بغداد فأدى له الطاعة الحاج احمد الحاكم ودفع اليه مفاتيح القلعة . وخلفه سنة ١٨٣١ عثمان بن ابرهيم باشا الامدي فألقى القبض على الخواجا الياس شادي وسجنه في القلعة وابتز امواله وامتعته . واوفد في ١٥ آب الى حارس القلعة في قتله غيلة ففتك به ليلاً والقى جثته الى جهة البلد فاستحوذ الرعب على النصارى . غير ان الحاكم لشديد خشونته وفظاظته اصدر الامر الى الجنود فاوثقوا جثة القتيل البري وجرّوها في ازقة البلد عند الظهيرة ومضوا بها الى المسلخ واستحوذوا على امتعته واثاثه وباعوها في السوق العامة

وسنة ١٨٣٥ نُصب اسعد محمد المعروف بكوسه حاكماً لماردين وفي ايامه جرى تحرير الاهالي فكان عدد المسلمين ٢٩٤٣ نسمة والنصارى ٣١٩٠ واليهود خمسين نسمة

وظلت ماردين خاضعة لوزراء بغداد حتى جمادى الاخرى ١٨٣٩ فأُنيطت امورها بمحمد باشا البيرقدار والي الموصل فشخص اليها سنة ١٨٤١ واستمر فيها سنة كاملة وعشرين يوماً ثم اقرّ عليها محمد آغا وعاد الى الموصل . ومذ سنة ١٨٤٥ صار حكام ماردين يراجعون والي دياربكر . وبعد هذا نصب انيس باشا متصرفاً وظل الى ٢١ تموز ١٨٨٩ وفي زمانه احترقت القيصرية التي كان يشغلها تجار النصارى فالتهمت النيران بضائعهم واموالهم واودت بحياة غير واحد من شبانهم ورجالهم . ولما كان رمزي متصرفاً لماردين سنة ١٨٩٥ ثار المسلمون على ارمن دياربكر وخربوط واورفا وسويرك وماردين وغيرها فاحرقوا وسلبوا وقتلوا وسبوا كما سترى

الفصل التاسع
مساوئ ولاة ديار بكر

اعلم انه مذ أُلقيت مقاليد ماردين الى ولاة دياربكر تعددت عليها الارزاء والنكبات حتى صارت الى الضعضعة والدمار. على انهم لا خلف الله عليهم بخير تحكموا في اهاليها المسلمين والمسيحيين معاً واستبدوا بهم وكلفوهم ما لا يطاق من الضرائب في هذه السنين الاخيرة ليحسّنوا ديار بكر السوداء وضربوهم ضربة معضلة قصمت ظهرهم وكادت تدخلهم في خبر كان

على انّنا رأينا حقيقة ذلك بأم عيننا خاصة في عهد رشيد والي دياربكر الطاغية فان ابليس الخنّاس باض في راسه واقتعده ريثما سوّل له ان يضم اليه أحزاب الشر فاوقع بالنصارى الابرياء وساقهم وقتلهم وسباهم ونهبهم ۰ وانتقى لتنفيذ خبيث مآربه قوماً من مروّجي سوء افكاره كخليل اديب رئيس الجزاء والحاج زكي واخيه وبدري وممدوح وتوفيق وهارون وغيرهم ممن سترى اسماءهم ۰ واوفدهم الى ماردين الامينة فانفجروا عليها حاملين أوامره الناطقة بهدر الدماء واستباحة العذارى والنساء واجلاء النصارى عن البلاد والفتك بهم في التلال والجبال والاودية والبراري ۰ فانكشفت اذ ذاك الاحقاد المستورة وتهاترت الشهادات الزورية وانجلت الحزازات وراح كلٌ يحفر الحفائر للنصارى كما يشاء هواه ۰ حتى انه في اوجز مدة انقلبت الولاية انقلاباً عظيماً فأقفرت من السكان واحمرَّ بساط اراضيها بدماء الابرياء الاطهار وامست في حال يبكي لها الجماد

الفصل العاشر

الدولة الارمنية

عُرفت منذ القرن السادس قبل التاريخ المسيحي امة تكلمت بالارمنية وسكنت نواحي اراراط الجبلية ۰ اما بلاد الارمن فيحدّها شمالاً البحر الاسود وبلاد الكرج وشرقاً الكرج وبلاد العجم وجنوباً كردستان والجزيرة وغرباً آسيا الصغرى

وكانت ارمينية خاضعة لصولة الاشوريين تارة وطوراً لصولة

البابليين واستقلت آونةً من حكم كلتا المملكتين . وكان شردوري اول من ملك ارارطو او ارمينية سنة ٨٨٥ ق م وخلفه ارامي وجرت بينه وبين شلمناصر † ٨٢٥ ق م الحروب الشتى حتى ان شلمناصر قصد ارزشخون شمالي وان سنة ٨٥٨ ق م وقاتل ارامي وقتل من جنوده ٣٤٠٠ نسمة ودمَّر ارزشخون وسار الى بحيرة وان وغسل اسلحته وكتب ثم حادثة غلبته . ولما مات شلمناصر عصاه الارمن فسار اليهم ربشاقي وقوّض من بلادهم ثلاثمئة مدينة وقرية فهب ارغستس ملك الارمن وحارب شلمناصر الرابع † ٧٧٢ وانتصر عليه مرتين . غير ان تغلثفلسر الثالث † ٧٢٧ حارب شردوري الثالث ملك ارمينية سنة ٧٥٦ ق م في دسبان او هي وان وقتل من جنوده ثلاثة وسبعين الفاً واستحوذ على عجلاتهم واسلحتهم واحرق خزائن مملكتهم ونقل تخت ملكهم الى نينوى

وظلّت ارمينية خاضعة لملوك بابل وآشور ومادي حتى ظهر الفرثيون سنة ٢٥٠ ق م فملكوها وجعلوا عاصمتهم مدينة ساليق وتطسفون او هي المدائن

ولما قويت شوكة الملوك الرومانيين دوّخوا ارمينية وانتزعوها من يد الملوك الفرثيين فقاتلهم ارطبان الرابع واستخلص منهم بلاده وملّك عليها ارشاق ابنه البكر سنة ١١ بعد المسيح . وسنة ٦١ ب م سار ولغش الى ارمينية وحصر الروم الذين فيها واضطرهم الى مغادرتها

وفي ٢٨ نيسان ٢٢٦ شد اردشير بن بابك راس الملوك الساسانيين على بلاد الفرثيين وظفر بارطبان ملكهم ودوّخ المدائن عاصمتهم فانهزم الفرثيون الى جبال ارمينية وتركوا خزائنهم واسلابهم غنيمة

للعدو . ومذ ذاك نشأت مملكة ارمينية الفرثية

وظل الفرثيون دهراً طويلاً يحكمون في ارمينية وينصبون لها الأمراء والبطارقة والولاة من الارمن حتى غدت راتعة في بحابح الامن والطمأنينة . وسنة ٨٥١ طمع فيها المتوكل خليفة بغداد وولّى عليها وعلى أَذربيجان يوسف بن محمد . ولما وصل الى خلاط حتى سارع اليه بقراط بن اشوط بطريق الارمن فاحتال عليه يوسف وأوثقه وحمله الى المتوكل . فاجتمع بطارقة الارمن وتحالفوا على قتل يوسف فوثبوا به في قلعة موش في شدة من البرد وكَلَب من الشتاء وقتلوه [تاريخ الدول لابن العبري ص ٢٤٧]

وساعد ملوك الارمن الخلفاء العباسيين فيما بعد وعضدوهم حتى انه في عهد المعتصم زحف سهل بن سنبلاط البطريق الارمني الى بابك عدو الخليفة وأسره وبعث به الى الافشين فحمله الى المعتصم فأمر سيّافه فقطع يديه ورجليه ثم ذبحه وشق بطنه وانفذ راسه الى خراسان وصلب بدنه بسامرا . فاضطر الخليفة لذلك ان يجامل الارمن ويحسن معاملتهم

ولعب ملوك الارمن في عهد المغول او التتر دوراً مهماً اذ كان لهم نفوذ عندهم حتى ان أخا التكفور ملكهم حضر سنة ١٢٤٦ مع امراء البلاد حفلة تتويج كيوك خان ملكاً على المغول فأحسن كيوك خان اليه وكتب له العهود . وكان كيوك خان يُعز النصارى ويكرم المطارنة والاساقفة والراهبين فصارت الدولة المغولية مسيحية وارتفع شأن طوائف الفرنج والروس والسريان والارمن . والتزم الخاص والعام من المغول وغيرهم ممن هو بينهم ان يقولوا في السلام

بارخمور ܒܪܚܡܘܪ بالسريانية اي بارك مالكي

وسنة ١٢٥٢ توجـه حاتم ملك الارمن من سيس عاصمته الى مونككا قاان ملك التتر فأعزّه الملك واحسن معاملته . ولما ملك على المغول اباقا ايلخان سيّر صاحب مصر الى حاتم ليدخل في طاعته ويحمل اليهِ الجزية ويمكّن الناس من مشترى الخيـل والبغال والحنطة والشعير والحديد من بلاده . غير ان حاتماً لم يجب الى طلبه فهجم المصريون عـلى بلاد الارمن وحاتم غائب فاجتمع اخوته واولاده وامراؤه وجمعوا أتباعهم وخرجوا ليمنعوا المصريين فالتقوهم عنـد حجر سروند فانكسرت الارمن واستؤسر ولد الملك حاتم وقتـل ولده تورس وانهزم الامراء والعسكر . ونهبوا واخربوا بيعـة سيس الكبرى

واشتهر سنة ١٢٧٦ لاون ابن ملك الارمن وسار مع المغول الى الشام سنة ١٢٨٢ في عساكره فقهروا المصريين في حمص ورجعوا . وملك بعده يوحنا بيل وسُمي قسطنطين الثالث وخلفه اخوه كوفيدن † ١٣٣٤ ثم قسطنطين الرابع † ١٣٦٤ وفي عهده سار التركمان الى قلعة كابان وهي من امنع قلاع سيس وملكوها بالحيلة وقتلوا رجالهـا وسبوا النساء والاطفال . قال في ذلك ابن الوردي

صاحبُ سيس الجديـد نادى كابانُ عندي عـديلُ روحي
قلنـا تأهبْ لغير هـذا فـذا فتوحٌ عـلى فتوحِ

ثم ملك ليون فشنّ المصريون الغارة تكراراً على قيلقيا ونهبوا واحرقوا وقتلوا . وهجموا عـلى سيس ودكّوا حصونهـا وفتحوا قبور الملوك والولاة واحرقوا عظامهم وأسَروا لاون الملك واهـل

بلاطه سنة ١٣٧٣ ومضوا بهم الى مصر وسجنوهم سبع سنوات فتوسط الحبر الروماني في مسألتهم وانقذهم من أسرهم . وسار بعد ذلك لاون الملك الى اورشليم وترك بها امرأته وبنته ثم ظعن الى رومة وزار اعتاب الحبر الاعظم وشكر له فضله واحسانه وعاد الى باريس وفيها توفي في ٢٢ تشرين الثاني ١٣٩٣

اما تيمورلنك الطاغية فبعد ان دوخ بلاد ما بين النهرين سار الى سيواس وأمر جنوده فحشدوا الاطفال في احدى البقاع وأوثقوهم بالحبال وأماتوهم بحوافر الخيل ودفنوا الشبان والنساء احياء وخنقوا المرضى والمقعدين والشيوخ . واصبحت ارمينية سنة ١٦٠٣ خاضعة لشهباز ملك العجم فنفث في الارمن سمه الزعاف وأخرجهم الى سهول اراراط واحرق دساكرهم وحقولهم وبساتينهم . واستاقهم كالخراف الى النهر واضطرهم ان يعبروه . فاختنق عامتهم الا من اعتاد السباحة . ثم ساق منهم زهاء اثني عشر الفاً الى اصبهان فمات منهم من مات اما من بقي فابتنوا لهم مدينة سنة ١٦٠٤ وظلُّوا نحو ثمانين سنة تحت نير العجم والأتراك . وسنة ١٨٢٦ استبدّ الروس بقسم من بلاد ارمينية فامسى الارمن والحالة هذه منذ اوائل القرن التاسع عشر خاضعين للعجم والأتراك والروس

فتفرق الارمن طرائق وتمزقوا في تركيَّا وروسيَّا والعجم والنمسا والمجر والهند والكرج وبلاد اليه . ولمَّا حارب روسيا السلطان عبدَ المجيد سنة ١٨٥٥ امر بهدر دماء الكثيرين من الأرمن والنصارى وجرى للأرمن مثل ذلك سنة ١٨٩٥ في بلاد ما بين النهرين . بل رأينا اعداء الارمن متحفزين لشرب دمائهم بعد اعلان الدستور ايضاً

حتى انهم سنة ١٩٠٩ ارتكبوا من الجرائم والفظائع في اطنه خاصة ما أنسى فظائع البوكسر في الصين فقتلوا وصلبوا واحرقوا وسلبوا وذبحوا وسبوا . فسودوا تواريخ تركيا بصفحة جديدة زادوها سواداً على سواد في هذه الايام الاخيرة . ما قولك يا صاح في من فُطم على سفح الدماء البريئة وتعود الاثار من الامم المسيحية . لعمري انك مهما بالغت في تقبيحه وذمه قصرت وما وفيته حقه

الفصل الحادي عشر

الكنيسة الارمنية

اعلم ان نجم النصرانية لاح في البلاد الارمنية في اوائل القرن الرابع للمسيح فان الله جلت احكامه قيض للارمن رسولاً غيوراً واماماً بطلاً مشهوراً بشرهم بالديانة المسيحية وقادهم في المراعي الخصيبة وسقاهم مياه النعمة المستعذبة فاثمروا ثماراً شهية ضاع عرفها وطاب مذاقها . وإنَّ ذلك الرسول النبيل الأَ غريغور المنوّر الذي تنصّر على يده طريدت ملك الارمن وغدا من اكبر حماة الدين المسيحي واشهر الساعين في نسف صروح المذهب الوثني . والى هذا الحبر الشهيد يرجع الارمن وبه يتباهون ويتفاخرون لانه اول من انشأ لهم المدارس والاديار . ولمّا أُقيم جاثليقاً نصب كرسيَّه في اشميازين شمالي غربي بحيرة وان . وخلفه في الجثلقة على التتابع ابناؤه ارسطكس وورطان وهوسك المشهورون . وخلفهم برنرسح فنرس † ٣٧٣ فأنشأ المشاريع الخيرية كالمستشفيات والمياتم والاديار

والمدارس . فاصبحت ارمينية في عصره كجماعة رهبانية ضمّها دير واحد ورئيس واحد . واشتهر اذ ذاك القديس مسروب وامتاز بغيرة عجيبة وشهامة غريبة فانه بعدما درس السريانية واليونانية في مدرسة القدّيس نرسس الجاثليق قصد السيد اسحق الكبير الجاثليق ٣٩٠ ـ ٤٣٩ والملك بهرام شبوح واستشارهما في نشر الايمان باللغة الوطنية فأثنيا عليه وشجّعاه ليباشر العمل ويتقنه فسار الى الرها وسأل دانيال اسقف السريان ان يعلِّمه الحروف الارمنية فشرع يدرسها دون ملل هو وجملة من الشبَّان ثم توجه بهم الى سميساط ودرس اليونانية وحذقها. واستنبط اخيرا القلم الارمني باتعاب جزيلة واسهار طويلة . وعني اسحق الجاثليق بترجمة الاسفار المقدسة من السريانية واليونانية الى الارمنية وهو اول من عقد للارمن مجمعاً في فغرشباد سنة ٤٢٦ صار فيما بعد دستوراً لسائر المجامع . اما مسروب فصرف المساعي في وضع الكتب الطقسية والتآليف الروحية الكنسية

واشتهر بعد القديس مسروب القسّ لاون الارمني فانتخب رجالاً محنَّكين نجذهم في الجندية وسمَّى لهم ورطان البطل قائداً فزحفوا الى عسكر الفرس وكشفوهم عن ارمينية . وسنة ٤٨٨ سار واهان لمحاربة الفرس واستحصل للارمن الحرية الدينيـة التامّة وواصل الارمن شغلهم ونموا يوماً فيوماً بالتقوى والعلوم والمعارف

واشتهر في القرن السابع نرسيس الثـالث الجاثليق فابتنى كنيسة جليلة في فغرشاباط سنة ٦٥٤ على اسم غريغور المنوّر ووضع فيهـا ذخائره الثمينة حملها فيما بعد متولو الكنيسة الى نابلي فرومة . وقد اكتشف عام ١٨٩٩ الاب ددیان كاهن اشميازين على الكنيسة المشار

اليها فألفى على مسافة ساعة الى الشرق تلاً حفره فرأى تسعين عموداً ووجد للكنيسة خمسة ابواب وخمسة مذابح . استنتج منها انها هي هي الكنيسة التي شادها نرسيس الجاثليق . وعثر فيها على كتابتين يونانيتين رُقم عليهما اسم نرسيس الجليل

واعلم ان كرسي جثالقة الارمن أُسس اولاً في فغرشباط ثم نقل الى سيواس فسيس فدير بزمار بلبنان سنة ١٧٤٢ فالقسطنطينية وفي سلخ تموز ١٨٣٠ نصب بيوس الثامن للارمن جاثليقاً اسمه انطون نوريجان واضاف بيوس التاسع سنة ١٨٥٠ الى جثالقة الارمن مطرانيات واسقفيات شتى

وفي ١٢ تموز ١٨٦٧ ابرز بيوس التاسع براءته المشهورة رِفِرسورس Reversurus فيها ألغى البريمانات وقرّر ان يكون الكرسي البطريركي في القسطنطينية وثبّت السيد انطون حسونيان بطريركاً ولقبه ببطرس التاسع . غير انه اجتمع عام ١٨٧١ بعض الاساقفة وخلعوا البطريرك الشرعي واصطفوا عوضه السيد كوبليان مطران آمد وأضرموا نيران الفتن والاراجيف في الطائفة . وتعرّضت لهم الحكومة فضبطوا الكنائس والأوقاف واستحصلوا الاوامر بنفي السيد حسونيان فسار الى رومة . ولما نصب السيد اسطفان عازريان بطريركاً صرف الهمة القعساء والأتعاب الوافرة حتى اعاد المياه الى مجاريها

واذا شئنا ان نخصص الكلام في ابرشية الارمن بما بين النهرين قلنا ان ماردين كانت ولا تزال عندهم من اول الكراسي المطرانية اعتباراً للسيد ملكون طازباز الماردين المذكور في الخير ونظراً الى

كثرة عدد الارمن الكاثليك فيها . واليك سلسلة المطارنة الذين تولّوا رئاستها مذ ذاك حتى يومنا

١ : السيد ملكون طازباز . اعلم اننا ما عدا السيد كلوسد ١٦٠١ ـ ١٦٢٠ والسيد سركيس ١٦٢٧ ـ ١٦٣٢ اللذين خدما ابرشية ماردين لا ندري مطراناً آخر للأرمن اذ ذاك غير السيد ملكون طازباز . فهذا اصطفاه الاب يوحنا سان منس سنة ١٦٤١ وأوفده الى عاصمة الكثلكة فدرس العلوم في مدرسة البروبغندا وارتسم كاهناً وعاد الى وطنه وجعل يشتغل في كرم الرب دون ملل حتى استدعاه البطريرك بطرس بيسك الحلبي الكاثليكي ونصبهُ مطراناً على ماردين سنة ١٧٠٨ فرجع الراعي الجديد الى ابرشيته وطفق ينصح للارمن ليهجروا بدعتهم ويحنوا هامتهم لخليفة بطرس زعيم الرسل . فانجح الرب مساعيه وكلل اتعابه بالتوفيق واليمن حتى ان عموم الارمن بماردين اعتنقوا الايمان الكاثليكي المقدس . وبعد ان قضى ستة اعوام في خدمة الرعية الجديدة ظهر عليه اعداء الكثلكة وأذاقوه الامرّين واستحصلوا الاوامر بنفيه الى القسطنطينية فزُجّ ثم في السجن واوثق بالسلاسل حتى قضى شهيداً سنة ١٧١٦

٢ : وخلفه السيد مرطير مركار الامدي الذي اعتنق الايمان الكاثليكي سنة ١٦٨٥ وايّده الحبر الروماني مطراناً لماردين في ٢ آب ١٧٢٢ وحلّت وفاته سنة ١٧٢٧ ودفن في كنيسة مار جرجس بماردين

٣ : وقام بعده السيد ملكون ماركار شقيقه سنة ١٧٣٨ وتوفي في سلخ تشرين الاول ١٧٦٧

٤ : وخلفه السيد اوهنيس طازباز اقامه الكرسي الرسولي مطراناً لماردين في منسلخ نيسان ١٧٦٨ وما قضى ستة في ماردين حتى توجه الى رومة وفيها انتقل الى جوار ربه في ٣ نيسان ١٧٧٣

٥ : وتولى الرئاسة بعده السيد يوسف بليط في ١٤ تشرين الثاني ١٧٧٢ وحلت وفاته في آب ١٧٧٣

٦ : ونصب بعده السيد بطرس يغيزار تلميذ البروبغندا رقاه البطريرك ميخائيل الثالث في دير بزمار مطراناً لماردين وفاضت روحه بين يدي خالقها في ١١ تموز ١٧٨٧

٧ : وخلفه السيد يوياقيم طازباز تمطرن على ماردين في ايلول ١٧٨٩ ولفظ روحه في ٢٧ تشرين الثاني ١٨٣٦

٨ : وقام بعده السيد ابرهيم قنديلي رسمه سالفه مطراناً وجعله معاوناً له في تدبير الابرشية وتولى مكانه بعد موته وقبض الى رحمة ربه في ٢٨ كانون الاول ١٨٣٨

٩ : ورسم بعده مطراناً لماردين السيد يوسف فرا الحلبي في ١٥ تموز ١٨٣٨ غير انه استعفى ولزم وطنه حتى توفاه الله في ١٧ ايلول ١٨٥٤

١٠ : وخلفه السيد جبرائيل شاشاتي الحلبي رقاه السيد غريغوريوس الثامن الى المطرانية في ١٣ ايار ١٨٥٥ واخترمته المنية في غرة سنة ١٨٦٣ ولُحد في مدفن اسلافه

١١ : وقام بعده السيد ملكون نزر رسمه مطراناً لماردين البطريرك غريغوريوس الثامن وخدم الابرشية ستاً وثلاثين سنة . وبذل المساعي في بناء كنيسة مار يوسف بماردين وكرسها في ١٤

كانون الثاني ١٨٩٤ واستأثر بهِ ربه في ١١ تشرين الاول ١٩٠٠ وله منشور طبع في ٢ نيسان ١٨٧١ كتب فيه ما نصه [قد حان لي ان انبهكم ايها الابناء المحبوبون وانوح على الداهية التي اصابت جماعة من طائفتنا في الاستانة ودياربكر فان اربعة اساقفة ضلُّوا عن محجة الدين القويم وتحزب لهم زمرة من الكهنة والعوام فنصح لهم الاب الاقدس فلم ينتصحوا ففصلهم من حضن الكنيسة المقدسة .. اني اذكّركم بما كان يقول السيد ملكون طازباز الطيب الذكر وهو « اني اتضرع الى الله ليبعد كل هرطقة عن هذه الابرشية » فقد تمت رغبته الصالحة ولم يشرد احد منها عن الجادة القويمة حتى اليوم]

على ان اعداء الارمن الكاثليك شخصوا الى ماردين سنة ١٨٧٤ ودخلوا الى هيكل الله وطردوا المطران والقسّان من كنيستهم وجعلوا وجهاء المّلة تحت المراقبة فساروا الى كنيسة السريان الكاثليك وحلّوا فيها ضيوفاً كراماً . وكانوا يقضون فيها الحفلات والطقوس البيعية بالمناوبة . حتى ان السيد ملكون نزر كتب في خطبته في غرّة سنة ١٨٧٥ ما نصه « اني انتهز الفرصة لابدي لكم يا ابناء الطائفة السريانية الكرّمين والكهنتكم الغيورين ورئيسكم الجزيل الاكرام شعائر الحب والامتنان لما ابديتم نحونا نحن المضطهَدين من خالص الحبّ عربوناً لتقواكم اذ تذكرتم قول يسوع « كلّما فعلتم ذلك باحد اخوتي هولاء الصغار فبي فعلتموه [متى ٢٥ : ٤٠] كنت غريباً فآويتموني . نعم نحن غرباء السيد المسيح . غرباء حبّاً بايماننا واتحادنا غير المنفصم مع الكرسيّ الرسوليّ البطرسيّ »

وما اكتفى اعداء الكثلكة بذلك بل رفعوا الدعوى الى

المحكمة الدنية وطلبوا ان ينفى المطران وكهنته واستولوا على مال البرّ وأرزاق الفقراء . غير ان كاثليك ماردين غدوا وقت الاضطهاد كنبراس انار بلاد ارمينية جمعاء وكما انهم كانوا الاولين في الكثلكة غدوا الاوّلين ايضاً في المدافعة عن حوزة الايمان الكاثليكي بقولهم ومثلهم وعملهم فاستحقوا الثناء الطيب والذكر الجميل على تتالي الايام . وظلّ الارمن في كنيسة السريان الكاثليك حتى سابع شباط ١٨٧٦ فرجعوا الى كنيستهم وعادت اليهم حقوقهم المهضومة

١٢ : وقام بعد السيد ملكون نزر برعاية ابرشية ماردين السيد هوسيك كوليان تلميذ دير بزمار ارتسم مطراناً في سادس تموز ١٩٠٢ ومن مآثره ان اهالي تلّ ارمن لمّا اخنى عليهم الزمان سنة ١٩٠٣ وحصلوا في دعقاء الفاقة وتفرقوا في القرى المجاورة انتجاعاً للقوت سار اليهم بنفسه وارسل في استدعائهم الى قريتهم وبذل لهم مبلغاً وافراً من المال حتى اصطلحت احوالهم وزالت ضيقتهم . ولحقه ضيم جسيم والمّ جزيل عام ١٩٠٧ لما استولت الحكومة على الاوقاف المكتوبة باسم سالفه السيد ملكون نزريان وجعلت تبيعها وتتصرّف بها . فهبّ الراعي النشيط لتأييد الحقوق المهضومة ووجد لسالفه المتوفّى وارثاً شرعياً . فاستحصل اعلاماً ناطقاً بان تلك الاملاك تخصّ فقراء الارمن وأنّ راعي الابرشية هو المتولي عليها . وأسعفه في نيل مرغوبه جرجس افندي مناشي احمردقنه السرياني المحامي المشهور بماردين

والى هذا السيد الجليل والى الورتبيد اسهاك حولوزيان يرجع الفضل في مشترى بيت الدولباني بمبلغ اربعمائة ليرة وضمّه الى كنيسة

مار يوسف سنة ١٩٠٧ وكان اعداء الكثلكة متحفزين الاستيلاء عليه . وعام ١٩١٠ عرض استعفاءه على البطريرك بوغوص ترزيان الثالث عشر فرفضه . لكن السيد هوسيك عاد الى دير بزمّار وكتب توًّا الى الاب الاقدس في تموز ١٩١٠ يلحّ عليه ان يقبل استقالته من الكرسي نظرًا الى شيخوخته وتأهبًا السفر الطويل الى الابدية . فأجاب الحبر الروماني الى طلبه . وما برح السيد المشار اليه مقيمًا بالدير يشتغل في ترجمة الكتب الدينية الى اللغة الارمنية . وقد صنّف كتابًا جليلًا في اخبار مطارنة ماردين سلفائه الطيبي الذكر . وأسعف الدير والابرشية بمبالغ وافرة خلّدت له الذكر الجميل على توالي الاعصار

١٣ السيد اغناطيوس مالويان

أبصر النور في ماردين في ١٥ نيسان ١٨٦٩ ودرس العلوم في دير بزمار . ونصبه الرئيس قبل ارتقائه الى الدرجة المقدسة مرشدًا للاخوية وارتسم كاهنًا في ٦ آب ١٨٩٦ ومكث بالدير سنة ونصف سنة ثم سار الى الاسكندرية ومصر وخدم الطائفة فيها . واستدعاه البطريرك بولس صبّاغيان الى الاستانة وجعله كاتب سرّه . وعام ١٩١٠ شخص الى ماردين صحبة الاب يعقوب نسيميان فتمّ اتفاق الجماعة قاطبة على انتخابه مطرانًا للابرشية . وفي ٢٢ تشرين الاول ١٩١١ ارتسم مطرانًا في عاصمة الكثلكة وقفل راجعًا الى ابرشيته وطفق يرعاها بالحزم والغيرة . وكان مضطلعًا بالامور ريّان من المعارف الدينية والعلوم الادبية خبيرًا بالارمنية والفرنسية والعربية والتركية والانكليزية وكان ذا المام باللغات الشرقية كالعبرانية والسريانية . وكان

موصوفاً ببلاغة المنطق يلقي الخطب الارتجالية النفيسة مستقياً المناهل الطيبة من الكتاب الكريم ومؤلفات اباء الكنيسة المشهورين

واعلم ان ابرشية ماردين الارمنيـــة تشمل الموصل ودير الزور وبغداد والبصرة ولها بماردين كنيستان الواحدة قديمة على اسم جرجس الشهيد يرتقي عهدها الى القرن الخامس والثانية حديثة كُرِّست سنة ١٨٩٤ على اسم مار يوسف · وفي غربي ماردين قريـــة تلّ ارمن عمّرها النصارى على أنقاض دُنيسر [قوجحصار] كان اهلهـا كلهم ارمن ولهم كنيسة على اسم مار جرجس · وللارمن دير عـلى اسم بربارة الشهيدة في شمالي ماردين وهو من آثار السيد ملكون طازباز الطيب الذكر يقصده الزوّار كل سنة في الاحد الاول من شهر ايار ولهم كذلك دير على اسم يوحنا المعمدان في قرية الوسكية غربي ماردين تعهّده السيد اغناطيوس المذكور في الخير وعثر فيه على بعض الحجار القديمة والاثار الحريّة بالذكر · ولهم كذلك كنيسة في دارا وجماعة معدودة عُرفت منذ عام ١٨٥٦ كان لهم كاهن يدبر شؤونهم الروحية · وكان لهم ايضاً كنيسة على اسم مار يوحنا في ويران شهر وجماعة معتبرة وورتبيت يسوس نفوسهم · وكان لهم في ديركه كذلك كنيسة وجماعة وكاهن يرعاهم · واغلب هذه الرسالات لم نقل كلها قد تضعضعت في هذه الايام النحسة ولم يبق فيهـا سوى انفار قلائل

واعلم ان عدد الارمن الكاثليك في ماردين وضواحيها بلغ قبل النكبة الهائلة زهاء خمسة عشر الفاً · وكانوا باجمعهم كاثوليكيين قحين لا يدرون التكلم بالارمنية بتة · واشتهروا بالمروءة والسخاء

والرسوخ في الدين القويم · وكان المسلمون يحبونهم ويعزّونهم ويتردّدون اليهم ويبيعون ويشترون معهم · ولا ندري كيف تبدلت الحال في هذه الايام الاخيرة حتى أنه لم يبق منهم في البلد عند شبوب النيران سوى بعض عيال لا تتجاوز عدد الأنامل ·

ومن اشهر العيال الارمنية بماردين واكبرها أسرة بوغوص وكسبو وطازباز وكجو ومالو وجنانجي وآدم وترزيباشي وكنديرو نسمه وقره‌زوان وعين ملك وبطاني وشلمي وجاندري وتازا ومناظر وشدّ وخوجا يونان وقبلو وحنجو ومرشو وجرّو وترزي واحمراني الخ الخ ومنها ما يبلغ عدد افرادها مائتي نسمة بنيّف

فهؤلاء باجمعهم قد سيقوا خارج وطنهم كالخراف الوديعة وأُودي بحياتهم لغير سبب ولم ينجُ منهم الاَّ من انهزم او اختفى ·

ويجدر بنا ان نختم هذا الفصل بما كتبه البابا غريغوريوس الثالث عشر في رسالته المسطرة سنة ١٨٥٤ قال « ان طائفة الارمن لا يُحصى عددها ولا يستقصى حدها مشهورة بالقدم والاسم مستحقة بليغ الثناء لحبها الديانة المسيحية وثباتها فيها دون سائر طوائف الشرق »

الفصل الثاني عشر

الكنيسة السريانية

قلنا ان النصرانية ذاعت في بلاد ما بين النهرين منذ القرن الثاني للتجسد وكانت الارامية او السريانية لغة المسيحيين الاولين فيها وقد ورد في اخبار السلف ذكر لاساقفة الرها وآمد وتل موزل

وكفرتوث وماردين ودارا ونصيبين وطورعبدين وراس العين وغيرها كانوا باجمعهم يراجعون البطريرك الانطاكي . ثم انتشرت الرهبانية في هذه البلاد فقوّضت اركان الوثنية واحيت معالم الديانة المسيحية

ولما تهوّرت بلاد المشرق في بدعة الطبيعة الواحدة استحوذ روساؤها على الاديار والكنائس واقاموا لهم بطريركاً خصوصياً خلع الطاعة للبطريرك الانطاكي الشرعي . ثم طفق اساقفة السريان منذ اواخر القرن الثاني عشر يرجعون رويداً رويداً الى طاعة خليفة بطرس زعيم الرسل كموديانا مطران ماردين الرهاوي والمفريان يوحنا ابن المعدني والبطريرك عبدالله اسطيفان والبطريرك نعمه اصفر واثناسيوس بطرس ابن اخيه وغيرهم

وجعل بطاركة السريان مقامهم في دير الزعفران منذ القرن الحادي عشر . وفي اواسط القرن السابع عشر اشتهر السيد اندراوس اخيجان بن عبد الغال المارديني الشمسي[1] وارتسم بطريركاً على السريان عموماً في ١٩ نيسان ١٦٦٢ وجال في بلاد ما بين النهرين . ثم عاد الى حلب وفيها فاضت روحه في ١٨ تموز١٦٧٧ ولكن السريان المنفصلين نصبوا لهم بطريركاً آخر فانقسمت الكنيسة السريانية قسمين الى يومنا هذا يراجع احدهما فقط الحبر الروماني في مسائل الدين طبقاً لسنن السلف

وخلف السيد اندراوس اخيجان السيد اغناطيوس بطرس

(١) يعرف من هذه العائلة الخواجا يوسف اخيجان الملقب بيوسف موسي يقطن في حي الشمسية حتى يومنا

شهبادين † ١٧٠١ ثم تُوّج السيد اغناطيوس ميخائيل جروه بطريركاً انطاكياً في دير الزعفران على عامة السريان † ١٨٠٠ وخلفه السيد اغناطيوس ميخائيل ضاهر † ١٨١٧ فالسيد اغناطيوس سمعان زوره † ١٨٣٨ فالسيد اغناطيوس بطرس جروه † ١٨٥١ فالسيد اغناطيوس انطون سمحيري † ١٨٦٤ فالسيد اغناطيوس فيلبس عركوس † ١٨٧٤ فالبطريرك اغناطيوس جرجس شلحت † ١٨٩١ فالبطريرك اغناطيوس بهنام بنيّ † ١٨٩٧ فالبطريرك اغناطيوس افرام رحماني ١٨٩٨ الذي اقام السيد ثئوفيلس جبرائيل تبوني نائباً عاماً الطائفة على ماردين وتوابعها وسنكتب في الجزء الخامس من هذا المؤلف فصلاً في آثره

واعلم ان للسريان القديم في ماردين كنيسة قديمة على اسم شموني الشهيدة جُددت سنة ٧٦٤ م ودير في جنوبي البلد على اسم مار ميخائيل الناسك جُددت كنيسته سنة ١٧٠٤ م وفيه ضريح القديسة سيراس سنة ٧٨٥ م ولهم كنيسة حديثة على اسم مار بطرس أنشئت سنة ١٨٨٥ وتجددت سنة ١٩١٥ ولهم كنيسة في حي الشمسية على اسم مريم الطاهرة أنشئت سنة ١٨٨٧

اما كنيستهم الكبيرة فهي على اسم مار بهنام ورفاقه الشهداء الاربعين · وليست من الابنية القديمة · ويتبادر الى الظن انها بُنيت في اواخر القرن الثاني عشر ذلك بعد ما استحلّ المسلمون كنيسة الاربعين شهيدا ودار المطارنة سنة ١١٧٠ وضمُّوها الى الجامع واستحوذوا كذلك على كنيسة مار توما الرسول كما ايدّ ذلك ابن العبري والمؤرخ الرهاوي في تاريخيهما

اما السريان الكاثليك فكانوا بادئ بدء قد تفردوا بكنيسة

القديسة شموني ثم قضوا مدة في كنيسة الاربعين . فحدث من جرى ذلك مشاغب وفتن راى بطاركتهم ان يشيدوا لجماعتهم كنائس حديثة تملصاً من القال والقيل والخسائر فابتنى البطريرك انطون سمحيري في ماردين كنيسة على اسم العذراء سنة ١٨٦٠ وشاد لهم البطريرك جرجس شلحت ديرًا مفخماً على اسم مار افرام سنة ١٨٨٤ واقاموا كنيسة على اسم مار اسيا في شرقي البلد

وكان عدد السريان عموماً في ماردين يبلغ عشرة آلاف نسمة اغلبهم من جماعة السريان القديم . ولسبب اتحاد السريان الكاثليك مع الارمن في مسئلة الدين صوّب اعداء النصرانية نحوهم سهام الغضب والحرد ونكّلوهم اشدّ التنكيل وفتكوا بوجهائهم . وزد عليه ان الفقر ضرب اطنابه على معظمهم والتهم الجوع والوباء قسماً صالحاً منهم

الفصل الثالث عشر

الكنيسة الكلدانية

اعلم ان للكلدان بماردين كنيسة قديمة بنيت سنة ٤٣٠ م على اسم هرمزد الشهيد ظلت في حوزة النساطرة منذ عهد الانفصال حتى سنة ١٥٥٢ م فعرفت اذ ذاك الكثلكة في ماردين بمساعي البطريرك يوحنا شمعون الثامن الذي رسم للابرشية مطراناً يقال له حننيشوع ١٥٥٣ — ١٥٨٤ وخلفه يعقوب + ١٦١٥ فيوحنا + ١٦٤١ فيوسف + ١٦٧٨ فشمعون + ١٦٩٥ فطيمثاوس + ١٧٥٩ فباسيل حصرو + ١٧٣٨ فباسيل الثاني + ١٧٥٨ فشمعون الثاني + ١٧٨٨

فيخائيل شوريز † ١٨١٠ فاغناطيوس دشتو † ١٨٦٨ فجبرائيل فرسو † ١٨٧٣ فطيمثاس عطار † ١٨٩١ فايليا ملوس † ١٩٠٨ فالسيد اسرائيل اودد الذي نُصب مطراناً لماردين في ١١ ايار ١٩٠٩ وتمت رسامته في الموصل في ٢٧ شباط ١٩١٠

وكان الكلدان ما عدا كنيسة هرمزد القديمة كنائس في طبياثا والقصور وكفرتوث وخراب الما ودارا ونصيبين . ومطرانهم يرعى الكلدان الموجودين في نصيبين ومديات وكفرجوزه وويران شهر يُبلغ عددهم الفاً وسبعمائة نسمة . وقد جرى لوجهاء هذا الطائفة العزيزة سنة ١٩١٥ الدموية ما جرى لغيرهم من النفي والقتل والخسائر . وهدمت الحكومة الناحية الجنوبية من الدار الاسقفية توسيعاً للجادة العمومية فكان ذلك ضغثاً على ابالة . اضرّ الكنيسة ضرراً فاحشاً . اما الراعي الجليل فلزم الصبر على المحن والبلايا وفاضت عينه بالدموع حزناً على اولاده وجُرح قلبه على ما صارت اليه كنيسته الشريفة القديمة من الدمار والخراب

واشرف العيال الكلدانية بماردين هي اسرة شوحا التي عُرفت بغلوّها في الدين الكاثليكي وخسرت زهاء عشرة من رجالها الذين أُلقي القبض عليهم وعلى ثلاثين آخرين من وجهاء طائفتهم وزُجوا في السجن وسيقوا مع رجال الارمن والسريان الكاثليكيين وقُتلوا نظيرهم وراحوا ينالون اكليل الظفر جزاء لبرارتهم ومكافأة لثباتهم في دين اجدادهم

الفصل الرابع عشر

المرسلون اللاتينيون

لا يسعنا ان نحصي ما للمرسلين الفرنج من جليل المآثر وكثرة الاتعاب وجليل المبرّات التي أسنوها المسيحيين في بلاد الشرق · على انهم بغيرتهم المشهورة اكتسبوا للكنيسة الكاثليكية جماهير غفيرة وألفوا منهم طوائف معتبرة خضعت كايام الكنيسة الاولى للسدّة الرسولية · وطالما هدّدتهم تركيا وانزلت بهم ضروب النكال والعذاب والنفي فكانوا يحتملون ذلك كله بوجه طلق وقلب جذل حبًّا لانتشار الايمان المقدس

واذا رمنا ان نخصص الكلام بما اصطنعوا في ماردين وتوابعها من العوارف قلنا انه في نواحي سنة ١٦٣٠ وافى اليها نفر من الرهبان الكرمليين وجعلوا يرشدون الارمن الغريغوريين والسريان المنفصلين وينصحون لهم ليعودوا الى طاعة خليفة إمام الرسل الحبر الروماني فأتت اتعابهم باشهى الثمار حتى انه لما شخص الى ماردين الاب يوحنا سان منس سنة ١٦٤١ اصطفى السيد ملكون طازباز ولقنه مبادئ الايمان الكاثليكي وأوفده الى مدرسة البروبغندا برومة فأتقن العلوم وعاد الى وطنه فتيسر له ان يمحق البدعة بالمرّة ويؤلف جماعة كبيرة من الارمن الكاثليكيين اضحت قدوة حسنة لسائر المسيحيين الوطنيين

وعام ١٦٨١ يمّم ماردين الاب ميخائيل نو اليسوعي يصحبه الاخ

هيلار فثار عليهما ثائر السريان المنفصلين وحبسوهما زماناً ثم اديا غرامة باهظة وعادا إلى حلب سنة ١٦٨٢ لكن الاب ميخائيل لمزيد غيرته عاد الى ماردين بزيّ طبيب مستصحباً الاب يوسف بتون والاخ هيلار المذكور فتبعهم قوم من الشمسية عاندهم بطاركة السريان فعادوا الى حلب ثانيةً وجرى مثل ذلك للاب يوسف رايه الكرملي الذي قصد ماردين سنة ١٦٩٠ ورحل عنها الى بغداد بدسائس اعداء الايمان

ووُجد في ماردين سنة ١٧٧٠ الاب اوجينو والاب انجلو فصرفا المساعي في نشر الايمان الكاثليكي لكنهما لم يتوفقا كثيراً . وسنة ١٧٧٥ شخص الى ماردين الاب اغناطيوس الكرملي وابتنى داراً سكنها وحضر بنفسه في دير الزعفران حفلة رسامة السيد ميخائيل جروه بطريركاً لعامة السريان سنة ١٧٨٢ ولما نفي البطريرك المغبوط فوّض الى الاب المشار اليه رعاية السريان الكاثليك

واتى الى ماردين سنة ١٨٣٨ راهبان من الكبوشيين تبعهما عام ١٨٥٠ الاب يوسف لابورد اليسوعي وسار الى مديات وابتنى فيها كنيسة هي الى يومنا في حوزة السريان الكاثليك

واقام السيد نقولا كستلس القاصد الرسولي في ماردين حتى سنة ١٨٧٠ ففاضت فيها روحه ودُفن في كنيسة الاباء الكبوشيين . وخلفه السيد زكريا القاصد الرسولي وتوفي كذلك في ماردين ولُحد في الكنيسة المذكورة

وتناوب الاباء الكبوشيون في خدمة كاثوليك ماردين منذ اوائل القرن التاسع عشر واشتهر منهم الاب يوحنا الذي زيّن

الكنيسة بالنقوش المستبدعة والصور المستملحة حتى دعاها الاهالي كنيسة النجوم وتمّ بناؤها سنة ١٨٨٤ وولي رئاسة الكنيسة بعده الاب مرسلينو وجرت في عهده مسئلة انضمام جماعة من طائفة السريان الكاثليك الى الكنيسة الكبوشية فصدرت الاوامر من لدن الكرسي الرسولي بان يعود كلّ الى طقسه

وقام بعد الاب مرسلينو الاب دانيال وكان بمعية الرئيس كاهن او كاهنان من الكبوشية يتوليان تعليم الشبيبة[١] . ووافى في تلك الغضون راهبات فرنسيسيّات ابتنين مدرسة وديرًا مصاقبين لكنيسة الآباء الكبوشيين وخصصن حياتهن لتعليم الفتيات الاصول الدينية والاشغال اليدوية

وقد اقفر في هذه الايام النحسة كلا الديرين وخرب منهما ما خرب وأمرت الحكومة بتقويض الحائط الجنوبي وضمت ساحة الدير الداخلية الى الجادة العمومية . وجعلت كلا الديرين مستشفى للمرضى من العسكر حتى يومنا

(١) عرف في عهد رئاسة الاب مرسلينو والاب دانيال الكبوشيين الاخ سلفادور وكان له المام بعلم الطب نجح فيه نجاحاً باهرا وجمع مبلغاً من الدراهم اشترى به املاكاً وقرى من جملتها بساتين آذه هناره قيدها في سجلات الحكومة باسمه واتفق ان رئيسه اضطره ان يبعدها الى الدير فابى وقصد السيد بطرس بطريرك السريان المنفصلين فرسمه كاهناً واستحصل له تذكرة نفوس عثمانية وما عتم ان ندم على زلته وسار الى كنيسة الكلدان وتوفي في نواحي سنة ١٨٩٣ وعالج بطريرك السريان الاستيلاء على متروكاته المنقولة وغير المنقولة فلم ينجح ولما خلفه البطريرك عبد المسيح راجع النظارة الخارجية في الاستانة فلم يستفد شيئاً . وظلت الاملاك في قبضة الحكومة وزادت عليها انها اختلست جميع اوقاف الكنيسة المومى اليها في يومنا وتصرفت في ريعها

الفصل الخامس عشر

المرسلون البروتستان

اعلم انـه في اواسط القرن التاسع عشر وافى من الموصل الى ماردين الشماس ارميا والقس ميخائيل والشماس صليبا الموجي بغيـة اذاعة البرتستانية فيها . وتبعهم المستر مارش والمستر وليمس والمستر هسكل الطبيب . فاستأجروا لسكناهم بيت الشعّار . وكانوا مذ ذاك يصيفون في ماردين ويشتون في الموصل . واقتفرهم القس سركيس الداراوي

وعام ١٨٥٩ شخص الى ماردين المستر وليمس القس البرتستاني الاميركي وعاد الى بيروت سنة ١٨٦٠ فوافى بعـده المستر اندرس والمستر بوند في ثامن تشرين الثاني ١٨٦٨

وتبع البرتستان اولا سعيد دكدان وميخائيل عاسي وسعيـد بريخان وعبد المسيح اسبير وحنا الشماس بطرس وايايا حنّاوي وداود العطّار والياس القس الياس وجرجس هلولي . وجعل المرسلون يتوافدون الى ماردين منذئذ كالمستر دوه والمستر بيل والمستر وكر والدكتور تام سنة ١٨٧٧ والمستر كيتس سنة ١٨٨٢ واصطفوا سنة ١٨٦٧ جرجس بن عبد الاحد هدايـه اليعقوبي النحاة بمثابة اسقف ومبشر الجماعة المستحدثة

وعـام ١٩٠٤ وافى الى ماردين المستر امرك وواصل البروتستان شغلهم وابتنوا محلًا كبيرًا لسكناهم في غربي البلد فتحوا فيـه

مدرسة ومستشفى

وفي غرة سنة ١٩١١ وقع خلل بين الجماعة أسفر عن تشعبهم شعبتين شرقية وغربية حتى ثاروا بالاسقف في مصلاهم فأنزلوه من المنبر وطردوه خارجاً ونظموا جمعيــة تنظر في اصلاح الشؤون . فاختار الحزب الشرقي ابرهيم شنخور وحبيب كجو وجرجس مارينا واصطفى الحزب الغربي يوسف قره كله وملكي شنخور وحنا القس وصادقت جمعية الاصلاح على انتخابهم ونصبوا المستر اندرس لرئاسة الكرسي . ثم انتخب الحزب الشرقي سعيداً عيسى والحزب الغربي عبد الكريم قره كله وكان هذا الحزب يقضي فروضهُ في بيت حنا الازرق وذاك في بيت الاميركان وبيت يوسف حواطو .

وكانت الدراهم السبب الفرد للتحزب والشغب على ان البرتستان باعوا بيت خضرشا وجعلوا المبلغ في صندوق جمعية البورد منذ عام ١٨٦٧ اذ كان ملكون بلزيز الارمني قد اشترى منهم تلك الدار بثلاثمئة ليرة عثمانية . ولما قبضوا الدراهم أقرضوهــا بالفائض في المائة عشرة حتى بلغ مجموعهــا ستمائة ليرة . فقرّر المرسلون ان يوضع المبلغ في صندوق البورد ريثما يتيسر لهم ان يشيدوا به كنيسة وجمعوا سنة ١٩٠٧ من ذلك المبلغ اربعمائة ليرة . وظلت البقيــة عند الجماعة يطالبونهم بها فلا يؤدونها فثار لذلك ثائر من لم يصبه شيء وجنف عن الطريق السويّ وحنق على من تمتع بها دونه

ومذ سنة ١٨٧٦ دوّن البرتستان اسماء جماعتهم وعرضوها على الحكومة فحرّرت اسماءهم في الجلد الرابع واستعرفتهم طائفة قائمة بذاتها . وفي ١٧ كانون الاول ١٩٦٠ حرّر سعيد عيسى وكيل الملة

ورقة استدعى بها الجماعة ليختاروا اسقفاً جديداً فامتعض الاسقف جرجس وراح ينصب للمصلّى اعضاء سذجاً من بنابيل والقصور وقلعة المرأة واجاز لاهالي القصور وقاش ان يتزوجوا بامرأتين

ولما قام اعداء النصرانية على قدم وساق في حزيران ١٩١٥ واثاروا المشاغب والفتن وألقوا المسيحيين في السجن ومثلوا بهم وقتلوهم عذّبوا وقتلوا في جملتهم جماعة من وجهاء البرتستان ايضاً كيوسف قره كاله وابنه سليم وابرهيم بن ملكي شنخور وعبد الاحد يوسف باهي وسليم جرجس نقاش واخويه ووليمس بن جرجس هداية الاسقف وعزيز بن جرجس عيسى وعزيز كجو وسموئيل مختار وحنا الازرق والاسقف حنوش وسعيد عشو وغيرهم . فصرف المستر اندرس والدكتور تام المساعي في إنجائهم فلم يستطيعوا الى ذلك سبيلًا فساقوهم في عاشر حزيران مع القافلة الاولى وفتكوا بهم بين شيخان وزرزوان

وظلّ المستر اندرس والدكتور تام في ماردين حتى ايلول ١٩١٥ فغادراها غصباً الى سيواس . قيل ان الدكتور تام لما خرج من محله وركب عربة السفر لحقه كلبه الامين فاخذ يملقه ويقول «هلم يا كلبي فأني لم اجد اصدق منك في هذه البلدة على اني بالرغم عمّا نلته من المشقات في تمريض اهاليها مجاناً لم أرَ منهم سوى النني مكافأة لأتعابي والسلام »

وما وصل الدكتور الى منفاه بسيواس حتى قضى نحبه . اما المستر اندرس فتوجه الى اميركا وفيما كان عائداً الى المشرق لقي حتفه في الطريق سنة ١٩١٩ اما المستر امرك فوصل الى حلب في نيسان

١٩١٩ حاملاً الامتعة والاسعافات للمنكوبين فاخترمته المنية في ايار ١٩١٩ على اثر خروجه من الحمام

الفصل السادس عشر

نكبات سنة ١٨٩٥ المعروفة بالثورة

عثرنا ما بين اوراق المقدسي حبيب دي جروه احد وجهاء الطائفة السريانية الكاثليكية بماردين على كراس كتبه بخط يده ضمّنه حوادث النكبات الفظيعة التي اصابت نصارى دياربكر واورفا وخربوط وسيواس وساسون وما جاورها من القرى أحببنا ان نلخِصها للقراء لما لها من العلاقة بحوادثنا الحاضرة

واعلم ان المقدسي حبيب هو احد افراد اسرة دي جروه الحلبية النبيلة المشهورة بمناضلتها عن حوزة الايمان الكاثليكي منذ اواسط القرن الثامن عشر وهو ابن ملكي بن جبرائيل ابن الشماس يوسف ابن المركيز ميخائيل ابن الكافلير جبرائيل ابن الشماس نعمة الله بن ميخائيل بن عطاالله دي جروه · وكان جده جبرائيل انتزح عن حلب وطنه وصار الى ماردين واستطاب مناخها ولبث بها · وقد لاح من هذه الاسرة الكريمة انجم ثواقب اناروا القلوب بباهر اشعتهم وظهر منهم أبطال بواسل دافعوا عن المنتمين الى الايمان الكاثليكي وحموا ذمارهم في حلب وماردين بسطوتهم ونفوذهم · واشتهر منهم السيد غريغوريوس شكرالله دي جروه مطران اورشليم † ١٧٧٣ والبطريرك ميخائيل المغبوط † ١٨٨٠ والبطريرك مبطرس

السعيد الذكر † ١٨٥١ والخوري رافائيل † ١٨٩٢ بن فتح‌الله دي جروه والقس ميخائيل † ١٨٦٦ بن شكرالله ابن الشماس نعمة‌الله دي جروه

وكان المقدسي حبيب كسائر اجداده الأعلام النبلاء متصفاً بوطيد ايمانه ومزيد غيرته وسافر مرارا الى سوريا . وفي ٤ حزيران ١٩١٥ أُلقي القبض عليه وضُمّ الى النصارى المسجونين . وبعد ستة ايام سيق معهم الى خارج البلد وقُتل شهيداً . قال رحمه الله :

١ : دياربكر

في غرّة تشرين الثاني ١٨٩٥ شبّت نيران الاضطهاد على المسيحيين عموماً وعلى الارمن خصوصاً في بلاد ارمينية . فشمّر وجهاء المسلمين بدياربكر كجميل باشا واولاده وبهرم باشا وعبد القادر باشا ابن الحاج جرجيس آغا الماردیني وبكر افندي محرّم زاده ونظيف بك ابن سعيد باشا ونيازي مأمور الشعبه وعارف برنج وابرهيم افندي صاحبه والحاج مسعود نقيب الاشراف وغيرهم وكتبوا الى جميع الاكراد والعشائر يستعدّونهم على النهب والقتل . ووعدوهم ان حين حضورهم الى دياربكر يدفعون لهم الاسلحة الكافية ليفتكوا بالنصارى ويحتووا على اموالهم . ثم صرّحوا لهم ان يوافوا عند الظهيرة الى جامع ولي جامي ويُطلقوا البنادق وينادوا « محمد صلوات » فيخرج من بالجامع وينضمون اليهم ويقصدون كنائس النصارى ودورهم وأسواقهم ليقتلوا ويسبوا . فما كان من الاكراد الا ان لبّوا الطلب واقبلوا بلفيفهم طبقاً للمؤآمرة . وقصدوا الجامع

المرقوم واطلقوا البنادق فخرج المسلمون واستبشروا بقدومهم ·
وراحوا يرومون الاسواق والمنازل · فبادر الارمن ليقفوا على الخبر
فلما لحهم المسلمون والاكراد صوّبوا نحوهم الرصاص فقتلوا منهم
قسماً صالحاً وادّعوا انهم هم الذين هجموا عليهم غيلة ليفتكوا بهم
في الجامع · ثم ساروا الى المخازن والدكاكين وقتلوا من بها ونهبوا
قدر ما اطاقوا وعند غروب الشمس قلبوا زيت البترول على ما بقي
بها من البضائع واحرقوها كلها فأمست دياربكر كلها عبارة عن
اتون عظيم لا ترى سوى الدواخن صاعدة في الجو

فلما رأى ذلك النصارى أيقنوا بالهلاك والتلف واستحوذت عليهم
الرعبة فقصد منهم كنيسة الكبوشيين ودار القنصل الفرنساوي حتى
انه اجتمع في اوجز مدة عند الاب يوحنا الكبوشي زهاء اربعة
آلاف نسمة واستمروا لديه ثلاثة ايام بلياليها كان يرسل اليهم الخواجا
جبور قزازيان وجيه الارمن الكاثليك ما افتقروا اليه من القوت
وواصل ذلك العمل مدّة عشرين يوماً فاستوجبت اريحيته الاثنية
الكريمة وخلف الذكر الطيب في قلوب جميع المنكوبين

اما القنصل الفرنساوي فلما شاهد المسلمين والاكراد هائجين صعد
إلى سطح القنصلية وتناول الراية واخذ يرفعها ويخفضها طالباً النجدة
والمغوثة · فاوفد انيس باشا الوالي الى داره عشرين جندياً ايحموه ·
وثابر المسلمون والأجلاف يقتلون وينهبون حتى صباح الاثنين رابع
تشرين الثاني · فخرج عند ذلك الوالي والمطران عبدالله في نفر من
الجند وطافوا ازقة المدينة يحرّجون الضرب والسلب على المشغبين ·
اما الارمن فلزموا بيوتهم يضربون من تعرّض لهم · وخرج الخواجا

اوسيب قزازيان كبير الارمن الكاثليك الى دار الحكومة يسأل الوالي ان يلقي القبض على اصحاب الفتنة لتسود الطمأنينة · فلقيه الوالي بأنف طويل ولم يكترث لطلبه · وما عتم ان أرسل في استدعائه وزجه في السجن واوقف معه الورتبيت ايزاكيل مرخص الارمن الغريغوريين وهاكوب آغا كوبنكيان وميناسيان ومنديلجيان وظلوا في السجن حتى ٢٠ كانون الثاني

وسبق الوالي فارسل في طلب البطريرك عبد المسيح من ماردين فركب من ساعته وقصد الولاية وما كاد يصل حتى سمع صوت اطلاق البنادق فاستدعى شاباً سريانياً دفع اليه رسالة ليوصلها الى الوالي يعلمه بقدومه · فتناول الشاب الرسالة وسار وما وصل الى سوق ميليك احمد حتى تعرّض له الاجلاف وقتلوه ووجدوا الرسالة في عبّه فمضوا بها الى الوالي لا يدرون ما مضمونها · ولما طالعها الوالي امر الفريق بارسال شرذمة من العسكر الى كنيسة السريان ليحموها · فسارع كثير من النصارى الى الكنيسة المذكورة حتى احتشد فيها ثمانية الاف نسمة في برهة يسيرة وانهزم ايضاً قوم من القرى المجاورة واتوا فانضموا اليهم

ثم اوفد الوالي في طلب البطريرك فسار اليه في حاشيته وكانوا يطأون جثث القتلى بأقدامهم · وأتوا دار الحكومة غاصةً بالعشائر وهم يخترطون السيوف المضرّجة بدماء البشر · وكان عند الوالي اذ ذاك كبار المسلمين يتشاورون · فلما سمعوا بقدوم البطريرك حتى ارفض المجلس وانصرف كلٌ الى منزله · فدخل البطريرك فاستقبله الوالي باكرامٍ وقال له اصدر الامر الى عامة المسيحيين ليدفعوا

للحكومة ما عندهم من الاسلحة فوعده البطريرك بذلك . وعند عودته اوفد معه نظيفاً وبكراً افندي ذاقبلا الى الكنيسة في جماعة من العسكر وبحثوا عن الاسلحة فلم يجدوا شيئاً فانقلبوا راجعين وباغتوا هم والاكراد دور الوجهاء ونهبوها وقتلوا من شاؤا واستحيوا من شاؤا وكسروا صناديق الجواهر واختلسوها وسلبوا البضائع والامتعة وظلوا كذلك ثلاثة ايام

اما اهالي ماردين المتوطنون بدياربكر فان بطريرك السريان جال الخانات والبلد في طلبهم واحضرهم الى الكنيسة وعين لهم الغذاء . وبعد ايام حضر البريد الى ماردين في عشرين ضابطاً حاملين الرسائل من وجهاء دياربكر الى المسلمين يقولون لهم « لو كنتم حقيقة مسلمين لافتعلتم بماردين ما افتعلنا بدياربكر » فانشم المسلمون في الشر طبقاً لشورتهم كما سترى

واستمر نصارى دياربكر في الاخطار والمخاوف حتى ١٨ كانون الاول ١٨٩٥ فحضر من العاصمة ثلاثة مفتشين وهم سامي بك وعبدالله باشا الفريق ويوسف رشدي . فسار الرؤساء الروحيون لزيارتهم فاستقبلوهم بالاكرام . ثم اندفع سامي بك يطمنهم ويؤمنهم ونشر ورقة يقرأ فيها ما نصه بتصرف « لقد تحقق لجلالة مولانا السلطان ما جرى من الوقائع المزعجة في بعض انحاء الاناضول كسامسون وسيواس ومعمورة العزيز ودياربكر لسبب ثورة الارمن وبناء على طلب روساء الولايات من الاعتاب الشاهانية قد صدرت الارادة السنية بارسالنا للتفتيش عما جرى واتخاذ الوسائل الفعالة لاصلاح الولايات وارجاع الراحة والطمأنينة اليها . فغادرنا العاصمة

وطفنا تلك الولايات فرأينا ان ما حدث فيها من الفظائع يفوق ما جرى في دياربكر فتأسفنا لذلك مزيد الاسف . ولا يخفى ان ما حدث حدث بدسائس البعض من الدول الاجنبية وفي مقدمتها الدولة الانكليزية فانها ألقت الفساد في قلوب الارمن فهاجوا في العاصمة وهجموا الباب العالي ظانين انهم يفوزون بخبيث مآربهم . ولم يكُ ذلك لمنافع الارمن بل لمنافع الانكليز اذ كانوا يحاولون ابتلاع البلاد دون غيرهم . فالذين اصاخوا لهم ركبوا طرقاً خشنة وصمموا على سحق عرش الدولة العلية خلافاً لارادة مولانا السلطان وأوامر انجيل سيدنا عيسى كما هو مقرّر في كتبكم « ان من قاوم اوامر السلطان قاوم أوامر الله » فاعداء الدولة ألقوا المشاغب في بعض الممالك المحروسة ليسببوا الاضرار لعموم التبعة . فتأتى من ذلك ان الضرر شمل الدولة والملة معاً وتناول عامة المسلمين والمسيحيين . مع ان الدولة لا ترغب الا راحة عموم المنتمين اليها . على ان الرعية كلها في نظر الحكومة متساوية لا فرق عندها بين المسلم والمسيحي طبقاً للشريعة الاسلامية والنظامات السنية . ومما يؤيد ذلك انعامات جلالة مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني على المسيحيين بالرتب السامية والاوسمة الشريفة . لان المسلمين والنصارى في نظره هم على حد سوى . ولا فرق بين مال المسلم والنصراني

واعلموا ان ما قلناه منقول عن لسان الذات الشاهانية وها اننا بفضلها متخذون الاحتياط اللازم لراحة العموم . ولا يغلب على ظنكم ان الحقوق تُهضَم . كلا . بل لا بد من ان يعود لكل حقه »

ثم استتلى سامي بك يقول : اننا قبل حضوركم ارسلنا في طلب وجهاء المسلمين وبلغناهم الاوامر وصرحنا لهم بانهم هم والنصارى في عين الدولة ملة واحدة. وان التعدي والجسور لا بد من معاقبته . واوصيناهم ان ينبهوا سائر المسلمين ليحجموا عن الثورة . واملنا ان المسلمين والنصارى منذ الان فصاعداً يعودون الى ما كانوا عليه من الالفة والسلام . ونرغب اليكم انتم ايها الرؤساء الروحيون ان تبلّغوا افراد طوائفكم ما بلغناكم . وترفعوا الادعية لمولانا السلطان ليزداد اقبالاً وانتصارا على الدوام

وبعد هذا رجع الرؤساء الروحيون الى كنائسهم . اما الخواجا اوسيب قزازيان واصحابه المسجونون فانهم رفعوا الى المفتشين عريضة ليخرجوهم من السجن فاتاهم الامر في ٢٠ كانون الثاني ١٩١٦ بالذهاب الى العاصمة فاستصحب الخواجا اوسيب ابنه اوهنيس وحنا ابن اخيه وسافر معهم اربعة من وجهاء دياربكر المسلمين في شرذمة من الجند لمحافظتهم

وحضر بعد هؤلاء ثلاثة مفتشين آخرين وهم شاكر باشا وماردو قردادو الرومي وتحسين بك عرب وحلّوا ضيوفاً في دار بهرم باشا عند باب الجبل . ووافى الى دياربكر في خامس شباط ١٨٩٦ مفتشان آخران احدهما روم ملكي اسمه اغوب باشا ونزلا في دار الحاج جرجيس آغا فافادهما ان عارف افندي برنج واحزابه كانوا اصل

---

(١) من السجل المحفوظ لدى الخورفسقفس بشاره خداد المرياني كاتب اسرار البطريرك عبد المسيح

الفتنة . وفي ١٣ شباط شدّ المسلمون على اكوب خانجي في خان العباجية ومضوا به الى دجلة فقتلوه والقوه في النهر وعادوا . فاستحضرت الحكومة جثته الى الولاية ولما سمعت امرأته قصدت المفتشين وبلّغتهم أن ياسين آغا هو قاتل زوجها فلم يكترثوا لمدعاها وفي ٢٩ اذار شخص الى دياربكر معاون للوالي يقال له وغلهري وكان رومياً

وعند ذاك اطلقت الحكومة النصارى الحريّة في السفر الى حيث يشاؤون . فغادر الولاية زهاء ثلاثمائة بيت في مدّة شهر ونصف . وباعوا اموالهم ودورهم بابخس الاثمان . وفي ١٥ نيسان توجه الى الاستانة اوهنيس وعبد المسيح قزازيان في اسرتيهما

اما المفتشون فبعد ان مكثوا زماناً في دياربكر سار عبدالله باشا احدهم الى الموصل وتوجه الاثنان الى خربوط وظلّ القومندان بدياربكر . وفي سادس ايار خرج انيس باشا الوالي الى القرى المجاورة يتعهدها وينظر ما حلّ بها . وفي ١٥ حزيران وافى الى ماردين عارف افندي برنج ونزل ضيفاً في دار سرّي افندي رئيس البلدية ثم نُفي الى الموصل وعاد الى العاصمة

٢ : السعديّة

السعديّة قرية الى شرقي دياربكر تبعد عنها ساعتين كان اهلها ارمناً وسرياناً يبلغ مجموعهم ثلاثمائة نسمة . ويوم الجمعة غرّة تشرين الثاني ١٨٩٥ وثب عليهم اعلاج الاكراد وقتلوا الرجال والاطفال وسبوا النساء والبنات ونهبوا الدور والدكاكين اما بقية المسيحيين فانهزموا

الى الكنيسة وأغلقوا الابواب فدمر الاكراد والجنود ونقبوا سطح الكنيسة وصبُّوا عليهم زيت البترول واحرقوهم قاطبة . اما الذين انهزموا من الابواب فاحتفَّ بهم الاكراد وثاوروهم بالخناجر والسيوف وذبحوهم . ولم يبق من النصارى سوى ثلاثة رجال فقط لبثوا تحت جثث القتلى حتى انكشف عنهم الاعداء فخرجوا الى دياربكر ونجوا من القتل

٣ : ميافرقين

ميافرقين بلدة قديمة اورد ذكرها المؤرخون البيعيون في القرن الرابع للمسيح واشتهر فيها خاصة مطرانها القديس ماروثا + ٤٢١ تقريباً . واهلها ارمن وسريان وبرتستان يبلغ مجموعهم زهاء الف نسمة . ويوم الجمعة عينه ثار الاكراد بنصاراها وقتلوهم ونهبوا اموالهم وسبوا نساءهم ولم يفلت منهم سوى اثني عشر رجلاً وثلاث نساء . وكان في تلك القرية ثلاثة ماردينيون فر الاثنان الى الولاية اما الثالث وهو ايليا مورو فانه جاهر بالاسلامية ونجا من القتل . واحتشد في الكنيسة زهاء سبعمائة نسمة فانقضَّ عليهم الاعلاج واحرقوهم بزيت البترول . غير ان اولاد بدويل توماس الثلاثة لاذوا بمغارة داخل الكنيسة وظلوا ثلاثة ايام صائمين ثم خرجوا . وشدَّ الاكراد على بيت صادفوا فيه امراةً حسناء فافترشوا عرضها وركبوا منها الفاحشة بحضور زوجها فرفع الزوج يده ليضربهم فأوثقوه وقطعوا يديه ورجليه وفتكوا به وانقلبوا الى المرأة فبتروا يديها ورجليها واستحيوها وكان لها رضيع في المهد تعذَّر عليها ان

ترضعه فمرّ بهـا رجل خير واحضرها الى الولاية وكانت تعض بنواجذها على طفلها وترضعه الحليب . وظلّت كذلك حتى تصرمت حياتها

٤ : قره باش

قره باش قرية في شرقي دياربكر تبعد عنها مسافة ساعتين اهلها كلهم سريان تعجّل اليهم الاكراد في اليوم ذاتـه ونشموا ينهبون ويقتلون ويستبيحون ويسبون وظلوا كذلك مدة يومين كاملين لا تزداد قلوبهم الا صلابة وتوحشاً كحمير او جحاش ثار ثائرها . ولكنهم فاقوا الحمير بتوحشهم . « قيل لاحد الحمير نريد ان نصيرك كردياً فبات ثلاثـة ايام كئيباً صائماً لا ياكل عليقه » وقصد الاكراد دار القس عبد الاحد السرياني وهو شيخ جليل والقوا القبض على اولاده واختلسوا منه سبعمائة ليرة وخمسمائة مجيدي وعرضوا عليـه الاسلام فأبى . فذبحوا اولاده الواحد تلو الاخر تجاهه ثم وجأوا بطن امراته بالسكين فادموها وقتلوها وعولوا على ذبحه ايضاً . غير ان احدهم قال الاجـدر ان نتركه يتعذب ويموت كمداً . وانقلبوا يجترحون المنكر مع بناته حتى خولط القس في عقله

٥ : قطربل

وقطربل قرية على شاطئ دجلة يفصلهـا النهر عن دياربكر يسكنها ثلاثمائة عائلة مسيحية من سريان وبروتستان وارمن . هجم عليهم الاكراد غيلـة من البرّ وعلقوا ينهبون البيوت والدكاكين فانهزم المسيحيون الى كنيسة مار توما يتقدمهم القس عبد الاحـد

السرياني النشيط وجعل يشجعهم ويبعث فيهم روح البسالة ويقررهم بخطاياهم ويزودهم بالقربان الاقدس · فما كان من العشائر الا ان شدّوا عليهم ونقبوا سطح الكنيسة والقوا عليهم التبن وقلبوا فيه زيت البترول فاحترقوا جميعاً وساعدهم الجنود فاطلقوا البنادق من دار الحكومة على من انهزم وقتلوه · وقبضوا على يوسف بن ميخائيل كدا المارديني وأرادوه على الإسلام فأبى فقطعوا يده الواحدة فالثانية فكتفيه فقدميه فاعضاءه واخيرا حزّوا عنقه فخرّ شهيداً · وكانوا كلما بتروا عضواً يقولون له جاهر بالاسلامية فتحيا · لكنه لم يكترث لكلامهم · وافلت من القتل شمعون الشاب السرياني فعبر دجلة سابحاً وقصد بطريرك السريان فارسل معه شرذمة من الجند استحضروا من بقي من المنكوبين وهم عرجٌ وشلّ . وعُمي وعراة على آخر رمق وعُني البطريرك بامرهم

وقس على هذه الفظائع ماجريات سائر قرى دياربكر كالكعبية والجاروخية وخان آقبوار وارز اوغلي وقوزان وهولان وقاضيه وعنشا وصاتيا وصافيا وبطركية وقره كليسه وقرطه وقنقرط وقضا الابشيرية وقضا لجيه وقضا غرزان فان الاكراد والعسكر ثاروا بهم وقتلوهم واحتووا على اموالهم

اما نصارى علي بكار الكلدان والارمن فان وجهاء القرية احتالوا عليهم واقنعوهم ليمضوا بهم الى الولاية ويخلصوهم من العشائر ولما خرجوا عن القرية أوثقوهم جميعاً بحبل واحد واودوا بحياتهم قبل وصولهم الى البلد

اما سويرك فان الحاج عثمان باشا واخوته ضمّوا اليهم احزابهم

وشدّوا على المسيحيين واعملوا فيهم السيوف والخناجر يومين كاملين فذبحوهم وقتلوهم ولم يفلت منهم سوى اربع عائلات . وكان عدد القتلى اربعة الاف ونيفاً

٦ : الرها

اما الرها فان المسلمين قصدوا اولاً دار ساغاتيل [شاآلشيل] احد وجهاء الارمن الغريغوريين وهجموا على ساكنيها واعملوا فيهم الخناجر والسيوف فبادر النصارى المجاورون الى السطوح لينجوا بنفوسهم وقفزوا الى ازقة المدينة فادركهم المسلمون وعلقوا يضربونهم ثم شدّوا على البيوت وخطفوا الاثاث والمؤن والامتعة وساروا الى كنيسة الارمن الكبرى وعاثوا فيها متلفين ومجتاحين وقاتلين . ولما نما الخبر الى الحكومة ارسلت الجنود لمساعدة المسلمين فتألبوا عند جبل مار يعقوب واقسموا بالطلاق الثلاث ان يكتموا الامر عن المسيحيين . اما النصارى فاتفقوا على ان لا ينالوا احداً بضرر على الاطلاق . وبعد هذا تفرق المسلمون في احياء النصارى فرقاً فرقاً وحظروا عليهم الخروج من بيوتهم فحصل لهم ضيق شديد حتى انهم اضطروا الى ابتياع سطل الماء من العسكر بافحش الاثمان

ولما بلغ اليوم المعيّن للمذبحة احتشد الارمن في كنيستهم الكبرى وقلاية مطرانهم ومدرستهم فغار عليهم المسلمون كأنهم من الوحوش وانزلوا بهم اشكال العذاب . وفتكوا بارواحهم داخل الكنيسة وخارجها . فغدت الدماء تجري كالجداول على الحضيض حتى امتلأت الكنيسة وتدفقت ما بين الجدران . وكان ابليس اللعين قد وسوس

اليهم فجمعوا الهشيم ووضعوه بين اخشاب واقبسوه نارا فالتهم من اولت من النساء والاطفال حتى سال الشحم على الحيطان وامتزج بالدماء

ولما بلغ ذلك السريان الكاثليك صبغ اصفرار الرعب محيّاهم وارتخت عزائمهم فارتأى الخوري بطرس الامدي والقس افرام نقاشه الموصلي ان يلوذا بالمتصرف فاستصحبا الخواجا عبود غنيمه وذهبوا اليه واستحصلوا منه ثلاثة جنود رجعوا بهم الى الكنيسة وطفقوا يستحضرون اليها افراد الطائفة فاحتشدوا بها واوصدوا الابواب بالحجارة ايصاداً محكماً . وعلى هذا الاسلوب نجوا من القتل وقصَّ اثرهم في ذلك جماعة السريان المنفصلين . ولم يُقتل من غير الارمن سوى بطرس قندلفت الحلبي الروم الملكي

٧ : تل ارمن

تل ارمن قرية بماردين في جنوبها الغربي تبعد عنها ثلاث ساعات اهلها جميعهم ارمن كاثوليكيون بينهم جماعة من السريان معدودة . وفي ٦ تشرين الثاني ١٨٩٥ سار اليها رشيد آغا الكيكية قائمقام الحميدية في جماهير من الاكراد والعشائر والجأ الاهالي ان يدفعوا له تسعين ليرة ليكشف عنهم الاعداء فتلجوا الى كلامه فبذلوا له مطلوبه فاستزادهم اربعمائة ليرة وحصاناً مطهماً ثم طلب غير ذلك فاعطوه جميع ما اراد واحب يقولون الويل اهون من ويلين . وبعد ان استوفى منهم ذلك كله شنَّ الغارة هو واصحابه على الاسواق ونهبوها وقصدوا الدور واستلبوها . فانهزم النصارى كعادتهم الى

الكنيسة

وحلق رشيداً واصحابه عشائر جبل عفص والفرس والدقورية والدنبلية . فاستدعوا النصارى وبذلوا لهم كلمة الامان واقسموا بالطلاق الثلاث انهم لا يسيئون اليهم . فخرجوا من الكنيسة وما حصلوا في البرية حتى شد عليهم الأكراد ونشموا يعرّونهم ويقتلونهم فانهزم منهم كثيرون وتفرّقوا في القرى المجاورة

وكان نصارى التل قد اوفدوا الى متصرف ماردين يطلبون النجدة فارسل اليهم صالح بن درويش علي افندى وبابا حسين وعلي النعلبند ومصطفى التراكي وحسين ترلي . وعند وصولهم الى القرية ظلوا واقفين يتفرجون على الأكراد ينهبون ويختلسون ويغتصبون . ثم خرج بعض الاهالي وتوجهوا في فيئة من الجند الى قرية علي مشمش فماردين وهم جياع عطاش عراة حفاة

وقصد الأكراد كنيسة القرية وهدّوا جانباً منها يقولون ان داخلها خزائن قديمة فلم يعثروا على شيء مما توهموا واقبل احدهم نحو صورة مار جرجس صاحب المقام فطعنها برمحه ومزقها فأصيب بضربة اليمة اودت بحياته

٨ : الكولية او القصور

القصور ويقال لها الكولية قرية في جنوبي ماردين تبعد عنها ساعتين اهلها سريان يبلغون زهاء ثلاثمائة بيت . فهولاء لما رأوا ما جرى في تل ارمن بعثوا وجهاءهم الى ماردين يستغيثون بالمتصرف ليمنع عنهم غارات الأكراد . فأوفد مائة عسكري يتقدمهم صادق

بك القائم مقام الحميدي وفؤاد افندي مأمور الرسومات وخليل عبد الو[1] ولما داروا الى القرية ألفوا النصارى محتشدين في الكنيسة فاخذوا منهم ما عندهم من السلاح واكَّدوا لهم انهم ما جاؤا الا ليصونوهم ويكنوهم كل اذى وسوء

ولما مضى من الليل ساعتان اقبل اهالي الغرس واتفقوا مع الاكراد المحيطين بالقرية وجلَحوا بالعداوة على النصارى · وصباح الجمعة نشموا ينهبون الدور ثم قتلوا زهاء خمسين نصرانياً وانهزم الباقون · اما النساء والبنات فحفظوا منهن من استحسنوا ثم احرقوا القرية فصعد الدخان والتبد في الجو · وكان بعض الاهالي قد رقوا الى سطح الكنيسة تماصاً من القتل فتعجل اليهم الاكراد الاجلاف فجعلوا يلقون بنفوسهم الى اسفل · وكان بيد احد العرب حربة قصيرة ركزها في الارض فانهبط فوقها احد الرجال فخرجت الحربة من بطنه فانتزعها النصراني من موضعها وتناولها وانهزم · فسارع ذلك العربي اللئيم ليأخذها منه وهو يقول لاصحابه « اليكم هذا النصراني فانه اختلسني الحربة وانهزم » لعمري ان قتل البشر عند هولاء الاوباش الانذال كقتل العصفور بلا خلاف · اعاذنا الله من قسوتهم وتوحشهم

---

(١) هذا استترف اموال الاهالي واذاع ان الخضر ظهر له في الحلم واشار عليه ان يقصد المفتي ويقول له « اياك والمحافظة على النصارى لان المسلمين اذا حقنوا دماءهم ايدوا بساهم كفرهم بدينهم · ثم قال للمفتي لا يخفاك انه في شهر شعبان لن يبقى نصراني واحد على وجه الارض » ولما بلغ امره مسمع المتصرف نفاه في ٩ اذار ١٨٩٦ من ماردين

٩ : بنابيل

بنابيل قرية في شرقي ماردين تبعد عنها ساعتين تكثر فيها الحدائق والكروم واهلها سريان وبروتستنت يبلغون زهاء مائة وخمسين بيتاً موصوفون بالجراة والبطش . وفعل الاكراد والمسلمون باهاليها ما فعلوه بنصارى القصور من الجور والاغتصاب والقتل وذلك في تاسع تشرين الثاني . اما الباقون فقصدوا البلدة . وكانت الحكومة قد سيَّرت لمحافظة القرية عبدي جابي والحاج خليل باشا في نيف وخمسين عسكرياً فاتفقوا مع الاكراد على خراب القرية وقتل المسيحيين كمألوف العادة

١٠ : قلعة المرأة ودير الزعفران

وما سمع نصارى قلعة المرأة ما صار بالقرى المجاورة حتى تركوا أموالهم وامتعتهم وشخصوا الى دير الزعفران واحضروا حروف المطبعة وصبُّوها رصاصاً ليقاوموا الاعداء وظلُّوا ثم خمسة ايام لم يُقتَل منهم سوى ثلاثة رجال وعجوز . وبعد هذا هجم عليهم عبدي افندي الملازم في طائفة من الجند وصوبوا نحوهم الرصاص فقتلوا منهم زهاء سبعين شخصاً . واوفدت حينئذ الحكومة ثلاثين جندياً ارجعوهم الى قريتهم وأمَّنوا حياتهم

اما دير الزعفران فظل الاكراد يصوبون نحوه البنادق ثلاثة ايام فاوفد أنيس باشا والي دياربكر الاوامر الى المتصرف فبعث الى الدير جنوداً من الرجَّالة والخيَّالة يتقدمهم الشيخ محمد عملي

الانصاري وهو رافع اللواء الاسلامي يأمر الاكراد ان ينكشفوا عن الدير . فابوا فاطلقوا عليهم البنادق وقتلوا منهم ثمانين كردياً بنيف . ولما دنا العسكر من الدير طلبوا من الراهب داود كبابه رئيسه ان يفتح لهم الابواب فلم يستحسن ذلك الا بعد ان طالع صورة التلغراف الوارد اليه من دياربكر . فدخلوا وصعدوا الى السطح وقاتلوا العشائر عامة يومهم حتى دحروهم

١١ : المنصورية

ويوم الثلاثا خامس تشرين الثاني شدّ الداشية والاكراد معاً على نصارى المنصورية فلاذ المسيحيون بجيرانهم الداشية والتمسوا منهم ان يدحروا عنهم الاكراد ويكفوهم شرهم . غير انه يوم الاحد عاشر تشرين الثاني اقبل نحو اربعة آلاف كردي من نواحي الزنّار واوقدوا النيران يستفرصون الفرصة للهجوم عند الصبح على القرية . فشعر بهم الجنود المقيمون في القلعة واطلقوا عليهم مدفعاً اصاب منهم رجلين فاستدلُّوا من ذلك ان ليس للحكومة رضىً في الهجوم والقتل فعادوا ادراجهم مأيوسين

اما الداشية فانهم قبضوا من جيرانهم النصارى نحو عشرين الف غرش بصفة دية وغضوا عنهم

١٢ : نصيبين وطورعبدين

ويوم الاحد عاشر تشرين الثاني ١٨٩٥ ثار الاكراد نصف النهار وانقضُّوا كالبواشق على حي النصارى بنصيبين . ونهبوا الدور والدكاكين وقتلوا خمسة رجال . فسارع عبد الرحمان شيخ طيّ

وهزمهم فتعجلوا الى القرى المجاورة وقتلوا من النصارى مائة نسمة ونهبوا الاموال وافترشوا الامتعة واحرقوا اربع عشرة قرية وانصرفوا

وفي ١٤ تشرين الثاني سار الاكراد الى قلث فخالفهم بكوات الصور ولم يدعوهم ينهبونها فصاروا الى مذيات يوم الاربعا ٢٠ تشرين الثاني فهب لمحاربتهم الجنود والاهالي معاً فخابت آمالهم ورجعوا القهقرى وقصدوا بقية القرى فنهبوها واحرقوها وابقوا على النصارى الذين فيها

١٣ : ويران شهر وديركه

ويران شهر وتعرف قديماً بتل موزل بلدة قديمة في ما بين النهرين جدد بناءها قسطنس الملك سنة ٣٥٧ م يسكنها زهاء ثلاثة آلاف نسمة من المسيحيين قصدها عشائر الاكراد في ٣ تشرين الثاني ١٨٩٥ وطافوا أسواقها واستلبوا اموال النصارى فبادر ابرهيم باشا كبيرها وانبهم واستعجلهم على الرحيل عنها فانصرفوا . وبكّروا في الغد يريدون قتل المسيحيين فركب ابرهيم باشا في رجاله فكشفوا الاكراد واخذوا منهم ستة حصن وشيئاً من السلاح والمتاع

وحضرت اذ ذاك قافلة كبيرة من حلب حاملة البضائع الى تجار ماردين فثبّطهم الباشا عن مواصلة السفر حرصاً على حياتهم وضناً باموالهم ودوابهم . وأمر اصحابه ان يقدموا لها العليق والعلف عشرين يوماً . ونقل البضائع الى داره . ولما صمّموا على الرحيل بعث اليهم تلك البضائع فحملوها الى ماردين . غير ان التجار لما فتحوها ألفوها ناقصة وقد اعتاضوا عن البضائع بزبل الدواب .

فاستفسروا المكارين فافادوهم انها كانت في دار الباشا فاستدلوا من ذلك انه هو الذي عاث فيها. فلزموا السكوت لخوفهم واستودعوا الامور الى الواحد القهار

اما ديركه فان الاكراد لما شنّوا عليها الغارة في ١٠ تشرين الثاني عارضهم اوصبان آغا رشو وخرج عليهم في مائة وخمسين من العسكر وجمّ غفير من رجالـه حتى كسرهم وبدَّدهم فلم يتيسر لهم الفوز بخبيث مآربهم

١٤ : ماردين

اعلم انه مذ خامس تشرين الثاني ١٨٩٥ اخذت اخبـار الشؤم ترد من دياربكر السوداء ناطقـة بالوقائع العظيمة والفواجع الاليمة التي جرت فيها وفي القرى الملاصقة لها. فشمل الخوف عامة المسيحيين وقصدوا الكنائس . فاجتمع في دير الكبوشيين مائة وخمسون بيتاً بنيف وفي كنيسة السريان ثمانون . واختلف بقيـة المسيحيين الى الدور الكبيرة وجلين خائفين وكانوا ينقلون الامتعـة من بيت الى بيت كالنمل هذا يغدو وذاك يروح . واشتد رعب المسيحيين خاصة لما رأوا بعينهم النيران تلتهم قريتي تل ارمن والكولية

عـلى ان وجهاء المسلمين ولاسيما نجيم المتولي وشيخي الاعرج والحاج مرعي وغيرهم ممن ماثلهم كانوا متحمضين عـلى النصارى يستفرصون الفرص للايقـاع بهم . ويوم السبت تاسع تشرين الثاني انفجر الاكراد جماهير جماهير وشخصوا الى عين سنجه غربي البلـد يحاولون الهجوم . فطفقت النساء تبكي والاولاد يعولون وينوحون

واستحوذت الرعبة على قلوب الجميع حتى كادت تزهق نفوسهم خوفاً غير ان أحمد آغا ومحمد سعيد آغا كبيري الشكروية وفرج بك كبير المندلكانية خرجوا في رجالهم للقاء الاكراد الاعلاج الاجلاف وجعلوا يقذفون عليهم الرصاص حتى هزموهم ابادبد . ولولا ذاك لهجموا على البلد ونهبوا وضربوا وقتلوا واخربوا . ولما عاد الشكروية والمندلكانية شخصوا الى دار الحكومة وطلبوا من المتصرف اسلحة كافية لمقاومة الاكراد واكدوا للحكومة انهم اذا هجموا على البلد ان يعفوا عن المسلمين ايضاً . وبعد اخذ ورد دفعت لهم الحكومة اربعين بندقية بكفالة الخواجا اسكندر آدم بعد ما اخذت منه سنداً بمبلغ ثلاثمائة ليرة تستوفيها منه ان أبوا ارجاع الاسلحة اليها . واستحصل عبد القادر باشا الحاج كوزه من الحكومة اسلحة دفعها الى المندلكانية والداشية وكبار المسلمين ليقاتلوا بها الاكراد

وامرت الحكومة ان ينادي المنادي في الاسواق ان من احب الدولة ومحمداً فليتسلح ويصارع الاكراد . واتفق ان جماعة من الاوباش تسلحوا وتحفزوا لينهبوا البلد بدسيسة كبيرهم نجيم المتولي اذ كان يقول لهم « انا اني كبيركم وامامكم يلزمكم ان تصيخوا لي وتفتكوا بالنصارى » . فبلغ امره مسامع الحكومة فقبضت عليه ووقفته يوماً كاملاً

اما الشكروية فتعاهدوا بمحافظة البلد من راس الجهة الغربية الى المنارة الكبيرة ومعظم سكانها نصارى . واتفق معهم في ذلك الداشية والمندلكانية . وتفرد العسكر بالقلعة يبصرون القادم والذاهب

من بعيد . وفي ١١ تشرين الثاني وافى الاكراد الى باب البويرة فشدّ عليهم المسلمون والنصارى معاً واطلقوا عليهم الرصاص فلم يتزحزحوا فسار اليهم الشيخ عبد الرحمان ابن الشيخ حامد ونصح لهم ليعودوا فقالوا له . ما لكم تصدّونا عن النهب والقتل وقد امرت الدولة بذلك . فالظاهر انكم ارتشيتم فاحجمتم واخيراً انقلبوا راجعين . وفي ١٦ تشرين الثاني شخصوا الى البلدة ثالث دفعة وحلّوا عند دير مار ميخائيل فبادر اليهم المشكوية وهزموهم

واتفق اذ ذاك ان الصدر الاعظم عُزل في العاصمة ونُصب غيره بداله فأوفد الاوامر على لسان البرق الى جميع الولايات بالمحافظة على الكنائس والاديار وصيانة عامة المسيحيين . وتتابعت الاوامر حتى زال الخوف واضمحل . وخرج جميل افندي وكيل التصرف وسرّي افندي والبكباش وغيرهم وجعلوا يتعهدون الرؤساء الروحيين ويبذلون لهم كلمة الامن والطمانينة

وفي ٢٠ تشرين الثاني فتح المسيحيون دكاكينهم الا يومي الجمعة والاحد . وكان الجنود يجولون ويخطفون ما شاؤوا من الدكاكين او من النصارى السائرين في الطريق وظلت الحال على ذلك المنوال الى عاشر كانون الاول فحرّجت الحكومة عليهم السرقة والتعدّي . ولا يسعنا ان نحصي الخسائر التي لحقت المسيحيين من جرى ذلك

ومع هذا كله لم يشبع المسلمون بل كانوا يتأسفون شديد الاسف على ما فرّطوا اذ ثبّطوا الاكراد عن السلب والنهب . وكانوا يودون لو أتيح لهم ان يبيدوا النصارى بالمرّة ويستحوذوا على اموالهم . غير ان الحكومة اصدرت الاوامر الى الاكراد ليرجعوا الاسلاب . فسار

الى الفرس وغيرها حسين جلبي كوزه والحاج مرعي والشيخ محمد علي الانصاري والخواجا يوسف جنانجي في ثلاثين جندياً واستحصلوا من تلك الاموال شيئاً نزراً جداً . واتفق ان الاكراد احضروا بعض الاواني البيعية كالصلبان والكؤوس ودفعوها الى يوسف جنانجي فتناولها الحاج مرعي وتفل عليها وألقاها في الارض ووطئها برجليه النجستين وجعل يقذف التجاديف على الله وعلى مسيحه ولم يجسر يوسف جنانجي ان يوبخه على ذلك لمزيد ارتعاشه

وفي ٢٤ كانون الاول ١٨٩٥ وصل الى ماردين الشيخ محمد سعيد ابن الشيخ عبد الرحمان الذي كان قد أطلق مذ خمسة اعوام الحرية للشراكسة ان يستحلوا اموال النصارى . ولدن وصوله سار المسلمون الى زيارته افواجاً حتى غصّت بهم الدار ودبّ بينهم الشيطان وطلبوا ان ينهبوا النصارى ويقتلوهم . فوافقهم الحاج حسين جلبي وزميله الحاج مرعي وصادق الزائر الجديد على ذلك وارسل في استدعاء شيخي المشكوية اليه ليلاً ولما وصلا هشّ الحضور لاستقبالهما ودفعوهما الى قتل المسيحيين واستلابهم . ومن جملة ما قالوا لهما ان المسلمين بدياربكر يقولون ان اسلام ماردين هم نصارى لا مسلمون . فلسنا نقبل اذن هذا العار علينا . بل الخليق بنا ان نفعل مثلما فعلوا هم بدياربكر وغيرها . وجرّ الحديث بعضه بعضاً . فقال لهم احمد آغا اننا تعهدنا ان نحافظ دور النصارى من باب المشكية الى المنارة ولسنا بمخلفين في وعدنا وعهدنا . ومتى راينا احدكم يخطو خطوة ويتعدى الحدود قطعنا رأسه . على انه لا بدّ من ان الدولة ستفحص وتفتش عن المشغبين والغالب بالشرّ مغلوب لا محالة . وظلوا يتجادلون الى

نصف الليل فتمكن المشكوية من قص جناح تلك الفتنة فتخلع المجلس وعاد كل الى بيته

وعند عودة احمد آغا واخيه الى بيتهما مرّا بدار اسكندر آدم وكان المؤلف رحمه الله حاضراً فقصا عليه ما جرى واوضحا له كنه المؤآمرة . ثم سارا الى دار خضر افندي فأخذهما وانطلق الى كنيسة الارمن فاطلعوا السيد ملكون نزريان طلع الامر فشكر لهم فضلهم واثنى على محبتهم واخلاصهم

واما الجلبي ومرعي وحسين بن حسن ونجيم المتولي وشيخي الاعرج وحجي القهوجي ويوسف بسك واخوه وسائر من حاكاهم بالنفاق والشر فظلّوا يدقون بطنبورتهم ويحاولون البلوغ الى امنيتهم . واستبردوا لسانهم خاصةً على الخواجا يوسف جنانجي . فنهض اذ ذاك خضر افندي واستصحب الحاج حسين والبكباش والشيخ محمد علي الانصاري الى قلاية مطران الارمن السيد ملكون فارسل في استحضار الخواجا يوسف المذكور وتداولوا ساعة في الامر حتى تم الصلح بين الطرفين

وما عدا الخسائر والمظالم التي اصابت المسيحيين فان المسلمين كانوا يقذفون من افواههم كل قبيحة ويشتمونهم ويقولون علامَ نبقي على هولاء النصارى الكفرة الخنازير الملاعين اعداء الدين . ما ضرنا لو قتلناهم عن آخرهم واستبدنا باموالهم واملاكهم . اما كان ذلك أزكى وافود لنا

وفي غرة سنة ١٨٩٦ لفّقوا مضبطة تستر على ما جرى وتنطق بانّ النصارى بفضل الدولة العلية متمتعون بالامن والراحة وانه لم

يحترق في ناحيتنا سوى قريتين فقط . ودفعوا تلك الورقة الى عبد المسيح حناشي ليعرضها على الرؤساء الروحيين ليمضوها فامضوها لخوفهم ووقعوها

واتفق ان عبد المسيح شهرستان زار محمد آغا شيخ المشكوية وأطلعه على ذلك فامتعض الشيخ اي امتعاض وعوّل هو واصحابه على محاربة المسلمين والنصارى معاً لانهم شهدوا زوراً. فتم في المسيحيين ما قيل

تصبحنا الايام كلّ صبيحة ببادرة تربو على أخواتها

اي ولعمري لولا هذا الزجل المغفّل لاصبحت قيمة الحمار عشرة آلاف غرش . كيف لا ونحن نحاول رتق الفتق فينفتق في ستمائة وستة وستين موضعاً . على ان محمدا سعيد آغا وشقيقه احمد آغا وافيا منزعجين الى دار اسكندر آدم وافاداه عما سبق واعلنا له مضمرات قلبهما . لكنه بعد اللتيا والتي تمكن من اطفاء النيران وكفّهما عن فكرتهما

وفي غرة شباط ١٨٩٦ وصل الى ماردين متصرف جديد اسمه شاكر باشا فانقلع نائب المتصرف الخبيث الى دياربكر عشّ الفساد . وكان خليلًا لانيس الطاغية حاول ذات المرار ان يفتك بالمسيحيين طبقاً لدسائس واليه فلم ترجح والحمد لله كفّته . واعلم انه بمجيء المتصرف الجديد استتبّت الراحة في البلد فانه يوم وصوله اطلق من السجن اسقف البرتستان واخاه يعقوب ومعلم مدرستهم ونجدي ورائه وسعيد عنبر اغاسي وكانوا قد زُجّوا في الحبس لسبب رسائل كتبوها الى ذويهم واصحابهم وضمّنوها اموراً سياسية

وشخص الى ماردين في ٢٠ نيسان مفتشان احدهما نصراني اسمه

يرغاكي افنـدي والاخر مسلم · ومكثنا عشرة ايام ثم توجها الى مذيات · وعادت مذ ذاك الميـاه الى مجاريها

تلك جريدة احوال سنة ١٨٩٥ نقلناهـا بتصرف عن القدسي حبيب دي جروه ليطلع القراء على احوال النصارى في تركيا ويستنتجوا منهـا الاضرار والمخاوف والمذابح التي لحقتهم ولا زالت تلحقهم وستلحقهم ما داموا على تلك الحال ·

الجزء الثاني

نكبات الحرب العامة

منذ اشهارها حتى حزيران ١٩١٥

الفصل الاول

اعلان الحرب العامة

كانت الدول العظام ترغي وتزبد منذ اعوام وتتحيّن كلٌ منها الفرص لتمدّ ظلّها على البلدان . وتبسط سيطرتها وتوسّع دوائر نفوذها في كل مكان . وتنفق في سبيل ذلك القناطير المقنطرة فتعزّز جيوشها وتكثر اسلحتها وتتفنّن في اختراعاتها وتزيد أساطيلها وبحريّاتها . تترصّد هذه تلك وتترقّبها لتركسها وتدمّرها وتحشو الغيظ والحنق في اضلاع قومها للانتقام ممن يباريها . وكثيراً ما

زادت كل من الدول الضرائب على الغلات والحاصلات والمواشي والبضائع توفيراً لماليتها وثروتها وتحسيناً لمصالحها ليسهل لها الفوز بامانيها . والله وحده يعلم مــا كان يحدث من المناقشة بين الملوك والنفور بين الاهالي والقال والقيل بين الوجهاء والاقطاب . وأضف الى ذلك ان ايمة الجمعيات الاشتراكية والفرمسونيــة كانوا يُثيرون الخواطر ويهيّجون الافكار ويضرمون جذوات المشاغب بين جماهير الامم ليتم لهم الفوز بما يرمون اليه . اذ كان قتــل الابرياء وابتزاز الاموال ونهب الدور والاستيلاء على الاملاك والامر بالنفي والسجن جائزا مستحباً عندهم

واتفق ان احد جنود الصرب فتك في ٢٧ حزيران ١٩١٤ بولي عهد النمسا وزوجتهِ فاستحدَّ هذا الحادث شفار السخط والغضب واثار اعصار الفتن وألهب جمرات الاحقاد في بلاد النمسا حتى هاجت النفوس وماجت وطلبت الانتقام من الجاني فأوفدت الحكومة تفتش عن المجرم وتتهدد الصرب وتطلب انزال العقوبة بالقاتل الخائن . غير ان الصرب لم تكترث لذلك فراحت النمسا تلحّ في المسئلة وتلجف في التعقيب للتقصّ ممن تعرّض لها واهان شرفها . وما كان منها الا ان اشهرت الحرب على الصرب في ٢٨ تموز ١٩١٤ فلما بلغ ذلك مسمعي قداسة الحبر الروماني بيوس العاشر اوفــد الى امبراطور النمسا يستنزله عن رأيه وينهاه عن تخضيب شيخوخته بالدماء . غير ان روسياً ما سمعت تلك الحادثة حتى بادرت الى تعبئة جيوشها وارسالها الى حدود النمسا وتخوم المانيا . فزمجرت المانيا عليها زمجرة الاسود وكشفت عن ساقها لتخوض معامع الحرب نافرةً عليــا وعلى بريطانيا وفرنسا وكانت

تظن بل تتأكد انها تفوز بالغلبة وتحرز قصبات السبق وتمد شوكتها على غير مملكتها بل كانت تحسب أن ارجاع ولايتي الالزاس واللورين مثلًا الى فرنسا اوهامٌ غريبة واضحوكة او اضغاث أَحلام . ولكن

تجري المقادير التي قدرت وانف من لا يرتضي راغم

فنأتي من ذلك ان فرنسا وروسيا تجهزتا للمعاركة . وفي رابع آب تبعتها انكلترا وأثارت اليابان فانضمت اليها كما انضم الصرب والجبل الاسود . فاندفعوا كلهم كالسيل الجارف وانقضوا انقضاض الجوارح على الفرائس ليكتسحوا اعداءهم من عالم الوجود ويريقوا دماءهم . وتحزب لالمانيا والنمسا تركيا وبلغاريا . اما ايطاليا فلزمت الحياد مدة ثم كان من امرها ما كان

وعند ذلك ارتجت الارضون وتزلزلت اسسها وزُعزعت اطنابهـا ودب الخوف والرعب في الافئدة وسرى الفشل في النفوس وجمدت الدماء في العروق وامسى العالم في حيرة عظيمة وأهوال جسيمة. لان المواثيق نقضت والعهود نُكثت والامانة فسدت والراحة سُلبت . فانحدر الشبان والكهول الى حومات الوغى وكلٌّ يؤمل النصر والظفر لفايته ويجرّ النار الى قرصه . والله وحده يعلم كم من دماء هُدرت ونساء ترملت . وامهات أُثكلت . وبيوت أُقفرت . وعائـلات اندثرت. وكنائس دُمرت وقصور دُكت ورُدمت . واديار تضعضعت وخربت . وبالجملة نقول كأنها القيامة قامت والدينونة العامة صارت تلك نتائج الحرب الاليمة وعواقبها السيئة الوخيمة . فلولا ان رب الجنود ترك لنـا بقية يسيرة لصرنا مثل سدوم واشبهنـا عمورة [اشعيا ١ : ٩]

الفصل الثاني

تركيا والحرب

معلومٌ ان تركيا قبل اعلان الحرب كانت ممالئة لالمانيا مشايعة لنيَّاتها . وكان غليوم قد صرَّح غير مرّة بحبه الخاص وميله الشديد الى تركيا بقوله المشهور « فليتأكد المسلمون الثلاثمائة مليون المنتشرون على وجه البسيطة أن القيصر الالماني صديقهم الحميم ما توالت الايام » محاولاً بقوله هذا ان يشبّ جذوات البغض والحقد في قلوب رعايا الانكليز المسلمين لينهضوا على بريطانيا ويخلعوا طاعتها وينحرفوا عن الخضوع لها . غير ان عود الشجرة عُجم قبل ايناع الثمرة فان المانيا ما كادت تشهر الحرب الغشوم حتى قامت تركيا على قدم وساق لتخوض معها غمرات القتال لانها كانت متعلقة بها بروابط تعاهد وثيقة محالفةً لها في جميع مقاصدها . فعلقت مذ اول يوم أُشهرت فيه الحرب تعبي الجيوش وتحشد الجنود وتهيء الذخائر لتساعد المانيا وتمنع غارات الاعداء عن وطء بلادها . وصرفت المانيا جل المساعي في تعزيز تركيا وتقويتها بالاسلحة والجنود وبذلت قصاراها في اصلاح ماليتها وإكثار ثروتها والاخذ بساعدها لتبلّغها أُمنيتها كما اقرّ غير واحد من ساسة الاتراك . بل بعثت الى تركيا نخبةً من ضباطها تولوا تنظيم جيوش الاتراك وترتيب أمورهم . وأَوفدت بعثة اخرى قامت بشؤون الاسطول العثماني وأرسلت رجالاً خبيرين محنكين لادارة فروع الاعمال وقدمت للحكومة العثمانية قروضاً بلغ مجموعها تسعة

وعشرين مليوناً من الليرات تقريباً

وما مرّ الشهر على اعلان الحراب الشعواء حتى صرّحت النمسا والمانيا كلتاهما بصدق ودادهما وحميم حبهما لتركيا واعربتا عن نياتهما في مصالح الباب العالي ورغبتهما في ترقيته ذروة الشرف والعزّ . ودفعتا تركيا الى الغاء الامتيازات الاجنبية فالتتها من حالق طبقاً لمشورتهما وحسبتها هباء منثوراً . فعادت الكلمة اليها ورجعت الى حكمها بالرغم عن ارادة انكلترة وفرنسا وغاب عنها وهي ثملة بشراب النصرة المزعومة انّ الغاء تلك الامتيازات سيكون باعثاً لانحطاطها وخيبوبة آمالها

فالصلة بين المانيا وتركيا كانت بلا ريب متينة والعلاقات كانت وثيقة مكينة وتصريحات ملك المانيا اقوى برهان على إخلاصه لتركيا ورغبته في سعادتها واستقلالها تمام الاستقلال ونيلها الحياة الطيّبة والحريّة التامة لتفعل ما تشآء . وافضى الامر بعاهل الالمان الى ان صرح مراراً بأنه يصبو بكلّ عواطفه ان يكون الدين الحنيف محترماً معزّزاً في اوربا وأن تكون حريّة المسلمين مكرّمة اينما وجدوا بحيث لا تقوى عليها زعازع الانكليز ولا زماجر الفرنسيس . وعربوناً لصدق وداده أمر بتشييد جامع كبير ومنارة شاهقة للمسلمين في حاضرة ملكه شهد بنفسه حفلة افتتاحه بينما كانت دماء المسيحيين تهراق وتسفك في بلاد الاتراك فهذا كلّه اضطرّ تركيا ان تشاطر المانيا وتساعدها بكلّ طاقتها : فأصدرت الفتاوى وبثّت الاوامر بوجوب الجهاد العامّ وجعلت تحشد العساكر وتجيّش الجيوش وتتلاعب كما تهوى بأموال العباد واراقة الدماء واثقة كل الثقة بالنصر النهائي والمستقبل الحسن متأكدة أنها تعود الى سالف مجدها وترجع اليها حريتها

واستبدإهـا وترفل بحلل الشرف والافتخار وتتوج بتاج العز والانتصار . ولكنّ الامور انقلبت والآمال حبطت والأماني خابت وأخفقت . حتى اضطرّت كلّ من المانيا والنمسا وتركيا الى دفن آمالها حيث دفنت جثمان الأبرياء الاطهار . فانكسرت والحالة هذه شوكة زهوهم وفُلّت عزائمهم وتجرعوا كؤوس الذل والصغار

وبناء عليه نقول إن تركيا امست ميتة بتدبير أنور تلميذ المانيا وزميلها . فهذا كان في قبضة سفير الالمان يلعب به كما يشاء ويشاء الزمان . على ان خراب تركيا لم يكُ بلا ثمن فان أنور تناول المبالغ الجسيمة من المانيا وتركيا لقاء موتها ودمارها حتى بلغت حصّته فقط سنة ١٩١٦ اربعين مليوناً فامسى في اقدر مدة من اغنى الناس وأثراهم ولم يزل يحشد الاموال ويقلع هـذا وينصب ذاك حتى قلع هو ايضاً وفرّ منهزماً الى البلاد التي كان يحبها ليعزها وينفذ الوسع في اعلاء شأنها وانحطاط مملكته حباً لها . وقد كان أعرف من غيره بحال دولته لا يجهل ان الاتراك ضعفاء عاجزون عن مصارعة الدول العظيمة وان الدوائر ستدور عليه وعليها معاً . ولله در من قال

حسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدرُ
وسالمتك الليالي فاغتررت بهـا وعند صفو الليالي يحدث الكدرُ

الفصل الثالث

احتجاج على المانيا والنمسا

اعلم ان ملك المانيا جاهر سنة ١٩١٠ بجميم حبه لتركيا رغبةً

في توثيق عرى الوفاق بين بلاده وبلادها . وشعر المسلمون في الشرق بتقرّب المانيا الى عنصرهم ولاسيما بعد القرض العثماني حتى اصبح مسلمو الهند والعجم وتركيا يعتبرون الامبراطور الالماني كحامي الاسلام في العالم [المشرق ١٤ : ١٣٠]

فاذ كانت الحال على هذا المنوال فكيف جاز للنمسا المملكة الكاثليكية ان تجاري المانيا وتوافقها في الحكم على قتل المسيحيين لغير ما سبب . بل كيف أُتيح لالمانيا عينها وهي مملكة مسيحية وفيها اليوم من الكاثليك ما يناهز الثلاثين مليوناً ان تثير في رجال تركيا عوامل الشحناء والبغضاء وتشير عليهم في هدر دماء الابرياء . أَيتيسر لها ان تنكر ان سندرس ممثِّلها في الاستانة أمر ان يُقتل المسيحيون ويُعذّبوا افظع العذابات ويعاملوا اشنع المعاملات . ليت شعري أما كانت تعرف المانيا ان تركيا لا تخطو خطوة ولا تشور مشورة ولا تبرم امرًا ولا تبتّ حكماً الا بمعرفتها او مشورتها او رأيها . فكيف سمحت لها نفسها الابية ان تطلق عنان الحرية لتركيا لتستبد بالنصارى وتعاملهم أجفى معاملة مما لم يرد مثله في وقائع التاريخ الغابرة . لعمر الحق انه لا معذرة لكلتا الدولتين النمساوية والالمانية فقد استوجبتا لوم العالم اجمع واستحقتا ان يُخلَّد لهما في بطون التواريخ نقطة سوداء شنيعة لا تمحى على تتالي الاعصار

نعم يجدر بنا ان ننحو باللائمة خاصة على المانيا وان نتشكى من سندرس ممثِّلها في عاصمة الاتراك ونرفع صوت احتجاجنا بكل طاقتنا ليسمعه جميع اقطاب الارض وسكانها فيقبلوا على توبيخها وتبكيتها ويقتصُّوا منها حسب ما تستحق وتستوجب . لانه كان

في وسعها ان تتلافى كل الشرور وتتدارك جميع الاخطار وتقطع اقدام الخونة الاشرار . ولكن هيه . فان المانيا تشرفت بالمحاماة عن بيضة المسلمين وتباهت بصداقتها لهم بل لما كانت تركيا تفتك وتسبي وتختلس . وتزني كان الالمان يشيدون للاسلام جامعاً في بلادهم . نعم ان الالمان في ثالث عشر تموز سنة ١٩١٥ يوم سيق رجال المسيحيين ونساؤهم احتفلوا في عاصمة ملكهم احتفالاً شائقاً بافتتاح مسجد عظيم بُني خصيصاً للمسلمين حاكى أجمل مساجد المشرق . وحضر افتتاحه مختار باشا السفير وأُلقيت اثناء ذلك الخطب البليغة في اطراء الالمان والشكر لهم على معروفهم واحسانهم وابتنوا الى جانب المسجد منارة شاهقة بلغ علوّها ثلاثة وعشرين متراً يرتقي اليها المؤذن في الاوقات المعينة ويسمع صوته كل من حوله . وما اجدرنا ان نذكر هنا ما تفوه به احد رجال المانيا وقت سكرته بصهباء النصر قال : اننا سنضمّ الينا بلجكا الخبيثة لتكون لنا بمثابة قبضة حديدية نحطّم بها هامة انكلترا . وقال غيره ممن جاراه في البغض للبشرية « يجب ان لا نترك لاعدائنا سوى العيون للبكاء » وكتب الماني آخر ان ليس للحكومات الصغيرة حق في الحياة الا قدر ما تدافع عن نفسها . يا للعجب والخيلاء .

فويلٌ للبشر لو كانت خرجت المانيا من الحرب فائزة منتصرة . فانها ما اكتفت ان تصرّح باقوال كهذه بل أفضت بها الخيانة الى ارسال اربعة جواسيس الى دورتيول وفيها عدد من الارمن المتنفذين وامرتهم ان يتظاهروا بانهم من الانكليز . وما وصلوا الى حيث قصدوا حتى اجتمعوا بالاهالي واستكتبوهم المضابط الناطقة بالقدح

في تركيا واستعجال الانكليز اليهم لينقذوهم من مخالب الاعداء . ثم حملوا تلك المضابط الى العاصمة في كانون الثاني ١٩١٥ وأثاروا الاتراك وشغبوهم على المسيحيين ولاسيما على الارمن فثار ثائرهم الحال واشاطوا دماء النصارى وعملوا في هلاكهم

أيتيسر اذاً لالمانيا بعد هذا كله ان تعتذر او تدَّعي بان لم يكن لها يدٌ في مذابح النصارى . كلَّا . أما كان يسعها ان تنهى تركياً النهي المطلق عن إلحاق العار بالنساء والفتيات وعن هضم حقوق الاقليروس والاساقفة والشيوخ وعن اهراق دماء الرضعان والصبيان وسوق من كانوا في عنفوان العمر وريعان الشباب . بلى . لقد كان في قدرتها ان تبعث الى كلّ بلدة من بلاد الترك نفراً يمثِّلها كي يحامي عن المسيحيين الابرياء ويصونوا حقوقهم . ولكنها بعملها هذا أكّدت انها تتمدَّح بقهر النصارى وتتبجح بقسرهم . وما النصارى في تركيا الا كغنم وديعة تسير اينما أُمرت وتُذبح وهي صامتة ساكتة

على انا لسوء الحظ لم نرَ احداً من النمسا ولا من المانيا استقبح ما اقترفته تركيا . او دافع عن حقوق النصارى . بل اطلقتا لها الحرية التامة وحرّضتاها على افتعال الشنائع والمنكرات . حتى أننا يوم وافى الالمان الى بلاد ما بين النهرين بعد المذابح والسبي خلنا انهم يساعدونا ويكشفون عنا الضيم والضنك ولكنهم لم يستعرفونا قطعاً واصلاً . بل ثووا في بيوتنا وغمضوا عيونهم عن مراصلة المظالم واجراء التعدّي علينا . وكان جل اهتمامهم في مصالحهم الخصوصيه ورفع شان دولتهم وبسط سيطرتهم على جميع الممالك ليس الاّ

ومن ثم فلا حرج علينا ان قلنا ان الله جلت احكامه اورث

المانيا وتركيا معاً عارًا وهبوطاً وخسائر جسيمة هيهات ثم هيهات ان تتلافى فصارتا احدوثة تتناقلها الالسن وتقبّح اعمالهما وامستا تعضّان سنّ الندم على ما فات ولات ساعة ندم . على انه سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وقد جعل عز شأنه لكل شيء حدًّا يُوقف عليه . ومن تجاوز في الاشياء حدها اوشك ان يلحقه التقصير عن بلوغها والمتجاوز الحد والمقصر عنه سيّان بالنسبة اليه لان كليهما زائغ عنه في الحالين جميعاً [كليلة ودمنة ص ٧٧]

فالمانيا تجاوزت حدها في المظالم وقصرت عن منع تركيا حليفتها عن ارتكاب المنكرات والجرائم فألحق بهما الحق جل وعلا عقاب ظلمهما وتعديهما وجعلهما منبوذتين في اعين الممالك والامم

ونختم احتجاجنا هذا بما جاء في الكتاب عن بلشصر لما ظهرت اصابع يد انسان وكتبت تجاه المصباح على كلس حائط قصر الملك « منا تقل فرسين » فتغيرت لذلك سحنة الملك واقلقته افكاره وانحلّت عُقد حقويه واصطكّت ركبتاه . فاستحضر دانيال النبي . فقال له ان الله تعالى آتى نبوكدنصر اباك الملك والعظمة . فلما ترفع قلبه أُنزل عن عرش ملكه وجُعل مع الوحوش وعُلف العشب كالثيران وانت يا بلشصر ابنه مع علمك بكل ذلك لم تضع قلبك بل ترفعت على رب السماء فارسل من كتب هذه الكتابة . ومعناها أحصى الله ملكك وانهاه ووُزنت في الميزان فوُجدتَ ناقصاً فقُسمت مملكتك ودُفعت الى ماداي وفارس [دانيال ص ٥]

الفصل الرابع

اعتداء الاتراك

اعلم ان للحرب شروطاً وقوانين وسنناً لا يجوز الدولة المحاربة او المدافعة ان تتعدّاها او تخالفها . وقد سبق ارباب الممالك المتمدنة فوضعوا مراسيم تعاهدوا على احترامها واشترعوا نظامات للعمل بحسبها تخفيفاً لويلات الحروب وتعديلاً لبلاياهـا فأمسى تخطي تلك الحدود وخرق ذلك النظام مجحفاً بحقوق الدول منافياً الشفقة والحنان مناقضاً للمبادئ الصوابية لا يرضاه الله ولا يقبله انسان . على ان الحرب قبل كلّ شي يجب ان تُحصر بين جيشي الدولتين المتحاربتين فقط فلا تتناول الافراد دع الشيوخ والفتيان والعذارى والنسوان

واول قانون دوليّ للحرب سُن في الولايات المتحدة سنة ١٨٦٣ فكان اقرب العواطف الانسانية واوفق للعمران والمدنية . وعُقد في ١٨ آب ١٨٩٩ مؤتمر دوليّ في لاهاي أُبرمت فيه السنن القويمة وشرعت فيه القوانين المعتدلة وصادق عليها مندوبو اثنتين وعشرين دولة كانت تركيا من جملتها . ويُستخلص من تلك السنن ان جنود الدولتين المتحاربتين هم وحدهم الاعداء فلا يجوز الحاق الاذى بغيرهم ولا التعرّض لحريّتهم . بل تعاهد الدول على حرمة اعراض النساء وعلى اجلال الاديان وصيانة الاهالي . فلا يجوز جرح احـد منهم او تعذيبه او اهانته او معاملته بالقسوة والخشونة فان معاملات كهذه تستلزم انزال العقاب بالجاني عند كل الدول . وزد عليـه ان الحقوق

الشخصية والملكية والادبيـة والصناعية يلزم ان تبقى مستمرّة ثابتة يُعمل بها على كلّ حال طبقاً للمبدا الاساسي « الافراد ليسوا اعداء »

ليت شعري ما قول تركيا في هذه السنن والقوانين اما حسبتها كلها لغواً او حبراً على ورق مذ نشمت في الشر وجاهرت بالظلم والغدر . وتترعت الى الرعايا بالعدوان والمكر . بلى . اما شطّت في الحكم وجارت في القضاء، وسلكت طرقاً خشنة محرّمة وافتعلت افاعيل شنيعة . بلى . أما فتنتها نفسها الامارة وغرّتها الاماني فارتكبت كل محظور وممنوع لا رادع ردعها ولا وازع وزعها . بلى . اما نفت الابرياء وقتلت الاطهار ومثّلت بالنصارى وذبحت الرجال والنساء دلالة على توحشها وبربريتها . بلى . أما عاملت المسيحيين معاملة آثم الجناة من دون ان يتيسر لها البتة ان تثبت عليهم جناية او جريمة واحدة بلى . اما نشرت اجنحة التعدي عـلى المظلومين وحصرتهم في ملزم غدرها وخيانتها وجعلتهم مُقرَنين في اصفاد خبثها ورداءتها . بلى . اما ثبّطتهم عن المدافعـة عن نفوسهم واعراض امرهم الى المراجع الكبرى وحرّجت عليهم المراسلة بالمرّة وسدّت دونهم طرق كلّ احتجاج وافتنّت بالحكايات المموهة الكاذبـة ارواء لظمأها وتشفياً من اعدائها . بلى . بلى . فقد سلبتنا تركيا خلافاً للعدل جميع حقوقنا واستباحت أعراضنا واستحلّت دماءنا وسلبتنا اموالنـا واملاكنا واستحوذت عـلى كنائسنا وأديرتنا . وساقت رجالنا ونساءنا يحفّ بهم جنود اوغاد خالعو العذار عرّضوهم للاهانات والعار . وطوبى لنا لو اكتفت تركيا بذلك ولم تمد يدها الاثيمة الى التمثيل بنـا

واهدار دمائنا واذاقتنا الموت الاحمر . على انك ايها القارئ النجيب المهجة اذا طالعت اخبار اعصار الجاهلية والهمجية يوم لم تك شريعة ولا كتاب ولا آمر ولا ناصح ولا واعظ ولا زاجر وقابلتها مع حوادث عصرنا المنوَّر ألفيت بينها بوناً شاسعاً وفرقاً عظيماً ولست تغالي ان قلت ان تلك العصور بالنسبة الى هذا الزمان كالنور بالنسبة الى الظلمة والتمدّن الى الهمجية

فقد تفننت تركيا بادئ بدء في ايجاد الذرائع واستنباط الحيل لتظهر على النصارى وتثأر منهم واتصلت الى ما لم يتصل اليه الابالسة على كثرة خبثهم وشديد دهائهم فادّعت اولاً ان عند النصارى اسلحة ومدافع ثانياً ان لهم معاطاة ومخابرات مع الدول المقاومة لها والمحاربتها . ثالثاً . ان للنصارى جمعيات سرية تحاول سلب حقوق تركيا والاستيلاء على مملكتها . لعمري ما الذبابة وما مرقتها ؟ فمدّعيات تركيا بأسرها اختلاق محض وافك صراح وبهتان ظاهر . وكان الحري بها ان تقول جهرةً اني متنمرة للانتقام منكم يانصارى متحفزة لحسو دمائكم على الرغم من مراعفكم

فالمسيحيون اولاً لدى سماعهم المنادي ينادي بوجوب دفع الاسلحة الى المحكمة جمعوا ما كان عندهم من البنادق مما لا يحلو بطائل وسلموها الى اولياء الامر بخاطر طيب . غير ان الحكومة بعد ذلك كله أصرّت على طلب الاسلحة كانها تريد من النصارى ان يخلقوا اوَ يخترعوا لها اسلحة . ولكن نيتها كانت شريرة لئيمة اذ لم تك ترنو الى السلاح بل الى الدماء . وكان علّام الغيوب وحده يعلم سرها ونجواها . فما اكتفت الحكومة بأخذ السلاح بل اشتدّت

غفلة على الكنائس وحفرت القبور والارماس ودكّت المذابح وقوّضتها وفتشت تفتيشاً بليغاً في غرف الاساقفة والكهنة والوجهاء . ولم تعثر على شيء مما توهمت

ثانياً : ان اغلب مسيحيي ما بين النهرين إلم نقل كلهم يجهلون لغة الاجانب وبالكاد يعرفون القراءة البسيطة . فأنّى يتيسر لهم والحالة هذه ان يخابروا الدول . بل كيف يمكنهم ان يراسلوهم والطرق مقطوعة والرسائل تُبعث مفتوحة

ثالثاً : اما الجمعيات السرية او الاخويات التقوية [1] ومن جملتها الجمعية الفداوية الارمنية فلم يك لها في بلاد ما بين النهرين سوى الاسم فقط وان وُجد فيها بعض الاشخاص فان المسلمين كانوا مـا

---

(١) من الغرائب ان اولي الامر في بلاد تركيا جماء استقصوا في البحث عن جمعيات النصارى واخوياتهم وهم يعرفون معرفة تامة ان تلك الجمعيات او الاخويات ما انتظمت الا اعمال الخير وايتاء ذي القربى كاغاثة الفقير ومساعدة اليتيم ومعالجة المريض وحضانة اللقيط او المثابرة في صالح الاعمال والغيرة على نشر الايمان المقدس واذاعة بعض العبادات التقوية . من ذلك جمعية مار منصور الذائعة الشهرة واخوية الارمن بدير بزمار بلبنان . واخويات دم الفادي والقربان الاقدس ودرب الصليب والموتة الصالحة والحبل الطاهر وسيدة بمباي والوردية وهلم جرّاً . وقد اطلع على اسرار هذه الاخويات ومقاصدها جميع من عاشر المسيحيين ولاسيما الشبان المسلمون الذين تلقوا العلوم في مدارسهم . فكيف افضى التعصب واللوم بارباب الحكومة التركية واقطابها الى القاء القبض على رؤساء تلك الجمعيات وعلى المنتمين اليها . بل كيف سوّغت لهم نفوسهم ان يهددوهم ويسجنوهم ويعذبوهم ويذبحوهم لعمري ليس الفتى من شغب او تعصب او ضرب بالسيف والسكين . كلا . بل الفتى من جعل الحق والصواب ازاءه والباطل والتحريض وراءه واحسن الى البائس والمسكين . واقرّ بالمعروف والاحسان . فتأمل

بينهم يطلعون على ما يحدث ويقال مما لا يمس حقوق الحكومة بتة بناء عليه نقول ان المسلمين لم يجدوا لنا ذنباً ليُلحقوا بنا العار ويُنزلوا بنا النكال ويفتكوا بأرواحنا سوى كوننا مسيحيين فقط. وان قال قائل ان المسيحيين كانوا يكيدون المكايد للحكومة بدسائسهم قلنا ان يد الحكومة كانت طويلة ايضاً يسهل عليها محاكمة المجرمين ان وُجدوا ومعاقبتهم ان أُثبت عليهم ذنب . والا فلا حق لها ان تعاقب البريء كالمجرم والظالم كالمظلوم فهي هي المسؤولة عما ارادت بقتلنا وفيما أبطلت وأباحت دمنا

واذكر ايها القارىء انه كما اشترك في مذابح اطنه سنة ١٩٠٩ جواد بك واليها ورمزي باشا القومندان وناصيف متصرف جبل بركات بدسائس عبد الحميد كما تشير الى ذلك الاوراق الرسمية والقضائية هكذا قل في مذابح ولاية دياربكر التي اشترك فيها رشيد الوالي وبدري متصرف ماردين وتوفيق بك الياور وممدوح قومسير دياربكر بدسائس أنور وطلعت ومن نحا نحوهما حتى قلبوا الولاية ظهراً لبطن وملأوها سبياً ونهباً وأوسعوها حرقاً وهدماً وأوعبوها ذبحاً وقتلاً . قال ميخائيل رستم

ياهل ترى والعصر عصر تمدنٍ كيف استحلَّ الترك قتل الارمنِ
ألغيرة في الدين عند المؤمن ام كان اكراماً لذاك المفتن

بناء عليه نقول ان تركيا ما انزلت بنا المظالم وما ارتكبت الجرائم الا لاننا نصارى مسيحيون لا ذنب لنا قطعاً واصلاً . فلاجل الدين المسيحي المحبوب عُذبنا ولاجله ذُبحنا ولاجله استيق رجالنا ونساؤنا ولاجله مُتنا اشنع الموتات فالله العادل بيننا وبينها . ترى اي عاقل لا

يتأفف من هذه المعاملات ويستنكف هـذه الجرائم · اصبر يا صاح اصبر حتى يحكم الله تعالى وهو خير الحاكمين · فانه سبحانه لو يعجل للناس الشرّ استعجالهم بالخير لقضي اليهم أَجلهم

الفصل الخامس

ماردين والحرب المشؤوم

تلقت حكومة ماردين اوامر الحرب متهللة لها مرحبة بهـا · عاقدة الامال بنيل المنى ممتطيةً صهوة الحبور والهناء · وهبّت ناشطة من فورها لحشد الجنود وتعبئة الجيوش غير مكترثة للسنّ والقد والكفاءة · فكنت ترى الناس في اضطراب ووجل شديد · وحيرة عظيمة · لا يدرون كيف يتملصون من جفاء الحكومة وقسوتها · على ان الجنود منذ اعلان الحرب طفقوا يحملون على الدور ويخوضون الكنائس يشوّشون الضمائر ويرعبون الافئدة ويُلقون القبض على الشبان ويسوقونهم الى دار الحكومة فلا يبيتون ليلتهم حتى يضطرّوهم الى الرحيل الى نواحي دياربكر وبتليس ووان وخربوط وارضروم دون تربث وجعبتهم خاليـة من الزاد وأبدانهم معرّاة · كأنّ الماردينيين اخذوا على عهدتهم المدافعة عن تلك البلاد القاصية وانّ عليهم المعوّل في مسئلة خلاصها من هجمات الاعداء · وتأتى من ذلك ان قوماً من اولئك الجنود الحديثين خاطروا بحياتهم وانهزموا تحت الليل وقفلوا راجعين الى بيوتهم ولزموها لا يجسرون ان يخطوا خطوة خارجاً عنها لئلا يُقبض عليهم تكراراً ويساقوا الى حيث انهزموا ودامت الحال

كذلك حتى بان الأنس وارتحل السرور عن المسيحيين وتفتحت عليهم أَبواب العدوان. فاحتجب قوم عن العيان وانهزم غيرهم الى جبل سنجار حرصاً على أَرواجهم وضناً براحتهم

اما الحكومة فانصاعت تطلب المساعدات المالية من طائفة فطائفة لا ترعى في ذلك للعدل والانصاف حرمةً فضربت الضرائب على عامّة الناس وألجأتهم ان يُمدّوا الذخائر للجنود ويهيئوا الاعدال والجوالق المنقل ويدفعوا المبالغ لمشترى البغال والحمير والجحاش . وفدحوا المسيحيين خاصةً بالمؤن الباهظة والكلف المجحفة وزادوا عليها توابع ونوافل مما يطول شرحه، فكانوا يؤدّونها دَيناً او هيناً دون تبرّم . فكانت تُحشَد تلك المؤن وتخزن او ترسل الى البلاد فتهطل عليها الامطار وتلحقها الرطوبة فتفسد او يتسلط عليها الضباط الامناء فيتصرفون بها كما يهوون في حين لم يكن يعلق بيد العسكر خبز يومهم فكانوا يموتون جوعاً او ينهزمون ناجين بارواحهم . ولجّت الحكومة في الطلب وتمادت في الاعتساف اشباعاً لمطامعها حتى ضيَّعت حقوق العباد وكأني بكل من اعضائها يقول اذ ذاك اني اشكر لحكومتي شكراً جزيلاً على وصولي الى هذا اليوم الميمون السعيد فقد كنتُ مشرئباً اليه بكل قلبي ولبّي لابرّد غليلي وانفض فقري واصبح متقلباً في ارغد المعيشة متمتعاً ببواعث المسرة والهناء . على ان ما يصيبني شهرياً لقاء خدمتي لا يكاد يكفي لغذائي وحدي فكيف الامر وعندي من الاولاد والنساء والجواري كذا وكذا . . .

ولا يتيسر لنا ان نستقصي كل ما أنزل بالمسيحيين في بدء الامر من الجرائم العظمى والجنايات الكبرى استنزافاً للاموال وما لحقهم

فيما بعد من الاضرار والخسائر والمساوئ . فان اولي الحل والعقد بل جميع المسلمين دون استثناء كمنوا الحقد والبغض للمسيحيين منذ عام ١٨٩٥ وكانوا يسترون عنهم مضمرات أحقادهم وضغائنهم ويتحينون الفرص لينتقموا منهم . ولما شعروا بان للحكومة نية في انزال النكال بالنصارى سرّت نفوسهم الخبيثة وطووا على ذلك كشحهم يترقبون الفرصة لنيل مآربهم حتى بدء صيف ١٩١٥ فاشتد حينئذٍ انفجار شرهم وأحدّوا شفار خبثهم ونزلوا باجمعهم الى ميدان المظالم . فغربت شموس ملائكة الرحمة وذرّت قرون شياطين النقمة وادلعت السنتها النجسة ودفعتهم الى ارتكاب كل ما حرّمه الله حتى صحّ فيهم قول القائل

قومٌ اذا الشرّ أبدى ناجذَيه لهم   طاروا اليه زرافاتٍ ووحدانا

فخرجوا عن جادة الهداية ولزموا الشر والرداءة وبالغوا في اضرار الرعايا وتبضضوا خاصة حقوق النصارى واغتصبوا املاكهم ودكاكينهم ومخازنهم وجعلوها لسكنى الجنود وادّخار المؤن وحشد الامتعة العسكرية . فعظم الخطب وليس من مُعين وتتابع الشقاء وليس من مغيث غير الواحد القهّار المالك رقاب العباد وهو القائل « لا تنتقموا لانفسكم . لانه قد كتب لي الانتقام انا اجازي يقول الربّ . فان جاع عدوك فأطعمه وان عطش فاسقه فانك بفعلك هذا تركم على هامته جمر نار [روم ١٢] فيحترق في دنياه قبل اخراه

الهي ان هولاء قد جاروا على العباد وظلموهم وهضموا حقوقهم وغبنوهم . وانت الحاكم العدل المنصف المحاسب على كل عمل صالحاً او طالحاً الا أغلظ عليهم وعاقبهم وهضهم فقد هضونا وبخسوا اشياءنا

ونقضوا الأَيْمان بعد توكيدها . والذين ينقضون عهدك .. ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار [سورة الرعد]

الفصل السادس

اعتكاف القسان الكاثليك ومطرانيهم . اعلان الحرب . حشد الجنود وبثتهم من ٣ الى ١٠ آب

اننا منذ اشهار هذه الحرب اخذنا نكتب يومياً ما يجري في ماردين وضواحيها من الوقائع وما يرد اليها من الاوامر على قدر ما تسمح لنا الظروف . وكنا نظن أن حرباً طاحنة كهذه لا يمكن ان تستغرق مدتها الا بضع اشهر . فخاب ظننا وأخفق أملنا لاننا رأينا وسمعنا ما لم يكن يدور في مخيلتنا ابداً

في سابع عشر تموز يمّم ماردين الاب اندراوس يوستنياني اليسوعي مع الراهب عبد المسيح اشبع الارديني . فطلب اليه في ٢٩ تموز السيد اغناطيوس مالويان والسيد جبرائيل تبوني ان يلقي عليهما وعلى قسّانهما مواعظ الرياضة في كنيسة الاباء الكبوشيين . فاجاب الاب يوستنياني الى طلبهما بترحاب وحبور واجتمع في الكنيسة المذكورة كهنة الكاثليك جميعاً وجعل الاب اليسوعي ينثر عليهم لآلىء كلامه وجواهر نصائحه[1]

وبلغنا مساء الاثنين ثالث آب ان النمسا أَعلنت الحرب بالاشتراك

(١) كأن ذلك كان تأهباً لخوض غمرات العذاب واستعدادا للرحيل من دار الشقاء والفناء الى دار الغبطة والبقاء

مع المانيا على روسيا وفرنسا وانكلترا . ويوم الثلاثا رابع آب نشم شفيق بك متصرف ماردين يحشد الجنود والعساكر فاجتمع في ذلك اليوم قريب ثلاثمائة شخص دقّت لهم الطبول ورُفعت امامهم الرايات من مقام الحكومة الى باب المشكية وهم ينادون ويزأطون ويضجون ويعجون وكانت الامهات راكضات وراءهم يعولن ويبكين عليهم فشمل الرعب والهلع جميع القلوب من نصارى ومسلمين . وليلة الاربعاء خامس آب خرجت قافلة ثانية من باب المشكية كان عددها مائة وكسورًا من مسلمين ونصارى وتوجهوا الى دياربكر بعد ما قضوا في القلعة ليلتين . وليلة الخميس سادس آب خرج قافلتان اخريان احداهما من الباب الشرقي والثانية من الباب الغربي بلغ عددهما مائتين وخمسين واحدا اغلبهم اكراد . وسار جماعة من الجند والضباط الى راس العين وتل ارمن فاستاقوا عددًا صالحًا من المسيحيين شبانًا وشيوخًا ومضوا بهم الى المحكمة ثم بعثوا منهم الى دياربكر ومنهم الى وان

ويوم الجمعة سابع آب ساقوا جماعة من الاكراد والمسلمين والنصارى الى دياربكر دون زاد ولا قوت وامرهم المتصرف ان يحملوا معهم ما يكفيهم من الغذاء مدة خمسة ايام . فسار منهم تقديرًا مائة راجل حفاة جياعًا

ويوم السبت ثامن اب اذ كان الجند محشورين في القلعة سُمعت صيحة بعد الغروب مفادها ان قد ورد خبر من العاصمة ينبي، باتفاق الدول وانتهاء الحرب . فشمل الفرح افئدة الاهالي وجعلوا يُطلقون المسدسات والبواريد وهم فرحون مسرورون . فخاف المتصرف وتبادر الى

ظنه ان المسلمين متحفزون للشغب او للفتك بالنصارى · فاوفد من ساعته المنادي ينادي ليلًا ويقول « لا صحة للصلح » بل يجب ان يواصل ارسال العسكر الى الحرب · ومن ثم ففرح دقائق قليلة تبعه غم جديد وحزن شديد · وسيّر المتصرف في تلك الليلة عينها الى دياربكر بضعاً ومائتي شخص من المسلمين لم يك بينهم سوى نصراني واحد

ويوم الاحد تاسع آب اقبل جمهور من رجال الصور يريدون ان يدفعوا ذهباً لقاء التجنيد فقال لهم الحاكم ان الاوامر التي وردتني تنطق بقبول البدل من النصارى لا من المسلمين · فالتمسوا منه ان يراجع العاصمة في ذلك فاستحصل لهم الامر بقبول البدل منهم ايضاً ولو مسلمين · فادّى ذلك بجمهور من المسيحيين الى ان نزعوا حلي نسائهم وباعوها ودفعوا المبلغ لقاء البدل ليتخلصوا من ويلات التجند وسار في هذه الليلة الى دياربكر زهاء مائة وخمسين شخصاً ·وكان مذ ذاك يجتمع ليلًا في دار الحكومة عند الحاكم والقومندان العسكري وكلاء الطوائف المسيحيــة من ارمن وسريان ويعاقبة وكلدان وبروتستنت[1] يكتبون اسماء من هو داخــل في السن الجندية من

(١) كان الورتبيد اوهنبس وكيلاً للارمن والخوري رافائيل بردعاني السريان الكاثليك والخوري عيسى للكلدان والقس الياس دولباني للسريان القديم والاسقف جرجس للبرتستان وتكبدوا اتعاباً ومشقات وافرة في سبيل جماعتهم اذ كانوا يختلفون الى المحكمة ليلاً ويستخرجون اعمار الرجال في دفاترهم ويقابلونها مع دفاتر الحكومة . وكان الخوري روفائيل دون غيره يرد اعتراضات المأمورين بسديد الاجوبة مما حملهم ان يحنقوا عليــه ويضمروا له الكيد والسوء في قلوبهم

العشرين الى الخامسة والاربعين . وطفق الجند يطوفون بيوت التجار ويختمون صناديق السمن ويجهزونها لمؤنة العسكر فكان الخوف والقلق يزداد شيئاً فشيئاً

ويوم الاثنين عاشر اب اقبلت شرذمة من الجند الى ماردين في عدد غفير من الاكراد والنصارى القاطنين في القرى المجاورة موثقين بالحبال . ومضوا بهم توًّا الى القلعة . وعند فحمة الليل قسموهم قافلتين سيّروهما من باب الشكية الواحدة تلو الاخرى . وخرجت بعدهما قوافل ثلاث من باب الصور الى جهة وان بلغ المجموع اربعمائة رجل وكسوراً . وكانت الامور تشتد وتتصعب رويداً رويداً . فقصد مطران الارمن ومطران السريان حاكم البلد وسألاه ان يغمض عن البالغين السن الاربعين والخامسة والاربعين ويراجع في ذلك الباب العالي . فاجابهما اني مضطر ان أنجز بالتمام جميع الاوامر التي تردني وفي تلك الليلة نادى المنادي يقول يلزم كل من عمره ثلاثين فما فوق ان يشخص الى المحكمة ويدوّن اسمه . فتأتى من ذلك ان المخاوف ازدادت والاضطرابات تفاقمت . وجعل الناس طرّاً يجأرون الى الله ليصرف عنهم المكاره ويطفىء نيران الشحناء . ويرجع الهدو والطمأنينة الى عموم البشر

الفصل السابع

مواصلة جمع العسكر وسوقهم . تجديد تذاكر النفوس انهزام الالمان من راس العين من ١١ ـــ ٢٠ آب

ويوم الثلاثا ١١ آب نادى المنادي انه يلزم من شاء دفع البدل

العسكري ان يستعجل اليوم في دفعه دون تريث والا سيق كسائر زملائه · فدفع كثيرٌ من النصارى ثلاثاً واربعين ليرة ولزموا اشغالهم اما الباقون فسار منهم طائفة الى آمد وطائفة الى مذيات بلغ عددهم زهاء مائتين في جملتهم ثلاثون من النصارى

ويوم الاربعا ١٢ آب وردت الأوامر من العاصمة ناطقة بان يؤجل من كان عمره فوق الثلاثين · غير ان حاكم البلد صرَّح بانه يقبل البدل العسكري مدة اربعة ايام ايضاً · وبعد ذلك يختم الدفتر ويلغى الانعام · ووفدت اليه الاوامر ان يسيّر العسكر الى بغداد والبصرة لان ما احتشد من العسكر في دياربكر بلغ حد الكثرة · وفي هذه الليلة استاق الجنود من ماردين بضعاً واربعين بغلاً حاملة اسلحة وبارودًا · وسيق عند نصف الليل الى دياربكر قافلتان من العسكر بلغ مجموعها مائتين وكسورًا واستحوذت الحكومة على كثير من دوابّ الاهالي بعثت بها الى دياربكر · وبلغنا ان ألمانيا ظفرت بالفيلق السابع الفرنساوي · اما اهالي باجنه بطورعبدين فنادوا بالعصيان والتمرّد على الحكومة وآلوا على نفوسهم ان لا ينضمّ احد منهم الى السلك العسكري · فارسلت حكومة ماردين شحنة لتخضعهم للاوامر وتعاقبهم

ويوم الخميس ١٣ اب اذاعوا في ماردين ان االمانيا قهرت فرنسا وتغلبت عليها · وعند الليل سار الى ويران شهر شرذمتان من الخيالة الحميدية زادتا على المائتين · اما من صاروا الى دياربكر فكانوا فيها حتى نهاية رمضان · وأوفد سكان طورعبدين الى قائمقام مذيات انهم متأهبون للانضمام في السلك الجندي بشرط ان يدفع لهم

ما يفتقرون اليه من البواريد والاسلحة فيتكفلون هم بما يلزمهم من الكسوة والقوت . وكان الجنود يطوفون الاسواق السيوف في أوساطهم والمخاصر في أياديهم ويكتبون اموال التجار ويقولون لهم انهم لن ياخذوا منهم الا عشرين في المائة لا غير وانهم سيوصلون الباقي الى ذويه

ويوم الجمعة ١٤ آب كان الجنود كأمس يجولون في الاسواق ويأخذون ما وافقهم وطاب لهم . ووردتنا الجرائد بان الحرب أمست عمومية وانّ حكومتنا ستعلن الحرب على روسيا . وصباح السبت عيد انتقال العذراء عليها السلام نادى المنادي في البلد ان الشبان المرضى والمزوجين بالنساء اليتامى والطاعنين في السن معفون من التجند فسرّ الاهالي نوعاً . وفي تلك الليلة خرجت قافلتان احداهما الى آمد والاخرى الى بغداد زاد مجموعهما على المائتين والخمسين . وقرأنا في الجرائد ان الانكليز والفرنسيس انتصروا على الالمان والنمساويين في البحر والجو وان الروس غلبوا الالمان في البرّ

ويوم الاحد ١٦ آب أطلقت الحرية التامة للضباط والجنود ان يغادوا الاسواق ويراوحوها ويضربوا من يجدونه ويجبروه ان يشخص الى دار الحكومة ليستحصلوا منه امتعة واثاثاً ومواشي وسمناً للعسكر فشقّ عليهم ذلك جداً وشملهم الفزع وكان قومٌ من المسلمين يسلقون الضباط بالسنة حداد ويخزونهم بالسنة اللوم والعتاب . وعند الليل خرجت قافلة من المسلمين والنصارى الى دياربكر تبعتهم النساء باكيات منتحبات . وسارت قافلة ثانية الى ويران شهر بلغ مجموع كلتيهما مائة وثمانين نفساً . وبلغنا ان ولاة آطنه والبصرة

ودياربكر عُزلوا وعُين غيرهم . اما السريان المنفصلون فاوفدوا في طلب المطران الياس هلولي من دير الزعفران وولوه شؤونهم بدل المطران جرجس الشيخ . فقصد المطران الياس السيد اغناطيوس مالويان مطران الارمن يريد الاتفاق معه في كل ما يعود على طائفته بالنفع

ويوم الاثنين ١٧ آب عُلقت الاعلانات في الاسواق والكنائس تنطق بوجوب استكتاب كل من كان عمره من الثلاثين الى السنّ الخامسة والاربعين لينضموا جميعاً الى السلك العسكري . وضربوا ثمانية ايام مهلةً لمن شاء دفع ثلاث واربعين ليرة ذهباً . فكانت الوجوه كاسفة والقلوب كئيبة والرعبة شاملة الجميع . وعند الليل توجه كثير من الرجال الى دار الحكومة ليكتتبوا فأرجأهم الحاكم الى الغد وبلغهم ان يبدّلوا تذاكر نفوسهم واضطرّهم ان يجددوها . غير ان المامورين كتبوها كلها « خرستيان » فقط ولم يسعهم ان يذكروا طائفة كل فرد منهم . وكانت تلك حيلة من حيل الترك ظهرت فيما بعد حقيقتها لما أصلتوا سيوف غضبهم وأوضحوا مكنونات قلبهم واستاقوا وقتلوا السريان والارمن والكلدان معاً . وفي هذا اليوم سيّرت الحكومة الى آمد قريب مائة واربعين بعيراً موسقة أسلحة وبواريد

ويوم الثلاثا ١٨ آب سار جمهور المسيحيين للاكتتاب فصرفهم الحاكم الى الغد . وبعد الغروب خرجت قافلتان قصدت احداهما دياربكر والاخرى الموصل بالغ مجموعهما زهاء مائتين . وتوجه رجال نصيبين الى مذيات وقصدوا رئيس العسكر ليكتتبوا فانتقى منهم ثلاثين شخصاً وردّ البقية الى بلدهم . ولم توافنا اليوم اخبار من

سوريا للاطلاع على ما يجري في حومة الوغى ببلاد اوربا فكانت الامور معمسة والاحوال تتوتر وتتصعب يوماً فيوماً

ويوم الاربعاء ١٩ آب سار الجند في اربعين جملاً الى آمد وعند الغروب توجه الى ويرانشهر نحو اربعين من الخيالة . وعند الليل سيق قريب خمسين من الرجالة الى آمد . وقصد وجهاء المسيحيين دار الحكومة ليكتبوا اسماءهم بغية ان يستمروا في البلد لحراسته طبقاً للأوامر الصادرة من العاصمة . فامرهم المتصرف ان يوافوا اليه يومياً معلنين باستعدادهم وتأهبهم لتنفيذ تلك الاوامر . وفي فجر الخميس ٢٠ آب توجهت قافلة من الجنود بلغت نيفاً ومائتي رجل الى بغداد والبصرة . وبلغنا ان قد احترقت اسواق دياربكر . وكان في راس العين نحو ثلاثين من الالمان شخصوا الى حلب فالعاصمة ولما ركبوا البحر الى المانيا قبض عليهم فيما قيل جنود الانكليز ولم يبقَ في راس العين سوى الماني واحد جمع ما عنده من البواريد والمدافع وأطلق فيها النيران فاحترقت . وهجم قوم من الجراكسة [الجاجان] وكبسوا راس العين واختلسوا شيئاً كثيراً من اسلحة اولئك الالمان ساعدتهم فيما بعد على قتل المسيحيين كما سترى. وكان الرجال البالغون الاربعين فما فوق يواصلون الذهاب يومياً الى المحكمة دلالةً على تأهبهم لقبول ما يتجدد من الاوامر . ورأينا في الساعة الاولى من الليل كأن شهاباً نارياً انبثق من احد الكواكب في الجهة الغربية الشمالية واندلع لسانه الى الناحية الشرقية الجنوبية

الفصل الثامن

حرق سوق دياربكر • وفاة الحبر الاعظم • عيد رمضان
نكبة ويران شهر • العسكر بدياربكر من ٢١ ـ ٣١ اب

ويوم الجمعة ٢١ اب بلغنا ان قد التهمت النيران بدياربكر الفاً وخمسمائة وثمانية وسبعين دكاناً ومخزناً كلها للنصارى وكانت تتضمن اموالاً وبضائع شتى • وحدث ذلك بدهاء الوالي وزملائه من نصف ليلة ١٩ اب الى ٢١ منه اي مدة ثلاثة ايام بلياليها حتى امست كلها خراباً يباباً • ولحق المسيحيين من جرى ذلك خسائر باهظة • واستحوذ قوم من المسلمين والجنود على نصيب وافر من تلك الاموال والبضائع فكتب النصارى الى المراجع العالية في العاصمة يطلبون معاقبة الجناة فلم يُعرهم احد أُذناً صاغية

وقبل العصر كسفت الشمس وخيَّمت الظلمة مدة سبعين دقيقة على البلد وضواحيه فأبصرنا النجوم في كبد السماء • وجاء في السلك البرقيّ عند ذلك ان قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر قد فاضت روحه بيد خالقها

ويوم السبت ٢٢ آب سار الرؤساء الروحيون الى دار الحكومة وهنأوا المتصرّف بعيد رمضان فأفادهم ان الالمان قهروا الفرنسيس وتغلبوا على بلادهم ولعلهم عمَّا قليل يصلون الى باريس عاصمتهم ويدوخونها • وتوجه اليوم الى ويرانشهر تقديراً عشرين من الخيالة غير ان المسلمين قضوا عيدهم حزانى مرتعبين

ويوم الاحد ٢٣ آب لم ترسل الحكومة احداً من الجنود الى

دياربكر كرماناً للعيد · غير ان عشرة جنود ساروا الى المعدن في استحضار ملابس وثياب المعسكر · وشددت الحكومة على البالغين الخامسة والاربعين وتهددت كل من لا يكتب اسمه بالقتل والشنق والنفي · ويوم الاثنين ٢٤ اب ارسلت الحكومة نيفاً ومائة بعير الى نواحي الموصل · وطاف الجنود في الاسواق تكرارا واستلبوا من التجار اثواب صوف وأمتعة شتى لكسوة الجنود

ويوم الثلاثا ٢٥ اب اوفدت الحكومة مائة بعير بنيف موسقة اسلحة وامتعة وثياباً الى دياربكر جمعها الضباط من تجار ماردين المسلمين والنصارى · وعند الغروب سار الى نواحي الموصل ثلاثمائة وخمسون رجلاً من العسكر قيل انهم يريدون طورعبدين ليقاتلوا علي بطي الذي تمرد على الحكومة وخرج عن طاعتها هو ورجاله البالغون سبعمائة مقاتل

ويوم الاربعا ٢٦ اب سار الى وان اربعمائة من الجند تقديراً · وأُطلق سراح البالغين ٤٥ سنة · وعند الغروب شاهدنا عدداً غفيرا من الرجال والنساء حاملات اطفالهنّ قادمين من ويرانشهر الى ماردين حفاة هلكى من التعب وكان عددهم نيفاً ومائتي نفس اجبرهم قائممقام بلدهم على ان يشخصوا الى ماردين ليدونوا اسماءهم في دفتر الحكومة كأن اشغاله الكثيرة حرسه الله لم تسمح له ان يدوّن اسماءهم في مركزهم ويبعثها الى حكومة ماردين لترقمها في دفترها المضبوط · يا لله ما هذا الظلم والتعدي · وما هذا الخبث والغدر · علامَ يحصر المنافق الصديق فيبرز الحكم عليه معوجاً [حبقوق ١ : ٤] ولكن تمهل فان اول الرقص حنجلة واول الشجرة النواة · فشخص

والحالة هذه هولاء المساكين الى ماردين وتركوا بيوتهم ودكاكينهم هدفًا لسهام الخصوم وكانت الدموع تسيل على خديهم يندبون حالهم ويذرون التراب على هامهم ويطلبون النقمة لاعدائهم والنجاة من براثنهم . وبعد ان كتبوا اسماءهم أمروهم بالعودة الى وطنهم

ويوم الخميس ٢٧ آب جاءتنا الاخبار من دياربكر مفادها ان غير المتخرجين في الجندية ممن بلغوا الثلاثين فما فوق معفون من التجند . غير ان شفيقاً المتصرف اخفى تلك الاوامر وواصل يحشد العسكر ويرسلهم الى نواحي وان . وسمعنا ان تركيا مصممة ان تحارب دول البلقان لتسترجع املاكها واراضيها . ويوم الجمعة ٢٨ آب اخذ العسكر يعودون من دياربكر عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين . وكانوا يقولون ان قد تكاثر العسكر بديابكر وان جميع الذين أُرسلوا الى تلك النواحي سيعودون الى ماردين . وشخص اليوم ايضا من ويرانشهر قريب سبعين رجلًا ليكتتبوا طبقاً لاوامر القائمقام . وكتب الورتبيت اسهاك وكيل الارمن بويرانشهر ان لم يبق فيها سوى طائفة من النساء زهيدة مما دعاه الى القلق والرعب معا . واذاع رجال الحكومة ان جميع الذين قدموا من دياربكر سيساقون بعد ايام معدودة الى نواحي وان . وكان المسلمون يجتمعون كل يوم في الجوامع يدعون ويبتهلون في شأن المانيا لتحوز الظفر والغلبة على اعدائها . واذاعوا انها قد نادت بالاسلامية في بلادها واخذت على عهدتها المحاماة عن المسلمين والذود عن حقوقهم والاقتصاص ممن يناويهم

وصبيحة السبت ٢٩ آب اقبلت من دياربكر شرذمة من الاكراد

والمسلمين ممن ناهزوا الثلاثين فما فوق وافادوا الاهالي عما احاق بهم من الضيق والعنف والعذاب اذ كانوا يتوسدون الحجار ويفترشون الارض ويأكلون ما تعفن وفسد من الخبز دون ادام · فتاتى من ذلك ان العدوى شملت قوماً منهم فقضوا ضحية الجوع والعري والضيق ويوم الاحد ٣٠ اب وُجد في ماردين نحو ثمانمائة كردي قضوا ليلتهم في مقبرة المسلمين عند الميدان ثم جعلوا يرسلونهم الى دياربكر ووان طبَقاً بعد طبق · فينهزمون الى قراهم · واقبل اليوم من دياربكر خمسون بعيراً موسقة اسلحة للعسكر الحميدي · وكان الحاكم مشغولاً بكتابة الرجال والنساء ياخذ من كل نفر اربعة قروش ويدفع له تذكرة نفوسه « خرستيان » ؟

الفصل التاسع

اختلاس الدكاكين . سفر المتصرف . الدكتور لويس مركيزي · كبس الكنائس والبيوت . تتل جابل كوكه من ١ - ١٥ ايلول

ويوم الثلاثا اول ايلول كان الجند يواصلون عملهم جائلين في الاسواق يخطفون السكر والبن والامتعة والاحذية وغير ذلك مما يلزم العسكر · وسار في هذا اليوم قافلتان الى وان بلغ مجموعها اربعمائة شخص ونيفاً وفي ثاني ايلول وصل الى ماردين سربة من البغال والجمال موسقة اسلحة فأودعت القلعة · وقصد اولو الامر في ثالث ايلول النساء المثريات يطلبون منهن اسعافاً للجند فأسنين لهم مبلغا وافراً طوعا او كرها · وفي رابع ايلول عاد الى ماردين قوم

من الجند ممن بلغت اعمارهم الثلاثين فا فوق ورووا لنا ما حصل بدياربكر من الضيق والجوع والمرض والموت بعد الحريق الهائل وطاف الضباط ايضا في الاسواق واختطفوا ملحا وسكرا وامتعة وحبالا ومسامير وحديدا الى غير ذلك مما يفتقر اليه العسكر ورؤساؤهم معا

ويوم السبت خامس ايلول بلغنا ان الفرنسيس والانكليز والروس عقدوا مؤتمرا في لندن اجمعوا فيه ان لا ينكفوا عن المحاربة الا معا وفي وقت واحد · ويوم الاحد سادس ايلول كان الجنود الحميديون يطوفون في البلد متبخترين ياخذون من الدكاكين ما طاب لهم · وعاد من دياربكر طائفة من البغال والجحاش حاملة الاسلحة وساروا بها الى نواحي وان· ويوم الاثنين سابع ايلول سافر شفيق المتصرف الى دياربكر ونصب خليل اديب رئيس الجزاء وكيلا عنه وذاع انه عما قليل يطلق من كان عمره من الثلاثين الى السن الخامسة والعشرين · وفي ثامن ايلول كان الحميدية يختلسون ويخطفون الثمار والفواكه الواردة الى البلد من بساتين النصارى والمسلمين · وعند العصر رأينا قريب مائة وخمسين بغلا متوجهة الى دياربكر يتبعها عشرون جندياً

ويوم الاربعاء تاسع ايلول القى نائب المتصرف جماعةً من الحميدية في السجن ردعاً لهم عن الخوض في البلد واختطاف الاموال والثمار وأوفد منهم قافلة الى وان مع شيء من السلاح بلغ مجموعهم ثمانين رجلا · وسمعنا في عاشر ايلول ان الالمان اجتاحوا فرنسا كلها · وانهم عما قليل يدوخون باريس عاصمتها · وفي هذه الليلة وردت

الاخبار على لسان البرق أنّ تركيا أُعتقت من نير عبودية الفرنج · وامست الحرية مطلقة لها تفعل ما تشاء وتتصرف كيفما تريد وانه يلزم جميع الاهالي ان يفرحوا معها ويُسرّوا لسرورها · وفي الساعة الثانية ليلاً وردت الاوامر من العاصمة ان تحشد العساكر من العشرين الى الخامسة والاربعين · وسير نائب المتصرف اذ ذاك نحو مائتين من الخيالة الحميدية الى دياربكر · ويوم الجمعة ١١ ايلول سار الى نواحي وان مائتان وخمسون جندياً وعادت الحكومة تجمع وتحشد الرجال من جديد وتضيّق عليهم حتى افضى الامر بقوم من الحميدية الى الهزيمة · وكانت اخبار روسيا وتركيا تنذر بقرب حلول الموعد للقتال والمعركة · ويوم السبت ١٢ ايلول توجه الى بتليس نحو ألفين وخمسمائة من الخيالة الحميدية وكان معهم من النصارى ثمانون رجلاً منهم يوسف اسطنبولي ورزق الله شادي والدكتور العزيز لويس حنا مركيزي[1] الارمني الكاثليكي الذي درس الطب في كلية الفرنسيس

(١) سار الدكتور لويس بصفة يوزباشي الى بتليس ومعه الحميدية في ضباطهم وصناديقهم وراياتهم وسائر ما يفتقرون اليه من الكسوة والمؤنة . وما وصلوا الى موش حتى التحم القتال بينهم وبين العسكر التركي فانقلب قوم منهم الى ويران شهر وقصدوا راس العين فاخربوا السكة الحديدية واستأنفوا المسير الى بلاد الحجاز واليمن · ثم صار الدكتور والجنود الباقون الى كوبري كوي فباسين فولي بابا . وأعلنت الحكومة التركية اذ ذاك الحرب على روسيا. وكان مقدام الحميدية محمدا علي بك ابن تمر آغا رئيس الكيكية . ولما شارفوا الحدود شد الروس على العسكر التركي وعلى الحميدية وأطلقوا عليهم المدافع فاضطر الكثيرون الى الهزيمة حتى اضمحلت الفرقة بالمرّة في افتتاح سنة ١٩١٥ . اما الدكتور لويس فصار الى ارضروم وواصل يعالج العسكر في المستشفيات مدة ثلاثة اشهر حتى أُصيب هو

ببيروت . وما كاد يمرّ عليه الشهران منذ قدم الى وطنه حتى ارادته الحكومة على ان يلحق العسكر ويصرف جهده في تمريضهم . فسار معهم صاغراً مستودعاً أموره الى العناية الربانية وحراسة الملائكة

ومذ يوم الاحد ١٣ ايلول جعل شبان النصارى ينهزمون من بيوتهم ويلتجئون الى الكنائس والاديرة لئلا يقبض عليهم الضباط

ايضاً بالحمى التيفوئدية . وكان يموت كل يوم على قوله في مستشفيات ارضروم ونواحيها قريب ستة آلاف عسكري وتوفي مائتان واثنان وسبعون طبيبا في نواحي القوقاس

وفي كانون الثاني ١٩١٥ سار لزيارة انور باشا في ارضروم فاثنى على اتعابه ونشطه ليواصل عمله . وكان انور قابضاً المسدس يقتل من شاء من الجنود لأدنى ذنب . وفي سلخ شباط شخص الدكتور الى توقات واقام بها حولاً كاملا . وفي ١٢ كانون الثاني ١٩١٦ اضطرّ الدكتور والجنود الذين معه ان يعودوا القهقرى الى ارزنجان . ثم نصب طبيباً للمنزل العمومي في سوشهر . وظل كذلك الى ٢٢ ايلول ١٩١٧ فأوفد الى نواحي القوقاس وعين طبيباً للتابور الثامن والعشرين من الالاي العاشر والفرقة الخامسة بالفيلق الاول وثابر على عمله حتى سادس شباط ١٩١٨ فقصد نحو كلكوت على اثر شغب حدث بين الجيوش الروسية وواجه ثم القائممقام فردنوسكي قومسير الحكومة البولشفيكية الروسية وافاده ان تركيا ممولة ان تشغل الاراضي التي احتلتها روسيا . فشخص فردنوسكي الى طربزون مقرّ قومندان الروس العام واطلعه على مضمرات الاتراك . اما الدكتور فسار الى كوسه داغي وكان فيها مخزن كبير جدّاً لذخائر الجيوش الروسية تبلغ قيمته مليونين من الليرات فاشترى منه الاتراك ذخائر بمبلغ اثني عشر الف ليرة ذهباً دفعوها فيما بعد ورقاً . ووزع الروس من ذلك المخزن الكبير قمحاً وشميراً على جميع اهالي القرى مدة شهر كامل ليلا ونهارا . وتوجه الطبيب الى بيبورد فالفى فيها خمسين ارمنيا محشورين في الجامع قتلهم الاتراك غيلة ليلة وصوله وبدلوا زيهم وصوروا صورتهم وارسلوها الى البلاد مدعين ان القتلى اتراك والقتلة ارمن

ويستاقوهم . فأفضى الامر بالجند الى ان يهجموا الكنائس طلباً للنصارى . فكبسوا كنيسة مار يوسف للارمن ووقفوا على الباب ينتظرون خروج الرجال لالقاء القبض عليهم . فتأتى من ذلك ان غير واحد من الشبان تأزّروا بازار النساء وخرجوا الى بيوتهم . وصنع الجنود مثل ذلك في كنيسة مار جرجس للارمن وقبضوا على ستة شبان واستاقوهم الى دار الحكومة . فقصد السيد اغناطيوس مالويان وكيل المتصرف واحتجّ على الجند الذين أغاروا على كنيسته وقال له علامَ يقتحم الجند على الكنائس ويلقون الرعب في قلوب العباد . فالجدير بك ان توعز اليهم ليكفوا عن ذلك . على اننا ما قصَّرنا حتى اليوم في تنفيذ اوامر الحكومة . غير ان الوكيل نبذ مدّعى المطران ظهريّاً ولم يحفل به بتّة

ويوم الاثنين رابع عشر ايلول عيد ارتفاع الصليب الكريم كان الضباط والجنود يشدّون على البيوت ليلَ نهار ويقبضون على الشبان فمن رشاهم أفلتوه ومن لم يدفع لهم شيئاً من الذهب وثبوا عليه واخرجوه واستاقوه الى المحكمة وانزلوا به الضرب وارادوه على المسير الى وان وغيرها . وظلّ الجند يجولون في البيوت يوم الثلاثا ايضاً ويسوقون من وجدوا الى مقام الحاكم . وافضت القحة والهمجية بأحدهم اي علي جاويش خفير حي المشكية الى ان قتل شاباً كلدانيّاً اسمه جابيل كوكه فسارع اليه اهله في بكاء وعويل شديد وحماوه ودفنوه وكتبوا الى الوكيل يتظلمون ويطلبون معاقبة علي اللعين الذي ضرب ابن عمجا ايضاً قبل ايام معدودة وكان يهدد ويضرب بقسوة كل نصراني يمرّ بذلك الحيّ . فوعدهم الوكيل

بمعاقبته ولكنه كعادته اخلف وكذب . فتجددت المخاوف واشتدت وطأتها على المسيحيين . لانهم شاهدوا أيَة الحكومة والجنود قد امسوا كاسنان المشط مستوين في الحاق السوء بهم . وعند عصر ذلك اليوم توجه قريب ثمانين شخصاً اغلبهم نصارى الى نواحي وان وسار نحو اربعين رجلاً من مسلمي قباله الى دياربكر . وعلى هذا النمط كانوا يسوقون كل يوم سُلفة فسلفة من النصارى والمسلمين دون توقف .

الفصل العاشر

تتبع القبض على العسكر في البلد والقرى وسوقهم

من ١٩ — ٣٠ ايلول

ويوم الاربعا ١٦ ايلول نادى المنادي في الاهالي ان يلزم البالغين الخامسة والاربعين ان يوافوا الى دار الحكومة ويكتتبوا والا فالحكومة متحفزّة للقبض عليهم ومعاقبتهم وكرّر المنادي مناداته في الغد . فشمل الجميع خوف شديد وجعلوا يبتدرون افواجاً افواجاً الى دار الحكومة ويكتتبون اسماءهم . فجرّدت الحكومة منهم عند الغروب تقديراً مائة راجل الى جهات وان . وخمسين اخرين الى آمد . وعاد من دياربكر في ذاك اليوم ثمانون بغلاً اصيب اغلبها بالداء في الطريق . وفي ثامن عشر ايلول وافى من قلعة المرأة نحو ستين رجلاً رقموا اسماءهم في دفتر اخذ العسكر ووافى لذلك السبب عينه احد عشر شخصاً من تل ارمن . وكانت الحكومة مشغولة بكتابة الاسماء ليلاً وببعثة الاشخاص نهاراً . وفي هذا اليوم توجه

سليم ايليا تبسي في جملة من النصارى الى دياربكر بلغوا ثمانين شخصاً كان منهم من المسلمين مائة وثمانون

وكان اليوم التاسع عشر من ايلول يوماً عصيباً ومرّاً جدّاً سيق فيه شبان النصارى كالغنم الوديعة الى مقام الحاكم فكتب اسماءهم واصدر عند الظهيرة الاوامر الى الجنود فاستاقوهم الى دياربكر قاطبة . وكانت الامهات والزوجات والبنون والبنات يبكون بكاء موجعاً وينوحون نوحاً شجياً . وكان في جملة الذاهبين قوم فقراء معوزون ساروا حفاة جياعاً وتركوا ذويهم في حال ضنك وعيش نكد . وكان كل من الصغار يركض ويعول ويولول ويقول . ابت ابتِ الى اين ترحل والى من ألقيتني ومن يقوم بمعيشتي . مما اثر في القلوب واوجعها جدّاً . وكان عدد النصارى المتوجهين الى آمد نحو مائتي شخص . وودعهم الى العين قرب الفي نسمة من ذويهم وانسبائهم . فساروا والحالة هذه حاملين على ظهورهم اكياساً جعلوا فيها ثيابهم وشيئاً من القوت . وكانت السماء غطاءهم والارض فراشهم ولسان حالهم يقول اللهمّ انقذنا من هذه المظالم واصفع اعداءنا بعصا البوار واخمد لهيب هذه النار واردد لنا الامن والسلام بحولك يا قهار

ويوم الاحد ٢٠ ايلول سار ايضاً الى دياربكر نحو ثلاثمائة من المسيحيين على الصورة المشروحة آنفاً فبلغت القلوب الحناجر وذبلت العيون من شدّة البكاء . وواصلوا الادعية الحميمة الى ربّ الجنود ليفكهم من العبودية ويُنعم عليهم بالراحة والطمانينة . وفي ٢١ ايلول سيرت الحكومة الى دياربكر بضعاً ومائتين وخمسين رجلاً بينهم

ستون شاباً مسيحياً عدّاً · وبلغنا ان الجنود الذين في موش قصدوا نواحي العاصمة ليحاربوا دول البلقان ويسترجعوا ادرنه وغيرها من المدن التي خسرتها تركيا عام اوّل

ويوم الثلاثا ٢٢ ايلول توجه زهاء خمسين رجلًا الى دياربكر تبعهم في الغد وما بعده مائة وخمسون رجلًا اغلبهم قرويون· ويوم الجمعة ٢٥ ايلول اقبل تسعون شخصاً من نصارى قرية القصور واكتتبوا في مصافّ الجندية · وذاع ان حكومتنا مذ غرّة تشرين القادم لن تستعرف امتيازات ممالك اوربا في بلادها ·ووافى من نواحي الموصل نحو الفي جندي مشاة شغلوا نصيبين وعمودا وطبياثا وتل ارمن وهم قاصدون التوجه الى سوريا· ويوم السبت ٢٦ ايلول شخص الى دياربكر زهاء مائتي رجل اغلبهم من نصارى قرية القصور كان ما بينهم قومٌ ممن بلغوا الخمسين وقد وخطهم الشيب ذلك كان قصاصاً لهم لانهم لم يحرزوا اسماءهم في الوقت المحدود

ويوم الاحد ٢٧ ايلول سار نحو ستين عسكرياً الى بتليس ·

ووافت الاوامر من العاصمة في سوق من كان عمره اربعين ربيعاً · على اننا لم نفهم حتى يومنا علام يجتمع العسكر والى اين يذهبون ومن يحاربون · والشائع انهم قاصدون محاربة البلغار واليونان · ولذا ألجأ الامر بعضهم فابتدروا الهرب الى بيوتهم ولزموها مختفين وفي ٣٠ ايلول جاء في اخبار الاجانس ان الروس حاولوا ان يمنعوا سفن الاتراك من الاجتياز في البحر الاسود وان سفن تركيا اغرقت سفينتين لروسيا كبيرتين واطلقت القنابل على سوستبول فتيسرت

ونجحت

الفصل الحادي عشر

تقسيط الحبوب والدواب • جمع الاغنام • اختلاس الدكاكين • وفود العساكر من بغداد والموصل • تقويض الدور - تشرين الاول

اعلم انه من بدء تشرين الاول الى السادس منه كانت الامور ساكنة هادئة • بيد انه يوم الثلاثا سادس الشهر استدعي الروساء الروحيون الى دار الحكومة فاضطرهم اولو الامر ان يقسطوا على جماعاتهم قمحاً يسلقونه ويجهزونه للعسكر • فاجاب الروساء الى الطلب دون تمنع اذ لم يكونوا يستحسنون ان يدعوا مجالاً للحكومة لتشكى منهم او تتحامل عليهم • ولم يك يطرأ على بالهم البتة انه لن تطول المدة حتى ينعق بهم ناعق الآفات وتدور عليهم رحى العذابات فتنقصف اعمارهم وتخرب ديارهم

ويوم الخميس ثامن تشرين الاول عاد شفيق المتصرف الى ماردين حاملاً الاوامر من الوالي في جمع الاغنام من العشائر • فانحدر لتلك الغاية الى البرية طائفة من الجند ساقوا الى البلد فوق ثمانمائة الف راس غنم ارسلوا قسماً منها الى آمد وذبحوا القسم الاخر وطافوا البيوت حالاً وجمعوا الطواجن فسلقوها وقلوها ووضعوا القلية بعد نضجها حالاً ضمن العلب (التنك) ففسدت وتعفنت وكبت غير ان الضباط والجنود وبعض الخاصة سبقوا فتفردوا بحصة صالحة منها

ويوم الاثنين ١٢ تشرين الاول جال الجنود في الدور وبحثوا عن علب السمن وحملوها الى دار الحكومة • ويوم الثلاثا الزموا عامة الاهالي ان يقدموا للعسكرية اعدالاً وغرارات وخرجة فاجتمع

الرؤساء الروحيون وفرضوا على كل نفر من جماعتهم ما يتيسر له . فادّينا نحن من جملتهم ثلاثة خرجة وثلاث مخال . ويوم الاربعا اناخ العسكر في البلد زهاء مائة جمل موسقة حنطة وطحيناً ومضوا بها صباح الغد الى آمد السوداء الجوعى

وبلغنا يوم الخميس ١٥ تشرين الاول ان الحكومة ستدوّن في دفترها ما استلمته من المسيحيين والمسلمين وتعيد اليهم الربع لكن ذلك كان اضغاث احلام . وساقوا في الغد زهاء اربعمائة من المسلمين الى دياربكر . وتقدم الحاكم الى الخفافين والخرازين ان يخيطوا مائتي حذاء للعسكر ففعلوا ذلك صاغرين طائعين . ووافى الينا قوم ممن انهزموا من وان وما جاورها واخبروا ان طائفة من العسكر الالماني قائمون بتعليم عسكرنا وتثقيفه وقد ارسلوا منهم جماعة الى المانيا في قمح كثير وذخيرة وافرة ليتمرّنوا في الجندية ولما ركبوا البحر انقضّ عليهم الانكليز والفرنسيس انقضاض الصقور على بغاث الطيور واحتووا على ذخائرهم . واستحدثت اذ ذاك تركيا طوابع رقمت عليها كلمة حرية وبعثت الى ما بين النهرين احمالاً شتى من العملة النحاسية عُرفت عندنا بالبافون او النكل لتروج ما بين الاهالي رويداً رويداً

ويوم الثلاثا ٢٠ تشرين الاول سيرت الحكومة الى دياربكر فوق اربعمائة بعير موسقة كلها قمحاً وطحيناً . واحضر الجنود من طور عبدين شيخين مقتولين على بغلين يصحبهما ثلاثة شيوخ موثقين وزجوهم في السجن لانهم ثاروا على الحكومة وعاثوا في الجبل كما

شاء هواهم . وكان العسكر في تلك الغضون يوافون افواجاً افواجاً من نواحي بغداد والموصل في كثير من الجهال والجحاش ويقضون ليلة او ليلتين في ماردين وضواحيها ثم يشخصون الى دياربكر . اما الضباط فلم يفتروا من الجولان في الاسواق واختطاف الاموال والبضائع وأفضى بهم الطمع الى اختلاس السامير والنعال والمسالّ وما شاكلها فبات اصحابها في اضطراب وكدر جزيل حتى انه لم يبق في وجههم رائحة دم لشدة القلق والرعب والضيق

ويوم الاحد ٢٥ تشرين الاول شاهدنا عدداً عديداً من عربات النقل تقلّ اسلحة وخيماً وألبسة الى دياربكر يصحبها جم غفير من العسكر القادمين من بغداد في بغال وجمال كثيرة . وعوّلت الحكومة مذ ذاك على توسيع الجادّة العامّة فقوّضت دور محلة النصارى كدار حيلو وشنخور وكعيب وحائط كنيسة الكبوشيين وما والاها ولم تتعرّض لدور المسلمين . ويوم الاثنين ٢٦ تشرين الاول وافى الى ماردين عسكر غير يسير من بغداد والموصل وتوجهوا الى آمد . واستدعى المتصرف وجهاء المسلمين الى دار الحكومة وحتم ان يؤدّي كل منهم ما يكفي لشترى بغلين او ثلاثة . واضطر النصارى ايضاً الى مثل ذلك . ولسبب هبوط الامطار في هذه الايام كفّت الحكومة عن ارسال الجند الى دياربكر . واذاع المسلمون ان عساكرهم اغرقوا سفينتين لروسيا في البحر الاسود . وارسلت الحكومة الى آمد نيفاً والفاً واربعمائة جمل موسقة كلها اسلحة وذخائر وامتعة

الفصل الثاني عشر

اطلاق المعينين . مختارا قلعة المرأة وماردين . هجوم الروس . اعلان الحرب . هزيمة الحميدية . رافائيل الطبيب الكلداني . من ١ تشرين الثاني - ١٥

ويوم الاحد اول تشرين الثاني وُجد في القلعة نحو اربعمائة رجل كان اغلبهم مسلمين . فوافى الخبر من العاصمة باطلاق الرجال المعينين اعني الذين لا مساعد لنسائهم اليتامى . فأفرزوا والحالة هذه من اولئك الاربعمائة نحو مائة وخمسين ممن كان عمره من العشرين الى الثالثة والعشرين وسرحوهم الى بيوتهم . وفي هذا اليوم شدّ الجنود على قلعة المرأة واوقعوا الضرب بالنصارى واستبردوا عليهم الالسن وخسروهم الخسائر الوافرة وساقوا خاجو مختار طائفة السريان الكاثليك الى البلد في شتم وسبّ كثير وضرب وجيع يضطرونه ان يسلمهم من كان داخلاً في السلك العسكري كأنه هو حارسهم وحافظهم . فلما سمع مطران الطائفة ارسل يتوسل الى الحاكم في تخلية سبيله فحثّه الحاكم على ان يخلص الامانة للحكومة اذ كان الى ذلك اليوم خائناً بعد ؟ ثم سرّحه الى قريته

وبلغنا ان الروس في ثاني تشرين الثاني استحوذوا على باشقلعة وعلى بايزيد وطحطحوا العسكر التركي الوجود على الحدود وان سفير الروس غادر العاصمة الى صوفيا وسفيري فرنسا وانكلترا توجها الى مملكتهما . لان الدول الثلاث قاصدة ان تحارب تركيا . ويوم الثلاثا ثالث تشرين الثاني بلغنا ان الروس وصلوا الى ارضروم ووان واستحلوا الاراضي والبلاد

ويوم الاربعا استدعى المتصرف المطارنة ووجهاء المسلمين وبلّغهم ان الدول اعلنوا الحرب عـلى دولتنا فاجتمع المسلمون واخرجوا الراية من الجامع الكبير الى دار الحكومة وصاحوا باعلى اصواتهم « محمد صلوات » ونادوا باشهار الحرب على روسيا وحليفتيها . وكان الضباط رافعين سيوفهم فوق هامتي مطران الارمن ومطران السريان الكاثليك . ولم يحضر اذ ذاك احد من السريان اليعاقبة . ثم القى المتصرّف خطاباً وجيزًا فيه حرّض الجميع على الاتفاق والالفـة . وقـال ان المسلمين والنصارى يجب ان يكونوا متحدين متفقين قلباً وقالباً في كل ما يعود عـلى الدولة بالنجاح واليسر. ثم خطب المفتي وصرّح بان الفرنسيس والانكليز ضربوا جنق قلعه وانّ الروس تخطوا حدود المملكة . واستنهض همة جمهور الاهالي ليخرجوا لمقاتلـة الروس ويثأروا منهم . وبعد هذا عاد كل الى منزله

ويوم الخميس ٥ تشرين الثاني بلغنـا ان انور باشا توجه الى ارضروم لمحاربة الروس بعـد ما قضى شهر ايلول في برلين عاصمة الالمان وتلقن منهم ما ينبغي ان يعمله . ويوم الجمعة قبض الجنـد على يوسف باهو مختار السريان الكاثليك واذاقوه من الضرب الشديد الواناً واجبروه ان يفتش عن الفارّين ويحضرهم الى دار الحكومة . كأنهم كلهم في قبضة يده . ثم اطلقوا سبيله بواسطة رئيس الابرشية وتوسله . وبلغنا ان الروس اسروا من عسكرنا الفا وستمائة وكسوراً وفي الغد سارت قافلة مؤلفة من مائة عسكري الى آمد

ويوم الاثنين تاسع تشرين الثاني بلغنا ان جنودنا المظفرة الباسلة قهرت الروس في باش قلعـة . وانه يجب ان يُسرّ لتلك البشرى

العثمانيون قاطبة وكتبوا اوراقاً تنذر بغلبة الاتراك للروس وعلّقوها على باب المحكمة وفي الجادة العامة فكان الفرح شاملًا والسرور جزيلًا

وغداة الاربعاء ١١ تشرين الثاني قيد دار الحكومة مائة وسبعون من المسلمين وخمسة وتسعون من النصارى طبقاً لاوامر الحاكم فبلغهم ان يجمعوا خمسين بغلا ويقوموا بغذائها حتى اذا احتاج اليها العسكر احضروها حالاً . وساقوا جماعة من شيوخ المسيحيين الى المحكمة يقولون لهم يجب ان تسلمونا اولادكم الذين انهزموا من السلك الجندي في دياربكر وغيرها والا سقناكم بدلهم . واضطروا القس حنا طي السرياني ان ينزل الى القصور ليحضر كل من فر . وكانت اخبار البرق تنطق بان تركيا قهرت الروس واستحوذت على طائفة كبيرة من عسكرهم وعلى شيء كثير من ذخائرهم واسلحتهم

ومذ يوم الخميس ١٢ تشرين الثاني جعل الجنود الحميدية يتوافدون سلفةً سلفةً الى ماردين مبتدرين الهرب من وجه الروس في ارضروم وكان عددهم اليوم مائة واربعين فارساً. فسارع الضباط القائهم ليحضروهم الى دار الحكومة فلما لمحهم الحميدية تحفزوا لمناوشتهم القتال فعاد الضباط ادراجهم وواصل الحميديون مسيرهم الى البرية يعيشون فيها كما يشاؤون . وبلغنا ان عسكرنا يشتغلون في تحصين أسوار دياربكر ليتمكنوا من مقاتلة الروس متى كبسوهم

وفي هذا اليوم أعلن السلطان بالحرب العامة مع جميع اعداء تركيا . وعُلقت الاوراق في الغد على باب المحكمة فحواها ان قد صدرت الارادة السنية بوجوب محاربة فرنسا وانكلترا وروسياً وكان مكتوبا

في تلك الورقة ان عاهل الانكليز يقول ان الارض ان تنجح وان تسود فيها الطمأنينة ما لم يُنسخ القرآن ويُلغى من على وجه الارض· تلك ايضاً من جملة الدسائس التي اخترعتها الافكار الخبيثة لتثير عوامل البغضاء بين رعايا الانكليز المسلمين وبين دولتهم · ولكنه تعالى عادل منصف يعطي كلّاً حقه

وكان روساء الكنائس اذ ذاك يستدعون ابناء جماعتهم الى الكنائس ويوعزون اليهم ان يشتروا الاجلال للدواب والمخالي للعلف بل اضطروهم ان يجمعوا البيض لتمريض الجنود طبقاً لاوامر الحكومة· والحاصل انهم لم يدعوا شيئاً مما يخص الجنود الا قسطوه على الاهالي والزموهم بتجهيزه شاؤا او أبوا

ويوم السبت ١٤ تشرين الثاني كبس سبعة من الضباط بيت الشماس روفائيل باهو الكلداني واستحوذوا على كتبه واوراقه مدعين انها تتضمن ما يشير الى انقراض تركيا واضمحلالها · وعثروا بين تلك الاوراق على رسالة كتبها اليه بطريرك السريان الكاثليك فيها كلمة « روساء » فقرأوها « روسيا » ما انجبهم ؟ فعربدوا على الشماس واستاقوه الى المحكمة واهانوه ثم صرفوه وردوا اليه اوراقه· ثم ان الدكتور اويس مركيزي افاد والده على لسان البرق ان قد عاد الى خنس فاستنتجنا من ذاك ان الروس دخلوا اراضي تركيا· واستحلوها ودحروا عنها العساكر · وكتب الارمن في جرائدهم ومجلاتهم يحرّضون بعضهم بعضاً ليقاتلوا الروس ويكشفوهم عن بلادهم · وعلقوا ورقة على باب المحكمة كتبتها جمعية الاتحاد والترقي منطوقها

حث الاتراك وحضهم على محاربة الروس وفيها ان السلطان ذاته مستعد للنزول الى ميدان القتال ان دعت الحال

الفصل الثالث عشر

وفود العسكر من بغداد . الانكليز في البصرة . الخطيب في الجامع . القبض على الباس طبي والمقدسي يوسف ارملة . القومندان الالماني في العاصمة . من ١٦ - ٣٠ تشرين الثاني

ويوم الاثنين ١٦ تشرين الثاني انهزم ايضاً جماعة من الحميدية الى ضواحي البلد ولم يستصوبوا الدخول الى البلدة لئلا يحدث ما لا تحمد عواقبه . ووافى جملة من رجال بغداد لبثوا ليلتهم تحت المطر وصاروا صباحاً الى دياربكر . واستولى الجنود على حمير اهل الغرس وجحاشهم واستاقوها الى دار الحكومة . وتوجه الى دياربكر ايضاً مائتان من العسكر البغدادي . ولما راى احد النصارى جندياً منهم حافياً رأف به واشترى حذاء البسه اياه واعطاه ثلاثين غرشاً لمصروفه فشكر له معروفه ولحق رفقته

ويوم الثلاثا ١٧ تشرين الثاني بلغنا ان المسلمين دحروا الانكليز في البصرة وأسروا منهم عدة من الجنود والضباط وسارعوا الى المانيا ايساعدوا جنودها وقبضوا على اربعين الفاً من الجنود الروسية في كوبري كوي ومزقوهم كل ممزق ولم يخسر جيشنا العرمرم من رجاله ولا واحداً . نعما الابطال البواسل؟ وكانت الحكومة ترسل الى نواحي دياربكر يومياً جمالاً وحميراً وجحاشاً

ويوم الخميس احتشد المسلمون في الجامع الكبير قبل الظهر

ورقي الخطيب المنبر وعلق يذكي حماسة الحاضرين ويستنهض هممهم لينزلوا برمتهم الى ميدان العراك ويقطعوا رؤوس الاعداء عن نحورهم وصرّح لهم بان دول البلقان ثارت على تركيا وان الانكليز استحلوا ما تحت البصرة وان الروس لا يزالون يطلقون القنابل على طرابزون فيلزم من ثم كل مسلم صغيرًا او كبيرًا ان يذهب ويناوشهم القتال ويحوز عليهم النصر . وسار الى امد زهاء ثمانين رجلًا من النصارى والمسلمين . وطفق المسلمون بلغيفهم مذ اليوم يشنعون على النصارى ويحرّقون عليهم الارّم ويتوعدونهم بالقتال وسفك الدماء . واجتمعوا تكرارًا في المسجد الكبير يوم الجمعة ٢٠ تشرين الثاني فنشطهم الخطيب ليحاربوا اعداءهم قاطبة ويقاتلوهم بكل طاقتهم . وجرى مثل ذلك في جامع دياربكر فنهض احد الوجهاء وقال : اننا مستعدون الرحيل بشرط ان يتقدمنا الوالي ورجال الحكومة فانتهره الوالي فقال له الوجيه انما قولي هو الحق اليقين ولكنه في وقتنا لم يبقَ حق بتة . وبعد اخذ ورد انصرف الوجيه الى بيته ساخطًا . ويوم الاحد سار زهاء ثمانين رجلًا الى آمد في عدد كثير من الجمال والبغال الموسقة قمحًا وهطلت اذ ذاك الامطار مدة ثلاثة ايام لم نرَ فيها ضوّ الشمس ابدًا . وكانت العساكر تتوارد من الموصل تحت الشتاء دون انقطاع

ويوم الثلاثا بلغت الاوامر شفيقًا المتصرف ان يتوجه الى بلاد النساطرة في حدود العجم ويدعوهم الى التجند . واجتمع في ٢٦ تشرين الثاني جمهور غفير من العسكر البغدادي في ماردين ولبثوا تحت السماء والامطار تنصب عليهم مدرارًا وسار منهم زهاء خمسمائة

رجل الى دياربكر واتفق لاحدهم وهو يدع بغله دعًا ويمشي حافياً في الوحل تحت المطر ان احتدم غيظاً وأطلق لسانه بالشتم واللعن على الدولة وعلى وزرائها وكبرائها فنهوه عن ذاك فلم ينته · وفي هذا اليوم أغلقت الرواهب الفرنسيسيات مدرستهن وبعثن البنات الى بيوتهن

ويوم الجمعة ٢٧ تشرين الثاني أُلقي القبض على الياس طبي السرياني، وسيق الى دار الحكومة بحجة انه اذاع على مسامع العامّة ان الانكليز دوّخوا البصرة وتغلبوا على جيوش الاتراك · فلما استنطقوه قال ان يوسف ارمله هو الذي اخبره بذلك فبادر الجند وقبضوا على يوسف ايضاً وساروا به الى المحكمة · فازلقه الحاكم ببدره وتهدده بالحبس والنفي والقتل ان اخفى الحقيقة عنه فدافع يوسف عن نفسه وابطل دعاوى خصمه فسرّحوه وسرّحوا الياس ايضاً · وما وصل يوسف الى بيته حتى اخذته الحمى وتناوبته اشهرًا لما لحقه من الرعب والهلع على ان ذلك الخبر كان صحيحاً رواه لالياس طبي احد المسلمين المغرضين وانقلب فاخبر الضباط تشفياً ليوقعوا بسه ويتبروه .. أفٍ من الغدر والخيانة · فقد قيل من لا امانة له ينبغي ان لا يحسب انساناً بل وحشاً كاسرًا او اسدا ضاريا على ان الخونة في الآخرة هم الاخسرون بلا ريب

ويوم الاحد ٢٩ تشرين الثاني بلغنا ان فون دير غلديس الجنرال الالماني اقبل الى العاصمة ليتولى شؤون الجنود التركية ويشور على السلطان وعلى انور وطلعت بالتدابير التي يجب اتخاذها اثناء الحرب ليبطش جنودهما بالاعداء ويبيدوهم اسرًا وقتلًا وتشريدًا. ويوم الاثنين سلخ تشرين الثاني استدعي الياس طبي تكرارًا الى المحكمة فاضطروه

أن يتوجه الى دياربكر ليتحقق امره رجال المجلس العرفي وينزلوا به ما يستحقه من العقاب لقاء خيانته وسناهته وتجنيه على الحكومة

الفصل الرابع عشر

كنيسة الكبوشيين . ضرب النساء . المتصرف حلمي . محمد كبوشو . الاباء الدومنيكيون . مواصلة سوق العسكر . كانون الاول

ويوم الجمعة ٤ كانون الاول بلغنا ان سيوافي الى ماردين عدد من الجند لحراستها او ان شئت فقل لاتلافها . اذ كان الجنود الذين فيها الى ذلك اليوم قايلين . وفي الغد عند انفراك الظهر كبس الجنود كنيسة الكبوشيين وأغاقوا بابي دير الرهبان والراهبات. وقد كتبنا فصلًا خصوصيًا في ما جرى لهم [انظر الجزء ٣ ف ١٩ الى فرنسا ام الخير والمعروف] واستفحلت الشرور وازداد الاضطراب بحيث لم يعد احد يتجرأ ان يتلفظ بحلوة ولا مرّة فيما ينوط بالحكومة لئلا يُنزل به العقاب او ينفى . وكانت الاخبار الشائعة تفيد ان دولتنا لا تحارب احداً

ويوم الاحد ٦ كانون الاول نادى المنادي يطلب البالغين السابعة والثلاثين وكرّر مناداته في الغد وأطلق الحرية لمن يريد دفع البدل لقاء التجند وامهله شهرا . وسار فوق الخمسين رجلًا الى آمد. ويوم الاربعا ٩ كانون الاول توجه ايضاً الى آمد نحو اربعين شخصاً في جملتهم عشرة مسيحيين . وكان الجند يجولون في البيوت يتعرضون للحريم ويضربون منهن من لا تسلمهم زوجها او ابنها والا فيحرقون اثاث البيت والامتعة . وعقلوا غير واحدة منهنّ وضربوهن على اقدامهن

يا للعار والفضيحة . قبحاً لافعال الخونة المتشبثين بالفواحش الميالين الى الخلاعة والمشرأبين الى الظلم . لعمري ان امرءاً تتقضى بالفواحش أوقاته وتسرف في الظلم ساعاته لجدير ان يمحق ذكره واسمه ويخفى في جوف النار جسمه

ويوم الخميس عاشر كانون الاول ساقوا مائة وخمسين رجلاً الى المنصورية اذ كان المطر يتصبب عليهم فقضوا ثم ليلتهم وعند السحر توجهوا الى دياربكر . ويوم السبت اقبل الى البلد طائفة من الداشية ممن اختاروا التجند بحريتهم . ومضوا توا الى الجامع فاثنى عليهم الخطيب وبعث فيهم الهمم ليصارعوا الاعداء وينتقموا منهم . وسمعنا ان الروس وصلوا الى الراوندوز وان جنودنا ظفروا بقوم منهم غير يسير عند بحيرة وان

ويوم الاحد ١٣ كانون الاول وافى الى البلد حلمي المتصرف فسار اليه مطران الارمن ومطران السريان وسلما عليه فهش لهما وبش واسمعهما كلاماً طيباً لطيفاً ووعدهما بالمساعدة في جميع شؤونهما فسري عنهما شيء من غمومهما وعاد كل الى مركزه . وفي هذا اليوم ضرب محمد كبوشو الذائع صيت توحشه رجلاً مسلماً على ام رأسه وجرحه . فثار ثائر المسلمين وأغلق النصارى دكاكينهم ومخازنهم خوفاً ولما بلغ المتصرف الجديد ما صنع كبوشو الخبيث تهدده وعاقبه وعزله غير ان الحكومة كمألوف العادة رقت منصبه فحولته من المتصرفية الى الولاية فشخص الى دياربكر وواصل الخدمة في وظيفته وتفنن في التنكيل والتهديد والاختلاس كما شاء كيده وخبثه

ويوم الثلاثا ١٥ كانون الاول سار من باب المشكية زهاء مائتي

رجل ممن تجندوا بجريتهم فخرج معهم مشايخ المسلمين ينقرون بالطبول والدفوف والصنوج حاملين الرايات والالوية يعجون ويضجون ويقولون « محمد صلوات » وكان في جملتهم قوم من نصارى المنصورية السريان ممن أُطلقوا من السجن على ان يصيروا الى ساحة الحرب ويصارعوا العدو

ويوم الجمعة ١٨ كانون الاول توجه الى دياربكر من العسكر الاختياري مائة وخمسون شخصاً وكان معهم موذن ارتقى الى قناة مرتفعة عند باب البلد الغربي فأذن وصرفهم واستودعهم لحراسة نبيّ المسلمين . وبلغنا ان العدوى قد فشت بالجنود في ارضروم وانه يموت كل يوم في المائة ستون ذلك لتقبض جلدهم واصطكاك اسنانهم من البرد القارس . ويوم السبت ١٩ كانون الاول فوّض الانكليز الى حسين كامل باشا امر مصر وعزلوا عباساً الثاني فأصدر مفتي المسلمين الفتوى بقتله . وكان الجنود لا يكلّون ولا يملون من التطواف في دور النصارى وضرب النساء الضرب الوجيع

ويوم الثلاثا ٢٣ كانون الاول سار الى وان زهاء خمسين رجلاً وليلة عيد الميلاد المجيد عاد الى البلد ثلاث من الرواهب الفرنسيسيات اللاتي سرن الى دياربكر . وقضى المسيحيون موسم الميلاد بالاحزان والاكدار وكانوا يتصدعون زفرات على ما نابهم من جسيم الخسائر وعلى فقدهم أنجالهم وأحبائهم ووافتهم الاخبار من اصحابهم في ارضروم ان يبعثوا لهم الدراهم لينفقوها في سبيل معيشتهم وكسوتهم . كذا فليكن الجنود والا فلا !

ويوم السبت ٢٦ كانون الاول شخص من الموصل الى ماردين

ثلاثة من الاباء الدومنكيين ونزلوا ضيوفاً كرماء في دار البطريركية السريانية فاستقبلهم بحفاوة واعزاز مطران السريان الكاثاليك تلميذ مدرستهم وقد كتبنا فصلاً في ما جرى لهم تحت عنوان [الفرنساوي الغريب جزء ٥ ف ٩]

وبلغنا يوم الاحد ٢٧ كانون الاول ان جنود الاتراك المظفرين زحفوا الى روسيا واستولوا على اربع مدن[1] وسار الى دياربكر مائة من الجنود الاحرار خرج معهم مشايخ البلد ووجهاؤه في الرايات والاعلام يضربون المعازف والصنوج والطبول ينادون بعباراتهم المعلومة ليحمسوهم ويقووهم . ويوم الاثنين ٢٨ كانون الاول سار الى آمد زهاء ثلاثين عسكرياً في جملة من البغال الموسقة البسة وامتعة العسكر . ويوم الثلاثاء أثلجت من الصباح حتى المساء ولزم اولو الحل والعقد دورهم ولم يقبضوا على احد البتة . على هذه الصورة

---

(١) اعلم ان جنود الاتراك بعد ان استحوذوا على المدن الاربع في الوقيعة المعروفة بوقيعة صاري قاميش وظلوا فيها ثلاث ليال انقلب عليهم جنود الروس في جيش جرار وقتلوا وأسروا منهم تسعين الفاً وكسروا . ولم يفلت منهم سوى الجرحى والمكاريين فقط . ومما يستحق الذكر ان انور باشا والقنصل الالماني الحاضرين تلك الوقيعة أوشكا ان يحصلا في قبضة الروس فاضطرا ان يتنكرا وينهزما تحت الليل الى ارضروم راجلين آخذين بخاصر الطريق ومعاجيله لئلا يدركهما العدو . على ان قدمي القنصل الالماني جمدتا لتقبّضهما من البرد . وبعد جهد جهيد وصلا الى ارضروم بحال زرية ثيابهما متوحلة وقواهما خائرة . واستفحلت اذ ذاك الحمى على اختلاف طبقاتها في العسكر التركي مما ثبط الروس عن مواصلة الهجوم خوف ان تلحقهم العدوى وتفتك بهم

انسلخت سنة ١٩١٤ المرّة وجرّعت عامّة البشر ولاسيا مسيحيي تركيا الزقوم والعلقم . انعم علينا الرب بقرب الخلاص والنجاة من الاقوام القساة الطغاة

الفصل الخامس عشر

ليلة الدام ؟ في راس العام

ليلة الدام وما ادراك ما ليلة الدام . هي ليلة تبتهج لها النواظر وتنتعش فيها الخواطر . تتوفر فيها بواعث السرور وتتلى عبارات التهاني، وترتشف فيها اقداح الحبور وتعقد عليها الامال والأماني . يجتمع فيها الاباء باولادهم وفلذات كبدهم فيذكروهم بما كانوا عليه وما صاروا اليه ويحادثوهم بمن خسروا وفقدوا ومن اوجدوا وولدوا ويبعثوا في ارواحهم عوامل البهجة حذرً ان يكدروا عليهم صفاءهم ويهنئوهم ببلوغهم سالمين معافين الى تلك الليلة الميمونة المباركة ويلشطوهم ليواصلوا حميد اعمالهم في ظلّ عناية ربهم . فيتقدم الاولاد ويلثمون أيدي آبائهم . ويرفعون حميم الادعية الى المولى الرحيم في حراستهم وصيانتهم من غدر اعدائهم . يالله ! ما اجمل هذا المشهد وابهاه . ما اطيب هذا الحديث واحلاه . ما اعذب هذا الطلب واشهاه . تشخص عيون الانجال الى والديهم وعيون الآباء ترنو الى حشاشة اكبادهم وعواطف الحنوّ والحبّ تشغل فؤاد هولاء واولئك . وتهيأ عند ذاك الاطباق الحافلة بضروب الحلاوى والفواكه والثمار وما شاكلها من انواع الاطايب . وتنتظم

حولها الشموع الملونة والمصابيح النيرة تحاكي بزينتها ونورها الكواكب الثواقب . فيحف بها الاطفال والفتيان وشارات الابتهاج والافراح تلوح على جبينهم الاغرّ الوضاح ثم يندفعون فيرنمون الاناشيد الرخيمة والاغاني الروحية شكراً للعزة الالهية لبلوغهم الى تلك العشية الوسيمة

تلك عادة جرى عليها مسيحيو ما بين النهرين في غابر السنين . ولما طووا سنة ١٩١٤ المشؤومة ودّعوها غير شاكرين لانها ابقت في افئدتهم اثار الاكدار وسطرت على ألواح مخيلتهم آيات الخسائر والاضرار ومثلت لاعينهم صوراً دعتهم الى النفور والانزعاج . وجددت في نفوسهم الكلوم بحيث لم يعد في وسعهم ان يعرضوا عنها ساعة او يزيلوها من فكرتهم بتة . لانهم احتملوا النكبات والضربات وتجرّعوا النوائب والمصائب وتكبدوا الخسائر والضرائب واصطبروا على المظالم والجرائم . وادّوا ما تبعها من اللواحق والنوافل مغضين على فظاظة الاعلاج الاراذل . ساكتين على السياسة الخرقاء مستسلمين للعار والاحتقار متقلبين في دقعاء الفاقة والافتقار منتظرين السلام والفرج من الواحد القهار كأن كلّاً منهم يقول مع القائل

الى الله فيما نالنا نرفع الشكوى ففي يده كشف المضرّة والبلوى

على ان الخصوم ما فتئوا يرعدون عليهم بالمساوىء والبلايا ويبرقون بالبوائق والرزايا اثناء الشهور الخمسة الغابرة حتى بلغوا الى افتتاح سنة ١٩١٥ الحاضرة . فتعددت عليهم المظالم الشديدة وامسوا كشجرة مبرودة ذهبت أوراقها النضرة . وهصرت اغصانها الخضلة الخضرة ويا ليت الاعداء الجائرين وقفوا عند تلك الحدود وما نقضوا المواثيق والعهود ولكنهم لمزيد خبثهم ودهائهم حاولوا ان يقتلعوا الشجرة

من اصلها ليعفو اثرها ويمحى جذرها كما سترى

اي ولعمري ان مسيحيي بلاد ما بين النهرين اصبحوا في بدء سنة ١٩١٥ كشجرة جرداء غادرها شبانها الحسان النجباء ورحل عنها رجالها الكرام الاحباء واستاقهم الاعداء الردا كما ذكرنا فيا سبق طبقاً بعد طبق من السن العشرين الى السابعة والاربعين · فلم يعودوا يرون سوى من فسدت عشرته وخبثت قشرته وسقطت مروءته وذهبت على الاطلاق رافته وشفقته · فكانوا يودون لو أُتيح لهم ان يبارحوا وطنهم ويتملصوا من غوائل مناوئهم ويقولوا لهم : بورك لكم في الوطن وخيره وخُضر لكم في مليحه وقبيحه وقد قيل

لا يسكن المرء في ارض يهان بها الا من العجز او من قلة الحيل

بيد أنه لما تعذّر عليهم ذلك غمضوا على القذى واحتملوا الضرّ والضنك والاذى واعتلجت في صدورهم الغموم واحتشدت عليهم الهموم وكان كلٌ منهم يوجه خطابه الى غائبه ويقول له :

يا راحلاً وجميل الصبر يتبعه هل من سبيل الى لقياك يتفق

نشدتك الله قل لي يا من غاب عني انى أُطيق الصبر على ما نابني او تظن أنّ نار قلبي يسكن بغيبتك او تفتكر أنّ فؤادي يُسر بلذة في بعادك

أيسرّني عيدٌ ولم ار وجهك فيه الاَ بُعداً لذلك عيدا
فارقتك وبقيت اخلد بعدك لا كان ذاك بقاً ولا تخليدا

فقد تقضت بشاشة المجالس بعدك وودعني الانس والسرور بعدك · هذه صورتك الجميلة المحبوبة كلما التفتُ اليها لانظرها

تمثلت لمخيلتي هيئتك واقلقت افكاري غيبوبتك فحركت في لواعج الوجد والأحزان . وتغلبت عليَّ عوامل الكرب والاشجان . هذه قرينتك السكينة البائسة فقد الحت عليها الفتوق والآفات وتوسدت الحزن وافترشت المشقات وحارت في تدبير البنين والبنات وكلما تمثلتَ لها هيجت قرحة دائها وجددت مرارة فؤادها . هولاء انجالك المحتفون حولي في هذه الليلة المباركة الحافلة على خدودهم العبرات هاطلة سائلة يلوبون عليك وفي قلوبهم الحسرات تشوقاً اليك واني ليتعذر علي ان اصرفهم عن البكاء وأزيل عنهم العوز والشقاء فالحكومة قد ابعدتكَ عنا وتلتلتنا . وفتَّت في عضدنا وحيرتنا . ويا ليتها فعلت كغيرها فأغاثت اولادك وكفتهم موؤنة يومهم وأشفقت على حياتهم . ولكنها لا تفتكر في ذلك بتاتاً . بل جعلت دأبها هضم حقوق العباد . ومدّت أطناب تعسفها على جميع البلاد . فويل لمن انتمى اليها وتوطن اراضيها . ولله در ابي العتاهية اذ قال

انًا لفي دار تنغيصٍ وتنكيد دارٍ تنادي بها أيامها بيدي

رحماك يا رباه رحماك الهمنا الصبر الجميل ومزّق عنا ظلل البلاء والآفات وفرّق منا شمل الكروب والنكبات بحولك يا ابا الرحمات والمعونات

الفصل السادس عشر

وفود الجنود المرضى • فتح ثلاث كنائس السريان الكاثيلك . هزيمة العسكر • كبس البيوت . كانون الثاني ١٩١٥

ويوم السبت ٢ كانون الثاني عاد من آمد نحو مائة بعير اشترى

منها الاهالي بعيرين بستين غرشاً · ورجع قوم من عسكر بغداد في سوء الحال متعبين خائري القوى مبتلين بالامراض المتنوعة · فقصدوا مستشفى المرسلين الاميركيين. وصوّب الجنود غضب حنقهم تكراراً على خاجو مختار السريان بقلعة المرأة فانزلوا به شديد الضرب يريدون منه استحضار من كمان داخلاً في سن العسكرية وبعد التنيا والتي ارسل المطران وفكه · وفي تاسع كانون الثاني احضروا زهاء مائة من القرويين صعدوا بهم الى القلعة وسيروهم في الغد الى دياربكر

وعاشر كانون الثاني عاد الى ماردين خمسون من الجنود المواصلة معهم مائة جمل قاصدين القفول الى بلدهم. ويوم الاثنين ١١ كانون الثاني توجه الى دياربكر مائتان من الرجالة والخيالة فالقى عليهم الخطيب في باب البلد خطاباً شجعهم ثم ودعهم ورجع · اما الضباط فما برحوا يجولون الدور يفتشون عن المنهزمين والفارين وزادوا على ذلك اختلاس الامتعة والافرشة والبسط من داخل البيوت فان رضخ لهم شيئاً تركوه ومن لم يرشهم اخذوا منه ما استطابوه وظلوا كذلك بضع خمسة ايام · ومنذ اليوم كان الجرحى يتوافدون من نواحي ارضروم فيلزمون مستشفى الاميركيين ايتعالجوا · واصدر الحاكم امره الى المرسلين الاميركيين ان يعلموا طلبة مدرستهم اللغة التركية ويُلغوا اللغة الانكليزية وتوجه الى آمد خمسون رجلاً في جملتهم اثنا عشر من المسيحيين

وفي ١٨ كانون الثاني نقب اللصوص كنيسة السريان الكاثليك بقلعة المرأة واختلسوا الافرشة والبسط · فرفع الاهالي دعواهم الى الحاكم فلم يصغ اليهم · وسار الى دياربكر زهاء مائتي جحش

مُوقرةً قمحاً تبعها نحو ستين من الجند موثقين مزنجرين لكونهم انهزموا من وجه الروس · نشدتك الله قل لي ما المنفعة ممن يذهب الى الحرب جبرًا وقسرًا ؟

وفي ٢٠ كانون الثاني ارتج التجار ابواب دكاكينهم ومخازنهم ولزموا بيوتهم لانهم علموا ان الحكومة معولة على القاء القبض على من جاوز الخامسة والاربعين · فمن تيسر له دفع البدل عاد الى دكانه ومن تعذر عليه الدفع لزم بيته فسئم وتضجر فسام نفسه فسيق الى الموت

وفي فجر الاثنين ٢٥ كانون الثاني نقب السلابة المشكوية نافذة كنيسة دير مار افرام الجنوبية ودخلوا الموفه [السكرستيا] واستلبوا الكؤوس والاطباق وسائر الآنية الذهبية والفضية وفتحوا بيت القربان فالقوا الجوهرة المقدسة على المذبح واستلبوا الحق المبارك وبلغ عدد الكؤوس اثني عشر كاساً من جملتها كأسان اعلم الرهبان ثمينتان جدًا اصطنع احداهما سنة ١٩٠٩ في عاصمة الكثلكة بمبلغ خمس عشرة ليرة · ونهب اللصوص الحلل الكهنوتية والطنافس والافرشة مما بلغت قيمته مائة وخمسين ليرة وكسورًا ·وعند نزول الرهبان سحرًا الى الكنيسة الفوا الشمعة موقدة بعد · فراجعوا الحكومة فارسلت من يتحقق السرّاق فتقفوا اثار اللصوص ليستدلوا على محلهم ثم انقلبوا فكتبوا ما سُرق وعادوا الى دار الحكومة وبالنتيجة لم يتيسر للرهبان ان يحصلوا الاسلاب ابدًا · وفي اصيل هذا النهار سار قريب سبعمائة من الجنود الاختيارية الى آمد · وفي هذا اليوم عينه وصل الى ماردين السيد اسرائيل اودو مطران

الكلدان عائداً من بغداد والموصل واستغرقت رحلته ثمانية اشهر —
ويوم الخميس ٢٨ كانون الثاني خرق اللصوص حائط كنيسة السريان الكاثوليك بقرية القصور واختلسوا امتعتها واثاثها · فكانت الثالثة اعني كنيسة مار جرجس بقلعة المرأة وكنيسة دير مار افرام بماردين وكنيسة العذراء بالقصور · والكنائس الثلاث تخص طائفة السريان الكاثليك · ولم يبسط الاعداء ايديهم على سواها

ويوم السبت ٣٠ كانون الثاني سار اربعون رجلاً الى آمد وكان الراس يقول لهم اني عارف حق المعرفة انكم عما قليل تنهزمون وتعودون الى بيوتكم · وصح ما قال لانهم ما وصلوا الى اول مرحلة حتى انهزموا بجملتهم · فنادى المنادي ان من ابى الحضور من تلقاء نفسه الى دار الحكومة نهب بيته وقضي عليه بالسجن المؤبد · ودخل الجنود بغتة دار احد المسلمين فالفوا الرجل بزي امرأة متوسداً فلم يثبتوه رجلاً فخرجوا فرأوا فتاه · فقالوا له اين ابوك قال هو مفترش الفراش داخلاً فعادوا اليه وقبضوا عليه واستاقوه الى المحكمة على تلك الصورة · ودخلوا بيتاً ثانياً ففتشوه تفتيشاً كثيراً فوجدوا رجلاً مختفياً ضمن صندوق فحملوا الصندوق بمن فيه الى المحكمة · وفي هذا اليوم علقوا ثريا ببيعة الرواهب الفرنساويات في المسجد الكبير

ويوم الاحد سلخ كانون الثاني سيرت الى آمد عدة من الحمير والجحاش محملة ذخيرة ومؤناً وبلغنا ان جنود الاتراك طردوا الانكليز من البصرة ودحروهم فتحققنا من ذلك ان الانكليز امتلكوها واستحلوها

الفصل السابع عشر

قدوم الجنود من العاصمة . سرقة الداشية . يسم اغراض الرواهب . حلمي ومطران الارمن والسريان . الجنود والفارّون . قتل رجلين . سفر حلمي . الجنود الجرحى . الشمامسة . كنيسة اليعاقبة . شهر شباط

في اول شباط توجه حلمي بك المتصرف الى تل ارمن لمقابلة الجنود العثمانية القادمة من نواحي العاصمة . وكان رأسهم فيما قيل ابن السلطان عبد الحميد الخليع . وبلغ مجموعهم ثمانية عشر الفاً . وفي ثالث شباط سرق اللصوص الداشية ثلاث بقرات من دار الخوري رافائيل بردعاني السرياني فرفع الدعوى الى المحكمة فالقت القبض على نفر من الداشية ثم سرّحتهم كمالوف العادة . فكادوا الخوري وباتوا يستفرصون الفرص ليثأروا منه . وطفقت الحكومة منذ اليوم تتبع اغراض الرواهب الفرنساويات وامتعتهن داخل ديرهن

ويوم الاثنين ثامن شباط توجهت الى آمد قافلة من العسكر بلغت ستين شخصاً . وسار مطران الارمن ومطران السريان الكاثليك الى دار الحكومة يلتمسان من المتصرف ورئيس العسكر كليهما ان يفيداهما اسماء الفارّين المنهزمين ليصرفا المجهود في البحث عنهم فاعجبهما ذلك وسُرّا بما ابداه المطرانان من علائم الحب والاخلاص للدولة . وعربوناً للوداد وافى المتصرف ليلة ١١ شباط الى الدار البطريركية السريانية وكان السيد مالويان حاضراً ثم فابث ساعتين قضاها مع المطرانين بالمفاوضة الحبية والمجاملة المفطور عليهما

طبعاً ثم انصرف الى داره

ويوم السبت ١٣ شباط نادى المنادي ان من شاء دفع البدل لزمه ان يؤديه في مدة ثمانيــة ايام · ووافى طائفة من العسكر الموصلي خيموا في تل ارمن ثم توجهوا الى حلب وكان معهم سعيد صابو السرياني

ويوم الاثنين ١٥ شباط وما بعده كان الجنود يكبسون الدور للقبض على الفارّين والمختفين فسلبوا واحرقوا شيئاً من الامتعة والافرشة وعثروا على بضع ثمانية اشخاص فساقوهم الى دار الحكومة · واعلنوا ان من ابى ان يسلم ذاته بجريتــه خنق كما خُنق غيره في خربوط والموصل واستعملت النار في منزله

ويوم الخميس ١٨ شباط قتل في شرقي ماردين رجلان يعقوبيان تمرّدا على الحكومة في قرية قرباش بدياربكر · وبعد قتلهما استدعوا احد القسان فمضى وشيعهما ودفنهما في مقبرة مار ميخائيــل جنوبي البلد · ويوم الاحد ٢١ شباط سار الى آمد نحو سبعين رجلاً وبلغنا ان المدرعات الانكليزية الفرنساوية أطلقت القنابل النارية على حصون الدردنيل فاتلف الترك منها ثلاثاً · ويوم الاثنين ٢٢ شباط توجه حلمي بك المتصرف الى آمد وكان الجرحى والمرضى يتوافدون منها الى البلدة في عربات النقل وسار اليها في هذا اليوم ثلاث فيئات من الجند الواحدة تلو الاخرى بلغ مجموعها مائة وثمانين شخصاً

ويوم الاحد ٢٨ شباط سارت الى آمد فيئة من الجنــد بلغ مجموعها مائة وعشرين وكانوا موثقين بالحبال الضخمة يدق المشايخ امامهم الدفوف والمعازف · وظهرت حينئذ مسئلة شمامسة القرى ·

فخصص الرؤساء لكل كنيسة شماساً او شماسين فاكثر . وتداعت اذ ذاك جدران بيعة السريان المنفصلين لمزيد هبوط الامطار حتى ألجئ الكهنة ان يصلوا خارجاً خيفة ان يخر السقف فوقهم . فسعوا في تشييد سوار ضخمة تسند السواري القديمة حرصاً عليها من الهبوط ونادى المنادي يقول « على من آثر العمل في طريق سويرك ان يوافي عاجلاً ويكتب اسمه » لئلا تفوته تلك الفرصة السعيدة التي لا يحصل عليها الا المغبوطون

الفصل الثامن عشر

فشو العدوى في العسكر . حصار العاصمة . عملة الطريق . والي الموصل .
القبض على قس الكولية . اختلاف الجنود الى الكنائس .
مسئلة الشمامسة . شهر اذار

فشت الامراض واستفحلت العدوى في الجنود التركية فأودت بحياة كثير منهم في ولاية دياربكر وخربوط وارضروم ووان . وكانت تفدنا الاخبار في ذلك عن الشبان الماردينيين خاصة فتزداد الاوجاع ويكثر القلق والانزعاج . اما المسلمون فاذاعوا ان الفرنسيين والانكليز تقدموا من العاصمة وحصروها ووصلوا الى بحر مرمرا فكنا نؤمل الخلاص سريعاً والنهاية الحسنة وننقب عن النتيجة لنتملص من الكوارث والبلايا . وفي ٢ اذار عاد المتصرف حامي من دياربكر وراح خضر جلبي رئيس البلدية منذ اليوم ينتقي عملة من النصارى ليرصفوا الجادة التي سموها باسم رشيد الطاغية تيمناً وكان الجنود يتحكمون في النصارى ويقسرونهم على مواصلة العمل

عاجلاً دون اجرة (١)

ومذ ٣ اذار الى العشرين منه كانت اخبار محاصرة العاصمة شائعة ذائعة في ماردين . واضافوا اليها ان الروس عبروا البوسفور وعما قليل تتصل مدرعاتهم بمدرعات الانكليز والفرنسيس فيدوخون الاستانة ويستولون على عرش الخلافة ويكسرون الاتراك والالمان معاً . فجعلنا نواصل الابتهال الى الله القهار ليطفئ سعير تلك النار وينقذ المسيحيين من الاضرار والاخطار . غير ان الخصوم حرسهم الله ارجفوا وخاضوا في الاخبار السيئة وتهددوا النصارى بالقتل وسفك الدماء وجعلوا يتقوّلون عليهم بالاكاذيب ويوردون انواع الخدع في هلاكهم ويرتاحون للانتقام والاثار منهم كأنهم هم الذين يحاربونهم ويقاتلونهم . وللقارئ الحبيب ان يستنتج من ذلك عظم الخوف والرعب الذي شمل المسيحيين بالرغم عما اصابهم من الارزاء والخسائر على ما ذكرنا . فتباً لفتنة عمياء وعداوة صماء ملكت قلوب العدى المجبولين على الاستفساد والاذى

وفي ٢٣ اذار سار الى دياربكر قرب مائة وخمسين رجلاً لينضموا الى رفاقهم في آمد وغيرها فيصابوا نظيرهم بالامراض ويحتملوا العري والقر والجوع . ويوم الثلاثاء ٢٣ اذار وصل والي الموصل وخيم في الفردوس شرقي البلد يريد التوجه الى آمد . وفيه اقبل قوم من الجنود واطلقوا الرصاص في باب المشكية ليتمرنوا على القتال فخاف الاهالي خوفاً شديداً . ومما زاد الرَعب والهلع ان الجند في القصور

---

(١) راجع الجزء ٣ ف ٣٠ من هذا الكتاب

قبضوا على القس جرجس شمعي وعلى مختار السريان واوثقوهما بالحبال واحضروهما الى البلد وساروا بهما توًّا الى المحكمة فتشوشت الافكار وتبلبلت الخواطر وسار مطران السريان واكد للمتصرف براءة ساحة القسّ والمختار معاً مما قرفهما الاعداء فاطلق سراحهما وحضهما على اخلاص الطاعة والامانة للدولة

ويوم الاربعاء ٢٤ اذار ظعن والي الوصل الى آمد في ست عجلات تقل أغراضه وحرمه . وتشاءم الناس من مجيئه ومضيه . وفي ٢٨ اذار صباح احد الشعانين انطبقت الجنود على جميع الكنائس يحاولون القبض على الفارّين وعلى الشمامسة ودخل نفر منهم داخل كنيسة السريان المنفصلين وتخلل الجماعة وقبض على رجلين واستاقهما الى دار الحكومة فبعثوا بهما الى آمد سريعاً . اما الكاثليك فلبثوا في كنائسهم ريثما انكشف عنها الجنود فخرجوا الى بيوتهم مرتعبين . ثم صدرت الاوامر في وجوب تجند الشمامسة وارسالهم الى ارضروم دون تربث . فاجتمع الاساقفة وخابروا على لسان البرق القومندان الموجود في باش قلعة يسترحمون اعفاء الشمامسة طبقاً للاوامر الصادرة من العاصمة فوافى الامر بالاعراض عنهم . غير ان اعداء النصرانية اضربوا عن اشهار الخبر واذاعوا ان لا مندوحة للشمامسة من التجند . فعاد الجند واختلفوا الى الكنائس اثناء اسبوع الآلام كله ليقبضوا على من يشاهدون . وتأتى من ذلك انّ اغلب النصارى لزموا دورهم . وقضى روساء المسيحيين وقسانهم حفلات ذلك الاسبوع المقدس بما لا يوصف من الكدر والقلق حتى السبت العظيم فانتشر حينئذ الخبر بالرغم عن مراغف الإعداء ان لا يمدوا الايدي على الشمامسة . ويضيق ذرعنا

عن تعداد ما اقترف الجنود اثناء ذلك من المظالم بالمسيحيين مما اذاقهم الامرّين وجرّعهم كؤوس الاشجان واكواب الاكدار

وفي سلخ اذار سارت قافلتان الى دياربكر بلغ مجموعهما مائة وثمانين شخصاً ونيفاً

الفصل التاسع عشر

عيد القيامة . ورود الفرمان للسيد مالويان . تجنيد العسكر الحسبي . لؤم الحاج زكي . حرق الاوراق والكتب . الجمعيات السرية . كبس كنيسة الارمن . شهر نيسان

قضى النصارى عيد القيامة المجيد في رابع نيسان بقلوب خافقة جافلة وصدور هالعة خائفة . ملكت الرعدة على فرائصهم وازدادت الاراجيف بين ظهرانيهم . وكان قصاراهم السكوت ليفوزوا بالسلامة ويحصلوا على الطمأنينة . واذاعت الحكومة انّ معتمدي اميركا وافوا الى باريس ولندن ليحجموا الدول المتحاربة عن القتال ويلجئوهم الى عقد الصلح والوئام فسرّت تلك الاخبار عن قلوب المسيحيين شيئاً من الهموم والاكدار . واتفق ان حلمي بك المتصرف زار الكنائس ثاني العيد وهنأ الرؤساء الروحيين ورطّب قلوبهم وسلأهم واذن للاباء الدومنكيين الثلاثة المتزوين في دار البطريركية السريانية ان يخرجوا ويجولوا اينما احبوا وشاءوا اذ كانوا الى ذلك اليوم لازمين غرفهم لا يجسرون ان يغادروها

وثالث عيد القيامة ٦ نيسان تقدمت الحكومة الى العملة النصارى ان يعاودوا الشغل في اصلاح الطرق وتوسيعها . وفي اليوم عينه

وافت الاخبار من العاصمة الى السيد اغناطيوس مالويان مطران الارمن ان قد انعمت علية الدولة بالفرمان الشاهاني والنوط العثماني ٠فاجتمع وجهاء الطائفة يتقدمهم مطران الكلدان ومطران السريان وهنأوه٠ لكنّ المطران اغناطيوس كان قلق الافكار مضطرباً لسبب الاخبار التي كانت ترده من مطارنة الطائفة الموجودين في ارضروم وخربوط وسيواس وغيرها فيكتحل السهر ويلوذ بالصمت مصطبرًا ويحبس في صدره الواسع تلك الحوادث المرّة المزعجة لئلا يزيد أبناءه كدراً وألماً ٠ ولما بلغه ان الحاج زكي كاتب الطابور اللجوي يندد بالنصارى تخرّصاً ويشغب المسلمين عليهم تشفياً اولم له وليمة في دار المطرنة استجلاباً لخاطره واقتناصاً لمحبته ليصرفه عن خبث نيته ٠ وفاته ان قلب الكاتب المزبور دغل وضميره نغل لا يكلّ ولا يمل من تسعير نيران الفتن وتهييج المسلمين على المسيحيين وانه قد كتب الى القرى يستنفر كبراء الاكراد وزعماءهم ليفتكوا بالنصارى ويجتثوا أصلهم

ويوم الاحد ١١ نيسان استاقوا زهاء مائة وخمسين من مسلمي رشمل وقباله الى دياربكر فلم يلبثوا ان انهزموا وعادوا الى منازلهم

وبلغنا يوم الثلاثا ١٣ نيسان ان الحكومة متشبثة بتجنيد العسكر الخمسيني الاختياري فبادر مسلمو ماردين الى الانخراط في ذلك السلك الحديث اذ كانوا قبل هذا العهد ينهزمون او يختفون عن اعين الحكومة ولم نكن نعرف ما المراد من تجنيدهم ٠ لكننا تشاءمنا منه وتجدد اضطرابنا

اما الحاج زكي اللعين فتمادى في خبثه ولؤمه وثابر يراسل مشايخ القرى ٠ فلما شعر به الحاكم رحّله من البلد دون تمهل اخماداً

لنيران الاراجيف · فسافر يوم السبت ١٧ نيسان الى آمد · وحسبنا ان نقول ان الحاج زكي الزبور غدا مناعاً أكال خير مشاء بالنميمة والسعاية وكان يحشد في داره كل ليلة احزاب الخبث والدهاء فينفث فيهم سم البغضاء والشحناء ويقتت لهم احاديث الفساد ويغريهم على سحق النصارى ومحقهم ظلماً وعدواناً · قل ان الخائن كبر مقتاً عند الله

ويوم الاحد ١٨ نيسان وافى الى دير مار افرام حلمي بك المتصرف مستصحباً خضر جلبي رئيس البلدية ولبث مدة يفاوض رئيس الدير بما طبع عليه من الرقة والعذوبة ودماثة الاخلاق · ثم تعهد الغرف والكنيسة وعاد الى مركزه

ويوم الاثنين ١٩ نيسان سُيرت فئة من الجنود الى نواحي سعرد وسُير مثلها في الغد وما بعده ايضاً بلغ مجموع الفئات الثلاث فوق المائتين والخمسين · وشخص الى ماردين مبعوثها يتبعه محمد كبوشو الخبيث ليسيرا على قولها الى البرية ويجمعا من العرب الفي بعير طبقاً لاوامر رشيد الغشوم

وفي عشرين نيسان وافى الفرمان الشاهاني الى السيد اغناطيوس مالويان فاستدعاه المتصرف الى دار الحكومة ودفعه اليه · فرفع الى السلطان ووزراء الدولة الادعية في نصرهم وفوزهم ثم قفل راجعاً الى دار المطرنة · وامر ان تنصب الراية العثمانية على سطح الكنيسة وراح كبراء الطائفة ووجهاؤها يهنئونه ويدعون له بالتوفيق والتيسير · وكان المطران يخفي شارات الخوف ويظهر علائم الشجاعة ويستر للضعف بجلباب القوة والبسالة ويقول مع القائل

وان قصدتك الحادثات ببؤسها فوسّع لها صدر التجلد واصبر

ويوم الخميس ٢٢ نيسان اوفد الخواجا حبيب ترزي دي جروه احد وجهاء الطائفة السريانية يقول اخفوا ما عندكم من الرسائل والاوراق والكتب المتضمنة اخباراً سياسية او كتابات افرنسية او ارمنية فإن الحكومة مزمعة ان تبحث عنها بحثاً مدققاً وتنزل اغلظ العقاب بصاحبها فشكر الكثيرون التوجيه وسارعوا الى حرق الرسائل والمكاتيب واخفاء المهم منها. ومن جملة ذلك دفن المؤلف في قلب الارض التصانيف الخطية ومجموعة الحوادث اليومية التي كتبها مذ اعلان الحرب الى ذلك اليوم وأوقد جميع الكتب الارمنية والفرنسية لمزيد الرعب . اذ كان الاعداء يحاولون ان يصيبوا حجة من النصارى ليمثلوا بهم

ويوم الاثنين ٢٦ نيسان علمنا ان المسلمين نشموا يختلفون الى البيوت تحت الليل ويتقولون على النصارى ويؤلفون الجمعيات الايقاع بهم . ويبعثون الاوامر الى مشايخ القرى ليتفقوا معهم في ذلك

وفي سلخ نيسان يوم الجمعة كبس كنيسة الارمن شرذمة من الجنود واحتاطوا بها وجعلوا يبحثون وينقرون عن اسلحة ومدافع . وتهددوا المطران والقسّان وعربدوا عليهم والجأوهم ان يكشفوا لهم المخابىء كلها . فقال لهم المطران بجرأة اليكم الكنيسة ودار المطرانية وغرف الكهنة فتشوا ما استطعتم ونقبوا بكل طاقتكم فاننا لسنا ممن يخزن عنده اسلحة . وما فائدتنا منها ونحن لا نتجرأ ان نمسكها بيدنا . غير ان الاعداء لخبث طويتهم لم يصدقوا مقالة المطران فخاضوا الكنيسة والقلالي والغرف جمعاء ولم يعثروا على شي.

مما توهموا وادّعوا . وقصدوا غرفة المطران وفتشوا اوراقه واستحوذوا على جميع الرسائل الوافدة اليه وعلى الاوراق القديمة الموجودة لديه وعلى الدفاتر والصحف والسجلات ومضوا بها الى دار الحكومة وارسلوها الى والي دياربكر الخبيث ليفحصها . فتنغص المطران من ذلك ايَّ تنغص وتأسف على اوراقه شديد الاسف اذ كان يحسبها من اثمن الكنوز وأفخر التحف

الفصل العشرون

نبوءة السيد اغناطيوس مالويان

وليلة اول ايار اجتمع الحبر الجليل باقسّته الافاضل واعرب لهم عن مكنونات صدره وكاشفهم بمزيد اضطرابه وكدره ونقل لهم خلاصة الاخبار التي وردته من روساء ابرشيات ارمينية عن جماعاتهم مما يقلق الافكار ويلقي اليأس والقنوط في القلوب فشملهم الفشل والرعب وقصدوا الكنيسة تلك الليلة وانطرحوا امام المذبح المقدس يبتهلون نحو السماء الى ربّ العزّ والجبروت يطلبون منه المغوثة والمعونة . وكان منظر الحبر النبيل وامتقاع لونه ينبئان بما في نفسهِ من الانحلال والارتعاش لسبب الغوائل التي تتهدده وتتوعد اقسته وجماعته وبعد ان قضوا برهة يتضرعون بالابتهال الى الله باكين متنهدين مبسوطة ايديهم الى السماء مستمنحين العضد والقوة ليخوضوا غمرات الاضطهاد استودعوا نفوسهم الى العناية الربانية والحماية المريمية والتمسوا من صاحب العهد المقدس مار جرجس البطل الصنديد والفارس الباسل ان يؤيدهم في الايمان القويم ويوطد في قلبهم دعائم

الشجاعة ليفوزوا بالغلبة والانتصار على اعدائهم الخونة الاغرار. وبعد هذا كفكفوا دموعهم السخينة وانصرفوا الى غرفهم صامتين وباتوا ليلتهم يتململون قلقاً ويتقلبون أرَقاً

وعند الصباح اخذ السيد اغناطيوس الغيور القلم بيمينه المباركة وكتب رسالة جليلة حقها ان تنقش بحروف ذهبية لانها تضمنت النبوءة عما سيحيق به اقتداءً بسميه اغناطيوس الشهيد فخر بطاركة انطاكية الذي دوَّن رسالته المشهورة واوفدها الى المسيحيين الرومانيين يتوسل اليهم الا يعارضوه في نيل اكليل الاستشهاد . ودفعها في ٢ حزيران الى السيد جبرائيل تبوني مطران السريان ليصونها عنده بمثابة تذكارٍ ثمين اليك نصها بحروفها

عبد يسوع المسيح بنعمة الله

المطران اغناطيوس مالويان رئيس اساقفة ماردين وملحقاتها المثبت من الكرسي الرسولي

الى اولادنا المحبوبين بالرب الخوارنة والكهنة وسائر طغمة الاكليروس الاجلا السلام الوداعي والبركة الالهية

والى اولادنا الاعزاء بالرب شعب ابرشية ماردين وملحقاتها السلام والبركة من صميم الفؤاد

« لما كانت هذه الظروف الحاضرة تقضي علينا باتخاذ كل الوسائط اللازمة لادارة شؤون ابرشيتنا العزيزة قبال

كل ما عساه ان يصادفنا في هذه الاونة الحرجة ونحن تداولنا ايدي امواج تعصف بها الرياح من كل جانب وتتهدد حياتنا الضئيلة التعيسة . فناتي ونحرضكم قبل كل شيء ان تقوّوا ايمانكم وتعززوا ثقتكم بالصليب المقدس المرتكز على الصخرة البطرسية التي عليها ابتنى السيد المسيح كنيسته الابدية الاركان جاعلًا دم الشهداء اساساً لها . ومن أين لنا تلك المنية العظمى ان يؤهل دمنا نحن الخطأة ان يمتزج بدم اولئك الابرار الاطهار[1]

(١) التمس الاب اندراوس احمرنيان وكيل دير بزمار في ٢٤ حزيران ١٩١١ من السيد اغناطيوس مالويان ان يفيده شيئاً عن اعماله ليدرجه في سجلّ الدير فكتب اليه المطران ما شرحه مما يدل على خوضه في عباب الاتضاع والكفر بالذات قال « اني لسوء الحظّ لم اعمل مدة حياتي شيئاً يستوجب الذكر . فقد ارتسمت كاهناً بدون استحقاق في ٦ آب ١٨٩٦ ومكثت بالدير على اثر رسامتي سنة ونصف سنة وخدمت الطائفة في الاسكندرية ومصر . ثم استدعاني غبطة البطريرك بولس صباغيان الى الاستانة وجعلني كاتباً لسره . اما الان فقد أمرني غبطة البطريرك ان اشخص الى ماردين لاكفِر عن خطاياي واغرس بشجرة السلم والحبّ في القلوب النافرة . ثم عهد اليّ رعاية الابرشية . تلك فذلكة حياتي الشقية . اما سيرتي قبل رسامتي كاهناً فمعروفة لدى الجميع »

« ثم اذا نفذت بنا احكام العلي باي نوع من الانواع بالابتعاد او بالاستشهاد فقد عينّا ان يستلم زمام ادارة ابرشيتنا حضرة الاب الجليل اوهنيس ورتبيد بوطريان ويكون له بصفة معاون حضرة الابوين دير جبرائيل قمرجيان ودير اغناطيوس شاديان . فنرجوكم ان تخلصوا له الطاعة متكلين على الهام الروح القدس الى ان يشاء الرؤساء فيأتوا بتدبير اخر يوافق الحال والزمان

« فانا اجتهدتُ بقدر ما بلغت مني الاستطاعة القاصرة في الطاعة التامة لراس كنيسة الله الحبر الروماني الاقدس . وجلُّ بغيتي ان ارى اكليرسي ورعيتي العزيزة تحذو حذوي وتخلص الانقياد دائماً لاوامر السدة الرسولية

« ثم اني اويد بانني ما خنتُ قط في امر من الامور الدولة العليـة بل كنتُ دائماً مخلصاً الامانة لها كما هي واجبات المطران الكاثوليكي فاحرضكم ان تسلكوا جميعكم هذا المسلك

« استودعكم الله ايها الابناء الاعزاء طالباً اليكم ان تصلوا الى الله كي يعطيني القوة والشجاعة لاقضي هـذا

العمر الفاني بنعمته وفي محبته حتى سفك الدم

عن قلاية المطرنة بماردين ✝ الحقير المطران اغناطيوس مالويان
١ ايار سنة ١٩١٥ رئيس اساقفة الارمن الكاثوليك
بماردين وملحقاتها

هذه اخر عبارة دونها الحبر الشهيد بتلك اليمين المقدسة وهي قوله « حتى سفك الدم » اوضح بها ارتياحه الى خوض ميدان المعركة واحراز تاج الغلبة . ولمزيد تعمقه في بحار الاتضاع قال « من اين لنا تلك المنية العظمى ان يؤهل دمنا نحن الخطاة ان يمتزج بدماء الشهداء الابرار الابطال » فاعلن بذلك انه يصبو بكل جوارحه ان يحتمل الاذى والنكال تأسياً بالشهداء البسل الابطال ويقتحم غمرات العذاب كأسد مغوار فيغسل دمه الزكي ادرانه وينقيه من جميع الشوائب ويعرضه على الحمل الذبيح بمثابة تحفة شهية ليحوز القبول لديه فيضمه الى مصاف الاحبار السعداء المغبوطين الراتعين في بحابح نعيمه . مرحباً بالهدية السنية واهلاً وسهلاً بمهديها البار الشجاع

ثم صرّح باخلاصه الطاعة للكرسي الرسولي المقدس عربوناً لغلوه بالدين المتين وراح يبعث في افئدة رعيته المباركة العزيزة تلك الشاعرة المجيدة ويحمّسها لتبوء بدمها نظيره حباً للديانة الكاثليكية المقدسة وشرائعها الغراء . فكأنه يقول لها ان « ربنا الحي وان سخط علينا حيناً يسيراً لتوبيخنا وتاديبنا سيتوب على عبيده من بعد [٢ مقا ٧ : ٣٣]

اخيراً أيد قائلاً « اني ما خنتُ قط في أمر من الامور الدولة العلية بل كنت دائماً مخلصاً الامانة لها كما هي واجبات المطران الكاثليكي » لعمري ما قول تركيا ورجالها الخونة في ذلك. كيف تيسر لهم الحاق السوء والعذاب بمن المحض لهم المودة واخلص لهم الامانة . ترى ما الذي استفزّهم ليتهضموا الراعي البارّ ويغلبوه على حقوقه ويعاملوه أعنف معاملة ليودوا بحياته . ما كاد يمر الشهر مذ وافاه الفرمان والنوط حتى قامت عليه وعلى طائفته المحبوبة قائمة الاشرار اللئام وفوّقوا لهم اصوب السهام . . .

يا رباه . ان هولاء كبسونا مجدفين وعذبونا ساخطين . وحسبوا نكباتنا وشقاءنا حظاً وهناء لهم . وألحقوا الاضرار باموالنا واملاكنا وارواحنا . فحتّام تتأنى وإلامَ تصمت . . والا فصبراً على ما يرجفون ولتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض

الفصل الحادي عشر

كبس الكنائس . القس حنا شوحا . الجمعيات . جمع الاسلحة . عزل المأمورين النصارى . قتل عيسى قريو . تعذيب جرجس آدم . رشيد وحلمي . قتل الرئيس برو وذويه . القبض على ابن حنجو واصحابه . دسيسة . بعث امراة الى حلب

ما اكتفى اعداء النصرانية بتفتيش كنيسة الارمن بماردين بل هجموا على غيرها من الكنائس ايضاً ففتشوا بطركخانة السريان الكاثليك داخلاً وخارجاً . ويوم الاحد ٢ ايار هجموا كنيستهم ووثبوا بالقس حنا طبي وملكي سلمو وهو يشتغل ببناء مذبح مار يوسف واوسعوهما شتماً وضرباً وحرّجوا على البنّاء استئناف العمل

وقوّضوا الدمص الذي شاده وحفروا لينبشوا الاسلحة والمدافع التي ادّعوا ان العملة يخفونها في قلب الارض فلم يعثروا على شيء . فانصرفوا خائبين . وعند عودتهم لقيهم محمود عبدالو في الطريق واكد لهم انه هو الذي باع السيد يوحنا معمارباشي المذكور في الخير بندقيتين (متراليوز) فرجعوا الى الكنيسة تكراراً ونبشوا ضريح المطران المتوفى وفتشوه فلم يجدوا شيئاً فعادوا خائبين

وفي الاحد التالي تاسع ايار احضر شرذمة من الجنود القس حنا شوحا الكلداني من نصيبين مدّعين انه أخفى عنده بعض الفارّين . وعند الظهيرة ألقوا طوقاً حديدياً برقبته واستاقوه في الجادة العمومية في هرج ومرج اذ كان الاعلاج يتبعونه ويقذفونه بالحجار ويذرون التراب على هامته . وأوغلت بهم اللآمة الى ان ألقوا على قذاله لفائف الدخان وهي مشتعلة ليزيدوه أذى وعذاباً . وما برحوا يجرّعونه أكواب الشتم والسب والهزء حتى وصلوا به الى باب البلد الغربي فعاد الاعلاج الاوغاد الى بيوتهم وسار الاب المظلوم في جماعة من الجند الى دياربكر ليحاكمه رشيد الوالي الزنديق بما يستحق . وصرف السيد اسرائيل مطرانه الجليل العناية في تخلية سبيله فلم يفلح فكتب الى المطران سليمان بدياربكر ليسعى في انجائه . غير ان الاب حنا المشار اليه ما وضع قدمه بمدينة دياربكر جرثومة الشرور حتى لقيه الانذال السفلة في الاسواق واشرحفوا لتصويب نبال سخطهم عليه وانزال العقوبة بـه والقوا جلجلاً في رقبته تأسّياً بالحاكم ابن العزيز العلويّ صاحب مصر في اواخر القرن العاشر فانه على ما اورد ابن العبري في تاريخه المدني السرياني امر الذادين ان ينادوا ان من لم يدن

بالاسلامية يُرذل ويحتقر ويُعلق في عنقه خشبة كالصليب وزنها اربعة ارطال بغدادية . واذا دخل الحمام وجب ان يعلقوا في عنقه جلاجل ليتميز من المسلمين . غير ان أوباش دياربكر سُودت وجوههم ما اكتفوا بذلك كله بل لطخوا لحية الاب المومأ اليه بالاقذار وقذفوا عليه الاوساخ حتى بلغوا به تواً الى اعماق السجن وهناك افحشوا في ضربه وتعذيبه حتى فاضت روحه بيد خالقها

وكان الخصوم مذ ذهاب القس حنا شوحا على الصورة المشروحة الى دياربكر يختلفون الى البيوت ويواصلون المؤامرة على اباحة دماء النصارى مغمضين عما جاء في سورة القصص « ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين »

« ويوم السبت ١٥ ايار أوفد رشيد والي دياربكر المنافق الى ماردين صديقه فيضي بك ابن عارف بك برنج وما وطئ ارضها حتى ارسل في استحضار الاعيان والوجهاء الى دار قاسم بن عبدي جلبي الحاج كرمو وبثهم مضمرات الوالي ومكنونات قلبه الفاسد وعرض عليهم كيفية البلوغ الى تلك الغاية الشريرة وقال لهم « قد آن الاوان لانقاذ تركيا من اعدائها الوطنيين اعني المسيحيين . وينبغي ان يتأكد لدينا ان دول اوربا لا تعارضنا ولا تحاججنا ولا تعاقبنا لان المانيا معنا تعضدنا وتساعدنا » واليك اسماء من ضمّ ذلك المجلس نقلاً عن الاصل

الحاج عبد القادر باشا . خضر جلبي رئيس البلدية . حسين المفتي عبد الرحمان القواس . عبد الرزاق وداود وموسى شهتنا . فارس جلبي ومحمد علي ومحمد راجي وعبدالله والحاج اسعد الحاج كرمو . خضر

افندي وابنه درويش مدير تل ارمن . احمد اغا كبير الداشية . شوكت بك ومحمد بك الملية . درويش كرجيه . عبد الكريم فاشوخ قاسم بن عبدي جلبي . الشيخ محمد علي الانصاري . رفعت الطبيب مصطفى بن حسين بك الملية . نجيم افندي . الشيخ موسى القلاو . الحاج احمد اغا السراكجي . نعمان النمس . نعمان بن حمدان اغا الداشي . احمد بن داود بك . الشيخ عطا ابن الشيخ حامد . نوري البدليسي . داود اغا المشكوي . داود اغا المندلكاني . اسعد بن حمو اليونس . اسحق ويحيى الخلوصي . قدور بك وعبد الحليم الحاج علي بك . الحاج عبد الرزاق القنطرجي

وظلّ هولاء يجتمعون ويتحيلون على اخذ النفوس والفاوس معاً حتى يوم الاثنين ٢٤ ايار فانتجت لهم فكرتهم ان يوفدوا النادي ينادي في شوارع البلد ويقول « يلزم النصارى عموماً ان ينقلوا ما عندهم من البواريد في مدة اربع وعشرين ساعة الى مقام القومندان العسكري » ذلك ليسهل لهم فيما بعد ان يمثلوا بهم حسب هواهم . وكانوا يعرفون حقّ المعرفة ان اغلب النصارى ان لم نقل كلهم لا يقتنون مثل تلك البضائع او ان وُجد عند نفر منهم شيء منها فليس بذات اهمية . اما النصارى المساكين فلما سمعوا المناداة حملوا من فورهم الى القومندان ما كان عندهم من البواريد السقيمة التي أكل عليها الدهر وشرب . ومن جملة ذلك ان القس متى خريعو وكيل بطريركية السريان الكاثليك مضى الى مقام القومندان بالسيف الذي كان مصوناً في البطريركية منذ عهد البطريرك انطون سمحيري مما كان خاصاً استعماله بالقوّاس طبقاً لانعام الدولة

وكان الخصوم اذ ذاك يذكون العيون على الذاهبين ببنادقهم الى مقام القومندان ويبثون الجواسيس والاحراس ليقفوا على سرائر النصارى . وكانوا اذا لمحوا احداً ممن سبق فأوجعهم بالكلام او طالبهم بدين انغضوا اليه راسهم وازلقوه ببصرهم واضمروا له المكيدة منتظرين الساعة بذاهب الصبر ليسحقوه ويتلفوه

وبعد هذا انتزعوا السلاح من جميع المسيحيين المنخرطين في الجند العسكري وعزلوا جميع من كان منهم موظفاً في المحكمة بحيث لم يبق من النصارى سوى عزيز افندي ابن يعقوب الدياربكري الكاتب الاول في الديون العمومية وجرجس افندي مقدسي نانو امين الصندوق وجرى ذاك بهمة مديرهما علي صائب افندي صديقهما الحميم الذي دافع عنهما وصانهما من دهاء الخصم حتى اول اب ١٩١٥ فسارا الى حلب وواصلا شغلهما حتى يومنا . وكانت نجاتهما باعجوبة غير منتظرة لانه لم يبق من جميع المأمورين المسيحيين في ولاية دياربكر وبتليس سواهما

ويوم الاحد ٢٣ ايار سار طاهر ابن الحاج كوزه الى بيت الفتى عيسى بن قريو السرياني ودعاه الى بستانه ببحر الطور ترويحاً للنفس فاعتذر الفتى النجيب ما امكنه خائفاً فألح عليه طاهر قبول عذره والحّ مشددا الدعوة فلم يسع الفتى الصبيح الوجه الا الاجابة خشية ان يقوده مكرها . ولما كان عصر النهار ربطه الى شجرة وقضى منه الوطر الذميم ثم مال فصلم اذنيه وجدع انفه واخذ يبتر بقية جوارحه فسالت دماؤه متدفقة من جميع اطرافه وما لبث الغاشم ان دعا بجميع المقيمين في البستان لينعموا نواظرهم بذاك المشهد الوحشي

فوقفوا يتفرجون وهو يمازحهم امـام مشهد يفتت الصخور ثم شرع ثانية يقصب فريسته على مرأى منهم فيقطع بخنجره اوصاله ويبضع لحمانه حتى فاضت روح ذاك الفتى المسكين من بعـد ان ذاق الوان الفضيحة والعذاب. ولما نمى الخبر الى امه الثكلى اخذت تلطم وجهها معولة وتندب حشاشة كبدها مواولة فارسل اليها ابو القاتل خمسين ذهبا دية ولدها فردتها بأنفة قائلة لست اقبل دية عن ولدي بل ارفع دعواي الى الله القاضي العدل واكل اليه ان ينصفني من الغادر بفلذة كبدي

ويوم الثلاثا ٢٥ ايار هجم عليكو حمري على دكان جرجس بن حنا آدم الشاب الارمني يطلب منه عباءة . فانكر عليـه جرجس الطلب . فاخبر عليكو الخبيث صديقه علياً خفير حي المشكيـة فقبض عليه وساقه الى دير الرواهب الفرنسيسيات فعرّاه من ثيابـه بالمرّة وصب عليه ماء بارداً حتى جمدت دماؤه في عروقه ثم اخذ السوط وجعل يضربه بجفاوة وغلاظة ويقول له لست اكف عن صفعك ما لم تجاهر بالاسلامية. فنادى جرجس باعلى صوته والراهبة اسانسيون تسمعه يقول « اني احيا واموت على ايمـان المسيح » وكان جرجس متنطقاً بالزنار الفرنسيسي فحله عـلي اللعين وجعل يضربه به ويقول ادعُ صاحبه لينقذك من يـدي . وما لبث يضربه الضرب الوجيع حتى انتفخ جسمه وتنـاثر لحمه فأرسلت الراهبة في استدعاء اهله فاقبلوا وحملوه على سرير ومضوا به الى داره . واستمرّ جرجس ملازماً الفراش يشكو أليم اوجاعه حتى سادس حزيران فأقبل عليكو الخبيث في جملة من العسكر الخمسيني واستاقوه الى السجن وضموه

الى النصارى المسجونين آنئذٍ ثم ساقوه معهم عاشر حزيران وقتلوه

وفي هذا اليوم تقدم رشيد اللئيم الى حلمي بك متصرف ماردين الكريم في ان يلقي القبض على وجهاء النصارى ويزجهم في السجن . فأجابه حلمي اني لست اجد علة في نصارى ماردين تستوجب حبسهم ومن ثم فيتعذر عليّ ان انفذ اوامرك . فامتعض الوالي شديد الامتعاض ونوى منذ ذاك ان يعزل المتصرف الصدوق كما سترى

ويوم الاربعا ٢٦ ايار وافتنا الاخبار من براري دياربكر ان احمد اغا صاحب قوصان والعوين وما والاهما بعث اصحابه على الرئيس برو الارمني المشهور بنفوذه وثروته في ذلك الصقع وكان عنده يومئذٍ صهرهُ يوسف سعيد نانو كدا السرياني . فانقضَّ اولئك الاوباش كالطيور الكاسرة على دار الرئيس برو العامرة واصلتوا عليه السيوف وفتكوا به وبصهره وبجميع أسرته . وفيما كانوا يذبحونهم بشراسة اضطروهم الى الاسلام فلم يسلموا . وسبوا الفتيات واختلسوا ثروة الرئيس الوافرة وملكوا اراضيه وكنوزه وامتعته واملاكه . فلما وصل الخبر الى خاتون ان والدها وقرينها وسائر ذويها قد تغلب عليهم الاعداء وبطشوا بهم لبست الحداد واستدعت الاهالي والاصحاب ليشاطروها احزانها ويعزوها في اليم مصابها وغاب عنها انه عما قليل سيجري مثل ذلك في بلدتها عينها ثم ان اصحاب احمد اغا انتشروا في تلك القرى المجاورة وجاسوا خلال الدور والبيوت والجأوا النصارى على انكار النصرانية والمناداة بالهيللة فمن اسلم استحيوه ومن ثبت في ايمانه قتلوه

وفي اصيل ذلك اليوم عينه اي ٢٦ ايار اقبل سيف الدين الجندي

الارغني وعبدالله بن خضر افندي وسبعة آخرون مدججين بالاسلحة الى كنيسة السريان الكاثليك يريدون جرجس حنجو السرَّاج الارمني وكان حاضرًا آنئذ صلوات الشهر المريمي فقبضوا عليه وساروا به الى دير الرواهب منقع العذاب وتركوه هناك ومضوا فاستحضروا الى المحل عينه عمه يوسف وسمونيل ابن عمه وسمونيل القصاب ورزق الله مرشو وشقيقه سمونيل . وما مضى من الليل ساعتان حتى وافى فكري البكباش وفي يده كلبتان ضخمتان يتبعه اثنان وعشرون من الجنود المسلحين . فاستدعوا جرجس حنجو الى غرفة منفردة وقالوا له . بلغنا ان عندك بنادق ومدافع فاذهب في احضارها والا عاقبناك اشد العقوبة . قال جرجس اني طبقاً لمناداة المنادي دفعت الى الحكومة ما كان عندي من السلاح واليكم الورقة المختومة المؤيدة ذلك . قالوا لا بد لك من تسليم ما عندك كله والا عذبناك مثلما عُذب نصارى ديار بكر مما بلغك خبره . ثم أَلقوا الحبال برجليه وصفعوه ثلاثاً وعشرين ضربة احتملها صابرا فتوسط عبد القادر القومسير واستمهل الحضور ساعة ليقرره ثم انزوى به وقال له علمت انك استحضرت اسلحة وبواريد من حلب فقل لي لمن بعتها . قال جرجس هذا افك محض لا صحة له بتة . ثم استنطقوا رفاق جرجس فلم يصيبوا منهم حجة تؤيد ما توهموا . وعند نصف الليل اقبل فكري البكباش تكرارًا لينزل العذاب بالستة . غير انهم وعدوا القومسير بدفع ستين ليرة على ان يخلي سبيلهم . فاطلقوا جرجس صباح ٢٧ ايار ليحضر ما وعد فجاء الى كنيسة السريان وسمع القداس ثم قصد نحو والده وبلّغه ما جرى . فاعطاه

ثلاثين ليرة عنه وعن عمه وابن عمه . فقبضوا العشر واطلقوه واستاقوا الخمسة الى السجن . وورد في اليوم عينه امرٌ من ارضروم في اشتغال مائة وخمسين سرجاً فاطلقوا يوسف خنجو ودفعوا له ذلك المبلغ ليستحضر اللوازم ويباشر العمل . لكن يوسف اعلن للمأمورين انه يقوم بانجاز العمل مجاناً لان الدولة اطلقته

وفي هذا اليوم أبصر وافه (قندانمت) كنيسة السريان الكاثليك قوماً من العسكر الخمسيني يحفرون تحت الليل الخندق المصاقب لشارع الكنيسة ليدفنوا فيه اسلحة . فما تمالك ان عارضهم واحتج عليهم فكتموا عنه الحقيقة ورجعوا بصفقة خاسرة . ومنذئذٍ جعل يبث العيون على الازقة ليلى نهار حذر ان يطمر فيها الخصم شيئاً فينقلب ويدعي ان السريان اخفوها اوقت الضرورة ليصيب منهم حجة التنكيل بهم وسفك دمهم

واعلم ان اخبار العاصمة في هذه الايام ما كانت لتشير الا الى محاربة الفرنسيس والانكليز مع تركيا في الدردنيل ومرمرا والبحر الاسود . كأن ارباب الامر غافلون عما يجري في تركيا من الجرائم والفظائع والمذابح . ولما ايقن مطران الارمن ان لا بد من الايقاع به وبجماعته استدعى اليه سراً حبو ابنة يوسف ساعور وسيرها في كتب الى القنصل الاميركي في حلب يورد له المخاطر الحاصل فيها هو وطائفته ويطلب منه النجدة والمعونة على وجه العجلة غير ان القنصل لم يفده شيئاً بل لم يستطع الى جوابه سبيلاً

الجزء الثالث

في الحبوس والمذابح والسبي وسائر الفظائع

من حزيران ١٩١٥ الى تشرين

الفصل الاول

جرائم الشر والنفاق

متى أصيب المرء بالنكبات والبلايا واحتفت به ضروب الآفات والرزايا هجره الاصحاب والاخوان وغمضوا عنه عين التوءدة والاحسان وتركوه يتقلى ويتكوى مصطبراً على المحنة والبلوى ريثما يوافيه الفرج والعزاء من رب الرحمة والجزاء · فالنصارى في ما بين النهرين لما صار شهر حزيران ١٩١٥ نبذهم ارباب الحل والعقد ومقتهم اصحاب النفوذ والحكم بحيث لم يبق بينهم خل صدوق يذب عن الحقوق·

وكان وجهاء المسيحيين يظنون لسلامة طويتهم وسذاجة قلبهم[1] انهم لن يُنكبوا بأعظم مما نكبوا ولن يُفجعوا باكثر مما فُجعوا الى ذلك الحين

ولكنما لله في ذا مشيئة فيفعل فينا ما يشاء ويحكم

على اننا توخينا ان نورد في هذا الفصل اسماء بعض الجناة الطغاة ونلمع بذكر شيء مما اقترفوه ليقف القراء على ما اتصلوا اليه من الكفر والنفاق

١ : رشيد الطاغية والي دياربكر

هو جرثومة الخبائث والفساد واصل المشاغب والفتن والداعي الى سفك الدماء وارتكاب الفظائع . عزل من لم يجاره في انجاز نياته الفاسدة كحلمي بك متصرف ماردين وقائممقام ديركه وغيرهما وبعث الرسل الى البلدان والقرى ليثيروا المثائر ويهيجوهم على المسيحيين . وافضى به النفاق الى ان امر بتصوير جثث القتلى النصارى وكتب تحت تلك الصور هذه العبارة الزورية « النصارى يعذبون المسلمين » ولما انجز الوظيفة على ما رام هو واصحابه سار الى العاصمة واحتظى عند طلعت صديقه الحميم فأثنى على عمله وحبذه واستحصل له من السلطان انواط الشرف ونصبه والياً على انقره . وليلة وصوله اليها أمر باحراق الولاية وكان اول من نشم في ذلك

(١) ان وجهاء الارمن ولاسيما نعوم جنانجي واسكندر آدم كانوا على يقين ان مسلمي ماردين لن يتحزبوا لرشيد الوالي واصحابه بل يدافعون عن حوزة النصارى كما دافعوا منهم سنة ١٨٩٥ . . .

والخلاصة ان مثاله كان مثل من القى حصاة في حوض ماء فاتسعت الدوائر وتفاقمت الاهوال

٢ : الحاج زكي اللجوي

سعى في الشر السعي الخبيث وغدا كمحراك جهنم في التنديد بالنصارى وتعنتهم حتى نتجت له خباثته ان يتقدم الى مشايخ العشائر في التحفز لاراقة دماء النصارى وكان شديد الحنق على السيد اغناطيوس مالويان نصح له المطران ذات المرار ليكف عن تسعير نيران الفتن في الاطراف فلم يكف فأولم له وليمة استعطافاً لخاطره واطفاء لنار سخطه فلم يتوَ عليه فراجع حامي بك المتصرف فاضطره الى مغادرة البلد فخلف الحاج سعيدا اخاه وزلفيقار كاتب الرديف صديقه وحمسهما على التشفي من النصارى وانقلع

٣ : زاني مبعوث دياربكر وفيضي مروّج افكاره

اصطفاهما رشيد الطاغية لاطلاعه على مكنونات صدرهما وبعثهما الى ماردين وقراها . فسارا الى طور عبدين والجزيرة ونصيبين والصور وأثارا العشائر وحرضاهم على ذبح المسيحيين قاطبة واطلقا لهم الحرية في نهب الاموال وسبي الحريم واقتراف كل منكر . ونقل لنا غير واحد ممن آكلهما وشاربهما انهما قالا مراراً لمسلمي ماردين « لا تبقوا على نصراني واحد ومن لا يكمل هذا الواجب المقدس ؟ خرج من الاسلام »

٤ : خليل اديب رئيس الجزاء

كان ممثل جمعية الاتحاد والترقي وأحد المنتمين اليها . وكان

اذف الرجفين وعقيدهم واوحد المامورين في السعاية لم ترَ العين اخبث منه تحت القبة الخضراء اليه عهد رشيد الطاغية ان يجمع العسكر الاختياري (المليس) ويسير الى نصيبين ومديات وغيرهما ليدعو المشايخ الى اهراق الدماء · وعكس على حلمي بك امر محاماته عن حقوق المسيحيين · ولما استعفى حلمي نصبه الوالي مكانه فاستاق القافلة الاولى ليلة تنصبه وكيلاً · وارسل اليه مطران السريان الكاثليك كتاباً ليرفعه على لسان البرق الى الوالي في شأن اطلاق السريان فجعله دبر اذنه وحرّج المراسلة على المامور دون معرفته · ولما ورد الامر من دياربكر بتوقيف قافلة الرجال الثانية اخفاه لمزيد لؤمه ولم يُذعه · واصدر الامر بسوقهم قبل الفجر ·· وهو الذي سار الى كنيسة الارمن مستصحباً حنا صاني وفرج الله حنجو وامرهما ان يحفراها وينبشاها لعله يعثر على مخزن الاسلحة والمدافع · يا للحماقة ويا للخباثة ! ! وفي زمن وكالته المنحوسة المتعوسة احرق الجنود تل ارمن والقصور وغيرهما كما سترى

٥ : بدري المتصرف

بدري هذا المشوم عظم حجم النفاق واتسع فتق الفساد واستفحل الظلم والاستبداد · ذلك لما قلع اديب الزبور نصبه الوالي ليواصل اقتراف الشرور وكان بدري كسر الله رقبته جمّاعاً للذهب والفضة ميالاً الى الخلاعة واللهو ثوى بدار اسكندر آدم واستخرج الطامير الثلاث الثمينة التي كانت مدفونة فيه · واستدعى اليه غرّا قصار وارادها على جمع حليّ السيدات الارمنيات فجمعت ما

بلغت قيمته الفاً وخمسين ليرة ذهباً وحملتها اليه في حقيبة كبيرة فقبضها واستاق غرًّا من فوره مع سيدات دياربكر الارمنيات فتكثر بمال النصارى واستغنى وبطر واسرف الليالي في البذخ والسكر . وبعث الى عبد الامام يحرّض العشائر على قتل نساء القافلة الاولى ومحق اثرهن . وارسل ممدوحاً زميله وشريكه في النفاق الى ديرمار افرام فاختلس من الفضة والذهب شيئاً كثيرًا وتقاسماه على السكت

٦ : ممدوح

ما زال النصارى حتى يومنا اذا فتحوا كلامهم بذكره سبُّوه ولعنوه . واذا استعاذوا بالله من ابليس الرجيم عنوه . ركض قبحه الله في حلبات الضلال وغربل النصارى بغربال الجور والغدر والنكال وخُصّ بفظاظة الطبع وغلاظة الرقبة وامتاز بصورة شوّهها الخالق وقبحها حتى اذا رآها الكلب نبحها . تحالف مع أصحابه الخبثاء على تقويض اركان الدين المسيحي ونسف صروحه . وعاث في ماردين وقراها عيثاً . ونكل بالنصارى في السجن واستاق قافلة الرجال الاولى وقتلهم عن آخرهم تحيل على اخذ الاموال اذ كان يحوم على الذهب حوم الحدأة على المزابل . وقضى الليالي في مسامرة النساء واقتراف المنكرات . ونقول القول الفصل ان فظائعه وقبائحه ركبت الالسن وسارت في البلاد . وما برح لعنه الله حتى يومنا حيّاً يجول من مكان الى مكان

توفيق بك ياور رشيد

هذا اقتعده ابليس الخناس واتخذه آلة لترويج الشر والفساد وبعثه

لينتهك الحريم ويسبي الذراري ويثخن في النصارى . وكانت عجرفة طباعه لا تُقاس بمقياس . حلّل المحرمات وتقلب في الامور كما شاء طبقاً لما قيل

اذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً   تقلب في الامور كما يشاء

وهو رفيق ممدوح في اسفاره حليفه في شروره . خضب سيفه بدماء النصارى الابرياء واختلس من الاموال شيئاً كثيرا

٨ : هرون ملازم الجاندرمة ؟

شخص الى ماردين ظهيرة الخميس ثالث حزيران صحبة ممدوح وتوفيق المزبورين فكان ثالثة الاثافي . تفرد بالعتو والقسوة ولزم المفاسد والشنائع قدر ما سوّغت له النفس الامارة . وهو الذي حرج على الاكراد استحياء الفتيان والفتيات في قافلة النساء الاولى . فحشروهم في بالوعة عبد الامام وخضبوا يديهم بدمائهم الطاهرة .. لا جرم ان كل نفس تُوفى ما عملت

واقتفى آثار هولاء حسين افندي المفتي ومصطفى منير وحجابي وعبد الكريم الامدي وغيرهم من المنّصبين في شوون الحكومة

٩ : عبد القادر القومسير ومعاونه فائق وعامة البوليس

استركض القومسير ومعاونه عامة البوليس واستعجلاهم على الجولان في الدور والشوارع ليلًا ونهارا للقبض على النصارى وخطف الاولاد والحريم واختلاس الاموال . وقد عرفنا منهم حقي وفكري وعلي قاعو وصالح الفرّوخ الذي استنزف اموال منصور قليونجي

وامتعتــه باسرها واستاق امراة منصور وحماته واولاده وسائر آله فقتلوهم اجمع . ومنهم توفيق بابا نجيم وفواد الكرجيـه واخوه خلوص واحمد ابن الحاج قاسم قاتل القس يعقوب فرجو الارمني وبزو الدياربكري وسعيد الميفارقيني وشاكر الجوخدار واخوه توفيق . وحسن بك الضابط ابن الحاج علي بك الذي اختلس ما كان في غرف دير مار افرام لما كان الرهبان محبوسين في ٢ آب ١٩١٥ وحيدر ابن الشيخ افندي وغيرهم . فانهم قتلوا وسبوا وتبصلوا الاموال وركبوا الفواحش قدر ما وسوس اليهم ابليس . ولكن الذي فاقهم وفاتهم هو محمد كبوشو المشهور فان قبح منظره دل عـلى سوء مخبره . وكنت تراه اثناء الغائلة مخترطاً سيفه والسوط بيده يكابس بيتاً فبيتاً يذعر النصارى ويضربهم دون تميـيز بين الكبير والصغير والرجال والحريم . اذ كان مباحاً عنده القتل وانتهاك الحريم وسفح الدماء واختلاس الاموال . وهو الذي اخترع خشبة عـلى شكل صليب علق عليها غير واحد من المسيحيين المسجونين وجلف اظفارهم ونتف شعرهم الخ وهو الذي قتل عبد المسيح مالو ونكل بسليم بن يوسف الخوجا يونان وفتك بانطون معمارباشي وغيرهم ممن سترى اسماءهم في هذا المؤلف . وفاته ما قيل « انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون »

وضارع البوليس في ارتكاب المنكرات العسكر الخمسيني بلفيفهم كمحمد الللي والشيخ قاسم الانصاري والشيخ ضـاهر مأمور الحبس والشيخ نوري وشوكت بك ابن محمد سعيد آغا واخيه رضا وبشو السرّاج واولاد الشيخ خطاب وصادق ابن علي الترزي والحاج جلدو

وقادي عمشاكي وحمدي الشرابي وخليل خلفو وغيرهم

وحاكاهم في إلحاق الاذى بالنصارى جميع المشكوية مع انهم هم الذين حموا عام ١٨٩٥ ذمار المسيحيين وحاموا عنهم بكل جهدهم [راجع هنا ص ٦٠ ـ ٦٦] كفارس بن حمي الباشا وعمه عمر وواصي بن محمد سعيد آغا وياسين ابن عمته وعلي البيرقدار وعثمان ومصطفى وعزيز آيو ودرويش حمو رشو وغيرهم

وماثلهم في ذلك عامة الداشية كحسين بلالو واخويه خليل وعثمان وغيرهم وضاهاهم من المندلكانية اولاد علي معمو وعمر معمو ومحمد شريف بن فرحان وبيت قادي بكر وعزيز بن برو حسين بك وخليل او خلو الذي وشى بالقس حنا بنابيلي جاره فكبسه الجنود في داره واوسعوه ضرباً ورفساً واستاقوه الى السجن واضافوه الى اصحاب القافلة الثانية

واننا نعرض عن ذكر الكثيرين من الذين عرفنا اسماءهم ووقفنا على حقيقة افعالهم وهم الذين سدّدوا نبال الفتن وافحشوا في استنباط الحيل وبالغوا في السبي والخطف والسلب والنهب والقتل وتفننوا في اشكال التعذيب من قطع السنة وجرّ اسنان واظفار وشرم انوف وآذان وبتر اعضاء ونتف شوارب ولحى وهلمَّ جرًّا . على ان ذلك يتطلب الصفحات الطوال وليس من شأننا ان ننتقد او نعقّب على فعل واحد فواحد بل غايتنا انما هي ايراد الحوادث على حقيقتها وبسطها على علاتها ليس الا

على انه مذ حضور زلفي وفيضي الى ماردين تباشر الخصوم بنيل المآرب وسارعوا الى تاليف الجمعيات السرية في النوادي واستنباط

الحيل الشيطانية لادراك الاماني . ففغروا الافواه ومرجوا الالسنة في الاعراض واطلقوها في الذمّ والاغتياب وكتبوا رسائل الجور والظلم ليحرّفوا حكم المساكين ويسلبوا حق البائسين " لتكون الارامل مغنماً لهم وينهبوا اليتامى [اشعيا ١٠] مع علمهم الوكيد ان النصارى ابرياء وانهم ليسوا الا كعبيد لهم اذلاء من امس فما قبل

وكان بعض خدمتهم النصارى يتنصتون لما يقولون ويوصلون الينا مضمراتهم فكنا نكذبهم ونقول لهم . ان صداقتنا مع المسلمين أصفى من عين الديك ومحبتنا لهم اصلب من حديد . ومن ثم فلا يمكن ان تنقلب الصداقة الى عداوة والرقة الى فظاظة اذ لم يكسر بيننا عظم . وزد عليه انه لا يوجد في بلدتنا احد من الارمن القحّين او ممن قاوم الحكومة وتعرض لها فيما سلف . بل اننا والحمد لله كاثوليكيون مختضعون لاوامر الدولة قابلون لها على الراس والعين . فلا يسوغ من ثم للحكومة ان تتعنتنا وتعتقد لنا العداوة وتعاملنا بالخيانة . بل اذا وافتها الاوامر على فرض في قتلنا او اجلائنا كتمتها ودافعت عنا وحقنت دماءنا . غير انه لسوء الحظ خابت الامال فصار اصدق صديق واعزّ رفيق أخبث خصم وأخون عدوّ . وامسى الخروف ذئباً والحمامة افعى

بناء عليه قضيت مجالس الشورى مذ نيسان حتى سلخ ايار وجرى الاتفاق على ادارة رحى الاضطهاد على ايمة المسيحيين اولاً ثم على الوجهاء فالافراد فالنساء فالاولاد . فتشمروا وتحزموا وراشوا السهم قبل الرمي حتى اذا كان حزيران استوسق لهم ما احبوا فاقاموا طائفة من العسكر لحراسة البلد كي لا يخرج منه احد . ونصبوا طائفة

للتنكيل وجماعة لمرافقة القوافل وحراستهم اعني ذبحهم وقوماً لافراغ الكنائس واخلاء البيوت

وآخر الامر نفضوا يدهم من المسيحيين بالمرة واصفقوا على سجنهم واطبقوا على تعذيبهم وقتلهم وتواطأوا على سحقهم ومحقهم مع انهم الى ذلك العهد كانوا محاليف لا يتفقون في امر . وكتموا هذه الدسائس عن اعز الخلان وحلفوا بالمحرجات انهم لن يبوحوا بالسر الى احد بل توعدوا بالقتل حالاً كل من بلّغ النصارى كنه تلك التدابير . مهلاً يا هولاء اذكروا انّ « من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يره » والسلام

الفصل الثاني

الغاء الامتيازات

يعرف كل خبير انه كان لدول اوربا ولاسيما الدولة الفرنساوية امتيازات شتى في تركيا غايتها صيانة حقوق النصارى وحرمة الاكليرس وعدم التعرض الكنائس والمدارس واقتضى لاستحصالها ازمنة طويلة ومبالغ جسيمة واتعاب كثيرة

غير انه ما مرّ الشهر على اعلان هذه الحرب الضروس حتى الغت تركيا تلك الامتيازات وعادت اليها الكلمة فاقامت انور وطلعت لينفذا هذا المشروع ويعلنا به . فاجتمعا باحزابهما وحواشيهما وبثّاهم ما يكنّه صدرهما من الحزازات على النصارى ولاسيما الارمن قاصدين بذلك على رأيهما الفاسد خير الدولة وسعادتها ومن جملة ما نطق به انور ان جلّ مرامه هو ان يُري الطرق التملص من عبء ذلك

الحمل . والتخلص من رق العبودية . حتى قال « ان العبودية صعبة تلجىء صاحبها ان يعيش مهدداً مخوفاً محتقراً لا يتيسر له ان يبدي رأياً او يبتّ حكماً دون مشورة او مراجعة . فدولة كهذه وجودها وعدمها على حدّ سوى . والا فمن يجهل ان البصير خير من الاعمى والحرّ افضل من العبد »

فصفق الحضور لخطابه استحساناً واستصوبوا رأيه وبعثوا الاخبار الى الولايات بان تركيا أُعتقت وان امتيــازات الاجانب أُلغيت . فدقوا الطبول وبوقوا في الابواق ورفعوا اللواء العثماني الاحمر المشير الى سفك الدماء

اما جمعية الاتحاد والترقي فاعلنت قائلة : « بما ان الارمن ياتون اموراً تخــالف السنن ويغتنمون الفرص لازعاج الحكومة ويخزنون اسلحة وقنابل ومواد منفجرة ليسعروا نيران الثورة داخل البــلاد ويفتكوا بالمسلمين ويعضدوا روسيا فاستــدراكاً لشاغبهم نقرر ان يساقوا جميعاً الى ولايتي الموصل وسوريا ولواء دير الزور عــلى ان تكون اعراضهم وانفسهم واموالهم في امان من اعتــداء المعتدين وتعدي المجرمين . وقد اصدرنا الاوامر لاسكانهم في تلك البلاد ريثما تضع الحرب اوزارها »

هذا كان البيان الرسمي العلني في شأن الارمن فقط . اما البيان الخفي والحقيقي فكان يرمي الى تأليف العسكر الخمسيني (الملبس) ليساعدوا الجنود على قتل الارمن وسائر المسيحيين ويتلفوهم ويستحوذوا على اموالهم وارزاقهم والسبب في ذلك على ما رووا ان ارمن مصر واوربا واميركا اوفدوا خفية عشرين رجلاً ليفتكوا غيلــة بطلعت

وانور

وبعد هذا نصبوا وعزلوا من احبوا ثم أَمروا بجمع اسلحة النصارى والقبض عليهم وتعذيبهم وسوقهم وقتلهم وانعموا على من جاراهم ببراءة عمومية وحرية تامّة ليقتلوا ويخطفوا ويختلسوا ويفحشوا كما يبتغون ويهوون . ومن المقرر ان السمكة اذا فسدت فسدت اولاً هامتها وقد قيل

لما رايت الراس وهو مهشم ايقنتُ منه تهشم الاعضاء

الفصل الثالث

صفات اعداء الانسانية

لا تحضرنا عبارة نرضاها لنعقّب عن عيوب اعداء البشرية وشوائبهم فلو قلبنا كتب اللغة اجمع وطالعنا تصانيف ابلغ البلغاء وافصح الفصحاء لا نكاد نعثر على لقب او كنية او نبز يوافقهم . ومن ثم فنقر بعجزنا وندع الامر لغيرنا . وناهيك ان المرئيات ليست كالمسموعات فقد رأينا شناعاتهم بعيننا ووقفنا على قبائحهم فهم قوم قبضوا مقاليد الفساد والشقاق ودرسوا اساليب الكذب والنفاق حتى فاتوا الابالسة بابليستهم وفاقوا الوحوش بهمجيتهم . اصبحوا اعقّ من ضبّ واظلم من حية . حازوا قصب السبق في شراسة الطبع وفظاظة الخلق . تمكنوا بالدناءة والخساسة وقذفوا كل مروءة وكرامة . قرّعوا صفات النصارى واستطالوا في اعراضهم . حسبوا هدر الدماء واسترقاق الاحرار وغصب الحريم من فعال المجد والشرف « انما يأمرهم الشيطان بالسوء والفحشاء » غدت مودتهم كيداً وصحبتهم صيداً وتقربهم

مكراً ومواصلتهم غدراً . احتقبوا كل ما حرمه الله وتطاولوا الى كل قبيح . اضحوا احقد من الجمل واشكس من النمر . وباروا الارنب بشبقهم . والباز بضيق خلقهم . دخلوا كالبومة على الطيور في وكرها وافترسوا فراخها . واذا راوا امراة حسناء غيروا صوتهم وبدلوا حركتهم حتى يبلغوا منها الارب . استعذبوا كالظبي ملوحة الشهوات الاجاجية واستحلوا مرارة الخزايا الحنظلية . تهافتوا تهافت الفراشة عـلى ركوب كل محظور ومحذور ومقارفة جميع المفاسد والشرور . فجروا وفسقوا خلافاً لما أُمروا «ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلاً» [سورة الاسرا]

ونقول على وجه الاختصار انهم حسبوا النصارى اذل من نعل والنجس سلعة فتصرفوا بهم كما سوّغ لهم الهوى دون ان يرعوا الاحد عهداً . اما المسيحيون فأغضوا على ذلك كله وصبروا وضحوا بدمهم حباً لدينهم حاذين حذو القائل

فمت ما على من مات حراً نقيصة الا انما النقصان ان تتهضما

قل لي يرحمك الله اي دليل اصرح ام اي برهان اوضح مما ذكرناه تاييداً لخزاياهم . ايتيسر لهم ان يبرئوا ساحتهم مما قلناه . أفي وسعهم ان يحجبوا شناعاتهم وقـد اخرجوها من عالم الكمون الى عالم الظهور حتى وقف على جليتها القاصي والداني والغبي والذكي . فليتذكر هولاء بما اورده ابو الفـداء [ج ١ ص ١٥٩] عن النبي صلعم انه أثناء مرضه خرج . . حتى جلس على المنبر فحمد الله ثم قال « ايها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقدمني ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقدمنه . ومن اخذت

له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلي فانها ليست من شأني » فتامل

الفصل الرابع

زيارة السيد اغناطيوس لمطران السريان . مجيء ممدوح وزمرته . القاء القبض على المطران والكهنة والوجهاء والجماعة . تعذيبهم . بولس شوحا

مضى شهر ايار على ما وصفنا والسيد اغناطيوس كاسف البال قلق الخاطر مكروب النفس تؤرقه الهموم وتتقاسمه الافكار . وصباح الثلاثاء بدء حزيران شخص الى كنيسة السريان ليزور صديقه الحميم السيد جبرائيل تبوني فاستدعى الاباء الدومنكيين الموجودين لديه وبثهم لواعج حبه وكاشفهم بمكنونات صدره وبعد ان افاض في الحديث وصرّح لهم بما يخامر فؤاده الحنون من الاشجان عرض على السيد جبرائيل شؤون من يتبقى في قيد الحياة من جماعته المحبوبة ثم نشر رسالته الاخيرة [انظر هنا ص ١٣٥] وتلاها بحضورهم ثم طواها ودفعها الى صديقه يقول « صن هذه الوديعة لديك . احتفظ برعيتي بقدر طاقتك . انت المفوّض في شؤونها من بعدي ريثما يرى الرؤساء تدبيراً اخر . على اني متحقق ان قد حضر الزمان لارتحالي من هذه الدنيا الغرور » فجعل المطران جبرائيل والاباء الثلاثة يشجعونه ويسلونه ويمللونه بالنجاة . غير ان الحبر المغبوط ما تمالك ان قال لهم « اني عارف حق المعرفة ان سيُحكم علي وعلى رعيتي العزيزة بالعذاب والموت .. اني منتظر القاء القبض علي وعليهم من يوم الى يوم .. لا بد لنا من ذلك . جئت اذن اليوم اودعكم واستودعكم الله .

صلوا لاجلي .. في ظني هذه اخر مرة اشاهدكم . الوداع ايها الاحباء الوداع .. » وعند ذاك لعجت الاحزان فواد الحضور واصلت ضلوعهم وتساقطت الدموع على خدودهم . قال لهم الحبر الجليل . « انما ابقانا الله تعالى لنتل هذا اليوم وهو القادر ان يعضدنا ويسلحنا بخوذة الغلبة » وبعد هذا كله عاد الزائر العزيز الى مركزه وخلّف في قلب المطران والآباء تذكاراً طيباً جميلاً يبدونه ويعيدونه ما داموا في قيد الحياة

وعصر عيد الجسد ٣ حزيران انقضّ على ماردين ممدوح راس النحوس وصاحباه الياور وهرون قائدا النكد والشوم وساروا توًّا الى دار الحكومة ظانين انه لن يصعد بيدهم تنفيذ اوامر الوالي سيدهم . وفاتهم ان طرق الغدر والخيانة قد مُهّدت وابواب الشر والفساد قد فتحت . واتفق ان حلمي بك المتصرف كان متغيباً عن البلد فاستغرص دعاة النفاق فرصة غيابه الى اقتراف ما يطيب لهم . وما وضع هولاء الثلاثة اقدامهم في دار الحكومة حتى بُعثت اليهم اوراق التزوير تترى وانثالت عليهم شهادات التمويه أرسالاً . فكان كلٌ يرقم في ورقته اسماء من شاءت خباثته ويدفعها الى الوفد الجزيل الاحترام ويعرضها عليه قائلاً ان افتقرت الى تأييد دعواي ايدته بشهود عدل اي زور

وعين البغض تبرز كل عيب   وعين الحب لا تجد العيوبا

فارسل وفد الشوم من فورهم شرذمة من الجند وفيئة من العسكر الخمسيني كبسوا كنيسة الارمن واستحضروا للحال المطران اغناطيوس والاب بولس سنيور كاتب سره الى دار الحكومة . ثم

بثوا في تلك الساعة نفسها طائفة من الجنود في البلد يستدعون وجهاء الارمن الى ذلك المحفل الخبيث . فقبضوا في تلك الساعة النحسة على سبعة وعشرين رجلاً منهم نعوم وجرجس جنانجي واسكندر آدم وابنيه شفيق وغسطو وانطون كسبو واسكندر وفتح الله كنذير وجبرائيل عين ملك وفرنسيس دقاق ويوسف ابنه وسعيد عشو وحنا مخولي ومنصور شقيقه وعمه بوغوص ويوسف ترزي وعبد المسيح آدم ونجله آدم وسليم عبراني . فشمل القلق جمهور المسيحيين واستبهم عليهم الامر وباتوا يحسبون الف حساب ويستفسرون عن السبب ! فكان الخونة يقولون لذويهم ان غداً يُطلق سبيلهم بعد استنطاقهم ..

وسحر الجمعة ٤ حزيران احتاط الجنود بالبلد وامروا المنادي ان يصيح « من خرج خارجاً قُتل » ولما بزغت الشمس انتشر الجنود والعسكر الخمسيني الحديث كالجراد في احياء النصارى وفي الاسواق ونشموا يقبضون على من وجدوا من الاغنياء والوجهاء من جميع الطوائف النصرانية من دون تمييز حتى بلغ عددهم ستمائة واثنين وستين رجلاً فحشروا طائفة في السجن وطائفة في الثكنة حتى غص بهم كلا المحلين . وزادوا على ذلك اللوم والنفاق انهم اغلقوا الكوى والشبابيك والابواب اغلاقاً محكماً حتى كاد المسيحيون يفطسون . وأغمي على الشيخ يوسف جرباقه لضخامة جسمه فاستدعى ابنه ابرهيم البواب ونفحه له ستين غرشاً فأذن له ان يرقد عند الباب

وقبضوا بعد الظهر على اثني عشر قساً ارمنياً وكبسوا دار الخوري روفائيل بردعاني واستاقوه بشراسة الى المحكمة وقبضوا على قسين آخرين من كهنة السريان الكاثليك وهما القس بطرس عيسى والقس

يوسف معمارباشي

وواصل الجنود شغلهم يوم السبت ايضاً فجمعوا زهاء مائتي شخص في دار الراهبات الفرنسيسيات حتى اذا كان الغسق استاقوهم جميعاً اثنين اثنين الى السجن وكدسوهم فوق بعضهم

وفي اليوم ذاته هجموا كنيسة الكبوشيين وصادفوا دفتراً تضمن اسماء المشتركين في اخوية مار فرنسيس وكان عنوانه « اخوية مار فرنسيس » ففهموا بفرنسيس فرنسا وادّعوا انها جمعية فرنساوية . . ما اشطرهم ؟ بل ما اخبث قلبهم . فاحتدموا غيظاً على رئيسها الاب ليونرد النبيل وقالوا له أأنت إمام الجمعية الفرنساوية هينا . انهض عاجلاً واتبعنا . فقام من ساعته وتبعهم

اما رفعة بن الشيخ افندي وغيره فأسرّوا الى ممدوح وزملائه ان عند الكبوشيين والسريان الكاثليكيين اخوية يسمونها اخوية الدم غايتها التأهب لسفك دماء المسلمين . تأمل يا هذا واحكم[1] فأمرت لجنة التحقيق بالتفتيش عنهم والقبض عليهم دون تريث فادّى الجنود تلك الخدمة على احسن ما يرام

وصباح الاثنين اوفدت اللجنة شرذمة من الجند الى تل ارمن لالقاء القبض على وجهائها كي تستفسر منهم عن الضبطة الشيطانية الملفقة القائلة ان سركيس احضر الى كنيسة الارمن بماردين خمساً وعشرين بندقية وخمس جبوات ؟ وعاد الجند الى البلد في اصيل ذلك النهار مستصحبين القس انطون احمراني وقوماً من الوجهاء . ولما وصلوا

(١) راجع حاشية صفحة ٨٠

الى سطح سوق الصياغ وهو احسن شارع في البلد امروا الكاهن الورع ان يجثو على ركبتيه ويبسط ذراعيه ويسير هكذا راكعاً ثم ألقوا قلنسوته الى الارض وامروه ان يضربها باسنانه ويمشي ففعل ذلك مصطبراً وهم يقهقهون ويزأطون ويشتمون ويشمتون ..

يا شامتاً بمنيتي ان المنية لم تفت
فلربما انقلب الشما ت فحل بالقوم الشمت

ومما يستحق الذكر ان سعيداً قره كله السرياني الكاثليكي شخص صباح السبت الى كنيسة مريم العذراء وحضر القداس واعترف وتناول القربان بخشوع . وكان يدق على صدره باكياً ثم استودع اموره الى العناية الالهية وخرج الى بيته ووقف عند الباب وكان كلما مر الجنود بداره استدعاهم وقال لهم هل اسمي مرقوم في دفتركم . وظلّ كذلك حتى يوم الاحد فاستاقوه الى الثكنة واضافوه الى سائر رفقائه المسيحيين

وبلغنا كذلك ان الياس بن توما شيطو الشاب النجيب المهجة سار الى دار الحكومة ودفع نصف بدله ولما خرج استلمه البواب واحدره الى السجن مكافأة له على المبلغ الذي دفعه

ويوم الاثنين سابع حزيران تبادر الى ظن لجنة الاشرار انهم ان قبضوا على جمهور المسيحيين حصل هيجان في البلد افضى الى ما لا تحمد عواقبه . ومن ثم فاستدراكاً للمسئلة ارتأوا ان يطلقوا سراح جماعة السريان القديم ليطمنوا الافكار ويقصروا عملهم الخبيث على الكاثليكيين فقط فاستدعوا وجهاء السريان وتهددوهم بالتنكيل والقتل ان ابوا دفع ما عندهم من الاسلحة الى الحكومة

فأكدوا لهم ان ليس عندهم شيء مما يتوهمون · فأسرّوا اليهم ان يؤدوا مبلغاً للحكومة فتطلقهم فوعدوهم ببذل كل ما يفرضونه وخرجوا من السجن بلفيفهم يدعون للدولة · وغلب على ظن السيد جبرائيل مطران السريان الكاثليك ان اللجنة ستطلق ابناء جماعته كما اطلقت اليعاقبة فرفع عريضة الى ممدوح وزملائه يستمنحهم العفو فلم يكترثوا لطلبه فالحف في السؤال والحّ في الاسترحام واستعمل كل الوسائل فلم يجبه احد لا سلباً ولا ايجاباً. فتواجد الحبر الغيور وعليه البكاء وبات متحيراً في امره

وما صنعه السيد جبرائيل صنعه المستر اندرس المرسل الاميركي في شأن ابناء جماعته المسجونين فكان مثاله مثل السيد جبرائيل فلازم غرفته ولم يتجرأ ان يعارض اللجنة بتة

واتفق ان عاد في تلك الليلة الى البلد حلمي بك المتصرّف فاجتمع باللجنة وتصدى للمحاماة عن المسيحيين فلم يُعِره احد منهم أذناً صاغية فراجع الوالي في الامر فأتاه الجواب بعزله حالا · وفوضت الامور الى خليل اديب رئيس الجزاء حليف الخونة الاغرار

ويوم الثلاثا اذ كان جرجس مطران السريان اليعاقبة والياس دولباني قسهم وجماعة من وجهائهم في دار الحكومة قرع ناقوسهم فابتدروا الى الكنيسة صغارهم وكبارهم فاستخبرهم الكاثليك عن السبب فقالوا : علمنا ان الحكومة مرسلة الجنود ليكبسوا الارمن[١]

(١) من الغرائب ان يعاقبة ماردين لا يسمّون الكاثليك سواء كانوا ارمناً او سرياناً او كلداناً الا باسم ارمن او مقلوبين حتى انهم يسمّون دير مار افرام السرياني دير الارمن . ذلك لاتفاق الطوائف الثلاث في مسائل المعتقد والشرع البيعيّ واختلافهم في الحساب الغريغوري

في دورهم ويفتكوا بهم · وبناء عليه رأينا ان نسارع الى الكنيسة لئلا يُقضى على اليابس والطري ويعاقب المجرم والبري على حد سوى· وهم كذلك اذا بمطرانهم وحاشيته قد رجعوا فأمروهم ان يعودوا الى بيوتهم دون توقف فعادوا

وبعد ان خرج رجال اليعاقبة من السجن شاكرين للحكومة داعين لها بالنصر راح اقطاب الشر ينزلون العذابات بالرجال الكاثليك فوافوا يوم الاثنين بعد الغروب بساعتين الخناجر في اوساطهم والعصي والسياط بيديهم واستدعوا نعوم جنانجي وعقلوا قدميه بالعقلة (الفلق) وضربوه اثنتين وثمانين ضربة فتجلد عليها صابرا ثم اضطروه ان يمشي وما وصلوا به الى راس سطح السجن حتى دفعوه الى اسفل فتحطمت اعضاؤه فنهض المسيحيون الموجودون داخلا وحملوه وجعلوا يسلّونه ويعزونه

ثم نادوا انطون كسبو الى منقع العذاب فقال له ممدوح: كنت تحاول يا انطون الخبيث ان تضبط البلد وتستحوذ على املاك المسلمين ودورهم وتستولي على بساتينهم وحقولهم · فهلم أُعطك رغائبك · قال هذا وامر نوري البدليسي فعقله وصفعه اربعين ضربة بنيف · فسألهم ان يعفوا عنه فيدفع لهم مهما طلبوا من المبالغ · فقال له ممدوح لسنا بمفتقرين الى دراهمك لكننا نرمي الى السلاح المخفي عندك · اما اموالك واملاكك وارزاقك كلها فبقيت في حوزتنا نتصرف بها كما نحب ونهوى · فان احضرت السلاح نجوت والا هلكت انت وعشيرتك · ثم ان رئيس الجزاء قال له اخطر ببالك يا انطون يوم وافى الى مخزنك خضرجابي ليشتري جوخاً فقلت له ·

هذا الجوخ لا يصلح لك يا خضر . اعلم ان خضر جلبي كان يريد مشترى ذلك الجوخ ليلبسه العسكر الخمسيني الزمع ان ياخذ روحك . ثم ضربوه ضرباً وجيعاً على راسه وظهره واخرجوه فطرحوه الى اسفل كنغوم جنانجي ثم جعلوه في المرحاض سبع ساعات يقولون احسب المرحاض كمخزنك ثم اختلى به نوري البدليسي وجعل يلاطفه ويستخبره عن كمية ثروته ويعده باطلاق سبيله . وقبل فجر الثلاثا ٨ حزيران سار اليه البدليسي تكرارا وقال له قد فاوضت جمعية الاصلاح « الجهنمية » في امرك فقالوا انك لن تنجو من السجن ألم تدفع لهم السلاح . ثم انقلب كأسود سالخ ونشم يضربه ويزيده ألماً وينتف شاربيه . فكان انطون يعاتبه ويقول : أهذه نتيجة المحبة والصداقة ثم تركه البدليسي وانصرف وظل انطون يتعذب ويتألم

وليلة الاربعا ٨ حزيران استحضروا عبد الكريم باطري الارمني من الشكنة واعتقلوا قدميه وضربوه ١٥٠ ضربة وكانوا يعدّون الضربات تشفياً ثم اخرجوه وقذفوا به الى اسفل . واستدعوا بعده مال الله شقيق السيد اغناطيوس مالويان وانزلوا به الضربات الشتى يلحّون عليه في استحضار الاسلحة . ثم انتدبوا سعيد عشو البرتستاني واضطروه الى الاقرار باسماء المشتركين في الجمعية الارمنية . فقال لهم ان الجمعية ما انتظمت الا بمعرفة الحكومة وكان رجالها يحضرونها . فلم يغن قوله فتيلا فضربوه ضرباً عنيفاً بالعصي والمقارع ثم جروه كرفاقه والقوه من السطح الى اسفل . فانكسر ظهره وتضعضعت اعضاؤه

ثم استدعوا اسكندر آدم واستنطقوه سرًا فظل صامتاً . فعلّقوا حبلًا ضخماً في سقف الغرفة الجهنمية وأوثقوا قدميه فغدا راسه منكوساً وضربوه ضربات شتى اينما كان وتركوه كذلك بضع ساعات طبقاً لامر ممدوح . فلما ازداد المه ووجعه انتدب نوري البدليسي ووعده بمبلغ فحل وثاقه ونزل به الى السجن وقبض من شفيق ابنه مبلغاً . وقبل الفجر وافى اليه فارجعه الى الغرفة واوثقه حتى يراه ممدوح حين عودته كما تركه

وصباح الاربعاء تاسع حزيران وافى ممدوح وطلعة بن عبدي افندي فقال طلعة . اعلموا يا نصارى انكم اولاد حماره . ثم قال لاسكندر آدم أما تذكر يا اسكندر يوم لطمك والدي عبدي في القيصرية . أتريد الك حرية . خذ لك حرية .. قال هذا وطفق يضربه ويلطمه حتى تعبت يداه الاثيمتان . ثم قال مستهزئاً مُر ابنك غسطو عضو الادارة ليبادر وينقذك

وعند الظهيرة استدعوا سعيد ابن الوزير وطفقوا يضربونه اوجع الضرب وبلغ بهم النفاق الى ان صبوا عليه البترول وحرقوه ففاضت روحه بيد الرب العادل

ثم استدعوا الاب ليونرد الكبوشي واحتفوا به وجعلوا يلطمونه وينتفون لحيته ثم جلفوا اظفاره عن اصابعه وعلقوه منكوساً زهاء ساعتين وتناوبوا في ضربه بالسياط والعصي ثم اخرجوه ودعوه دعاً الى أسفل . وكانوا يقولون اه . ادعُ فرنسا لتستعجل في انقاذك من يدنا . صِح بالراهبة لتاتي وتسليك . انتدب اصحابك ليخلصوك اما الاب الوديع فلزم السكوت مستودعاً امره بيد ربه . ثم احضروا

المقدسي حبيب دي جروه السرياني · وقالوا اله اما تخطر ببالك يا حبيب يوم أذعت على لسان النصارى اصحابك ان الروس عما قليل يصلون الى ماردين وينقذونكم من ايـدي المسلمين · اكتب لهم اذاً واستعجلهم على القدوم يا مغرور · فقد ساء ظنك وخاب املك ولم يبق من عمرك سوى القليل · ثم ضربوه ولطموه وعادوا به الى محله

على هذا الاسلوب عذبوا الوجهاء والشرفاء وفيما ذكرناه كفاية لمن شاء الوقوف على الوان العذابات وهمجية الكفرة القساة

واصيل الاربعاء اقبل صالح البوليس الى السجن وفي يده جدول الاسماء وأمر المسجونين فخرجوا خارجاً وجعل يقرأ اسم واحد فواحد ويرده الى محله فقرأ تسعة وخمسين اسماً ولم يقرأ اسم بولس بن رزق الله شوحا النجيب المهجة[1] فاستفسره عن اسمه وكتبه في الورقة وانصرف وما توقف ان وافى اثنان وقبضا على رقبته وذهبا به الى مقام جمعية الاستنطاق المؤلفة من بكباش الجاندرمـة ونوري البداليسي ومدير البوليس وممدوح والقومسير · فاستطلعه المدير عن اسمه واسم عائلته ومولده وملته · ثم قال له اتعرف التركية

ــ نعم

ــ اين تعلمتها

ــ في المكتب العثماني السلطاني التركي بدياربكر

ــ مذ كم يوم انت مسجون

ــ مذ خمسة عشر يوماً وعند ذاك ابلسته الخشية واخرسته حتى غاب

(١) عن هذا الشاب وعن جرجس حكيم وجرجس حنجو وغيرهم ممن كان في السجن نقلنا ما سبق من ماجريات العذاب

عن حسه . فأمهلوه هنيهة ريثما افاق . وكان سبب ارتعاشه نطقــه بخلاف الواقع اذ كان قد أُلقي عليه القبض يوم السبت خامس حزيران فلم يستصوب ان يفيد المدير عن اليوم المرقوم لئلا يضيفه الى البقية

ثم قال له المدير لماذا سجنت . أأنت مجرم وما ذنبك

— سجنت لاني مكاري وعمري تسعة عشر عاماً فبدل ان يمضوا بي الى القلعة مع رفاقي تركوني نسياً منسياً حتى اليوم

اما ممدوح فتناول جدول الاسماء العمومي وجعل يقلبه ويتصفحه حتى قال ارى يا بولس شرحاً على اسمك مفاده انك كنت كاتباً في الجمعية الهنچكيانية بماردين

— في اي زمان

— عام اول

— اني كنت اذ ذاك تلميذاً في المكتب السلطاني بدياربكر . فاذا احببت الاطلاع عــلى صفاتي واخلاقي سل شكري بك مدير المكتب وهو اليوم بماردين يفدك عني وزد عليه ان ما في يدي من الشهادات يُويد براءة ساحتي من هذه الجمعية اذ كنت مثابراً على دروسي لا فرصة لي للاشتغال في امور خارجية لا تهمني

فتبسم مدير البوليس وامر الجند ان يُرجعوا بولس الى محلــه . وعند الغروب استدعاه احدهم وقال له هلمّ اغراضك والحقني . فذهب به الى مقام الشعبة العسكرية فأمره الرئيس بالسير الى القلعة وما كاد يدخلها حتى راى الجنود حاملين الحبال والسلاسل والقيود منحدرين الى الثكنة والسجن . فبات ليلته في القلعة . واستحصلت والدته في الغد الوثيقة فنزل واستاجر دابة حملهــا قمحاً وارسلها مع

رجل منصوراتي وبادر الى بيته واختفى خمسة عشر يوماً تحت الارض لا يبصر نورا حتى هدئت نيران الثورة قليلاً فخرج

الفصل الخامس

السيد اغناطيوس يُحاكم ويعذب ويسجن

ما وصل ممدوح وصاحباه الى دار الحكومة على ما وصفنا حتى تألف المجلس وتألب دعاة النفاق وارسلوا في استدعاء السيد اغناطيوس رئيس اساقفة الارمن الى المحكمة · فقام من ساعته وتبع الجنود· ولما دخل الردهة الفى الهيئة مستوين على الكراسي يتجهمونه ويزلقونه بابصارهم ولم يمكنوه من الجلوس كامس وما قبل فتحققت لديه الخيانة والدسيسة واطرق ساكتاً لا ينطق حرفاً ولا يرفع طرفاً فبدأوا يناقشونه ويطارحونه الاسئلة في امر البواريد والمدافع والاسلحة المزعومة واوردوا له الاسانيد التي اعتمدوا عليها تاييداً لما توهموا · فانكر عليهم الحبر الجليل مقالتهم بتاتاً وقال لهم : ان ما بلغكم عني وعن جماعتي إفك محض فان صدقتموه واعتقدتموه فينا فما جرى على غيرنا يجري علينا · والا فعلى ما يلوح لي انكم تريدون لنا السوء عن غير علة · ذلك لمن اعجب الامور واغربها

فالحّوا على المطران باستخراج المدافع وتسليمها لهم · فقال قلتُ واقول هوذا الكنيسة ودار المطرنة وغرف الكهنة ودور وجهاء الطائفة فتشوا ودققوا ما استطعتم عمقوا وحققوا جهدكم فاذا عثرتم فيها على شيء مما ادعيتم فلكم ان تنزلوا بي وبجماعتي وبكلّ من ينتمي الي اغلظ النكال وافظع العذاب والا فما بالكم تتقولون

الاباطيل وتناقضون الحق اليقين حال كونكم لا تجدون لنا جرماً ولا ذنباً كبيراً او صغيراً

وما اتمّ المطران الشجاع كلامه حتى فار فائر الحضور ونبض عرق الغضب بين عينيهم وطفقوا يضجون ويصفرون ويقولون بل عندك اسلحة تحاول ان تناصب الحكومة وتقاتلها . ولكن تربَّث فسترى عقابك وعقاب جماعتك تجاه عينك

قال لهم المطران الباسل دعواكم هذه فرية بلا مرية فاني لم اخالف الدولة في شي البتة بل دافعت وادافع عن حقوقها سرّاً وجهرة واحامي عن صوالحها قدر الطاقة لاني منتم اليها وقد حصلت على الفرمان الشاهاني والنوط العثماني من فضلها

قال له ممدوح اعلم يا هذا انك طبقاً لشهادة سركيس ابن طائفتك قد استحضرت صندوقي اسلحة الى كنيستك . ثم اخرج مضبطة[١] من جيبه ونشرها يقرا فيها ان سركيس احضر الصندوقين الى غرفة المطران اذ كان الوجهاء والاعيان حاضرين فتناولوها شاكرين لسركيس مثنين على همته . ثم تلا عليه اسماء الشهود المرقومة في تلك المضبطة الزعومة كدرويش بن خضر افندي مدير تل آرمن وعبد الرحمن القواس ومحمود عبدالو ونجيم مدير بنك الزراعة وغيرهم

فدهش الحبر النبيل وتعجب وقال للحضور علي بسركيس والا فالمضبطة مزورة وتقولاتكم مرجمة . اما هم فأعاروا لمحاماته عن

(١) هي المضبطة التي استنبطها دعاة الشر وكتبوها في تل آرمن وروى لنا غير واحد ان منطوقها كان بويد ان سركيس حمل الى كنيسة الارمن خمساً وعشرين بندقية وخمس بيوات

نفسه وعن طائفته اذذا صما اذ كانوا قد سبقوا فتشكوا بسركيس وجعلوا يتبصرون في تضاعيف جوابه علهم يصيبون منه فلتة او هفوة التمثيل به

فقال له خليل اديب وكيل المتصرف اعلم انه لما وافى اليك سركيس بالاسلحة وجد في غرفتك زعماء طائفتك الخونة كنعوم جنانجي واسكندر آدم وانطون كسبو واخيك مالي فاستلمتم منه الصندوقين ودفع له كل منكم ليرتين. فما لك اذاً تخلط في الكلام وتخفي عنا الحقيقة

قال المطران البار. يا للغرابة قلتُ واقول لكم انكم لفي غرور فان هذه الدعوى ملوية معمسة لا اصل لها البتة

فاطرق ممدوح هنيهة ثم استتلى يحتج على المطران بانه كان إماما وقائداً للجمعية الفداوية يحرّض الجميع على الاشتراك فيها ويذبّ عن حقوقها ويثير الشعب لمشترى الاسلحة والمناضلة والدفاع وقت الشدة

فصرح له الراعي الامين بانه كان يناقض تلك الجمعية كل المناقضة خفية وجهرة ونوّه له بذكر الرسالة التي وجدت بين اوراق السيد اندرياس مطران الارمن بدياربكر وفيها يصرح السيد اغناطيوس باجلى بيان افكاره المخالفة لتلك الجمعية كل المخالفة

بيد ان براهين المطران الساطعة القاطعة لم تكن لتقنع الخثور وتصرفهم عن كيدهم او تكسرهم عن مرادهم اذ كانوا قد عجعجوا بالضغينة وتمالأوا على الفتك وما ابطأ ممدوح ان نهض من كرسيه وشمر اضربه فقال للجنود الواقفين اسطحوه فسطحوه للحال

في صحن القاعة فتناول المخصرة ليصفعه

فقال له المطران البطل . مكانك يا رجل لا تتعدَّ طورك فانه لا حق لك ان تجري معاملة كذا اعتدائية بمن استعرفته الدولة العلية بمثابة احد الايمة وانعمت عليه بنوط الشرف والفرمان

قال ممدوح مستهزئاً : السيف يسد اليوم مسد الدولة وفرمانك لا يغني فتيلاً ونوطك لا ينفع شيئاً

فقاطعه احد الحضور وقال للمطران لا بدَّ من التنكيل بك وبجماعتك فان ما ابديت من الحجج باطل لا سند له . بيد اني دلالة على محبتي لك وشفقة على حالك ابذل لك نصيحة ان عملت بها نجوت من الموت وبقيت معززاً مكرماً محترماً في اعين جميعنا . وإنْ تلك النصيحة الا المجاهرة بالاسلامية والمناداة بالهيللة

قال المطران برباطة جأش . الاسلامية ؟ كلا معاذ الله ان اهجر ديني . هيهات هيهات ان اجحد مخلصي . انَّى يُتاح لي ذلك انا الذي ربيت في حجر البيعة الكاثليكية المقدسة ورضعت افاويق تعاليمها الصافية وتضلعت من حقائقها الراهنة حتى غدوت دون استحقاق احد رعاتها . اني احسب سفك دمي في سبيل ايماني اشهى شيءٍ لقلبي لاني عارف حق المعرفة اني اذا عُذبتُ حباً لمن مات لاجلي غدوت من السعداء المغبوطين وفزتُ برؤية ربي والهي في عليين . فما لكم اذن الا ان توسعوني ضرباً وتعملوا في الخناجر والسيوف والبنادق وتقطعوني ارباً إرباً فاني ان اجحد ديني اصلاً وقطعاً

فما كان من القوم الا ان ضجوا واشمعطوا وحوقلوا وتشهدوا وحملقوا في الراعي ابصارهم واطبق احدهم كفه ولطمه قائلاً :

اهكذا تستحقر ديننا في المكان الرسمي . والله اني لاعذبنك اشد العذاب واذيقنك الموت الزوءام . ثم ضربه بممدوح ضربات معدودة وامر الجنود ان يذهبوا به الى مكان الضرب والعذاب . فكأنَّ المطران تنهد عند ذاك وقال « اني اكابد في جسدي عذاب الضرب الاليم واما في نفسي فاني احتمل ذلك مسروراً [٢ مقا ٥]

وعند الليل اقبل نوري بن زلفو البدليسي في الهيئة المذكورة آنفاً الى حيث كان الحبر الوديع فسدحه على الارض والقى العقالة في قدميه وضربه اثنتي عشرة ضربة .كان الحبر عند كل ضربة يصيح باعلى صوته ويقول « يارب ارحمني » ثم امروه ان ينهض ويذهب الى المحل المعين له . لكن الراعي لوهن قوته لم يستطع الى السير سبيلاً فسحبه اولئك الاوغاد من قدميه على الحضيض سحباً عنيفاً فترضضت هامته المباركة وانخلعت اعضاؤه المقدسة فنادى يقول « من يسمع صوتي فليعطني الحلة الاخيرة » فسمعه القس بولس سنيور وكان بالقرب من الشباك التحتاني وتلا على المطران صورة الحلة .

اما الخبثاء فتركوا المطران ملقى على الارض جثة هامدة وراحوا يستحضرون آلات العذاب ثم سارعوا اليه فجلفوا اظفاره عن اصابع رجليه واشفقوا على يديه لئلا يراهما احد . وظل على تلك الصورة من صباح رابع حزيران الى العاشر منه يولمه اصحاب الذمة والمروءة والشفقة ويعذبونه . وكان يرى ابناء جماعته معذبين ويسمع نحيبهم وعويلهم فيبعث في افئدتهم روح البسالة والشجاعة وينشطهم ليقتحموا الاخطار ويجودوا بالحياة القصيرة اسوة بمن ضحى لاجلهم بحياته الثمينة على خشبة العار

ومما بلغنا عن هذا الحبر المذكور في الخير انه لم يجفل ولم ينزعج وقتما كان يحف به الاوباش ويهزون رووسهم ويشاتمونه ويبصقون عليه ويسخرون منه واكدوا لنا ان احدهم قال له اخطر ببالك يوم عارضت الحكومة واحتججت عليها في مسئلة تلك النصرانية التي كانت تروم ان تهتدي وتدخل في الدين المحمدي . اذكر يوم كنت تركب حصانك وتوافي الى دار الحكومة متغطرساً متبختراً . فقد حان لك الان ان تفتخر وتتباهى . فان ايام حياتك وحياة جماعتك امست معدودة[1]

وما برح المطران الغيور يقضي ليالي السود في السجن باسطاً ذراعيه ورافعاً عينيه الى السماء يصلي ويبتهل الى الله ليخوله القوة والعضد له ولجماعته كأنه سبستيانس البطل فيقول : « اللهم انك انت الذي سمحت ببدء هذا العمل واليك مرجعه وبك منوط تتميمه . الا اظهر قدرتك فاننا في حاجة اليها . وأنعم علينا بحولك في هذه الآونة الحرجة فانا ضعفاء جبناء . امنن علينا ان نكون من انصار دينك الذابين عنه المناضلين عن حقوقه . دعني انا عبدك الذليل ان اشهر سلاح صليبك المظفر فتنهزم من امامي وامام جماعتي المحبوبة ارواح الابالسة وتتدهدى في البلاليع الجهنمية . انلنا البسالة والنجاة واحظنا بروئية محياك فانك على كل شيء قدير »

ومما يفطر القلب ويجرح الفؤاد ان والدة هذا الحبر العجوز البائسة كانت تروم ان تشاهده فلا يتيسر لها . غير انه ليلة استياقه مع

---

(١) من جرجس باهي حكيم وغيره اذ كانوا موجودين في السجن

جماعته ارسل في طلبها بعد استئذان الطغاة · فحادثها بكلام دُبج بالعذوبة والرقة · وقال : يا اماه تيقني ان الله ربي ومخلصي لمثل هذا اليوم استبقاني · فبحقي عليك لا تحزني ولا تبتئسي · لا تخشي ولا تكتئبي · اعلمي اني غداً قبل الفجر اسير مع جماعتي على طريق دياربكر ولستُ ادري ما سيحلّ بي وبهم · غير اني مستعد بمعونة ربي ان ابوء بدمي حباً لمن فداني · فهلمي الآن اودعك · صلي لاجلي وعودي الى بيتك بسلام · اوصيكِ ان تبذلي النصح والارشاد لجميع آلي ليقتفوا خطواتي فيثبتوا راسخين في ايمانهم ولا يخافوا هجمات العتاة ولا يكترثوا لوعد الاعداء ووعيدهم — وعند ذاك اغرورقت عينا الام وابنها معاً بالدموع السخينة وتوادعا بحزن وكآبة وعند عودتها اوصاها ان ترسل اليه حالاً حذاء واسعاً ليقوى على المسير · ولم يستحسن ان يوضح لها ان الورم قد اثر في قدميه لسبب الضرب الشديد لئلا يزيد قلب الام ألماً ووجعاً

الفصل السادس

المرسح او النساء ينقلن الطعام الى المسجونين من ٦–٩ حزيران

هلمّ بنا الآن ايها الخل العزيز نتغلغل صفوف النساء والفتيات ونتقفّ خطواتهن لنرى اي موضع يقصدن · لا بأس ان نخلع الاحذية نظيرهن ونتأبط وعاء نجعل فيه شيئاً من الخبز والادام فاننا معولون على الذهاب لنشاهد اصحابنا المنكوبين ونواجههم في سجنهم ونفاوضهم ان تيسر لنا كي نشاركهم في غمومهم ونسرّي عنهم شيئاً من همومهم فنخفف وطأة الهم ونطعمهم شيئاً من الغذاء ليسدوا

جوعهم ثم نعود

سر بنا الى شرقي المدينـة حيث السجن ومنقع العذاب · الى مقام حاكم البلد واعوانه واركون المظالم واحزابه · الى الثكنة العسكرية لنرى ثم ما حاق بابائنا واخوتنا واصحابنا وعشيرتنـا · ايانا والتافف مما نسمع او نرى في طريقنا فان في تسيارنا فائدة لنـا وتعزية لاحبائنا · لا يجمل بنا ان ندعهم وشأنهم ونلازم بيوتنا مختفين ولو قُبض علينـا نظيرهم وتجرّعنا اكواب الضيم مثلهم · لانهم انسباؤنا من لحمنا ودمنا شركاؤنا في ايماننا ومعتقدنا وقد شاربناهم واكلناهم وقمنا وقعدنا معهم فيجدر بنا ان نشاطرهم ضيقهم وضنكهم ايضاً اسوة بالاولاد الصالحين

حذار ان نعق والدينا وآباءنا خاصة ونغفل عن مساعفتهم ما امكننـا او نفضل صوالحنا على صوالحهم فان ذلك ليس من شيم البنين النجباء · اذن فلنشدد عزائمنا ونقوِّ قلوبنا ونسِر اليهم عاجلاً

يا ايتها النساء المسيحيات التفعن بالوشاح وحذار ان تحسرن الخمار عن وجهكن · أقنعن الرؤوس واسرعن فـانا مزمعون ان نخترق صفوف الخصوم ريثما نبلغ الى المحل المرغوب والا اصابنا ما لا ننتظره

ولكن · ما لي ارى الجنود ينهبون الطرق ذهاباً واياباً يقبضون عـلى كل من رأوه ويستاقونه كالاسير المسكين صامتاً · الى اين يمضون بهذا الشاب ـ الى الثكنة محل اصحابنا · فها اننا قد وصلنا اليها ـ عجبي ما للكوى مغلقة والابواب مقفلة ما للنوافذ والشبابيك مرتجة · قد غصت الثكنة بالرجال ويكادون ينطسون · ما هذه الجلبة المحزنة · اسمع ضجيجاً ونحيباً · اشعر بان الرعب مستحوذ

على قلوب جميعهم وقد ازدحموا ازدحاماً بحيث لم يعودوا يملكون شدّاً ولا ارخاء ويتعذر عليهم الانتقال من موضعهم تكاد حيطان الشكنة تميد مرتجة من كثرة الضغط . كأن بيد كل منهم كأساً يشرأب ان يتحساها ويرتشفها . هوذا القسان يطوفون بينهم ويرفون فوق هامهم كارواح ملائكية يشجعونهم ويبثون في نفوسهم شواعر الحماسة الدينية وينشطونهم لقبول الاهوال والخوض في عباب الحرب والقتال . اراهم يتناوبون بالحضور الى الكهنة يخرّ كلّ منهم عند قدميه يقر باثامه ويندم على جرائره طالباً الحل والمغفرة سائلاً الصلاة والبركة

ها قد فُتح الباب وأُخرج منه شيخ وقور لعب البياض براسه . الى اين يمضون به يا ترى . الى محكمة بيلاطس وهيرودس

قل يا نصراني اين السلاح . قل يا خائن اين المدافع والقنابل

يا لله اي سلاح اي مدافع . لا علم لي . هذا إفك محض . نفاق بحت قولوا انكم متشترون على قتلي

اذا كان الامر كذلك يلزمك ان تؤدي مبلغاً كذا عقوبة لجسارتك وجوابك او تنكر دينك

معاذ الله ان اكفر بديني ولو ذقتُ الموت الاحمر . اني اوثر خسارة نل مالي وملكي على انكار ديني

يا للحماقة . اسطحوه اضربوه انزلوه الى السجن

ولكن صححوا دعواكم بنيّر الحجج فأقبل عقابكم بالطوع

الدعوى صحيحة وانت كذاب خراص

اين الشهود

لا حاجة اليهم نحن شهود

اذهبوا الى داري فتشوها

لسنا خدمة لك هات السلاح والا قتلناك

ها هوذا قد خرجوا به وانزلوه الى السجن واغلقوا عليه

اليك شبابي الشكنة كبراء الحكومة والمنصبين وغيرهم ممن لا اشغولة لهم قد رتبوا الكراسي ونضدوا المقاعد وتربعوا فيها او خالفوا ركبتيهم . يتعاطون اقداح القهوة وبين يديهم النارجيلات . كلٌ يهزُّ راسه مستهزئاً ويضحك ضحكا حثيثا ويشمخ بانفه متبجحا بينهم شيوخ اعتجروا بالعمامات يقلبون طرفهم يميناً وشمالاً . يصعدونه ويصوبونه في النساء المكتئبات كأنهم في روضة يحبرون وفي قلبهم مراجل حقد وانتقام . يتوكفون الاخبار ويتجسسونها وتتلاعب في مخيلتهم هواجس فاسدة شريرة يحاولون مشاهدة عدوّهم ليوقعوا به عاجلاً اسمعهم يعجون ويضجون ويقول هذا لذاك ليبتدر النصارى الى السجن وليسارع المأمورون الى تعذيبهم وسوقهم وقتلهم

هوذا احد الوجهاء قد لمح امراة كان يود منذ امد طويل لو يرى جمالها ليبثها بما في صدره من الوجد والغرام فيستغويها . قد قام من موضعه ونزل مهرولاً يخطر بيديه ليصل اليها . أرى عيون اصحابه مبثوثة نحوه وهم يتغامزون ويترصدونه ليعرفوا الى اين يمضي ومن يحادث . فلما وصل الى السيدة الشريفة قال لها

مكانك يا سيدتي مكانك ما لك حضرت على هذه الصورة الى هذا المحل

— قصدت مشاهدة قريني وابني

ــ لا تضطربي عما قليل يؤخذ اقرارهما ويُخلى سبيلهما

ــ بيد ان وجودهما في موضع كذا لا يدع لي مجالاً للريب في انهما سيعذبان ويقتلان

ــ هيه . ليس الامر كما تزعمين فانـه لا جرم لهما . سكني جاشك ولا تقلقي . وهبي انهما يساقان الى دياربكر مع اصحابهما فانهما سيعودان اليك دون تربث

ــ اراكَ تأتيني باخبار معمسات وحكايات ملويات وتملئني بكلمات لا نصيب لها من الصحة . والا فانزع الغلّ من صدرك واوضح لي الحقيقة على جليتها

ــ قلت الك لا ذنب لهما فسيعودان . اذن لا توجلي ولا تتشعبك الهموم لئلا تضعف قواكِ . فاني اخاف عليكِ . . . ولكن مـا لمحياك قد تبدل وتغـير اني بعد يومين اوافي اليك وارطب قلبك واسليكِ

ــ خلني يا صاح وشاني وعليك شانك

غير ان صاحبنا حاول ان يكاشف المراة بوجده وبباحتها بوده في ذلك الوقت عينه ولكنه صبّر النفس الامارة فراح يضمر عليهـا نية اثيمة وينتهز الفرصة ليقترن بها سفاحا

ثم عاد الى محله واستوى على كرسيه مفتكراً في ايجاد الطرق للفوز باربه فجعل اولئك القوم يطارحونه الاسئلة ليتحققوا اسم المراة فلم ينبس بحلوة ولا مرّة

تبّاً لك ياهذا يامن اعمى الهوى قلبه وخسّره رشده اعلم ان الجنة أُزلفت للمتّقين وبُرّزت الجحيم للغاوين [سورة الشعراء] فـان

بطش ربك لشديد

اما المرأة المسكينة فسارت بعد هذا الى الثكنة مضحية بالشرف والاعتبار حبًّا لقرينها وفلذة كبدها . ولما شارفتها تصدى لها البواب متنمرًا وحرّج عليها رؤيتهما . وازلقها ببصره النجس فالفى ان الحياء قد صبغ محياها الوضّاح فاسهب في الحديث كلفاً بها وفاته انها امرأة حصينة كالغراب الاعصم لا ينالها عدوها الفاجر مهما جدّ واجتهد ثم اخذ منها الغذاء على ان يوصله الى ابنها وقرينها[1] . فعادت المرأة الى بيتها مكسورة القلب

ولما كانت راجعة لمحهـا صاحب زوجها المزبور فلم يتمالك ان يدع كرسيه ويودّع صحبه ويتابع المرأة الحازمة ليشبع من جمالهـا حتى اذا ادنا منها جعل يلاطفها تكرارا ويعدها مواعد عرقوب بنجاة بعلهـا وهو منتظر خروج زوجها من الثكنة مترصد قتله ليحوز بغيته . ثم سلك يده في جيبه كأنه يريـد ان يعطيها شيئاً تودداً اليها فانهزمت من بين يديه وعادت الى بيتهـا حزينة قاطعة الامل من مشاهدة زوجها ونجلها

واذ كانت هذه المرأة الكئيبة راجعة سمعت اثنين يتخاطبان . فقال الاول الامَ انتهى امر النصارى الكفار المسجونين فقـال له صاحبه الى ما احب وتحبّ انت . فانه لا بد من استياقهم سحرًا فاذهب اعدّ لوازمك وانا ابقى محلك لعلي اقع على شيء مما نرغب فتجددت آلام المسكينة ولسان حالها يقول :

---

[1] اكد لنا غير واحد ان الغذاء ما كان يصل الى صاحبه الا ممزوجاً بالتراب او ممزوجاً بالبصاق وغيره

لا مرحباً بغدٍ ولا اهــلاً به •ان كان تفريق الاحبة في غدِ

• ثم استودعت امورها الى ربها ومولاها مصطبرة وكثيرا مـا ردّدت بمخيلتها ما قيل :

يقولون لي اهلاً وسهلاً ومرحباً ولو ظفروا بي ساعــة قتلوني

الفصل السابع

سوق القافلة الاولى او مذبحة الاربعمائة والسبعة عشر شهيدا

كانت ليلة الخميس عاشر حزيران ليلة عصيبــة مشؤومةٍ نعق فيهــا بوم البين والخراب فوق بيوت المسيحيين فسهدوا سهادا ولم يعطوا جفونهم وسناً . واصلوا البكاء والندب . واستحوذ عليهم الهلع وشملتهم الحيرة واحتفت بهم فنون البلاء والشقاء . . . رجع بعض النساء من السجن على ما وصفنا وهن حواد حفاة . واجتمعت كلّ منهن بمن بقي في بيتها واخذت تسكب الدموع السخينة على آلها حتى اخذل البكاء عينيها وقرح جفنيها

فكنت ترى في تلك الليلة السوداء التاعسة جنود الظلمة صاعدين الى القلعة ونازلين مهرولين حاملين اغــلال الحديد والحبال الضخمة والزناجير الى السجن والثكنة . فكانوا يدعون زوجاً زوجاً ويربطونهم ربطاً محكماً لئلا يفرّوا من بين يديهم . يا للخبث واللآمة ! . ثم افرزوا منهم الذين كانوا منضمين الى الجمعيــة الارمنية المزعومة وكبلوا رقابهم بالاغلال وأوثقوا معاصمهم بالسلاسل . وتشاغل الخصوم بالربط والشد والغلّ حتى الهزيع الاخير من الليل . كذئاب هجمت على

(١) ما اوردناه في هذا الفصل هو حادث حقيقي حرّجت علينــا السيدة التي نقلته ان نورد اسمها

خراف او بواشق انقضت على حمام او نمورة تشبت براثنها بفريستها

وبعد ان رتبوهم زوجاً زوجا اخرجوهم من باب السجن والشكنة وتكوكبوا عليهم من كل صوب مشهرين فوقهم الاسلحة والسيوف وامروهم ان يلزموا الصمت التام . وبعثوا من فورهم مناديا ينادي في المدينة « من من النصارى خرج من داره مُثل به وأُضيف الى اصحابه » فساروا في الجادة العمومية غلس الخميس وبعددهم اربعمائة وسبعة عشر من اقليرس وشيوخ وشبان ارمن وسريان وكلدان وبرتستان ولما مروا في حي المسلمين خرج نساؤهم النقرى يصخبن جذلات ويمررن المسيحيين مستهزئات ويبرقن ويرعدن عليهم بالويلات وكان الاولاد يرجمونهم بالحجارة ويسخرون بهم باعلى اصواتهم . ولما وصلوا بهم الى حي النصارى حجروا عليهم الخروج من بيوتهم فضلًا عن ان يتفاوضوا معهم او يودّعوهم . فظل المسيحيون لازمين بيوتهم واقفين عند سترة السطح يبكون ويعولون ويضجون بالابتهال الى الله ليخفف عنهم وطأة اعداء الدين وينتصف لهم من الظالمين . وكان قوم منهم يلحظونهم من النوافذ يريدون البلوغ اليهم فلا يتيسر لهم . فكانوا كمريم العذراء ترافق ابنها الحبيب الى الجلجلة . تشكو ظلم اليهود واعتداءهم على وحيدها البري

اما المسيحيون فكانوا يسيرون صامتين كطلبة قاصدين المدرسة او بالحري نظير فاديهم وربهم المحبوب لا يُسمع لهم صوت ولا تحتحة كأن على رؤوسهم الطير . ولما وصلوا الى باب البلد الغربي خرج كل من الرهبان الافراميين والمرسلين الاميركيين الى سطحي معهديهم

لينظروا اصحابهم النظرة الاخيرة ويقرأوا عليهم آيات الوداع فالفوهم والحق يقال في حال كئيبة مرعبة تجمد الدماء في العروق وتلقي الرعشة في الابدان · والوعتاه ا لعمري انه لا اصعب للعين ولا اوجع للقلب من الوقوف في ذينك السطحين والنظر الى جمهور المسيحيين الموثقين فان المرء كلما حصل في احدهما والقى بصره على تلك الجادة المنحوسة خطرت بباله مشية المطران النبيل والكهنة الاجلاء والمسيحيين الاعزاء وتذكر حالتهم المؤثرة فتجددت جراح فؤاده وتنغصت عليه حياته فقال من ساعته :

الفصل الثامن

وقفة على سطح دير مار افرام

على رسلكم يا ليوث الحماسة وصناديد الشهامة رويدكم يا ابطال السيد المسيح وبسلاء الدين القويم الصحيح · فاني اريد ان اشبع ناظري من مشاهدتكم الحلوة واتلو عليكم كلمة الوداع الاخيرة

الوداع اذاً يا حبر الكنيسة الجامعة ياسميّ اغناطيوس النوراني البطريرك الانطاكي فقد ماثلته بشجاعتك وستحاكيه عما قليل باستشهادك · وكأني بك تقول لجماعتك السائرة امامك : اني لست اشاء البتة ان يعارضني احد في نيل اكليل الانتصار بل احبّ ان يوافقني الجميع في قبول النكال · لاني راغب كل الرغبة ان نموت جميعاً حباً لمن مات من اجلنا وقضى على الصليب تشجيعاً لنا ·

الوداع ايها الاقسة الابرار والشمامسة الاطهار · الوداع يا اجاويد القوم وخيارهم فانكم حاكيتم قسوس البيعة الاولين وشمامستها المشهورين

واثمتها المعظمين

لكن ما لي ارى الاوغاد قد قرنوا ايديكم في الاصفاد . ما بال رقابكم تنوء تحت ثقل الاغلال وقد اكتنفكم قومٌ من السفلة الانذال . اراكم مربوطين رباع وخماس وخصومكم يضربون اخماساً لاسداس . عما قليل تفوزون بغايتكم وتحوزون جلّ رغبتكم وتشاهدون وجه ربكم فطوبى والف طوبى لكم . عما قليل يقضي الاعداء وطرهم وينزلون بكم سخطهم وغضبهم . ولكنهم سيلاقون ولا بدع تبعة حيفهم . وتنالون انتم جزاء ما تقاسون من جورهم

ما لي ارى الجنود قد طاروا اليكم زرافات . واكبُّوا عليكم من كل الجهات . تتوقد في قلوبهم اللئيمة جمرات العدوان وتتلاعب في مخيلتهم افكار الكفر والطغيان . ارى سيوفهم محدّدة وقسيهم موتّرة . يحملقون فيكم الابصار ويزمجرون عليكم زمجرة الليوث الضارية على الفرائس . ليشبعوا نهمهم ويبردوا غليلهم

ارى امامهم ممدوحاً سوّد الله وجهه مخترطاً سيف الغضب يتحبب اليكم ويسايركم ويملثكم بكلامه ويؤمنكم وفي قلبه تغلي مراجل البغضاء والنقمة لا خاف الله عليه ولا على تابعيه . عما قليل تلوح نبائثه وتنكشف خبائثه عما قليل تعلن دسائسه وتنجلي ابازيره

اراهم يسوقونكم سوق الرعاة للحملان الوديعة ويقودونكم بعنف وشراسة الى المذبحة . هنيئاً لكم يا خراف السيد المسيح واولاد الايمان النير الصبيح . لله دركم يا ابناء الكنيسة الجامعة فانها تفتخر بكم وستذيع اسماءكم المباركة على مذابحها المقدسة

اری السنتكم النقية تشتغل بمفاوضة العزة الصمدانية تنثني العبارات الشجية وتلهج بالمزامير النبوية تشوقاً الى الفوز بالسعادة السرمدية

كأني بقلوبكم تبرز العواطف الحميمة تشوقاً الى التمتع بالغبطة الابدية . وعيونكم شاخصة الى عرش الحمل الذبيح محدقة بتلك الابهة الملكوتية . طيبوا نفساً فانكم عن قريب تفوزون بتلك المناظر البهيـة والمحاسن الشهية . لا بأس ان تعبتم وتوجعتم قليلاً فسترتاحون وتمرحون وتطربون وتفرحون حيث لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون

اری فتياناً ينهبون الطريق قاصدين البلوغ اليكم ليشبعوا ابصارهم من رؤيتكم ويودعوكم . اسمعهم يصيحون قائلين : يا ابت . يا اخي . يا عمي . يا خالي . الى اين انت راحل . الى من القيتني . كيف تكون عيشتي بعدك ما سيحل بي على اثر بعدك وأسفي عليك يا ابتاه وآحسرتي يا اخي ولهفتي يا آلي وآلوعتي يا عشيرتي

ذهب الـذين احبهم فعليك يا دنيا السلام

لا تذكرين العيش لي فالعيش بعـدهم حرام

عرفت ان العطش اقفلكم والجوع اقعدكم فهـا هوذا نبع قريب به يتيسر لكم ان ترووا ظمأكم وتسدوا جوعكم اتقووا على السير الى حيث يشاء العدو المقيت . ولكن هيهات ان يدعكم تأكلون او تشربون

اری عصابة من الاكراد تنسل اليكم من القرى القريبة وتغلق عليكم وتنضم الى اعدائكم واذا بدت منكم التفـاتة عربدوا

عليكم واستفقوكم بالعصي وهزؤوكم بالفؤوس . اراهم مدججين بالاسلحة حاملين الهراوى الضخمة كأنما خرجوا الى لص بسيوفٍ وعصيٍ . . ولكن هذه ساعتهم وهذا سلطان الظلمة [لو ٢٢] اراهم تشاوروا واستكلبوا على ما عندكم من ذهب وفضة وثياب والبسة حتى فاقوا اخوانهم الابالسة بالشيطنة والبيلسة . فقتلوا الوفاء والمروّة واحيوا الجفا والقسوة . يا رباه بعينك تنظر ذلك وتعاين مجازاة المنافقين [مز ٩٠]

ارى الوالد وفلذة كبده موثقين يختلسان النظر ولا يتجرأ هذا ان يحادث ذاك مخافة ان يُضرب او يُلطم او يُصفع . ارى الشقيق وشقيقه وهما في شرخ الشباب تختلج في صدريهما لواعج الحب ولا يمكنهما ان ينبسا ببنت شفة

ارى الراعي وقساه متلهفين الى العراك متشوقين الى القتال ليبلغوا عاجلاً الى السماء . سيروا على بركة الله سيروا في حرزه وصيانته فانه رفيقكم في شدتكم وظهيركم في بايتكم وهو متأهب للاخذ بيدكم واحقاق حقكم

ارى ما بينكم شقيقاً محبوباً اسمه يوسف احاول البلوغ اليه لاعانقه وابثه لواعجي . اودّ لو اتيح لي ان اتغلغل الصفوف واخترق جماهير الخصوم واصل اليه فاضمه الى صدري واودّعه او اخطفه من براثن البزاة الطغاة ولو تجرعت لسبب ذلك اكواب الشتائم بل كاس المنون . لاني عالم انه عما قليل سينزع عنه قميصه ويُطرح جسده في بئر عميقة ناكرة ويؤتى بذلك القميص مغموساً بدمه . فاست امزق ثيابي وان اشدّ المسح على حقويّ ولكني انوح عليه مدة ثم ارطب

جراح قلبي واتعزّى بانه صار لي شفيعاً لدى مخلصي وانضم الى طغمة الابرار في السماء

الا يا نفسي لا تناسيه حتى افارق عيشتي وازور رمسي
فلولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلتُ نفسي
وما يبكون مثل اخي ولكن اسلي النفس عنه بالتأسي

في هذه الجادة التي تقطعونها اليوم راجلين حفاة خائفين كنتم قبل زمن وجيز تمتطون صهوات الخيل الجياد قاصدين الحدائق الغناء والجنائن الفيحاء ترويحاً للنفس من متاعبها وتملصاً من نوائب الدنيا ومصائبها . اما اليوم فقد غدوتم هلكى من التعب خائري القوى حتى حال جمال طلعتكم واكمدّ بهاء صورتكم . ولكن كونوا على يقين انكم اليوم تبلغون جنات النعيم حيث لا هم ولا كدر

قبل ايام كنت اراكم سائرين في هذه الطريق افواجاً تتجاذبون اطراف الحديث جذلين وتتعاطون اقداح الفرح مبتهجين . اما اليوم فقد علت وجوهكم شارات الاكدار ودبّت في افئدتكم عوامل الارتعاش وانتم صامتون ساكتون كأن على رووسكم الطير . ولكن ابشروا فان ضعفكم سيوءول الى القوة وحزنكم الى التعزية والسلوة

اما ترون تلك القلعة القريبة الشامخة قلعة اقرص الباذخة . هناك آخر مرحلة تقطعونها في ارض هذه الدنيا الخوون . هناك ستلفظون الروح بيد ربكم وفاديكم الروءوف الحنون . هناك ستنفجر دماوءكم كينبوع ماء زلال وتفوح من اجسامكم روائح كالعنبر والخزام

تبصروا في قلعة زرزوان فستضحي يوما معهداً مقدسا يقصده ذوو كم الاعزآء واصدقاؤكم النجباء فيطيبون السنتهم بذكركم الحلو ويتحمسون في الثبات على ايمانكم ويهنؤنكم بظفركم وانتصاركم

اشعر بان قواكم قد خارت وبنيتكم النحيفة انهكت ولم يعد في امكانكم التسيار . ولكن ربي قادر ان يعيد لكم القوى ويجدد فيكم الشجاعة فان اجلكم قريب

سيروا اذن في عقبات الضيق الكؤود سيروا بالرغم عما نالت اقدامكم من الضرب الوجيع . عما قليل تصلون الى شيخان حيث المياه الطيبة والاعشاب الغدقة والاشجار اليانعة الباسقة والثمار الناضجة ولكن هيهات ان يدعكم العدو تتمتعون بمشاهدتها او تلتذون بمذاقها

في طريقكم بئر جرور فيها ستلقى جثثكم المباركة وعليها سترف ارواح الملائكة . ستغدو تلك البئر كالديامس الرومانية مزاراً للامة المسيحية . كونوا على ثقة انه ساعة قتلكم تحصل لكم قوة غريبة سماها نطس الاطباء النعشة الاخيرة وسيدرعكم ربكم خوذة البسالة لتقهروا خصومكم . واذكروا ان الذي ينطلق ذاهباً باكيا وهو حامل بذراً يزرعه سيرجع قادما مرنما وهو حاملٌ حزمه [مز ١٢٥]

لقد أعجبني صمتكم على شدة عنائكم واذهلني مسيركم على كثرة اوجاعكم . لعمري اي افكار تخالجكم . فقد اثكلتم امهاتكم وأيتم نساءكم ويتّمتم اطفالكم وكسرتم قلب اعزائكم فامسوا يعولون على فراقكم ويندبون حالهم وحالكم . الا سلامٌ

على تلك القدود الرشيقة والقامات اللطيفة سلام على تلك النفوس الطاهرة والاجسام الممزقة والعظام المجرّدة . والاكباد الملتعجة

لقد كنتم لنا جذلاً وانساً فهل في العيش بعدكم انتفاع

تيقنوا انكم كدرتم عيشتنا وصدعتم افئدتنا وابكيتم مقلتنا وتركتم دورنا بلقعا ينادي فوقها بوم الخراب . الا شُلّت يمين قاتلكم وعميت عينه ويبست ذراعه وهبطت الى الجحيم روحه

كأني بكل منكم يقول وهو ظاعن . الوداع يا وطني المنكود الحظّ فان السماء والارض شاهدتان لنا بان مغتصبيك اهلكونا ظلماً الوداع يا امي المسكينة وقرينتي الحزينة وعروسي الكئيبة . وداع لا اجتماع بعده . الوداع يا اطفالي اليتامى واخواني المحبوبين . الوداع يا آلي واصحابي وعليكم السلام

الفصل التاسع

مذبحة القافلة الاولى

سار المسيحيون موثقين أربعة اربعة وخمسة خمسة وكان القسان والمطران مربوطين اخر الجميع والجنود محيطين بهم احاطة الطوق بالعنق وهم مدججون بالاسلحة متنطقون بالبواريد متزنون بالرخوت والله وحده يعلم ما كان يلعب في دماغهم الخبيث من الهواجس والافكار . اذ كانوا قد شمروا عن قدم وساق وفوّقوا لهم اصوب السهام وكانوا يحرّسون بهم ويحرّقون عليهم الارّم ويضربون كل من لا يلحق رفيقه سواء كان كهلاً او شيخاً او مريضاً او جريحاً او مصاباً باي داء كان

اما المسيحيون فكانت قواهم خائرة وعزائمهم واهنة لشديد ما كابدوا من السغب واللغوب اثناء اقامتهم في السجن فتعذر عليهم من ثم الاسراع في المشي . وتبادر الى ظنهم انهم عند بلوغهم الى العين يستريحون هنيهة ويشربون جرعة ماء . غير ان الخدم استعجلوهم على المسير فظلوا يلوبون على الماء فلم يسمح لهم . اما ممدوح واعوانه الخبثاء فسقوا دوابهم وتبعوهم

ومـا تبلج ضو الصبح حتى نشموا يفرزون الشيوخ والعاجزين وينحونهم عن البقية ويبعدونهم الى محل قريب فيعرّونهم وياخذون اسلابهم ويقتلونهم ويعودون

ولمـا دنوا من عين عمر آغا استدعى منهم ممدوح بضع عشرة وأوهمهم انه يريد الرجوع بهم الى بيوتهم لانه على قوله تأكد عنده صدق امانتهم فسيَّرهم في عصابة من الجند الاوغاد الى قلعة قريبـة فعرّوهم وذبحوهم ورجعوا

ثم استدعى غيرهم وعاق يعنفهم على خيانتهم للدولة ويخيّرهم في المناداة بالاسلاميـة والا فينزل بهم افدح العذاب ويذبحهم . اما هم فنبذوا قواه وصرّحوا بانهم لن يجحدوا ايمانهم مهما كلفهم الامر فبعث بهم الى اقرص في شرذمة من الاوباش حتى اذا وصلوا بهم الى قمة الجبـل اشرعوا فيهم السيوف والخنـاجر وعرّوهم وقصبوهم وهرسوهم اعنف هرس والقوا جثثهم في بئر هناك ناكز وعادوا ادراجهم ولحقوا القافلة واذاعوا ان قد اوصلناهم الى بيوتهم امنين مطمئنين وسرّ بهم اصحابهم واتحفونا بهدية شاكرين . اي ولعمري انهم اوصلوهم الى دارهم الحقيقيـة الابدية وهش لهم

ملائكة السماء اصحابهم · وقدموا لقتاتهم هدية تلاثهم · سوّد الله وجه كل كذوب · وقد جاء في سورة الصُف « كبر عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون »

اما ممدوح فبعد ان نحى اولئك المسيحيين وبعث بهم الى البئر استدعى فيئة اخرى ونمّ لهم الاكاذيب وافتن عليهم بالحكايات وعرض عليهم الاسلامية فنفروا من كلامه اي نفور فأوفدهم كمن سبق في زمرة من الانذال فمضوا بهم وعذبوهم وقتلوهم واخفوا ثيابهم وقفلوا كمادتهم الحميدة راجعين كأنهم لم يفتعلوا شيئاً وقد قيل

لا يكذب المرء الا من مهانته ... او فعله السوء او من قلة الادب

وصاروا كلما افرزوا منهم جمعاً أبعدوا بهم وقتلوهم ورجعوا واجروا ذلك في كل مرحلة حتى بقي نصفهم وهم يكذبون ويفترون كانهم ان مُنعوا من الكذب انشقَّت مرارتهم · واعلنوا انهم لا يمدّون يداً على احد منهم ريثما يوصلونهم جميعاً الى رشيد الخبيث ليحاكمهم فان وجد عندهم خيانة زجهم في السجن والا سرحهم واعادهم الى منازلهم سالمين

غير ان السيد اغناطيوس النبيل اكتشف على المكيدة وشعر بالحيلة وتحقق ان الذين فُصلوا من القافلة قد قضي امرهم وأُهدر دمهم وراحوا ينالون ثوابهم · ومن ثم استدعى ممدوحاً الغملاج راس اولئك المنافقين الاعلاج وقال له ما عاد يتيسر لك ايها المداجي ان تخفي علينا أبازيرك مهما جمهرت علينا الاخبار · فقد تاكد عندي ان خرافي بأسرهم قد قتلهم اعوانك بأمرك وما بقيت منهم بمين

تطرف . بناءً عليه لي طلبة اعرضها على جنابك راغباً من كرمك ان تأذن لي في انجازها . . . ذرني اجتمع باولادي هنيهة من الزمان وابثهم لواعج فؤادي وابلغهم كلمتي الاخيرة. وبعد هذا لك الحرية ان تفعل ما ترى . فأمر ممدوح اعوانه ان يتنحّوا عن المؤمنين ساعة فجثا الحبر الباسل واقسّته وجماعته على الارض ورفعوا اكفّ الادعية الى رب الصباؤت ملتمسين منه النجدة والمعونة: فكان كملاك مرجب يكتنفه جيشه الامين ويصغوا اليه بمزيد الحب والشوق

ثم اضرم في فؤادهم جذوات الحماسة الدينيـة واستنهضهم ليخوضوا غمرات المنون دون وجل وتناول كسراً من الخبز تلا عليها الكلام الجوهري واعطاهم الحلّ الاخير والغفران العام وناولهم السرّ الاقدس ليؤيدهم في الايمان ويقويهم على احتمال العذاب . ثم باركهم وقال لهم : لا تخافوا العدد والعدد ولا تهابوا الوعيد والتهديـد . استبسلوا في سبيل دينكم واستقتلوا حبًّا بربكم. واشتروا عـذاباً زمنيًّا طفيفاً بغبطة سعيدة مؤبدة . قال هذا والتفت الى ممدوح يقول قد انهيت العمل فاصنع ما راقك واعجبك

وبلغنـا انه لما كان المسيحيون جثيًّا ركعاً يناجون الله مولاهم باخبات هبط عليهم غمام نوري غطاهم اثناء الصلاة وفاحت في تلك البقعة روائح زكية طاب عرفها وحلا شذاها مما لم يستنشقوا مثلهـا قط ولاحت على محياهم انوار عجيبـة باهرة استلفتت ابصار القساة الواقفين ولكنها لم تؤثر في انفسهم لشديد حنقهم واسترسالهم في الخبث . على انهم كما اقرّوا عـلى نفسهم لم يروا في غابر حياتهم ولن يروا ايضا رؤية كذا عجيبة غريبة . ثم ان المسيحيين وراعيهم

واقستهم ابتسمت ثغورهم وعلت سمات الجلال جباههم واحسوا بتجديد قواهم ورقصت انفسهم طرباً وخيل لهم انهم في نعيم الدنيا يحبرون وقد تملوا بحميا الغرام نحو فاديهم العـ ـف الحنون • وما انهوا صلاتهم حتى تقلص عنهم الغمام وكأن كل واحد منهم كان يناجي نفسه ويقول لها

يا نفس كوني عن الدنيا مبعدة وخلفيها فان الخير قدامي

ثم ان الاعداء الذين خيم على قلوبهم ظلام الضلال والغواية انفجروا كالذئاب على اولئك الخراف الوديعة واستاقوهم الى جانب قلعة زرزوان فعروهم من ثيابهم واستفرغوا كل الطاقة في تنكيلهم ثم مالوا عليهم ميلة شنعاء وقتلوهم عن بكرة ابيهم ولم يفرطوا منهم نافخ نار فتضرجت اصداؤهم بدمائهم الارجوانية وتضمخت عظامهم بالاطياب العطرة الزكية وتبللت الارض بقطرات دمهم النقية

ولم يبق من اولئك الشهداء البسل سوى امامهم الحبر القديس فجعل يلح عليه ممدوح ليطلعه على دخيلة امره ويفيده عن مخزن الاسلحة والمدافع • فقال له الحبر الشهم اراك يا ممدوح تجهل او تتجاهل اني قلت واقول الحق ان لا اثر ولا صحة لما تزعم انت واصحابك • فهيا افرغ في كاس سخطك وألحقني باولادي سريعاً لاشاهد حفلة زفافهم واشترك معهم في افراحهم ولا يفتك انه يشق علي جدا ان ينالوا اكليل المجد دوني ويدعوني في هذه الدنيا الغرور وحدي • فالبدار البدار اضربني عذبني اذبحني اصلبني واهصر غصن

(١) أيد هذه الرواية جماعة من الجنود والاكراد ونقلوها خاصة للنصارى الذين اسلموا حديثاً

حياتي فلا اعود ارى وجهك ووجه امثالك

فصبر ممدوح نفسه وكظم غيظه وراح يكمل مفترض دينه فقال المطران الجليل اما بودك ان تجاهر بالاسلامية . فقال له الراعي : عجباً تكرر علي السؤال وقد اجبتك غير مرة اني احيا واموت على ايماني القويم وليس لي ان اتباهى الا بصليب ربي الكريم

فحرج ممدوح اضراسه واخرج مسدسه واطلق الرصاص على الشهيد حتى فاضت روحه وهو يقول « اللهم ارحمني في يديك استودع روحي »[١]

على هذا الاسلوب قضى هولاء الاربعمائة والسبعة عشر شهيداً في قنن الجبال وبطون الوديان كشهداء النصرانية الاولين الذين زينوا الكنيسة الجامعة باكاليلهم الدموية وانتصاراتهم على القوات الجهنمية وتمّ استشهادهم في العاشر والحادي عشر من حزيران ١٩١٥

لعمري ما مثل هذا الحبر البار وقسانه وجماعته الافاضل الا مثل كوكب الصبح بين الغمام او البدر ايام التمام او الشمس في رائعة النهار او الزهرة بين الاشجار او الزنبقة على مجاري الانهار « ليكن ذكرهم مباركاً ولتزهر عظامهم من موضعها وليتجدد اسمهم ويمجدهم بنوهم [سيراخ ٤٦]

من لي بجناحين فاطير وارف فوق هولاء الصناديد واجمع دماءهم جمع لآلٍ نفيسة ودرر يتيمة واكنزها في حنجود او سفط ذهبي اضعه في احد المعابد كمشكاة تنير من رآها فتبعث فيهم الاشواق

---

(١) اورد بشو السراج غير مرة متباهياً بانه بعد ان قتل ممدوح السيد اغناطيوس الشهيد قبض هو على لحيته واستل خنجره وضربه في ترقوته تشفياً ثلاث ضربات

وتذكرهم بغلبة الاحباء والاصحاب وتدفعهم ليقصوا آثارهم . ليتني احصل على رجال افاضل يسيرون معي الى تلك الجبال وينحدرون الى الآبار فيجمعوا تلك الاصداء في صناديق ثمينـة ويحضروها الى الكنائس لتصان فيها للذكر الطيب الخالد.

الفصل العاشر

تلفيقات القتلة الخونة عن مصير القافلة الاولى

ان ما اسلفناه عما جرى لشهداء القافلة الاولى الامجاد رواه لنا جملة من المسلمين الثقاة ممن يركن الى قولهم ويُعتمد عليهم . بيد ان الخونة الخراصين حاروا كيف يلفقون الاخبـار ويموهون الاحاديث ليحجبوا عنا الحقيقة اذ كانوا قد اقسموا بالطلاق الثلاث وهو افظع واغلظ قسم عندهم وحلفوا بالمحرجات ان يكتموا عنا الامر . بناء عليه جاؤا بالصقارى والبقارى واوردوا اغاطاً ومعمسات شتى استدل منها كل خبير على خبث نياتهم وكثرة تفننـاتهم في فتق الحيل واختراع الاكاذيب . فقـد نقلوا لنا عن السنتهم مئين من لهطة الاخبار نورد منها على سبيل المثل ما سمعناه . فقـائل انهم ساروا آمنين مطمئنين ووصلوا الى دياربكر السوداء صاغين سالمين. وقائل ان مسلمي القرى المجاورة أولموا لهم الولائم واستقبلوهم بحفاوة حتى دياربكر . وقائل انهم حين وصولهم الى شيخان انقض عليهم الانكليز والفرنسيس في ثلاثين طياراً واختطفوهم وذهبوا بهم الى بلادهم[1] . وقائل ان الدولة وزعتهم في البلاد لئلا يراسلوا الدول

(١) روى ذلك شوكت بك وخليل ابن ابرقم وغيرها

العظام ويدعوهم للاستيلاء على الاراضي والاملاك · وزاعم انهم وُضعوا في قرى سويرك ليشتغلوا في السكة الحديدية · وكاذب انهم موجودون في الثكنة العسكرية بدياربكر لا يجوز لكائن من كان ان يواجههم · وملفق انهم بُعثوا الى بلاد الشام والحجاز او الى نواحي العراق وغيرها من البلاد · وان الشيوخ منهم توفوا في الطريق ولم يبقَ سوى الكهول والشبان · وان السريان والكلدان والبرتستان قد أُفرزوا من الارمن وارسلوا الى احد البلدان · بل ان ممدوحاً نفسه اكد للسيد جبرائيل مطران السريان انه قد قتل جميع الارمن وذهب بالسريان والكلدان والبرتستان الى بلدة لا يجوز له ان يقول اسمها لئلا يحرمه ملاه ? تبّاً للخداع والتدليس

وانتشرت هذه التلفيقات وذاعت حتى صدقها الكثيرون على ان السيد جبرائيل تبوني مطران السريان جعل يستخبر ويبحث عن محل اقامتهم ليتيسر له ان يبعث لهم شيئاً من الذهب لمعيشتهم · فكتب في ٢١ كانون الثاني ١٩١٦ الى الشاب النجيب ملكوف حبيب دي جروه رسالة اليك نصها

« جناب ولدنا الحبيب ملكوف دي جروه حرسه المولى

« بلغنا ان مسلماً مهاجراً مرّ بنواحي سروج ورأى بعينه رجال القافلة الاولى ولم يعرف منهم سوى عزيز شاميه السرياني وجليل خرموش الكلداني وهم موجودون في محل حصين يقال له " قوم قشله سي " وقد واجههم المهاجر المذكور وحادثهم فقالوا له اننا مفتقرون الى شهادة تؤذن باننا سريان او كلدان فننجو من السجن لا محالة · واعلم يا ولدنا العزيز ان هذا الخبر ذاع وشاع وصدقه

المسيحيون . وبناء عليه كتبنا هذه الرسالة وسيرناها اليك مع الساعي والقينا على عاتقك الاهتمام والفحص عن هذه المسئلة الخطيرة . لنقف على جلية الامر

« فانهض ايها الابن الحبيب للقيام بهذه المصلحة المهمة جداً لان حياة كثيرين من جماعتنا منوطة بها . ونرغب ان تصرف كل جدك وجهدك وتسعى السعي الحثيث غير مبال بالتعب والنفقة والخطر ريثما تتحقق الخبر . ومتى وصل اليك حامل كتابنا اعد له ما يلزم وارسله الى « قوم قشله سي » للبحث والتنقير . ونرغب ان تستفسر انت كذلك عن رجال القافلة الاولى وعن محلهم وعددهم واسمائهم الخ فان اصبت الغرض تبلّغنا « صحتي جيدة » فنفهم من ذلك ان رجال القافلة الاولى هم في قيد الحياة . وبعد هذا ارسل الينا مع الساعي التفاصيل الوافية

« واعلم يا ولدنا النجيب ان والدكم القدسي حبيباً العزيز هو من جملة الرجال الذين نفتش عنهم . وعهدنا بنشاطك واقدامك وحذقك انك لن تقصر في البحث والتفتيش فتكسب بذلك ذكرا طيباً واسماً حياً وحباً خالصاً وتؤدي اجل خدمة لطائفتك السريانية وتغدو من افضل الابناء البررة وتحوز الشرف والاعتبار . هذا واننا ندعو لك بالتوفيقات الصمدانية حرسك المولى من كل اذى وخطر »

ولما وصل السفير الى محطة عرب بنار دفع الرسالة الى ملكوف دي جروه فتصفحها ملياً واعمل الروية في كيفية البلوغ الى الغرض المطلوب فآلى على نفسه ان يقتحم كل خطر ومشقة ويبذل كل

صعوبة ومخاطرة في طلب الرجال المسيحيين ولاسيما والده

فقصد صديقه عبد القادر الجركسي وقال له بلغني ان في قرى سروج رجلاً نصرانياً هو من اعز اصحابي فاروم ان استخبر عنه واقف على موضع اقامته . وارغب اليك ان تسير معي البحث عنه فتوليني بذلك منة كبيرة لن انساها لك ما حييت . فاستشار عبد القادر الجركسي باصحابه واعد جوادين ركب هو احدهما وركب الاخر ملكوف وغادرا المحطة وتوغلا في برية سروج يبحثان عن الرجل

غير ان ملكوف ما كذب ان أسرّ الى صديقه الجركسي انه شاب مسيحي وان الذي يفتش عنه هو ابوه . فبهت الجركسيّ اذ كان يظنه مسلماً . ولما رأى شديد حزنه ومزيد قلقه حلف له بالله العظيم وجمع الى اليمين بالله يميناً بالطلاق واكد له انه يجول معه ويساعده بكل طاقته ريثما يحصل على النتيجة . فجعلا يقطعان الطرق ويسألان عن موضع العملة حتى انتهيا الى تل حمر بالقرب من الفرات وصادفا جملة من العملة كان اغلبهم من بلاد ارمينية . ثم قصدا « قوم تمشله سي » فامر ذلك الجركسي ان يخرج الذين بها ليراهم ملكوف فخرجوا فلم يصادف احداً ممن يطلب

وافضت المحبة بعبد القادر الى ان استحضر كل من كان يشتغل في تلك النواحي واستعرضهم امام ملكوف عله يجد بينهم والده . فخاب امله ولما ملّ التفتيش والتنقير عاد الى المحطة وظل القلق مستحوذاً على الشاب النجيب فبات ليلته تلك ساهداً لا يدري كيف الوصول الى الغاية . ففكر التوسل الى صديقه فقصدا تفقد العملة

ثانيــةً وثالثةً فلم يجد احدا ممن يطلب . فعاد الى محله مأيوساً وكتب الى المطران ان ما بلغه لا اثر له البتة ـ فانجلى له ان احاديث الخصوم في ذلك الشأن مسرجة مختلقة

وقد حدث مثل ذلك للقس اسحق ارملة فانــه في ٥ تشرين الاول اي بعد القافلة الاولى بنحو اربعــة اشهر كتب اليه القس جبرائيل احمر دقنه نائب بطريرك السريان بخربوط رسالة برقية بالتركية هذا شرحها « اخوك في نواحي خربوط ابعث له دراهم » ولما طالع الرسالة شمله السرور واذاع الخبر فاقبل غير واحد وهنأوه يعتقدون ان ذويهم ايضاً احياء . ثم ان القس اسحق كتب الجواب الى النائب المومى اليه ان « ادفع لاخينا يوسف ما يحتاج اليه . التفصيل بالبريد » وبعد هذا كتب اليه رسالتين في الصدد عينه فوافاه الجواب يصرّح له بنصّ الرسالة البرقية وهو « الياس بطروسي يرغب ان تعلمه عن والده وذويه . قل لهم ليكتبوا ويطمنوه » فاستنتج القس وغيره ممن اطلع على الخبر ان المأمور بدل النص ليدخل الوهم عليه وعلى النصارى . فتأمل

وبلغنــا في هذه الايام الاخيرة اذ خمد اجيج الحروب وزالت ويلاتها وأعتق العالم من المظالم والشقاء ونهضت الدول المظفرة تعقب على الجناة راح سعاة الشر والقتلة يعملون الفكرة في استنباط حيلة وايجاد وسيلة لينفضوا يدهم مما اجترموا فاتفقوا على ما بلغنا مضبطة كجاري عادتهم ادعوا فيها ان السيد اغناطيوس بعــد ان سار في قسانه وجماعته آمنا مطمئناً ووصل الى شيخان صحيحاً سالماً استحضر عشباً مزجه بالسم الزعاف وقدمه للجنود الحفظة فأكلوه على غرارة

منهم فأصابهم الموت الزؤام . فاحس من تبقى منهم بالدسيسة فنهضوا مسرعين ليثروا من الرئيس والمرؤوسين فانجفل المسيحيون وتقطعوا طرائق وتفرقوا حزائق . فاطلق الجنود عليهم البنادق فلم يصيبوا منهم الا نفراً يسيراً اما عامتهم ففرّوا الى الجبال وتبطنوا الوديان واختفوا عن العيان . فلما راى اغناطيوس مطرانهم ما صار اختلس مسدس احد الجنود وافرغ رصاصتين في فيه فقضى نحبه

يا ويح المنافقين الخراصين كيف يتيسر لهم الهرب من خيانة ظهرت ظهور نار على علم . ام كيف يتبراون مما اجترموا وجرائمهم تلحقهم لحوق الظل للاجسام . هلا بجعوا لنا بالحق واستشنعوا ما ارتكبوا وندموا على ما افتعلوا

افتح اذنيك يا صاح وانصت لقولات هولاء الكذبة وتعلم التدليس من ابي الكذب ابليس . ولكن ابليس اعقل من ان يوسوس لهولاء بهذا وحاش له ان ينزع بذهنهم بمثل هذه الخزعبلات . فانهم فاقوه في الابالسة والشيطنة معاً . ولعلهم متى حظوا به في الظلمات الدامسة الابدية زحزحوه عن كرسيه الناري وتربعوا مكانه ولقنوه ما لا يتصل اليه خبثه ولا يخطر على باله . هناك سيشاهدون اصحابهم فيقولون لهم اهلاً وسهلاً بكم . هلموا شاطرونا فاننا قد طوبنا جهنم لحسابنا وغدت ملكنا الخاص وما عدنا نخرج منها الى الابد . نعم الاباء تمخضوا وحبلوا وولدوا نسلاً باراهم في الصناعة وفاقهم في الدهاء والمكر والشناعة . فلهم ما للاباء من العقاب بل اوفر ومن العذاب افظع واكثر

الفصل الحادي عشر

صلوات المسيحيين ونذورهم . غيرة الشهيد القس متى بلاش السرياني

صفا الجوّ لاعداء المسيحيين وايقنوا بالنصرة التامة وما بعثوا بالقافلة الاولى واخرجوها من البلد حتى استأذنوا يلقون الايدي على الباقين ويسوقونهم بعنف الى دار الحكومة والسجن مذ ثالث حزيران الى اليوم الثاني عشر منه اذ كان ذلك شغلهم الوحيد

فهبّ اثناء ذلك جمهور الاقليرس الباقين والمؤمنين الخائفين لاقامة الصلوات في الكنائس ورفع الابتهالات الى الفادي ليدرأ عنهم البؤس والبرحاء او يعضدهم ليخوضوا مضمار الآلام كأجدادهم المسيحيين العظام . فكنت ترى الكهنة يخطبون فيهم ويحرضونهم على تسليم مقاليد امورهم للرب القدير . وكان المسيحيون كبيرهم وصغيرهم دنيهم وحقيرهم يهرولون منسلّين الى الكنائس ليشتركوا في الصلوات الجمهورية طبقاً لمشورة يسوع الفادي « انه حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي كنت في وسطهم » . وكانت كنيسة مار يوسف للارمن مفتوحة بعدُ يقصدها المسيحيون اما كنيستهم الكبرى فكانت مغلقة

اما النساء فطلقن الدنيا وهجرنها وتجردن للعبادة وكن يزدحمن في الشوارع حافيات ويقصدن كنيستي السريان والكلدان باسطات الايدي الى السماء ليويدهن الرب في الايمان ويخفف عليهن وطأة الاحزان . وقد رأينا بعيننا اثناء ذلك احدى السيدات الورعات تقطع الطريق راكعة على ركبتيها قاصدة الكنيسة لاستمطار الرحمة

والمعونة . ومــا ولجت الباب حتى استأمنت اليها الحاظ المسيحيين فمزجوا دموعهم بدموعها واضافوا خشوعهم الى خشوعهــا وظلت جاثية حتى نهاية الذبيحة فاستودعت امورها بيد ربها وراحت تهيء ما يلزم لرحيلها اسوة بابنها او بعلها او اخيها او ابيها

وسارت غيرها من النساء الى الكنيسة تحبو وترحف على ذراعيها وتنذر النذور لنجاة نجلها وتسال الله ان يصرف عنه كل محذور ومكروه لئلا يعند عن السراط المستقيم

اما كنيسة السريان فالداخل اليها اذ ذاك كان يرى حبرها كملاك النور واقفاً في مذبح البخور يحيط به من بقي من الاقليرس رافعــين الايادي الى الرب الغفور طالبين منه العفو والغوث . وكان جمهور المؤمنين يخرّون على وجوههم ساجــدين يسمعون اناشيد الشمامسة وترانيمهم المحزنة

ايهــا القارئ العزيز ادعوك لتحضر بالفكر الى كنيسة العذراء السريانيــة وتتفرّس خاصة في ذاك الاب الغيور النشيط والكاهن الورع التقيّ القس متى ملاش منتصباً امام المذبح الاقدس صباح الجمعة ١١ حزيران عيد قلب يسوع الاقدس يخطب في المومنين ويذكي حماستهم بزواجر وعظه البليغ ويهز اغصان هممهم بنسيم نصائحه الطيب وينثر عليهم لآلي ارشاده الكريمة ويسقيهم مناهل التعاليم الصافية . فكان كلامه كرذاذ غيث اصاب زرعاً نبت وتأصل واتى الواحــد بثلاثين وستين ومائة . طوبى لمن عاينه وسمع نصائحه وعمل بموجبها فانه كان يود من صميم فواده ان يحوز غار الاستشهاد فسمع الرب نجواه وافازه بما تمناه . فقد كتب في نهاية دفتر قداديسه مــا نصه

بحروفه " في تاسع حزيران اقمتُ الذبيحة في شان من قُبض عليهم من الارمن والسريان ليثبتهم الرب الاله في الايمان والنعمة او يفكهم وينقذهم من الاسر . وكتب في عاشر حزيران اني اقمت الذبيحة الالهية في شان من استاقوهم وفي شان الباقين . فالذين يريد الله ان يموتوا فليعطهم نعمة الثبات في البر ويقوهم على الاستشهاد . والذين يريد الله ان يبقوا في قيد الحياة فليحفظهم ويصنهم من الكفر والخطية اقبل يارب . اقبل يا رحيم " هذه اخر عبارة كتبها بيده المباركة . على انه يوم الجمعة حادي عشر حزيران القي عليه القبض وسيق الى السجن وانضم الى سائر كهنة الارمن والسريان . ولم يفتر ثم ايضاً من بذل النصائح العملية للمومنين المسجونين والاسترسال في تنشيطهم وتشجيعهم لترسخ اقدامهم في الدين المتين . وكان يسمع اعترافهم ويحلهم من رُبط مآثمهم . ولما راى الخصوم حماسته تآمروا على قتله دون غيره فالقوا طوق الحديد في رقبته فتهلل مستبشراً له لانه أهل ان يماثل زعيم الرسل والاناء المختار . ولما وصلوا به وبرفاقه اصحاب القافلة الثانية الى شيخان ذبحوه كسائر من ذبحوا

لله درك ايها الكاهن الورع فانك نلت السعادة الخالدة باتعاب زهيدة وآلام طفيفة . كأني بارواح الملائكة يرفون فوقك وفوق رفاقك الابرار ويطيرون بارواحكم الى مقر الافراح . هي صلواتك واسهارك المتواترة ودموعك المتكاثرة وغيرتك المتقدة قد اعدت له اكليلاً سنيًّا مجيداً احرزته بكل استحقاق وجدارة . فهنيئاً لك وطوبى والف طوبى لنفسك

امـا هدايا المسيحيين اثناء الضيقة وتقادمهم الثمينة للكنائس

فكثيرة . على انهم استصغروا في اعينهم كل حلية وحلة واستغنوا عنها واتوا بها الى مريم سيدة النجاة ومعزية الحزانى ومعونة النصارى فامتلأت كنيستا السريان وكنيسة الكلدان في مدة وجيزة من التحف والهدايا المعتبرة . وما كان يخطر ببالهم ان ممدوحاً وزمرته يهجمون عما قليل ويخطفونها . على انهم ما استكفوا بما جمعوا من الذهب الوافر حتى بادروا الى الكنائس والاديار وانتزعوا تلك التقادم والنذور مدعين بانها للارمن وان مال الارمن حلال لهم وحدهم وانقلبوا يتقاسمونها فيما بينهم وأفضى بهم الطمع حتى اقبلوا الى كنيسة دير مار افرام وعرّوا شخص العذراء من التحف المزدان بها . بورك لهم فيها

لا جرم ان تلك الهدايا والنذور ستغدو كمناخز تخز ضمائرهم او كسفافيد تشيكهم او ظلل نارية تحف بهم من كل صوب في أسفل سافلين

الفصل الثاني عشر

في القافلة الثانية

واصل اعداء المسيحيين شغلهم وقبضوا على جم غفير واستاقوهم توًّا الى السجن والتكنة . وفي عاشر حزيران ساروا الى كنيسة مار يوسف فألفوا القس يعقوب يتمشى فلطموه واستدعوا القس اسطيفان الشيخ الوقور وقلبوا ثوبه الى راسه وسطحوه على الارض وانزلوا به اوجع الضرب وقالوا له هات ما عندك من الذهب والفضة والودائع مما يخص الكنيسة فاضطر ان يسلمهم المفتاح فاخذوا كل ما كان

في صندوق الكنيسة والفقراء ثم فتحوا الكنيسة وانتقوا من الاواني والحلل والنذور والخلع ما طاب لهم ثم اغلقوا الباب وجمعوا الكهنة واستاقوهم الى السجن ما عدا الاب اسطيفان والاب يعقوب ٠ وبعد هذا وافوا الى كنيسة السريان وقبضوا على القس اويس والقس يوسف معلمي المدرسة ثم قصدوا غرفة الاب دومينيك بيره رئيس الرسالة الدومنكية بالموصل واستدعوا رفيقيه الاب يعقوب والاب سمعان واستعجلوهم على مغادرة غرفهم فقال لهم الاب بيره « انا نحن فرنساويون لبثنا ههنا بامر الحكومة ومعرفتها » فانصرفوا واستشاروا كبيرهم فقال ذروهم الساعة في مكانهم وسارت طائفة منهم الى بيت القس حنا بنابيلي وانزلوا به الضرب العنيف واستاقوه الى السجن ويوم السبت ١٢ حزيران عاد الجنود الى كنيسة السريان وحاولوا ان يلقوا القبض على راعيها لكن الله سبحانه لم يشأ ذلك فاجتمع في السجن كهنة بيعة مار يوسف وقس تل ارمن ووجهاء جماعته وقس دارا وسبعة قسان من السريان واليك تفصيل ما جرى لهم نقلاً عن القس متى خريو احدهم دون زيادة ونقصان قال :

عند ظهيرة السبت ثاني عشر حزيران اذ كنت منزوياً في غرفتي افتكر في حال المسيحيين وما صاروا اليه من الذل فتح باب غرفتي صالح الفروخ وفواد الكرجيه ودخلا علي وشرار الغضب تقدح من وجههما فقال لي صالح انهض مسرعاً واتبعني الى مقام البوليس ٠ فقلت امهلني هنيهة فخطف كتاباً كان بيدي والقاه الى الارض وقال سارع قلت مالك ساخطاً وما ذنبي ٠ وما مرادك ٠ فلطمني على خدي لطمة دوختني وقال لي انت عضوٌ في الجمعية الفداوية ؟ قلت ساء

ظنك . قال استعجل وقم . قلت أبودك ان ارضخ لك بشيء من الاصفر فتجهمني وقال . اسمك مرقوم في الدفتر ولا يسعني السكوت عنك . على ان اقطاب الجمعية كانوا كل ليلة يكتبون اسماء من ارادوا سوقهم في ورقة خصوصية يدفعونها الى البوليس في الصباح ليقبضوا عليهم . فتهيأت الرحيل واستدعوا القس حنا طبي وبطرس ملاش وافـه الكنيسة وجرجس الوصلي خادم الاباء الدومنكيين وغيرهم ممن رأوهم في ساحة الكنيسة والغرف وذهبوا بنا الى مقام البوليس فمكثنا ثم الى الاصيل فدونوا اسماءنا مع اسماء من احضروا من الارمن والسريان والكلدان . وساقونا الى السجن

ونحن في الطريق بالقرب من دار الحاج علي بك اذا بالاعلاج يسخرون منا ويقذفون بالحجار علينـا واتفق ان ثلاثة منهم تهوروا من السطح الى الارض في قلب بعضهم . ولما وصلنا الى باب الحبس جعلوا يفتشون كلا منا . فضربوا القس حنا طبي واوقدوا لحيته بالكبريت ثم انزلونا وحشرونا في غرفة ضيقة حرجة وبلغ عددنا نحو ثلاثمائة . وبعد الغروب بساعتين قبضوا على ثلاثة وثلاثين شخصاً في جملتهم ميخائيل ماغي المشلولة قدمه فساقوهم بعنف الى ساحة دار الحكومة وطفقوا يضربونهم ويهمزونهم بالبواريد . ثم اخذوا حذاء ميخائيل المذكور وطربوشه وكيس دراهمه واقبلوا بهم الى السجن ودفعوهم من اعلى الدرج الى اسفل . فصار مجموع النصارى في السجن ثلاثمائة وتسعة من ارمن وسريان وكلدان وبرتستان

واتفق ان توما شد وفرج الله جرباقه قدمـا اذ ذاك من حلب فكبس الجنود داريهما واستاقوهما الى السجن واضافوهما الى جماعـة

المؤمنين

واستدعوا في تلك الليلة بعض القسان والوجهاء الى غرفة العذاب وعلقوهم بالحبال الضخمة وانطبقوا عليهم يضربونهم بشراسة كالقس حنا بنابيلي وغيره . وفي الهزيع الاول من ليلة الاثنين رابع عشر حزيران وافى السجان وتقدم الينا بالخروج قاطبة من تلك الغرفة . فاخذنا المقيم المقعد لشديد وجلنا ومزيد رعبنا فخرجنا وصادفنا قوماً من الضباط والعسكر مصطفين قلوبهم منشرحة وآمالهم منفسحة واكبّوا علينا من الجهات الخمس اعني من الميمنة والميسرة والمقدمة والساقة والقلب ومضوا بنا الى الثكنة ثم اقبل احد الضباط وامر القسوس ان يصطفوا على حدة فامتثلنا الامر وطفق يدعو واحداً واحداً ويغلله واول من استدعى القس متى ملاش فالقى في جيده طوق الحديد وهو يتهلل بشراً ثم انصب علينا المشكوية والداشية كفارس بن حمي الباشا وعمه عمر وواصي بن محمد سعيد آغا وياسين ابن عمته وغيرهم وانتقوا منا اربعة وثمانين شخصاً القوا في رقابهم اطواق الحديد . وغللوا كذلك يدي القس حنا طبي واوثقوه مع شاب ارمني من تل ارمن . ولما نفدت الاغلال الحميدية عمدوا الى الحبال الضخمة فاوثقوا كل خمسة بحبل . وقام بقية العسكر مستلين سيوفهم فوق روؤسنا مخافة ان ينهزم منا احد . ولما انتهوا من الربط والغل كالعادة اقبل مامور السوق والعسكر الخمسيني من فورهم واحتفوا بنا وكان نعمان النمس واخوه اسعد واقفين فاستدعيا المامور وقالا له قد آن الاوان للفوز بغايتكم فتقووا ولا تكونوا كالماردينيين يوم ردعوا الاكراد سنة ١٨٩٥ وحرجوا عليهم قتل

النصارى

وما بزغ فجر الاثنين ١٤ حزيران حتى استاقونا . ولما بلغنا الى باب المشكية تعهدوا الحبال فشددوا ما ارتخى واوثقوا ما انحل وجعلوا يستلحموننا ضرباً وطعناً ويزيدوننا رفساً وصفعاً ويتفلون في وجوهنا ويكفخوننا بالعصي ويوسعوننا سباً وشتماً وينتشمون علينا بكل قول قبيح كما اعتاد لسانهم القذر . واتفق ان احمد الشيال كان بجانبي يكثر من ضربي ويتفل في وجهي فما تماسكت ان قلت له: اكفف يا غبي يا كافر . اما تراني لاحقاً برفاقي صامتاً . دعني وشأني . فتركني وانصرف الى غيري . ولما غادرنا العين القريبة نشموا في اختلاس ما زاد من الثياب واختلاع ما عندنا من الدراهم ولفائف الدخان والطعام

ومما يستحق الذكر ان الياس شوحا بعد ما ساقوا اخوته الاربعة مع اول قافلة وهم في شرخ الشباب غدا طريح الفراش تعذبه الحمى الشديدة وكان الموت اليه اقرب من حبل الوريد فلما القي عليه القبض واضطر ان يسير معنا احس بانّ قواه قد رجعت وصحته تحسنت فأولاه الله شفاء دون دواء

وعند وصولنا الى عين عمر آغا طلبنا مهلة لنشرب ماء فامرونا بالجلوس واخذوا يصلحون البواريد ويهيئونها للقتل . ويتشاورون على اختلاس الاسلاب

الفصل الثالث عشر

استشهاد اربعة وثمانين مسيحياً تبعهم خمسة عشر شهيداً في ١٥ حزيران

ولما شارفنا شيخان ووصلنا الى مزار الشيخ موس امرنا الجند ان نقعد ونقوم ثلاثاً احتراماً لذلك المحل المعتبر عندهم وكانوا مصممين ان يذبحونا ثم ويقدمونا ضحايا لشيخ موسهم المحترم . فوصلنا الى المحل المرقوم وربضنا عند ساقية الماء جياعاً عطاشا هلكى من التعب فاذنوا لنا ان نشرب ماء دلالة على جودهم وكرمهم المشهور — لا بارك الله فيهم — والتمسنا ان يبيعونا خبزاً فاحضروا لنا ارغفة شعير سوداء استطبناها وارتحنا . وما عتم ان جاؤوا الينا يريدون ان يقسمونا قسمين يذهبون بالواحد الى المغارة ويذرون القسم الاخر في محل الزيارة . فلم نرض لانا توخينا العذاب والموت معاً فقلنا لهم بل نذهب باجمعنا . فاستاقونا بين الاشواك والاوحال حتى وصلنا الى تلك المغارة لنبيت فيها تلك الليلة المشؤومة . فدخلناها ومكثنا بها زهاء ساعتين . والاكراد والعشائر كالزنابير مزبأرين الشر وفي ايديهم الفؤوس والبواريد والخناجر والمديات والسيوف والهرواى . فاستحوذ علينا الارتعاش ثم اقبل المأمور وطفق يخاطبنا بالتركية ما شرحه : اولادي انكم مزمعون ان تمكثوا ههنا الليلة . غير اني اخاف ان يهجم الاكراد والعشائر وياخذوا ما عندكم من النقود والخواتم الذهبية والفضية فالاجدر ان تسلموني اياها فاكتبها في ورقة على حدة . ومتى وصلتم الى دياربكر سلمت كل ذي حق حقه . فجمع المأمور ما شاء وملا حقيبة من الذهب والفضة والساعات

والخواتم والسلاسل . ثم تابطها وانصرف جذلاً مسروراً . واقبل الجند بعده يفتشون عما بقي فاخذوا اسلابنا واموالنا واحذيتنا وطرابيشنا وثيابنا ولم يدعوا علينا الا ما يسترنا . فلاح لنا أذ ذاك اننا عما قليل نغادر هذه الدنيا الغرور ونخلص من روئية تلك الوجوه المقيتة . فنهضت انا وجميع اخوتي الكهنة رفاقي في النفي والاضطهاد وجعلنا نحث المؤمنين ليتأهبوا لشرب كاس العذاب صابرين فطفقوا يبكون ويصلون ويدقون صدورهم ويقرون بخطاياهم ثم بدأوا يرنمون نشيد :

نـنال ننال جزانا في السماء　　ننال ننال جزانا في السماء
جزانا في السما لم تسمع به اذن　　ولا راته عين جزانا في السما
جزانا في السما هذا من الايمان　　وضيق ذا الزمان لا يوازي الجزاء

ولبثنا كذلك حتى الساعة الثامنة من الليل والخفرة يحرسون المغارة والاكراد ينتظرون الساعة متى ازفت يشرحفون للقتال وسفك الدماء . وما مضى القليل حتى اوقع فينا احد الجنود صيحة عظيمة ارتجت لها المغارة وارتجفت لها الافئدة وقال فليخرج كل من كانت يداه مغللتين وعنقه مصفداً . فنهض اهالي تل ارمن وجماعة من اهالي البلد والكهنة بلغوا اربعة وثمانين وودعونا وخرجوا فجعلنا نحن الباقين نتلو السبحة الوردية خاشعين نسال لاخوتنا المغوثة والحول ونسال لهم الثبات والايد

فازدحم الاكراد الاوباش والجنود الاوغاد على الاربعة والثمانين وطفقوا يتقارعون على ثيابهم والتحم القتال بينهم وبين العسكر الخمسيني اذ كان كل منهم يحاول مد يده على الغنيمة . فتشاتموا

وتضاربوا وتصايحوا وتقاتلوا وضرب الجند كردياً فتكوا به فذهب الى لعنة الشيطان سيده . ثم جدّ الجنود واجتهدوا في كشف الاكراد عن الخراف الوديعة وطالت المناوشة بينهم . فلم يعد في وسعهم ان يرجعوا عاجلاً ويأخذوا غير من اخذوا لان النهار انتفخ . وكانوا يحاولون ان يتغدوا بنا قبل ان يتعشى بنا الاكراد فخفق امل هولاء واولئك . بناءً على ما قلنا رجع الجنود بعد ما فتكوا بارواح اخوتنا وقالوا لنا اخرجوا كلكم . فشملت الرعدة فرائصنا وقلنا لبقية الجماعة لقد برح الخفاء وانكشف الغطاء فلا بد من سفك دمنا كما سفك دم اخواننا . وما خرجنا من المغارة حتى شدوا اكتافنا وقالوا ان شئتم ان تشربوا ماءً فاشربوا فنزلنا للشرب ونحن غافلون عما كاده لنا العسكر الخمسيني والاكراد اذ كانوا قد احتجبوا عن عيننا في الغياض ولزموا الصمت والسكوت حتى اذا دنونا من الماء اطلقوا علينا البواريد فبتنا مبهوتين على حالنا حائرين في امرنا لا ندري انشرب ام لا . غير ان اغلبنا استغنوا عن الشرب . اما الذين دنوا من الماء فاصابهم الرصاص وقتل منهم خمسة عشر من جملتهم القس جبرائيل الارمني وحبيب الحلاق السرياني وجرح القس حنا بنابيلي وجميل ايغو ويوسف ترزيباشي ورجل من تل ارمن فهذا اصيب بخنجر في عنقه حتى شارف المنون فاقبل احد الاكراد ليعريه فقبض ذلك المسيحي على خنجر الكردي وانتضاه وضربه به فجرحه جرحاً بليغاً . اما رزق الله دقماق فلما راى ما راى من غلاظة اولئك الطغاة ايقن انه يُقتل عما قليل فخر جاثياً على ركبتيه ونادى باعلى صوته يرنم التقاديس الثلاثية ويقول قدوس قدوس قدوس رب الصباووت . وكان شريكه في قريته

في جملة الجنود المرافقين القافلة فعرض عليه الاسلام فزجره رزق الله وزبره وقال له اكفف ولا تعد علي الكلام ثم ان نصري المقدسي جبور نادى الاكراد وقال لهم . ان شئتم قتلنا اقتلونا خارج الساقية لانه ما من احد منا يعارضكم . فقال لهم البوليس قد كم . كفاكم

ثم طلعنا من الساقية فاقبل الجنود وفكوا وثاق من قتل وانثنوا يحكمون الربط وطفقوا يسوقونا في الجادة ونحن خائفون . فثبت لدينا ان الذين افرزوهم منا قد فتكوا بهم في الجبل القريب

الفصل الرابع عشر

سوق من بقي من القافلة الثانية . العفو . وصولهم الى ديار بكر وحبسهم من ١٥ — ٢١ حزيران

واصلنا السير وعيوننا تحوم يسرة ويمنة لنرى اثار الذين سبقونا . فصعد احد الجنود الى تل قريب ونادى يقول بما ان عيد رمضان مقبل فمن اراد ان يقرب قرباناً فليبادر وكان من نيته الخبيثة ان يتخير من شاء منا ليضحي به كرماناً للعيد. غير انه عاد بخفي حنين ولم يصغ احد الى مشورته . وما وصلنا الى خانكه حتى خواط ثلاثة منا لشدة هلعهم كجرجس قاووغ ويوسف فروجي واوهنيس بن جرجس ساعور فنهض عليهم الانذال وبطشوا بهم في آفكور

ثم استانفنا المسير عراة جياعاً عطاشاً صابرين ونحن كذلك اذا ثلاثة من الخيالة راكضين بسرعة من دياربكر رافعين ايديهم يصيحون . مكانكم مكانكم . فرف فوادنا لمجيئهم وعللنا النفوس بالنجاة وما وصلوا الينا حتى قالوا لنا قد جاءكم العفو فادعوا

للدولة بالنصر وقولوا « بادشاهم جوق يشا » فقلنا ذلك ثلاثاً . ثم وصل الينا من دياربكر مامور سوق في جملة من العسكر الخمسيني الامدي فزحزحوا عنا العسكر الارديني ومأمورهم فتبعناهم حتى يممنا خانكه وكلا العسكرين يكتنفاننا . ولما وصل الينا المامور جعل ينفض بمنشفته وجوه الكهنة المتربة ويقول واهاً لكم . واهاً لكم . وآسفاه عليكم . ومضى بنا الى الماء فشربنا وارتوينا . ثم قال لنا اعطوني دراهم لابعث في مشترى خبز لغذائكم . قلنا ان المامور الارديني اخذ جميع ما كان عندنا من النقود فاستدعاه واستخبره عن ذلك . فقال : خفت ان يختلسها العشائر فاخذتها . وهذا اردها لهم . فاستحضر الحقيبة المتلبئة ونشر الورقة يقرأ فيها اسم كل منا ويدفع له ما استلم منه المامور الارديني عدا الذين قتلوا ليلة البارحة فان نقودهم بقيت تراثاً للدولة . فارسلنا في مشترى خبز اكلنا باجمعنا وشكرنا للمأمور حسن التفاته . ووعدنا المامور نظرا لرقة قلبه ان يحل الحبال من اكتافنا على ان لا ينهزم احد منا . فاصدقناه الوعد وقلنا من هرب قتل حالا . ثم قال للمامور الارديني اين الاشخاص المكتوبة اسماؤهم في الدفتر . فأوما اليه ان قد غابوا اي قتلوا . فتاسف المامور على ما فرط وعنفه تعنيفاً شديداً على فعلته الخائنة المنكرة وقال له ارجع انت واصحابك الى شيخان فرجعوا

اما نحن فنمنا ليلة الثلاثا ١٥ حزيران في خانكه مرتاحين ولما اصبحنا اذا برزق الله دقماق قد فل عنه عقله لشدة خوفه . وكان يولول ويصيح ولا تكاد تسعه الارض . فقصدت نحو المامور وافدته اني

شيخ لا استطيع المسير حافياً · فاذن لي ولكل من احب ان نكتري دواب نركبها فاستكرينا دابة ركبها رزق الله المذكور وقام القس اويس الفيور بخدمته فلما كلّ رزق الله وتعب وأزعج جميع من معنا بصوته وصياحه انزله المأمور عن دابته ونحّاه عنا · وما سرنا قليلاً حتى سمعنا اصوات اطلاق البنادق فتأكد لنا انه قُتل

ولما انتهينا الى الجسر الاسود استرجع اصحاب الدواب دوابهم وانقضّ علينا عشائر قرى دياربكر كالبواشق وحاولوا ان يهلكونا وطفقوا يسوقونا بعنف حتى اوصلونا الى دجلة فدب الفشل والقنوط في قلبنا وتجددت عوامل الحزن فينا فقلنا :

آيس من الناس وارجُ الواحد الصمدا

فانه هو أعلى منة ويدا

وافضي بهم اللوم حتى اضطرونا ان نعبر دجلة راجلين لنغرق · فشعر المامور بالمكيدة وطفق يعنف العشائر ويبكت العسكر الامدي الذي مال الى قولهم ثم استدعى احدهم وضربه وقال له : اغايتك يانذيل ان تهلكني · اتجهل اني انا المسؤول لا انت · اخفي عنك ان الوالي امرني ان اوصلهم الى الولاية سالمين · فكيف اذت بك الجسارة الى ارتكاب هذا الفعل اللئيم المنكر ؟

واصيل الاربعاء دخلنا باب دياربكر فخرج المسلمون يتفرجون وكانوا يرجموننا ويبصقون علينا ويهزأون بنا حتى وصلنا الى محلّ المسافرين [المسافرخانه] فلبثنا منتصبين في الباحة صفاً صفاً · فنزل وكيل الوالي وممدوح وقوم من الوجهاء والمامورين وتفرسوا فينا واحداً فواحداً · ثم التفت الوكيل نحو ممدوح الخبيث وقال له

بالتركية « خوش عملة » نعما العملة أحضرتهم فقد كان الخليق بك ان تحضر تجارا ووجها ،لا قسوساً وفقراء . اجاب ممدوح ان لم يبق تجار في ماردين. فرجع الوكيل واخبر الوالي وارسل من يقول ادخلوا الى دار المسافرين فدخلنا باجمعنا فاستأثرت بالبقاء عند الباب رغبة ان اسمع ما يُقال واقف على حقائق الامور وكانت الدموع تتصبب على خدي وعوامل الحزن مستولية على قلبي . فقلت

الى الله انهي شقوتي وسعادتي وما ملجاً لي غيرُ من انا عبده

وعند الغروب جاءنا اصحاب الخير بماء وكيس كبير من التبغ مع ورق وزعوه علينا ثم ارسلوا الينا ثلاثة احمال خبزا وجبناً فاكلنا وشكرنا للمحسنين الذين شاطرونا مشقاتنا وكشفوا عنا شيئاً من ضنكنا وضيمنا . ثم اقبل رجل ارمني يقول لنا قد هيأت الطعام لجميع الكهنة وعما قليل آتي به . ولما كنت متوسدا الاحزان مفترشاً الغموم والاكدار افتكر في من فقدنا وما صرنا اليه اذا برجل وافى اليّ يقول بالتركية ما شرحه : ما لك تبكي ايها القس وعلامَ اراك جالساً ههنا على الباب وحدك لمَ لا تطلع وتنضم الى رفاقك . قلت له

فصرتُ استأنسُ بالوحدة برمتُ بالناس واخلاقهم

كيف يتيسر لي ان اتكلم او اتسلى انا الذي كرثتني الكوارث فخسرت اعز اصحابي وفقدتُ افضل اخواني . فتركني الرجل ثم عاد فاخرج خبزا ملتوتاً بالسمن وجبناً وناولني يقول خذ كل فاخذتها وجعلتها الى جانبي واطرقت ساكتاً . ثم بثني ذلك الرجل ما في صدره فقال ربما يوافي اليكم رجل في زيّ نصراني متعمماً ومزنرا

كالارمن ويفاوضكم في مسائل سياسية ليصيب منكم حجة للتمثيل بكم . فالحذار الحذار من ان تتفوهوا بكلمة تضاد الدولة فشكرت له وقصدت نحو رفاقي المسيحيين وبلغتهم مشورة الرجل النصوح فشكروا له . وفي الحق انه ما عتّم ان وافانا في تلك الليلة عينها غير واحد من الشبان يقولون مثلما افادنا الرجل الامين فقلنا لهم إنْ هذا إلّا امر الهيّ نضطر ان نقبله بكل مسرّة . وبعد ان ذهب هولاء وافى السجان وقال لي انهض واتبعني فنهضت وتبعته حتى انتهينا الى المراحيض فأمرني بالمكث ثم حتى الصباح . ويعجز اللسان عن وصف ما رايت ثم مما اقشعر له جسمي والقى الرعب في فوادي وغدا مصورًا في مخيلتي حتى اليوم . افتح يا حبيبي اذنيك واستمع واندهل لتشاطرني قليلًا في الخوف وتتفق معي على تقريع كل مريد كافر ظالم فاجر . على اني شاهدتُ في ذلك المحل ثلاثة زنابيل كبيرة ممتلئة انوفاً وآذاناً وأسناناً واظافر وشعرًا وعيوناً واصابع الخ . ورايت جثتين هامدتين ورجلين مدنفين يكادان يموتان فذعرت لما شاهدتُ وقلت في نفسي لعلي اصير الى ما صار اصحاب هذه الاعضاء

وعند الصباح امرني السجان فخرجت من ذلك المحل المرعب المكرب وقصدتُ رفاقي وانضممت الى اخوتي الكهنة لا استحسن ان اذكر لهم ما عاينتُ لئلا ازيدهم وجعاً وقلقاً

ويوم الخميس ١٧ حزيران مللنا الاقامة في محلنا فكتبنا الى الوالي بما نصه « اننا وصلنا الى دياربكر جوعى مرضى هلكى عراة حفاة فنسترحمكم المساعفة » فحوّل الاستدعاء الى رئيس الضباط فتركه

لديه ثلاثة ايام ونحن ننتظر الجواب بفارغ الصبر · وكان المسيحيون يحضرون الينا الطعام قدر ما يسعهم

ويوم الاحد ٢٠ حزيران اقبل السجان يقول لنا اريد ان يوافي اليَّ رجلان كاملان فابثهما سرًّا · فقمت اليه انا وسليم حيلو فقال: تاهبوا فانكم عند نصف الليل تسافرون · قلت الى اين اطال الله عمرك · قال لا ادري · فرجعنا وأفدنا اصحابنا عمَّا قيل لنا · فشملتنا الحيرة والكآبة معاً · وارتاى البعض ان يتحفوه بشيء للاطلاع على الحقيقة · فنهضنا انا والاب مكرديج وجمعنا نيفاً واربعمائة غرش فاخذتها وطلبت السجان وقلت له ارجوك ان تقبل منا هذه الهدية الطفيفة بدل تعبك · الا اني ارغب ان تفيدني عن المحل الذي نقصده · واخذت ابكي واتأوه · فقال لي السجان · اعلم ايها القس انه لا يجوز لي ان اخذ دراهم من رجال فقراء معوزين نظيركم ثم اقسم انه لن ياخذها ابدًا · فوضعتها في جيبه وقلت له رحماك قل لي الى اين مزمعون ان نتوجه · فقال امهلوني ساعة ريثما اطلعكم على الحقيقة · فانصرف وما تعوق ان عاد وقال ابشركم انكم سترجعون الى ماردين فعدت بسرعة وافدتُ اخوتي فسررنا واخذنا نصلي

الفصل الخامس عشر

في عودة القافلة الثانية وتمييز السريان عن الارمن

واستتلى القس متى خريمو الوقر يقول : قضينا ما بقي من الليل في الصلاة والابتهال حتى اذا كان فجر الاثنين ٢١ حزيران

جاء السجان في نفر من الجند يقول اخرجوا وانزلوا · فخرجت قبل الجميع وشاهدت عدداً عديداً من الضباط والجنود مدججين بالاسلحة وفي يد احدهم دفتر فسالني ما اسمك · قلت القس متى · قال من سمع قرأة اسمه فليخرج ومن ليس موجوداً قولوا انه غائب [مقتول] ثم امسك الضابط بيدي وسلمني الى ضابط ثانٍ فاوثقني بالحبال وهكذا اوثق البقية ما عدا من اصابه جرح كما نوهنا كالقس حنا بنابيلي ويوسف ترزيباشي ولولي كورو وجميل ايغو وغيرهم فامروهم بالمكث في دياربكر ريثما يستصحون · ثم اقبل المامور في شرذمة من العسكر الخمسيني واحاطوا بنا ونادى يقول سيروا · فسرنا وما غادرنا البلد حتى طفق العسكر كعادتهم يصفعونا ويهزرونا باعواد بواريدهم · فلما شعر المامور قال لهم حذار ان تمدوا عليهم يداً فان ذلك منوط بي فقط · فاستانفنا السير حتى وصلنا الى آخ بوار [خانجبوار] فجلسنا واسترحنا وشربنا واكلنا وشكرنا · ثم قمت الى المامور وقلت له تراني شيخا حافيا يتعذر علي المسير فاستاذنك ان استحسنت في استكراء مركوب · فقال متى وصلنا الى خانكه اطلقت لكم الحرية في ذلك · ولما وصلنا الى القرية حل ربطنا وابتاجر لنا دواب ركبناها وواصلنا المسير نقول له خلف الله عليك وجازاك على معروفك · وما برح هذا المامور الامين يسايرنا ويجاملنا حتى وصلنا الى عين سنجه جذلين محبورين بعودتنا

وعند ذاك امرنا بالنزول عن ظهر الدواب واوثق الجميع بالحبال سواي وحدي · وحرج علينا التكلم مع ذوينا عند وصولنا الى البلد · وخرج اذ ذاك عدد من المسيحيين لاستقبالنا · ظانين اننا

مثلما ذهبنا رجعنا . وكانوا يتسآلون اين فلان واين فلان . واذاع الخصوم بماردين ان جميع النصارى راجعون

ويوم الاربعا ٢٣ حزيران صباحا دخلنا ماردين على ما شرحنا وسرنا توًا الى دار الحكومة وجلسنا موثقين فاصدر بدري المتصرف امره ففكوا وثاقنا وادخلونا الى الثكنة واعلن انه يفتك بنا قاطبة بالرغم عن العفو الذي صدر في حقنا من العاصمة . ثم احضر الاهالي اذويهم المآكل . اما الكهنة فارسل اليهم السيد جبرائيل مطران السريان قوتهم . وبقينا يوم الخميس كله في الثكنة . ويوم الجمعة ٢٥ حزيران شخص الينا ممدوح بزي عادي وجعل يتفقدنا واحدا واحدًا . ثم سرت اليه انا والاب مكرديج قليونجي وقلنا له لا يخفاك اننا مطيعون للدولة نتحرى تادية كل ما تامر به دون تذمر فمر ان شئت باطلاقنا . فقال للاب مكرديج ما اسمك . قال اسمي مكرديج . قال ممدوح هذا اسم خرا . لانه ارمني . فامتقع اوننا وتجدد حزننا . ثم انتهرنا وقال ارجعا فرجعنا مايوسين . وما مضى من الليل ساعتان حتى استدعي الاب مكرديج الى منقع العذاب فضربوه ضربا عنيفا ومضوا به الى السجن التحتاني

ثم اقبل نفر يستدعيني باسمي فقمت من ساعتي اليه فقبض على لحيتي واخذ يجرني بعنف وتبعه ثان فقبض على رقبتي واقبل ثالث يرقص قدامي جذلاً ويصفق طربا . اما انا فرفعت يدي وضربت الذي امسك لحيتي وقلت له كن اديباً رصيناً لا تمدد يدك الى لحية شيخ ابيضت . لكنه لم يكترث لقولي بل زاد في السحب والجر قدر طاقته حتى افضى بي الى قاعة العذاب فقال لي المستنطق ما

اسمك . قلت القس متى خريم السرياني القتوليكي . قال اجلس نستوضحك عن امور مهمة . واستتلى يقول : ان دولتنا وحكامنا كانوا يعزونكم ويعتبرونكم ويكرمونكم . غير انكم ابيتم الا مقاومتها وختنموها . فاعلم اذاً انكم قبل زمن وجيز استحضرتم الى كنيستكم خمسة لحمال من الاسلحة والبنادق في جملتها مدافع فاقتسمتموها انتم ومالويان صديقكم ولا يدري بموضعها احد سواك لانك شيخ معتبر امين لك زمان طويل في خدمة البيعة . قلت له لا اثر لما تقول ولا صحة لما تزعم . ليت شعري من بلغك هذا الخبر الكاذب . فان المبلغ مشترك معنا عارف بما عندنا فاحضره لنتحاكم مواجهة فنرى من الصدوق ومن الكذوب

قال لي انت فرنساوي . قلتُ مالك تمتعض من فرنسا ولفرنسا فضل عظيم على دولتنا فعلى ما اعهد ان دولتنا مديونة لها بخمسة وثلاثين مليوناً . قال : اتتجهل ايها الزنديق ان فرنسا اليوم تحاربنا قلت : كلا . ان فرنسا لا تحاربنا بل نحن نحاربها . قال الست انت وكيل اوقاف طائفتك . قلت بلى . قال اذن انت الذي كنت تحاول ان تقوض مقام البوليس الذي يخص ملتكم وقد شغلناه اليوم لصوالح البلد . قلت كنت اوثر ان تُغادروا المحل لانكم لا تدفعون الاجرة بل انتم تأكلونها وتحرمون الفقراء والجياع . فاحتدم غيظاً ورفسني برجله فوقعت على ظهري فاقبل احد الجند وعقل قدمي واوثقها ونهض خمسة منهم في يد كل منهم عصى ضخمة وجعلوا يتناوبون في الضرب ويعدون الضربات تشفياً . وما انهوا مائة ضربة حتى استخبرني احدهم : أما خطر ببالك مكان الاسلحة والمدافع .

فاكدت له بقسم انه لا شي عندنا ولا عند مالويان ابدا . ثم نهض خمسة اخرون وشرعوا يضربوني وسدّ احدهم فمي لئلا يزعجهم صراخي فصفعوني مائة صفعة اخرى حتى فزت الدماء وتناثر اللحم فأُغمي علي وكادت تزهق روحي. فامرهم المأمور ان يكفوا فحلوني وتركوني جثة هامدة فبادر احدهم وضرب خاصرتي برجله ضربة افاقتني فقلت . آه اني اشعر بان موتي قريب . فقال لاحدهم للذي ضربني . لا ترفسه بل اصلبه كسيده فاوثقوا كتفي بالحبل وعلقوني منكوساً فوقف اثنان عن يميني وشمالي وجعلا ينتفان لحيتي ويسمعاني كلاماً جفياً وغليظاً معاً . وكانت الدماء تسيل على وجهي وثوبي فخارت عزيمتي وغبت عن حسيّ . فقال لي احدهم ابشر فقد طابت حالك الان - كيف وانبسط - ثم ضربني على راسي ولطمني وقال حلوا وثاقه فوقعت فدق راسي في الارض وسمع له صوت قوي . ثم جمع احدهم شعر لحيتي ودفعه اليّ يقول: خذه والقه في الكنيف ثم اخرجوني من تلك الغرفة الشيطانية ومضوا بي الى السجن ودفعوني على وجهي فنهض المسيحيون وحملوني على اكتافهم . واستحضر جبرائيل حاجيكي ماء مزجه بالملح وضمد به جراحي . فلبثت كذلك حتى الصبح لا ادري احيٌ انا ام ميت

وصباح السبت ٢٦ حزيران وافى ممدوح الى راس السطح يامر ان نخرج فحملني رجل من تل ارمن. فقال ممدوح يلزم كل سرياني وكلداني وبرتستاني ان يرفع ذراعه ويذكر لي اسمه . فكتب الاسماء وامرنا ان نرجع الى غرفتنا . وقبل الاصيل عاد فافرز السريان والكلدان والبرتستان ومضى بنا الى غرفة المتصرف فحملني اذ ذاك

جرجس المقدسي بولس كدا فدخلت فقال لي ما اسمك . قلت القس متى السرياني القتوليكي . فكتب اسمي في الدفتر وقال لي انصرف الى بيتك . واخذ يتلو اسماً فاسماً ويطلقه . ولما خرجنا باجمعنا وافى ممدوح يقول لنا ادعوا للدولة بالنصر وانصرفوا فلم يبق من السريان سوى القس يوسف رباني وسليم نجديو ونعوم شموني وعبد المسيح بطيخة ونعوم حمال فاعادوهم الى السجن . فسارع الي جرجس كدا ليحملني فقلت له امهلني ريثما اتكتب واصلح ثيابي فقال . كلا بل يجب ان نستعجل في المضي لئلا يقلبوا علينا ـ اقلبهم الله ـ ويعيدونا الى السجن فاصغيت لمشورته فحملني الى الكنيسة . وكان قسان الارمن وشعبهم المسجونون يقولون لنا عند خروجنا : رحماكم اذكرونا واسعوا في انقاذنا ونجاتنا فتالم فوادنا وودعناهم بشديد الاسف . على ان اعداء الخير والدين بعد ايام معدودة استاقوهم وفتكوا بارواحهم كما سترى

وما وصلت الى الكنيسة على الصورة المشروحة حتى اقبل المطران جبرائيل ومن بقي من الكهنة يعزوني ويسرون عني غمومي ويرطبون قلبي بعذب كلامهم ويشجعوني . اما الاباء الدومنكيون الثلاثة فما تمالكوا ان خروا جثياً امامي وقبلوا يدي يقولون مرحباً بك يا شهيد الديانة فقد شاركت ابطال الكنيسة في عذابهم . فنسالك ان تباركنا وتدعو لنا . فبكيت لطلبهم وبكوا معي ولبثوا عندي ساعة اخبرهم بما جرى لي . وذكرت لهم خاصة ما قلت للخصوم وقت الاستنطاق عن فرنسا وفضلها مما جعلهم ان يتحمضوا ويبالغوا في تعذيبي

الفصل السادس عشر

حوادث من وقفنا على تفاصيل عذاباتهم

لا جرم ان في ايراد حوادث العذابات التي كابدها بعض الافراد المسيحيين الابطال حبًّا ليسوع فاديهم منفعة لذويهم وفائدة للقارىء وفخراً للنصرانية وباعثاً الى تعجب غير المومنين من صبرهم وثباتهم في ايمانهم حتى النفس الاخير . وناهيك ان الواقف على جلية آلامهم يلاقي فيهم مثال المسيح ربهم ومعلمهم فيغرم نظيرهم بحبه ويزداد رسوخاً في ايمانه ويتوق الى الفوز بما فازوا من باهر الانتصار وعظيم الجزاء على اثر ذلك العذاب

فهلم اذا ايها الودود دموعاً غزيرة تغسل ادرانك . واعد اذنيك وقلبك لتسمع وتعي . افتكر مليّاً في اشكال العذابات وتعجب واندهل . تروَّ في ثمن دمائهم الزكية وافرح وابتهج . املأ سمعك وبصرك رجاء وعزاء . وارتح من كل قلبك لتحصل على ما حصل احباؤك . واليك اخبار جهادهم واستشهادهم واحداً واحداً

١ : اوهنيس ساعور قيّم كنيسة الارمن

لما كان السيد اغناطيوس وجماعته مسجونين مضى ممدوح العتل الى كنيسة الارمن في ٦ حزيران يصحبه قوم من المنصبين يريدون على زعمهم الوقوف على مخابئ الاسلحة . وما وصلوا الى باب الكنيسة حتى قبضوا على اوهنيس واقف الكنيسة وتهددوه بافظع العذاب إلمَّ يطلعهم على مخزن الاسلحة . فقال لهم الواقف : صدقوني صدقوني انه لا صحة لما تدعون . فاخذوا من فورهم يلطمونه ويهزرونه

ويقولون له . بل تكذب . وانت تعرف المحل فافدنا عنه والا قتلناك انت ومطرانك وقسانك وجماعتك . قال اوهنيس : باي قسم تصدقوني . اني اوكد لكم ان مدعاكم باطل . غير انهم لم يعبأوا بكلامه بل احضروا نصرانيين وامروهما بحفر ارض الكنيسة ونبش ارماس الاساقفة ودك المذابح فلم يعثروا على شي‌ء . فاقبلوا على اوهنيس المذكور يتقولون عليه ويبكتونه ثم اتوا بمسمارين ضخمين سمروا يديه في الحائط واخذوا سياطاً جلدوه . وبعد مدة انتزعوا المسمارين وتركوه ومضوا . ويوم الاثنين سابع حزيران رجعوا الى الكنيسة واستدعوه ثانية واغلظوا له في الكلام وحرقوا عليه الارم وقالوا اخرج الاسلحة .. فقال لهم ساء ما توهمتم . فاستشاطوا غيظاً وقلعوا اظافره عن اصابعه ثم حموا حديداً وضعوه على صدره فاحتمل ذلك الاذى مصطبرا ثم وضعوا جلجلاً ثقيلاً في عنقه وارادوه على المشي سريعاً ليضحكوا عليه . وعادوا اليه ايضاً ثالث دفعة بعد سوق القافلة الاولى فاستاقوه الى السجن واضطروه ان يتوجه الى دياربكر مع القافلة الثانية حتى قضى شهيدا ليلة الثلاثا ١٥ حزيران في آفكور

٢ : داود حنا سوسي

تنتمي عائلة سوسي الارمنية الى عائلة جنانجي النبيلة . وكان داود هذا شاباً في ريعان العمر لا يكاد يناهز الخامسة عشرة فقبض عليه شركاء والده في التجارة يوم السبت خامس حزيران ومضوا به الى اسطبل بيت حسين بك وحموا سفافيد الحديد وكووه وانزلوا به الوان العذابات حتى خرّ شهيدا وفي فجر الاحد سادس حزيران عروه

من ثيابه بالمرة واوثقوه بالحبال وجروه الى باب دار توما القواق فالقوه ثم وتركوه ومضوا · وعند الصباح اتى الحفظة فراوه على تلك الصورة فطلبوا من القدسي توما غطاء يسجونه ويسترونه ثم استدعوا والدته فأتت من فورها تعول وتبكي وسجت جسمه بعباءة وحملته الى بيتها ثم شيعته الى المقبرة ودفنته

٣ : سعيد بطاني مختار الارمن

التي عليه القبض يوم الجمعة ١١ حزيران بعد سوق القافلة الاولى ولما أوثقه الجنود ليخرجوه من داره قال الجدير بي ان استصحب يعقوب ابني ونعوم ابن عمي ليشتركا معي في نيل اكليل الظفر والحصول على السعادة · فمضوا بالثلاثة الى السجن وضموهم الى سائر المسجونين · وفي تلك الليلة استدعوا سعيدا الى غرفة ابليس واوثقوه وضربوه ضربات عنيفة كثيرة على رجليه وجسمه حتى تناثرت لحمانه · والحوا عليه في الاقرار عن مخزن الاسلحة والمدافع · ثم اضطره ممدوح ان يجول معه في البيوت ويقر بالاسلحة الموجودة عند وجهاء الطائفة · فسار به الى دار اسكندر آدم وجنانجي وجرما وكنبو فلم يقفوا على شيء · فعادوا به الى السجن وجعلوه في غرفة خصوصية وعند المساء احموا السفافيد وكووا بها جسمه فتشنج واحترق وتفتح ولم يعد يقوى على الحركة · ولما ذهبت نجمه ابنة عمه لتتفقده في ١٢ حزيران حمله احد النصارى واتى به اليها يصحبه ابنه المحبوب فالقاه بالقرب منها فقالت له : ما جرى لك يا ابن عمي ومن اوصلك الى هذي الحال · فقال لها لا تغتمي يا ابنة العم كوني على ثقة ان الله معي يساعدني في ضيمي وضيقتي · ولا

يشرد عن فكرك انه تعالى انما خلقني هذه الساعة · ثم التفت يقول لنجله يعقوب لا تبتئس يا ولدي بماذا عما قليل نغمض عيننا ونفتحها في السماء وبعد تلك الزيارة المولمة عادوا بالاب وابنه الى السجن · وفي ١٢ حزيران استاقوا سعيدا فيمن استاقوا مع القافلة الثانيـة ثم عاد الى ماردين · وذكر لنا نعوم بن نصري حمال اذ كان مسجوناً قال استدعوا مساء الاثنين ٢٨ حزيران سعيدا المذكور الى غرفة العذاب وضربوه نيفاً وثلاثة الاف ضربة بالمناوبة حتى تناثرت لحمانه الباقية ولاحت عظامه وتفجرت دماوه « يا للقسوة والفظاظة » ثم رموا به الى اسفل فقمت اليه وجعلت اعالجه واضمد جراحه · ويوم الثلاثا ٢٩ حزيران ذهب به وباوسيب باطري قليونجي وسليم حيلو وسموئيل حنجو وغيرهم قوم من الجنود القساة الى المغاور القريبة وقتلوهم · وذكر احمد بن يشي صاحب بيت الخلوصي انه بعد ما اراق دم سعيد احضر منه قطرات في زجاجة الى امراة اسحق الخلوصي فحسته فعلقت وحبلت وولدت · اف من الفظاظة والتوحش

٤ : الاب مكرديج قليونجي

ذكرنا فيما سبق نفور ممدوح من اسمه الارمني وانزاله به الضرب الوجيع · وزادنا نعوم حمال وغيـره ممن كان في السجن ان الجنود الغليظي الرقاب نتفوا لحيته برمتها وضربوه دفعة ثانية ليلة ٢٩ حزيران ضربات لا عدد لهـا حتى خلعت اصابعه عن قدميه بالمرة وفاضت عيناه بالدموع مع دمائه ثم اخرجوه وطرحوه الى اسفل والبث يتململ معذباً حتى ساقوه مع رفاقه القسان والجماعة وقتلوه يوم الجمعة ٢ تموز ١٩١٥

٥ : سليم حيلو

واستدعى الكفرة سليماً حيلو وصفعوه نيفاً وخمسمائة وخمسين ضربة كان المسيحيون المسجونون في الطابق التحتاني يعدونها واحدة فواحدة ثم طرحوه الى اسفل ولما افاق قال للمسيحيين المسجونين ان خمسة من القساة تناوبوا في ضربي بقضبان رطبة حتى انخلعت اصابع رجلي كما ترون . وما عتم ان ساروا به في ٢٩ حزيران الى المغاور وقتلوه مع رفاقه

٦ : الياس تفنكجي

هذا ايضاً بالغوا في التمثيل به حتى فاضت دماؤه وخولط في عقله ثم قتلوه مع من سبق في ٢٩ حزيران في المغاور المعروفة بالمقاطع

٧ : فتح الله شلمي

اوثقوه بالعقلة وبالغوا في التنكيل به ورفسوه ولطموه حتى فقئت احدى عينيه . ثم ساروا به في ٢٩ حزيران مع من ذكرنا وفتكوا به

٨ : جبرائيل حاجيكي وجرجس ابنه

يقصر اللسان عن تعداد اشكال العذاب التي انزلها اعداء النصرانية الهمجيون بجرجس الشاب المذكور الذي كان منتمياً الى الجمعية على زعم الخونة . فانهم ذهبوا الى داره وانزلوا العذاب بزكية قرينته وبالغوا في التفتيش والتنقير عن الاسلحة ثم عادوا مأيوسين ونفثوا في جرجس سم غيظهم وضربوه ضربات لا تعداد لها بحضور والده جبرائيل كي يشترك معه في الالم . وكان والده المسكين يحمله كل

ايلة الى قاعة ابليس فيضربونه بازائه ويضطرونه ان يعود بـه الى مكانه · ما افظك ايها الانسان وما اغلظ طبعك فقد فقت بعملك اوحش الوحوش واخبث الشياطين واقسى القساة · ولبث جرجس يتعذب ويتالم حتى ساقوه مع القافلة وقتلوه هو واباه في ثاني تموز

٩ : جبرائيل نهبيه

هذا ايضاً اشترك في العذاب الفادح كسائر من ذكرنا حتى فلّ عقله وجُن ثم استاقوه مع القافلة وقتلوه في ثاني تموز

١٠ : يوسف مالو

كان يوسف فتى نجيباً لم يبلغ من العمر ستة عشر ربيعاً وكان متزوياً في دار السيد اغناطيوس مالويان · وبعد سوق القافلة الاولى جدوا في طلبه حتى القوا القبض عليه واحضروه الى السجن واستاقوه مع القافلة الثانية الى دياربكر ورجع معهم وظل في السجن وما مر الا القليل حتى استدعوه الى منقع العذاب وصفعوه بخشونة لا مزيد عليها · وعلى شدة ضربه لم ينبس ببنت شفة ولم يتأثر للوجع ولم يتشك عضواً من اعضائه مما حير القتلة الكفرة واذهلهم · ففتشوا يوسف فاذا صليب عود الخلاص في عنقه فانتزعوه من صدره وجعلوا يتناوبون في ضربه مدة خمسة عشر يوماً كل يوم ثلاث دفعات وهو اثناء ذلك صابر صامت لا يلفظ حلوة ولا مرة · ذلك ليس مبالغة البتة فان نعوم حمال وغيره رووا انا هذه الحوادث وقالوا اننا بعيننا راينا وباذنينا سمعنا ذلك كله · وما برحوا يعذبونه حتى استاقوه مع القافلة وقتلوه في ثاني تموز

١١ : توما بن عبد المسيح حنجو

سعى به شيخو بن اوسو عبدال المشكوي احد خصوم أهله الالداء . وكان شيخو هذا من جملة العسكر الخمسيني المشهور بالدهاء والجفاوة . ولما وصل بتوما الى منقع العذاب هجم اصحابه على توما ونكلوا به تنكيلاً شديداً مدة سبع ساعات بتمامها فتضعضعت عظامه وتدفقت دماؤه وتناثرت لحمانه . ثم القوا به من الدرج الى اسفل وهو يصيح باعلى صوته ويقول يارب يا رب وظل كذلك حتى ساقوه وقتلوه في ثاني تموز وفتكوا به

١٢ : رزق الله ديلنجي

هذا بعد ما انزلوا به صنوف العذاب علقوه في الغرفة المعهودة منكوس الراس وتناولوا القضبان وتناوبوا في ضربه حتى الصباح ثم القوه من السطح الى اسفل على آخر رمق . حتى ساقوه وقتلوه في ثاني تموز

١٣ : شكر كسبو

بالغ الاعداء في التفتيش والبحث عن شكر المذكور من ثالث حزيران الى ان رجعت القافلة الثانية . فتهددوا اسرته وتوعدوا النساء بالتمثيل بهن علانية الم يطلعنهم على موضع اختبائه . وكان شكر اثناء ذلك مختفياً في اعماق بيت عمه المعلم فرجو كسبو . فارسلت اليه عائلته تقول احضر الى دارك والا هلكنا باجمعنا . فاضطر ان يغادر مخبأه ويعود الى بيته تحت الليل . وصباح ثلاثين حزيران انقض الجنود كالبواشق على داره وقبضوا عليه وساروا به

الى السجن وانزلوا بـه اغلظ العذاب حتى جعل يقول لهم اطلقوني فاعطيكم قدر ما تريدون من البنادق والمدافع فان عندي الف مدفع والف بندقية والف بارودة ثم صلبوا كتفيه وتناوبوا في ضربه من المساء حتى الصباح دون ملـل . ثم دعوه دعًّا من السطح الى اسفل فاقبل ممدوح عند الظهيرة وامر ان يحمل الى بيته . وعنـد العصر سار اليه واخذ ما اخذ من المبالغ الباهظـة . وظل شكر ملازماً داره يتململ من العذاب حتى سيق مع قافلة النساء الاولى كما سترى في ١٥ تموز ١٩١٥

١٤ : يعقوب ويوحنا ابنا عبد المسيح انجيم
ووالدتهما صوفيه.

بعد مذبحة رجال القافلة الاولى سار شاكر بك وامين بك ولدا الحاج عبد القادر باشا الحاج كوزه الى دار عبد المسيح انجيم وفاوضا صوفيه امراته واكدا لها انهما يحقنان دمها ودم ولديها ويقصيان عنهم كل خطر . فدفعت لهما صوفيه ثمانين ليرة وشيئاً من الحلي ثم استحضرا قوماً من الحمالين نقلوا كل ما كان في البيت من البضائع والاثاث والامتعة وذهبا بالام وولديها الى دارهما . ومـا مر الاسبوع حتى قصدت مريم ابنة عبد المسيح تلك الدار لتستفسر عن حال امهـا وشقيقيها فقيل لها انهم في البستان فعادت مضطربة الى بيتها وما مر على ذلك ثلاثـة ايام حتى سارت تكرارًا لتستوضح عنهم فارتجوا الباب في وجهها فرجعت والافكار تزعجها . وفي الغد سارت ثالثة لتقف على حقيقة الخبر فاغلظوا لها وقابحوها وقالوا لها مالك تختلفين الى دارنا او حسبتها سوق مزايـدة . ارجعي الى بيتك والا .

ففهمت المراة المسكينة ان قد قضي امر امها وشقيقيها . وحقيقة الواقع ان الام وولديها بعد ما قضوا ليلتهم في تلك الدار قتلوا غيلة وذبحوا حتى خرجت ذات بطنهم . ثم بعثت جثثهم والقيت تحت الجسر الجديد وتركت فريسة للوحوش . وعلى هذا الاسلوب تم استشهاد الام وابنيها الفتيين النجيبين وهما في طراءة السن ونضارة العمر

١٥ : يوسف خضرشا وابنه ميخائيل .

كان يوسف اثناء المذبحة في تل ارمن فتزيا بزي النساء وتقنع وركب فرسه يريد البلد . ولما وصل الى عين عبدال شعر به قوم من الحفظة والمشكوية فثاروا به واختلسوا فرسه ودراهمه واطلقوا له الحرية ليدخل المدينة فتوجه الى بيت منصور سحار واختفى فيه مدة. وفي تلك الغضون شخص اليه مصطو بن بدو المشكوي وابنه ابرهيم وبذلا له كلمة الامان ونصحا له ان ينهزم الى سنجار. فتاكد ليوسف صدقهما وارسل في استحضار ابنه ميخائيل وكان ميخائيل شاباً نجيباً لم يمر عليه منذ حضر من اميركا الى وطنه الا اسابيع . فركبا كلاهما الى الخاص قرية بيت شهتنا ونزلا في دار خضر بن عبد الرزاق صديقهما . وما قضيا تلك الليلة حتى نهض عليهما خضر وعبد الكريم اخوه وخرجا بهما الى خارج القرية وقتلاهما كليهما واذاعا ان قد ارسلناهما الى سنجار

وعلى هذا الاسلوب ضرب الاعداء القساة وصفعوا وهزروا وعقلوا ونكلوا بقوم غير يسير من اعيان الارمن خاصة . ومن جملتهم ايضا نذكر الياس بعبوصي وسليم بجديو ونعوم شموني السرياني وابن شاهين وغيرهم

ويجدر بنا ان نختم هذا الفصل بما حدث للشيخ الوقور نصري حمال احد اعيان الطائفة السريانية فان الخصوم الانذال بعد ما القوا القبض على انجاله الثلاثة اسكندر وفيلبس وعبد المسيح وهم في شرخ الشباب واستاقوهم الى السجن . اقبل الى داره في سابع حزيران صالح الداشي وحقي البوليس وجينو القزاز وابن اخيه وعبد السلام الروضة ومعهم فيلبس ابنه فتركوا فيلبس على الباب واخذوا زناره ودخلوا يقولون لنصري ان فيلبس ابنك يقول اعطنا البندقية وهوذا زناره يدل على صدق مقالنا . فقال لهم نصري. لست ادري اعندنا بندقية ام لا فاذا كان قولكم صحيحاً احضروا فيلبس يعطكم ما تبتغون . فتهددوا الشيخ وتوعدوه بالقتل ثم سار احدهم واتى بفيلبس . فقالوا له اخرج البندقية . قال فيلبس اي بندقية. قالوا اتنكر ذلك علينا ثم سطحوه في قاعة الدار وضربوه وضربوا نصري والده ضربات شتى بالمناوبة . وظلوا يضربون الاب وابنه مدة اربع ساعات . ولما اعياهم ذلك اوثقوا نصري وفيلبس نجله وساروا بهما الى جامع محمد الضرار جنوبي البلد . فوقف من بقي في البيت ليشاهدوا ما سيعرض لهما . فاذا بالكفرة الاوغاد قد ربطوا عيني الاب وابنه ربطاً محكما وتناولوا بندقية اطلقوها في في الجو فظن الاهل انهما قتلا . وما مضى قليل من الزمان حتى احضروا نصري الى داره واعادوا فيلبس نجله الى السجن. ثم حضر توفيق الانصاري وحقي البوليس وقادي آيو المشكوي ورفاقه وقالوا لنصري ادفع لنا البندقية والا اخذناك الى السجن وضممناك الى اولادك . فاكد لهم ان ليس عنده شيء مما ذكروا . وما لبث

نصري يتعذب حتى ساقوا اولاده وقتلوهم مع من قتلوا في القافلة الاولى على ما ذكرنا

ويوم الخميس عاشر حزيران الثاني القبض على نعوم ابنه فسار مع رفاقه الى دياربكر وعاد معهم على ما سبقنا . ولما فصلوا السريان عن الارمن واعتقوهم من السجن وسرحوهم الى بيوتهم . امر ممدوح ان يبقى نعوم في السجن فلبث حتى ١٥ تموز لم يمدد احد عليه يدا . غير ان الخصوم حاولوا ان يسوقوه مع من استاقوا من السجن في ٢ تموز فبذل لهم رشوة وافرة فسكتوا عليه . وفي ١٦ تموز قصد الجنود دار نصري ايضاً يقولون ادفع بدل نعوم ابنك فيفلت من السجن فدفع ثلاثاً واربعين ليرة وطلب التذكرة فقالوا هي عند ممدوح فقصد نحوه نصري والتمس التذكرة منه . فجعل ممدوح يتهدده ويتوعده بما فطر عليه من شراسة الطبع وفظ اللسان . وامر الذين حوله ان يقبضوا عليه ويزجوه في السجن ويضموه الى نعوم ابنه . وما وصل الى المحل حتى اختلس نوري البدليسي ما كان عنده من الدراهم . ومذ ذاك تعود نوري وغيره على الاختلاس واستنزاف المال . اما ممدوح فاضطر نصري ان يدفع له الفاً وخمسمائة ليرة ليطلقه هو وابنه . غير ان ملكة ابنته قصدت احمد بشار ودفعت له من الاموال ما بلغت قيمته نيفاً ومائة ليرة ليسعى عند ممدوح في اطلاق ابيها واخيها . فسمع ممدوح الخبر وامتعض اي امتعاض واستدعى نصري وقال له مالك توسط الناس في تخليتك . اعلم اني لست اطلقك الم تدفع لي مائتي ليرة فوق ما اخذت منك من البضائع . فقال له نصري . مر في احضار ملكه ابنتي فابلغها ما

يجب ان تفعله . فلما حضرت استدعى نصري وابنه الى فوق وراح عبدي حمود وخليل الداوجي يتنصتان ثم حضر ممدوح وقال للضابط عليَّ بحزمة من القضبان . فاقشعر بدن نصري وهلع قلبه لدى سماعه الكلمة وما زالت الرعدة والقشعريرة لازمة له حتى اليوم. ولما اخذ ممدوح القضبان وعجمها القاها من يده يقول : هلم قضبانا رطبة لا يابسة . غير انه لم يضرب بها نصري بل اتخذ ذلك وسيلة لتخويفه حتى اذا كان رابع اب دفع له نصري مائتي ليرة فاطلقه . اما ابنه نعوم فظل مسجوناً حتى ١٥ اب فقضى في السجن ٥٨ يوماً ثم سرّح الى بيته

الفصل السابع عشر

عذاب الارمن المسجونين . كبس كنيسة الارمن . ضرب الورتبيت اسطفان والاب يعقوب . سوق المسجونين – قتلهم . اسماء الكهنة الارمن . البحث عن الاسلحة

ولما اطلق بقية رجال السريان والكلدان والبرتستان من السجن وبقي الارمن وحدهم ثم اعداء الانسانية ينزلون بهم انواع العذابات الفادحة حتى ٢٨ حزيران فكبس عند العصر كنيسة مار يوسف نحو ثلاثين من الجند والعملة في مجارفهم ومعاولهم وعصيهم فشاهدوا الورتبيد اسطيفان خرلوزو الشيخ الوقور منزوياً يصلي فرضه فعربدوا عليه واستدعوه بسخط وغضب وقالوا له انبش الاسلحة والقنابل المطمورة في الكنيسة . فانكر عليهم الشيخ وجودها . فحملقوا فيه الابصار وقالوا له كيف يسوغ لك ان تكذب على الدولة ونحن

عارفون حق المعرفة ان القنابل والمدافع مدفونة في قلب ارض هذه الكنيسة · فقال لهم بتذلل صدقوني انه لا اثر لما تقولون· فاحتدموا غيظاً وعلقوا يضربونه وينتفون لحيتـه البيضاء ثم اخرجوه خارج الكنيسة ونزعوا عنه رداءَه ومضوا به الى غرفته واخذوا ما كان قد بقي في صندوقتي الكنيسة والفقراء من الذهب والفضة وبعد ذلك رجعوا به الى الكنيسة تكرارًا · وما كاد يضع قدمه في الباب حتى دعه احدهم بشراسة فوقع على وجهه واغمي عليه · فتركوه على تلك الصورة واستدعوا رفيقه الجليل القس يعقوب والحوا عليه في الاقرار بمطامير الاسلحة فما تماسك الاب ان قال لهم بجرأة · « قلنا ونقول لكم الحق ان ليس عندنا اسلحة بتة · فان ديننا لا يعلمنا الكذب ابدا فانتم ترمون الى قتلنا لغير علة فاقتلونا عاجلاً لنخلص وتخلصوا »

فما كان من اولئك اللئام الا ان افحشوا له في الكلام وساروا الى المذابح الثلاثة فاختلسوا أغطيتها ولما صادفوا الشماعد الكبيرة التفتوا نحو جبرائيل نسمه الشيخ الارمني وكان وحده اذ ذاك في الكنيسة وقالوا له : ما هذا يا رجل · فتبسم جبرائيل وقال : هذه شماعد توضع فيها الشموع وتوقد · قال القومبسير : كلا · بل هي اسلحة ومدافع صغيرة · فاصدقنا المقال وافدنا عن مخابئ القنابل والا قتلناك الساعة في مكانك · قال جبرائيل انا رجل سرياني لا معاطاة لي مع الارمن وقد حضرت الساعة لاصلي ههنا · فجعل احدهم يشتمه اقبح شتم ويقذف من فيه النجس كل كلام بذي ضد الدين والاسرار الخ حسبما اعتاد لسانه القذر من نعومة اظفاره

ثم صاح القومسير بالفعلة الحاملين الآت الحفر فحفروا تحت المذبح الكبير مقدار نصف ذراع · وحفروا عند المذابح والشباك الجنوبي وساروا الى طابق الكنيسة الاعلى وحفروا كثيراً ثم حفروا في الرواق الخارجي نحو ذراعين ثم دخلوا الكنيسة ثالثة وقوضوا درج المذبح وحفروا نحو ذراعين وقصدوا السكرستيا (الموفه) واستلبوا ما شاهدوا من الاطباق الفضية والذهبية وفتحوا بيت القربان واخرجوا الكاس وصعد احدهم الى درج المذبح واستل سيفه وضرب شخص مار يوسف كأنه شلت يده يريد الانتقام منه· وكان جبرائيل نسمة واقفاً يلحظهم وهو صامت مبهوت · ولما ملوا البحث والتنقير وآيسوا انقلبوا الى منازلهم

وفي ٣٠ حزيران تم قرار اللجنة الشيطانية على استياق الارمن المسجونين وذبحهم كالذين سبقوهم · فشد من بغتة قوم منهم على الكنيسة المشار اليها واغلقوا الابواب واستلموا المفاتيح واستاقوا الكاهنين الفاضلين الى السجن واضافوهما الى اولادهما الاعزاء

وغلس الجمعة ٢ تموز نشموا كمالوف العادة يوثقونهم ويغللونهم بحنق وغيظ ثم استاقوهم شرقي المدينة وما خرجوا من الباب حتى شرعوا يقضبونهم ويجرونهم بقسوة اشد من ذي قبل ويستعجلونهم على السير· ومن تخلف منهم لسبب ما اصابه من العذاب في السجن ثاروا به وقتلوه حالاً والقوه في ذلك الوادي الهائل فاصبحت تلك الطريق مبذورة بالجثث · ولما بلغوا بهم على تلك الحال التاعسة الى حرّين بادر اهالي القرية الارديا· وانضموا الى العسكر الخمسبني وانكالوا عليهم بالشتم والضرب والطعن واللطم ربثما وصلوا الى دار

فبادر اليهم كبار البلد ايضاً واطبقوا على اطلاق الرصاص على جماعة منهم فقتلوهم وذبحوا طائفة على افواه الابار والقوا فيها الجثث جميعها والتقفوا الالبسة والاثقال وانكفتوا الى منازلهم

وذكر لنا ثقة عن القس يعقوب فرجو انه بعد ما قتل الكهنة تقدم اليه شاكر ابن الحاج قاسم افندي وعرض عليه الاسلامية . فسخر منه القس يعقوب وقال له . ويحك يارجل . ما هذا الكلام البارد التفه . اسرع في قتلي والحقني برفقتي لافوز بغايتي . بادر واذبحني كي يمتزج دمي بدمائهم . فاني لا اغمض عيني حتى افتحها في السماء عندهم . على هذا المنوال قتل جميع كهنة الارمن الافاضل وافدية شعبهم المحبوب . واليك اسماء اولئك الكهنة الشهداء

الورتبيد اسطيفان حولوزو . الاب اثناسيوس بطانه . الاب يعقوب فرجو . الاب انطون احمراني . الاب ليون نزر . الاب ميناس نعمي . الاب مكرديج قليونجي . الاب اغوسطين بغدي . الاب ورطان صباغ . الاب نرسيس جرّو . الاب هاير بوغوص سنيور . الاب بولس شدّ خوري دارا . الاب جبرائيل قطمرجي . الاب اغناطيوس شادي

اما الورتبيد اوهنيس بوطري كبير الخوارنة البالغ من العمر ثمانين سنة ونيفاً فان الخصوم نفسوا به عن القتل توفية لمطامعهم فانزلوا به الوان العذاب يقررونه عما عنده وعند الجماعة من الذهب وافضى بهم الامر الى ان حبسوه في غرفة طولها خمسة اشبار في مثلها عرضاً وضيقوا عليه جداً حتى صاح الموت . ثم استحصلوا منه مقدار مائتي ليرة ذهباً ومضوا به الى دار السيد اغناطيوس مالويان

فاستمر فيها حتى ١٥ تموز فاستاقوه مع قافلة النساء الاولى وقتلوه

وتشاغل اعداء الدين والانسانية مذ ذاك الى ١٥ تموز في الفتك بنصارى القرى المجاورة · ولم يفتروا من البحث عن الاسلحة حتى انهم في رابع تموز ارسلوا بعض العملة الى دير مار افرام فاخذوا كمية من الشموع الى مقبرة الارمن المعروفة بالتلول فحفروا يوماً صحيحاً كاملاً ولم يعثروا على شيء البتة · ولعمري انهم لو وجدوا قطعة واحدةً او كما يقول العامة طقطوقة صغيرة عند المسيحيين لمحقوا كاثليك المدينة واجتثوهم قاطبة

الفصل الثامن عشر

ذكر الشهدا الذين قتلوا في المذبحة الاولى والثانية في ١٠ و١١ و١٥ حزيران

قلنا ان عدد القتلى في القافلة الاولى بلغ اربعمائة وسبعة عشر وفي القافلة الثانية تسعة وتسعين · اما في القافلة الثالثة التي ذكرناها في الفصل السابق فكانوا نيفاً وستمائة نسمة · وقد اوردنا اسماء الكهنة جميعاً واسماء البعض من وجهاء الارمن وغمضنا عن ذكر سائرهم لكثرتهم · وعلى الاجمال نقول انه لم يبق من رجال الارمن سوى الشيوخ او من اختفى عن العيان فقط فقرروا ان يضموهم الى النساء ويسوقوهم معهن · وقد كنا نحب ان نسرد ههنا اسماء الذين ذبحوا من غير الارمن فتعذر علينا الحصول على اسماء الكلدان الا اننا عرفنا انهم ناهزوا الاربعين ومن جملتهم اربعة اخوة شبان اعزاء من اسرة شوحا النبيلة

واليك اسماء الكهنة السريان . الخوري رافائيل بردعاني . القس بطرس عيسى . القس حنا طبي . القس متى ملاش . القس يوسف معمارباشي . وكان هذا قد شخص الى ماردين يوم كان المسيحيون مسجونين في ٧ حزيران فاستلمه بواب البلد واستاقه توًّا الى السجن ثم سار مع القافلة الاولى وقتل

اما القس متى خريمو . والقس لويس منصوراتي . والقس يوسف رباني فنجوا من القتل باعجوبة وعادوا الى ماردين . اما القس حنا بنابيلي فأصيب برصاصة في فخذه اضطر لذلك السبب ان يستمر في دياربكر حتى سلخ سنة ١٩١٥ فيمم ماردين وظل الى تموز ١٩١٦ فانتقل الى جوار ربه

اما شمامسة السريان الهيوذياقونيون فهم عبد المسيح نصري حمال يوسف ارملة . رزق الله عبد الصمد . فيلبس تبسي . منصور ايغو . فرنسيس شمعي . نعوم اعرج . ملكي ابن الخوري ابرهيم معمارباشي . جرجس هاقوري قندلفت [وافه] الكنيسة . يوسف بوصيك . جرجس مكا

الجماعة

حبيب ترزي دي جروه . اسكندر نصري حمال واخوه فيلبس . يوسف جرباقة وانجاله ابرهيم وفرجو وجرجس . اسكندر جرباقة واخوه حنا . اسكندر سيدي . حبيب معمارباشي وابن عمه رزق الله . فرنسيس تبسي . رفائيل كالو واخوه ميخائيل . جرجس حنا جتي . حبيب ايغو . فرجو مقدسي نعوم . المعلم رزق الله سلمو . سعيد قره كله . حنا بجدايو . فرنسيس دقاق وابنه يوسف واخوه رزق الله

اسكندر دقاق ويوسف والياس اخواه · سعيد دقاق · وفرنسيس بن جرجس دقاق · عزيز شاميه · رزق الله آحو · ويوسف آحو · حنا عبد الصمد · وسعيد عبد الصمد · جبرائيل قاووغ واخوه جرجس · يوسف باهو المختار · يوسف حنا باهو · فرجو بردعاني · مالي صوفيه سعيد اسطنبولي · يوسف مغزل · رزق الله انطي · فرنسيس ايفو وبولس ايفو · الياس طبي واخوه جرجس · ملكي مال الله · اسكندر جرجس هيلي · فرنسيس منشي · فترح ايفو · حبيب نصري ايفو جليل كاتو واخوه يوسف · سعيد شاعو · رزق الله حنا عبدو · منصور سعيد كدا · رزق الله بوصيك · حنا بجي · حنا سلمو · اسكندر حنا قرطي · جرجس ايليا مورو · الياس يوحنا · يوسف مال الله · اسكندر مرزا · اغناطيوس مرزا · بطرس ملكي داودو · جبرائيل صقال · فرنسيس قواق · يوسف بمب · الياس خابوط · جرجس عيسى الكربوراني · حبيب حلاق · عمسيح جرجس عبد النور · سليم بجديو · نعوم شموني

اما بطرس عجمو فلما كان في السجن حرضه اليعاقبة وحثوه ليخرج معهم يوم اطلقتهم الحكومة فلم يرض فسار مع اصحاب القافلة الثانية وقتل مع من قتل في شيخان وراح ينال الجزاء المعد للمجاهدين

فهولاء والذين ذكرنا سابقاً قد قتلوا في سبيل الايمان الكاثليكي المقدس من دون جرم البتة · اما الذين اطلقوهم من الحبس من السريان والكلدان وغيرهم فقد توفي اغلبهم لسبب المخاوف والعذابات التي اصابتهم في ذهابهم وايابهم وسجنهم

الفصل التاسع عشر

الى فرنسا ام الخير والمعروف
او نكبات راهبات الفرنسيس ورهبانهم

ابى الاتراك الا ان يفوقوا سهم حنقهم وكيدهم ويصوبوه نحو فرنسا بنات الكنيسة البكر المحبوبة ويفرغوا في رجالها الكرام وجميع المنتمين اليها سهم الزعاف ليمحقوا اسمها وذكرها ويستحوذوا على اراضيها واملاكها . غفلوا عما سبق لها قبلهم من العوارف الشتى والمبرات الكثيرة ونسوا ان انور إمامهم وقائدهم يوم حصل في الضيق لم يجد الفرج الا في فرنسا . فمنها استقرض المبالغ الطائلة واوفدها الى المانيا في استحضار الالات والادوات لمحاربة من اصطنع اليه المعروف والاحسان . وفات الاتراك ان الفرنسيس محتصنون باحرز المعاقل لا ينالهم الخصم الالد مهما بالغ في الحيل والجد والجهد بل لا يتيسر له ان يزعزعهم او يزحزحهم لان صروحهم متينة مشيدة على دعامة وطيدة راكزة على صخرة ثابتة . فاصبح مثلهم مثل ريح لاقت اعصاراً فردوا بافوق ناصل ورجع كيدهم في نحرهم

على اننا رمنا ان نورد للقراء في فصل خصوصي كل ما عرض المنتمين الى فرنسا العزيزة في مدينة ماردين مما يبخس حقوقها فان الدواهي انهجرت عليهم منذ خامس كانون الاول ١٩١٤ وتتابعت عليهم ضروب الارزاء والنوائب واليك تفصيل ذلك نقلا عن دفتر الاب ليونرد النبيل

صباح اليوم المرقوم كبس كنيسة الكبوشيين اثنا عشر جندياً

وجزموا ان يطلعهم الابوان عن اسميهم واسماء الراهبات معاً ويفيداهم عن وطن كل منهم . فقيل لهم ان الاب دانيال الشيخ الوقور ايطالي النحلة وان الاب ليونرد لبناني الاصل ماروني المحتد وكليهما يمثلان دولة فرنسا ويخدمان ديرها طبقاً لامتيازات الدول . وقالا لهم ان من الرواهب ثلاثاً هن عثمانيات مولودات في ماردين وهن باسيفيك واسومبسيون واغاثا والبقية مولودات في فرنسا لاتذات بحماها متفيئات بوريف ظلها

وعند ذلك ركب الجنودَ شيطان السخط والحرد فنهضوا من فورهم وفتشوا الغرف وبحثوا عما فيها ثم ختموها كلها واخرجوا الراهبين واوصدوا الابواب وقصدوا اتواً دير الراهبات وعاقوا يعربدون عليهن ويسمعونهن كلاماً جفياً غليظاً خدش اسماعهن الطاهرة

وانا ليمرونا الحياء والخجل من ايراد ما قاله وافتعله اولئك الاجلاف في دير الرواهب الحواصن فانهم عدا ما افحشوا في الكلام تصرفوا في الامتعة كما طاب لاهوائهم بل ضربوهن ودفعوهن الى الارض وامروهن امراً فصلاً بالتنحي عن غرفهن والخروج من ديرهن . ثم اغلقوا الحجر وختموا الابواب فتجمهر اذ ذاك الرعاع يتحينون الوقت المناسب ليفوزوا من دون تعب بالغنائم والمكاسب

اما الاب ليونرد فلما راى ما اجرى هولاء العتاة انحدر من ساعته الى الكنيسة وفتح بيت القربان واخرج الكاس المقدسة باحترام ولفها بمنديل نقي وضمها الى صدره وسار بها الى دار الخواجا حنا مركيزي الارمني ورجع حالاً الى الدير يريد البقاء فيه ليلته . فقال له احد الجنود لا محيص لك من مغادرة الدير والا فليس لك

ان ترقد الا في بيت الونة . وما مضى من الليل ثلثه حتى اقبل محمد كبوشو الخبيث الذائع صيت فظاظته الشائع خبر غلاظته وجمع الفرش كلها وسار بها الى دار الحكومة واخرج الاب ليونزد خارجاً فحار في امره وظل يرعى النجوم حتى الفجر . وصباح الاحد سادس كانون الاول نقل كاس القربان الى كنيسة السريان واقام فيها الذبيحة الالهية

واقبل في ذلك اليوم جماعة من رجال الحكومة فاستدعوا الابوين وامروهما باستخراج ما في الدير من الاسلحة والمدافع مما لا اثر له. وكانت تلك دسيسة ومكيدة اختلقها عبد الرحمان القواس صاحب الرحى انتقاماً من الكبوشيين . فجال الجنود في الدير متبخترين وبحثوا عما زعموا مدققين ولم يذروا موضعاً الا دخلوه ولا ثقباً الا وسعوه وافضى بهم الامر الى انزال اشخاص الى البئر عساهم يجدون فيها اسلحة فعادوا بالخيبة

ورام الاب ليونزد مساء ذلك اليوم ان يبيت ليلته في الدير فلم يأذن له الجنود فقصد دار الخواجا حنا مركيزي ولزمها اربع ليال لا يخرج منها ابداً . وظل الخصوم يفتشون وينقرون وينقبون من سابع كانون الاول الى العاشر منه : يفتحون الغرف ويبعثرون الكتب والاوراق ويعيثون في الامتعة والاغراض ويتجنشون على ما طاب لهم دون معارض لا يراقبون الله ولا يستحون من عبد . ثم قصدوا دير الراهبات وفتشوا الحجر اجمع وفتحوا الصناديق واستبحثوا عما فيها وتلعبوا بها ثم كوموها على بعضها واغلقوا الابواب وختموها وحشروا الراهبات في غرفة واحدة وانكفتوا الى منازلهم يترقبون الفرصة

للاستيلاء على المال والدار كليهما

فضاق ذرع الابوين وعميت عليهما طرق التملص فكتبا الى اديب نائب المتصرف في ان يرخص لهما ان يُعدا الزاد للرواهب ويسعيا في امر سفرهن فاضرب عن الجواب واتخذ الطلب لغواً · فكتبا في ذلك الشأن الى القومسير ايضاً فلم يجبهما · بل اضافوا الى ذلك انهم اقاموا خفرة على بابي الديرين لا يدعون كائناً من كان ان يدخل او يخرج ووضعوا خفرا ايضاً على بابي دار الخواجا مركيزي ·

وفي ثامن كانون الاول امر اديب الوكيل ففتح الابوان كنيستهما واقاما الفروض الدينية وظل الجنود يوافون الى الدير كل أصبوحة وامسية ياكلون ويشربون على كيس الرهبان · على ان الذين كانوا فيما سلف يودون الرهبان ويجلونهم اخلقت خضراء مودتهم فقلبوا لهم ظهر المجن وتغيروا عليهم وعلقوا يحفرون لهم الحفائر

وعاشر كانون الاول استكرى الراهبات اربع عجلات بثمانين مجيدياً وركبن الى دياربكر وفي غيبوبتهن شخص القومسير في جماعة من البوليس الى الدير وفتحوا الصناديق والخزانات والصرر والاسفاط واختلسوا ما طاب لهم · واجتمع وقتئذٍ لفيف من الرعاع على الابواب ينادون ويقولون الان نحوّل الدير جامعاً والمدرسة مكتباً · بل ان امراة مسلمة اقبلت حاملة مكنستها تقول اين الجامع الجديد الذي ضبطناه من فرنسا فقد نذرت ان اكنسه بيدي · فصاح بها فرج الله كسبو معلم المدرسة وزبرها وقال اصمتي يا سفيهة وارجعي الى بيتك · وفي ذلك اليوم عينه مرّ بتلك الجادة جرجس مطران

السريان اليعاقبة يصحبه الراهب يشوع فبادر الاعلاج وخطفوا قبع
والقوهما الى الارض فزجرهم المطران وقال لهم او ظننتم اننا فرنساو
فعاملتمونا هذه المعاملة . كلا . بل اننا عثمانيون . فعلامَ يا
تحتقرون من ينتمي الى تركيا ويتباهى بالدولة فسكت او
الصبيان وردوا لهما القبعتين

اما الراهبات فلما وصلن الى دياربكر بلغن الوالي ان ثلاثاً م
عثمانيات فاصدر الامر برجوعهن الى ديرهن . فقفلن راجعات ووص
الى ماردين في ٢٤ كانون الاول ليلة عيد الميلاد . وتبادر الى ا
انهن يستلمن الدير بما فيه . غير انه خاب الامل فلزمن دار الخو
مركيزي اربعة اشهر

وفي ٧ كانون الثاني ١٩١٥ نادى المنادي في الشوارع ان اغرا
الرواهب تعرض غدا البيع فمن شاء مشترى شيء فليحضر . فاحت
في الغد رجال المسلمين ونساؤهم وحضر معهم نفر من النصا
ولاسيما اليعاقبة وما دخلوا الدير حتى بعثوا عجيجهم وضجيجهم وط
يزأطون ويهرجون وفكوا الختوم وباعوا الاغراض كلها بالمزاد
الصور والتماثيل مما لا يفيدهم . ثم اخرجوا الحلل الكهنوتي
وصحنوها باقدامهم النجسة بعدما انتقوا منها ما يصلح لكسوته
وافرزوا الشموع والقناديل والشماعد فاخذوها الى الجامع الك
وظلوا يبيعون ويشترون مدة ثلاثة ايام حتى امسى الدير خاوياً خ
كأن البناء قد خرج منه جديداً

ومذ عاشر كانون الثاني خصصوا دير الرواهب بالجنود فك
العسكر منذاذ يجتمعون في ذلك المعهد المقدس ويسرفون الليالي

الاكل والشرب والسكر وسائر انواع الخلاعة والملاهي والبطر مما حرمه الله تعالى · وامروا المؤذن ان يؤذن كالعادة على سطح الدير في الاوقات الخمسة ورفعوا الناقوس وحاولوا ان يكسروه الا ان احد المسيحيين تصدى لذلك فصرفهم عن سوء نيتهم

وتاسع شباط نقلت الكتب والكراسي وجميع ما تبقى من الامتعة الى الجامع وشغل الغرف بعض الموظفين ما عدا غرفتين انعموا بالواحدة على الاب دانيال وبالاخرى على الاب ليونرد ·

ويوم الخميس ١١ شباط اقبل خمسة وخمسون من طلبة المسلمين حاملين الرايات والبنود منادين بالهيللة والحيعلة ودخلوا ساحة الكنيسة وسكنوا في المدرسة · واذاعوا منذ ذاك ان الكنيسة وسائر مشتملاتها ستغدو مركزاً للحكومة والتلغراف معاً · وبدأوا يختلفون الى الدير صباح مساء واحتووا بالمرة على كل ما فيه كما يقال من النحاس الى الرصاص دع الذهب والفضة والامتعة والاثاث · من جملتها اشياء كثيرة كانت للمسيحيين المنتمين الى الكبوشيين فراحت صدقة راسهم وامست طعمة للحكومة واعوانها · نذكر من ذلك طنفسة كبيرة عجمية بلغت قيمتها نحو ثلاثين ليرة ذهباً كانت للخواجا عبد المسيح بطيخه · وطنافس غيرها مبلغها الفا غرش كانت لفرنسيس توماس · وكان للخواجا الياس بعبوصى طنافس بمبلغ الني غرش وليوسف آحو جاود بالفي غرش · وللمعلم رزق‌الله سلمو ثلاثة اكيال حنطة · ولقرينة يوسف مغزل صف برباعيه الذهبية ولآليه بالفي غرش · فهذه الاغراض برمتها استولت عليها الحكومة وتصرفت بها كما ارادت · فعرض الابوان الامر على

حاكم البلد فوعدهما مواعد عرقوب ولم يردد لهما ما طلبا . وعلا
على ما اوردنا انهت الحكومة الى مستاجري دكاكين الكبوشيين
ان يدفعوا الاجرة لهما لا الكبوشيين . فحار الابوان في امرهما
وغابت عليهما طرق المعيشة والنجاة . واتصل الخوف بالكاثليكيين
الى حد انهم لم يعودوا يجسرون ان يفتقدوا الابوين ويزوروهما

على ان اعداء الدين لم يقفوا عند ذلك الحد من التعدي والجور
والعسف بل تجاسروا فالقوا القبض على الاب ليونرد في خامس حزيران
١٩١٥ واساقوه الى السجن حيث كان السيد اغناطيوس وجماعته
على ما وصفنا . ولشد ما جنوا على الاب العزيز ونكلوا به فانه
ما كاد يصل الى باب السجن حتى استلمه البواب بلهوجة ولطمه
بشراسة واجتمع احزاب الشر واحاطوا بالاب الوديع وطفقوا يصفعونه
ويرفسونه وينتفون لحيته ويقولون ادعُ فرنسا لتبادر وتنقذك .
نكسوه على راسه نحو ساعتين وتكالبوا على ضربه الضرب الوجيع
واقتلفوا اظفار يديه ورجليه معاً ثم دحرجوه في الدرج فاغمي عليه
والله يعلم ما ناله من تباريح الالام والوان العذاب لما ساقوه
القافلة الاولى في عاشر حزيران حتى فتكوا به ولفظ روحه الطاهرة
بيد خالقها

افتحي اذنيك يا فرنسا المحبوبة يا ام المسيحيين ولاسيما الكاثليكيين
واصغي الى ما جرى بمن يتباهى بك وينتمي اليك

اما الاب دانيال الشيخ الوقور فلم يعد عليه الخصوم اذ ذ

(١) هنا ص ١٦٤ و ١٦٩

يداً اثيمة . فظل منزوياً في بيت محاذٍ للكنيسة لم يرقه الخروج منه أصلاً حتى اذا كان ١٧ تموز ١٩١٥ قبض عليه وأُلقي في الحبس وضيق عليه جداً وابتز منه ممدوح واصحابه ثلاثاً وعشرين ليرة عثموه بالاطلاق على ان يدفع مائة وخمسين ليرة علاوة . ذلك لتكون بمثابة مكافاة لهم عن سوقهم رفيقه الاب ليونرد وقتلهم اياه شهيداً . يا يهوذا الخائن ماذا صنعت بالثلاثين من الفضة . قل لي أما تندمت ورددتها وقلت اني خطئت إذ اسلمت دماً زكياً . بلى . ثم ماذا .. علقت نفسك وانشققت من وسطك واندلقت امعاؤك ومت اقبح ميتة ذلك عقوبة خيانتك

ثم ان الاب دانيال دفع ١٥٠ ليرة ايضاً ثمن دم القتيل الزكي فاطلق سبيله في ثالث آب بعد ما قضى في السجن سبعة عشر يوماً . ولبث منزوياً في بيته حتى ١٨ تشرين الثاني ١٩١٦ فسافر الى حلب فقونيه صحبة الآباء الدومنكيين . اما ما جرى في الديرين والكنيسة وما حدث من الخراب فكثير . فانهم هدموا الحائط الجنوبي من راسه الى راسه واضافوا ساحة الدير الى الطريق العمومية وجعلوا الكنيسة اهراء وخصصوا غرف كلا الديرين بماوى العسكر المرضى حتى اليوم . على انهم اثناء قيامتهم لم يخطر ببالهم ان ليالي الحروب سينقضي نحبها وينطفي لهيبها وان كل الدسائس ستعلن جهرة لتجزى كل نفس بما عملت . وان سوء التدبير اخيراً سيغدو سبباً للخراب والتدمير

الفصل العشرون

اغلاق الكنائس والمعابد وتدنيسها

دُمرت المعابد واخربت الكنائس والغيت الذبائح وبطلت الصلو
والطقوس . ولزم بقية المسيحيين بيوتهم . وقامت رجاسة الخر
في جناح الهياكل المقدسة [دانيال ٩] وحدث ضنك شديد وخو
عظيم استولى على الشيوخ والكهول مع الشبان والحبالى والمرضع
حتى كادت تزهق الارواح

ذلك لان اعوان الشر والنفاق بسطوا الامال في الاستيلاء
الكنائس والاديار فطفقوا بادىء بدء يهجمون غرف الاساقفة وح
الكهنة يفتشون عما فيها فكبسوا كنيسة السريان في ٢ ايار فر
العملة يبنون مذبحاً حديثاً فما كان منهم الا ان ضجوا وعجوا وامر
بتقويضه والحفر تحته وما حوله لينبشوا الاسلحة والمدافع فلم يعث
على شيء فرجعوا مأيوسين فاعترضهم في الطريق حمو البقال بي
الكلس وقال لهم . اني انا عارف بمخابىء الاسلحة واكد مح
عبدالو اللئيم قوله وقال اني انا بنفسي قد بعت بندقيتين كبيرتين
المطران حنا معمارباشي وحلف لهم بالطلاق الثلاث ليؤيد دعواه الكاذب
فعادوا الى الكنيسة حامضي الفؤاد فاسدي النيات وامروا بنب
ضريح السيد يوحنا معمارباشي ففتشه القومسير تفتيشاً عميقاً فلم
شيئاً فعادوا مخذولين[1]

(١) هنا ص ١٣٩ و ١٤٠

ثم ساروا الى بيعة الارمن الكبرى يوم كان راعيها السيد اغناطيوس مسجوناً يتقدمهم اديب وكيل المتصرف وممدوح المسخوط واستحضروا اساتذة العملة كرافائيل كالو ولولي (ايليا) كيسو وجبرائيل نهبيه وهددوهم واوسعوهم ضرباً وشتماً وقالوا لهم استخرجوا الدافع والا قتلناكم . فقال لهم الاستاذ لولي : استحضروا كمية وافرة من البارود وهدوا البيعة من اساسها وفتشوها من راسها الى راسها فان صادفتم شيئاً قتلتموني وقتلتم عامة الارمن والا فما بالكم تتقولون الاباطيل وتدعون دعاوي لا اثر لها ولا صحة . فسخط عليه ممدوح وطفق يضربه اعنف الضرب حتى جرت الدماء من وجهه واذنيه . ثم ضرب رفيقه رافائيل ايضا فقال انا سرياني لا خلطة لي مع الارمن في هذا الامر . اما جبرائيل نهبيه فلما انكر عليهم توهمهم قام اليه ممدوح وسطحه على الرصيف ورفسه وصفعه واوسعه ضربا وجيعا جداً حتى امست جثمانه سوداء كالنيل واضطر الجند ان يحملوه الى السجن على الاخشاب

ولما لم يبرد الاعداء غليلهم بوجود شيء مما توهموا راح ممدوح الوغد واصحابه الخالعو العذار كهرون وصالح وفواد وحيدر وغيرهم يستعملون عملاً افظع واشنع . على انهم في سابع حزيران اي يوم كان المطران والجماعة مسجونين استحضروا ليلاً الى الكنيسة المذكورة ابنة لولي منجو المشهورة . فاوقدوا المصابيح واضطروا المراة ان ترقص . وامروا الوافه في احضار زجاجات الخمر فجلسوا يتعاطون اقداح الطرب ويشربون كاس بابل حتى قعرها . فكان مثلهم مثل بلطشاسر لما احضر آنية القدس وشرب بها هو واقطابه وحواشيه

وبعــد ان لعبت الخمر في ادمغتهم النجسة وانجزوا شهوات قل
الرجسة عادوا الى منازلهم . ولكنهم لم يملوا من البحث والتنقي
اذ كانوا كمن قذيت عينــه فلا يزال يحكها حتى يعيي الحك
في ذهابها

وبعد سوق القافلة الثانية سار هولاء الخالعون الى بيعة مار يوس
ايضا وافتعلوا القبائح والشنائع مما لا يسمح لنا المقام ان نسرده
مسامع قرائنا لئلا تخدش اذهانهم الطاهرة

اما معبد الراهبات الفرنسيسيات فكان امر افتعال القبائح في
مشهوراً معروفا منذ غادرته صواحبه الفاضلات التقيات . ذلك
الانذال جعلوا بعض غرفه للعذابات وافرزوا المعبد خاصة لافاعي
الخلاعات حتى ان علي جاويش واصحابه كانوا يجمعون زهور المذ
ويلطخونها على صدور العواهر ويضطرونهن الى الرقص الفـاحـ
وهلم جرّا

وما كفاهم ذلك بل تجثوا على الكؤوس والاطباق الذهبيـ
والفضية وتلففوا عــلى الصلبان والصواجة والحلل والتيجان وا
والقناديل والذخــائر مما لا ثمن له . واستحلوا الطنافس والافر
فباعوا ما باعوا واختصوا بالبقية

ولــا ساقوا النصارى وخلا لهم الجو وانبسطت اماهم الم
والانتصار انتشطوا لافراغ بقية الكنائس وجعلوا فيهــا الاسـ
والمؤن والعسكر وعاثوا فيها كما ارادوا وتحامقوا في تخريبها وتدمير
من ذلــك انهم اخرجوا الرهبان الافراميين من ديرهم وجـ
مستشفى الى اليوم وتصرفوا به حتى اخلولقت غرفه وتصدعت أبنيـ

واخلوا كنيسة السريان الكبرى مدة سبعة شهور وجعلوها مخزنا للاسلحة والمؤن وابطلوا اقامة الصلوات فيها والغوا الذبائح ونسخوا قرع الاجراس . ثم نقلوا الذخائر والاسلحة الى بيعة الكلدان وجعلوا كنيسة الارمن ميتما وكنيستهم الاخرى مستشفى . اما كنيسة الكبوشيين فما برحت حتى اليوم اهراء ومستشفى معا

ولما شخص الالمان الى البلد استبشرنا خيرا وغلب على ظننا انهم يلتهفون علينا ويفرجون الضيم عنا ويامرون بتخلية كنائسنا واديرتنا . غير انهم لم ينفعونا بنافعة قطعياً بل طووا الكشح عن محاماتنا واسترجاع حقوقنا ودرء المخاشي والمخاوف عنا فكنا وقتئذ نتململ على فراش الاكدار ونتحسى كاس المرائر مصطبرين على كوارث الزمان الخؤون نستنجد الله ان يقشع عنا غياهب الاستبداد ويأتي بنا الى فجر الامان والسلام . وقد كنا نعرف حق المعرفة ان لا بد ان يوافي يوم تُصلح فيه الخرائب وترمم الدوارس ويمسي اعداء الانسانية والدين مخذولين ياكلون ايديهم نادمين على ما فرّطوا . اسمعوا يا هولاء وعوا فان لكم اليوم قصفاً وغداً خسفاً . لكم اليوم خفضاً وصفاء وخمرا وهناء . وغدا قلقاً وكدراً وشقاء وعناء ما دام الله الاهاً

الفصل الحادي والعشرون

الارمن الذين جحدوا ايمانهم

يشق علينا جداً ان نسرد في هذا الفصل اسماء الارمن الكاثليكيين الذين لشديد رعبهم باعوا دينهم بدنياهم . فخافوا

لهم ولاعقابهم سوء الذكر . بلى انا نعرف ان ذلك جبر واكر
وان دينهم في صدرهم حتى الموت . غير انهم اذ اخطروا ببـاد
قول يسوع فاديهم "من انكرني قدام الناس انكرته قـدام
الذي في السموات " استبشعوا عملهم واستشنعوه وقضوا على انفس
بالشرود عن الطريق المستقيم والحرمان من فوائد سر التجسد وسا
اسرار الكنيسة المقدسـة امهم التي ارضعتهم لبان التعاليم الحق
واجزلت لهن المنافع الجمة . وعلمتهم ذات الراي انهم مـا خلق
ليتمتعوا بلذائذ الحياة الدنيا واطائبها بل ليسعوا جهـدهم في منا
الغبطة الابدية . فما كان ضرهم لو باؤا بدماء اعناقهم حباً بيسو
ربهم اسوة بأئمتهم واخوتهم وعشيرتهم . اما طوحوا نفوسهم بعمله
الممقوت في مدارج المهلكات واصبحوا عثرة لسائر المسيحيين . بلى
ولا سبيل لهم الى انكار ذلك لانهم تعمموا بالعمائم البيضا وحضر
في الجوامع والمساجد وتشهدوا وكبروا وخلفوا لهم سبةً لا تمحي م
صفحة حياتهم اللهم الا بسكب الدموع الغزيرة والتوبة النصوح
دام فيهم رمق

وناهيك انه وقت الضيق يعرف العدو من الصديق . في الضي
والشدة يمتحن الذهب الخالص ويصدأ فيعرف جيده من خبيثه . وقت
المصيبة تتقد جذوات المحبة الدينية ويخبو سعير الاهواء الدنية
في الضيق والعسر تلوح مصابيح الايمان النيرة وتتلبد غيوم الطغيـا
الحالكة

فلمثل هولاء الجبناء نقول : انكم ايها النصارى المعمودو
رأيتم آباكم يساقون ويعذبون ويذبحون فتوخيتم البقـاء بعدهم

مستاثرين بالحياة الزهيدة. سمعتم ان آلكم واصحابكم باؤوا بدماء اعناقهم حباً لايمانهم . اما انتم فغصتم في بحار الطمأنينة ضناً بحياتكم القصيرة الفانية . رايتم شبانكم منتصبين في المحاكم الجائرة تلفق عليهم الشكاوى الظلمية فيعلقون في ايادي الكفرة يحكمون في دمائهم ما شاؤوا . فيغلون في دينهم ويتوطدون في معتقدهم . اما انتم يا قليلي الايمان فاستيأستم وقنطتم وغرقتم في امواج العالم الغدار . يا للعار ويا للشنار . رايتم اخوانكم ذاهبين لنال تاج الغار امــا انتم فلففتم العمامات البيضاء وتخطرتم في شوارع المدينة على اعين بقية المسيحيين دون حياء . فاتكم ما قيل

اذا ابقت الدنيا على المرء دينه فما فاتــه منها فليس بضائر

وزبدة الكلام انكم خنتم عهــد ربكم وجحدتم دينكم حباً لصوالحكم وضناً بعيــالكم مع انكم سمعتم ربكم يقول « طوبى لكم اذا عيروكم واضطهدوكم وقالوا عليكم كل كلمة سوء من اجلي كاذبين . افرحوا وابتهجوا فــان اجركم عظيم في السموات . لانهم هكذا اضطهدوا الانبياء من قبلكم » [متى ٥] وهكذا عذبوا اجدادكم المسيحيين في مغارب المعمورة ومشارقهــا وفي شماليها وجنوبيها

شاهدتم اخوانكم يغلون في اعتقادهم اما انتم فرحتم تقذفون التجاديف وتقسمون باسم الله العلي كيفما كان ولاي سبب كان اسوة بالذين جاريتموهم وتبعتموهم . ويا ليتهم عاملوكم باللطف والمجاملة وما اضطروكم الى الاتعاب والمشقات والعمل في المنــارة والبيوت مجاناً حتى ضارعتم الاسرائيليين يوم كانوا تحت رق المصريين . بــل

افضت بكم الجسارة الى تكذيب ما تلقنتم من المبادئ الراهنـ
وتسفيه التعاليم الحقة حتى انكم اثنـاء الشدة الغيتم ذكر آبائكـ
بالمرّة ونسيتم فضلهم وفضائلهم بالكلية

فليس لكم بعد هذا كله الا ان ترجعوا الى كنيستكم وتكفرو
عن خطيتكم بالتوبة النصوح وتلوذوا بدماء اوليائكم وآلكـ
وتستغيثوا برفاتهم وتستعينوا بدعواتهم لعل الله العفو الغفور يغمض
عما اسلفتم ويمحو من صك عدله مـا اجترمتم · لانه تقدس اسـ
يُطلع شمسه عـلى الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمي
[متى ٥] ولا تنسوا ما قيل

وغاية هذي الدار لذة ساعة ويعقبها الاحزان والهم والندي

ونختم هذا الفصل بسرد اسماء جميع الذين هجروا الايمان المسيحي
صيانة لحياتهم · ضاربين الصفح عمن مات منهم وقـام المسلمو
بتشييعهم ودفنهم

الاستاذ ايليا (لولي) كيسو وابناه عبد الجليل وسليم ·واولا
سليم الثلاثة · الياس بعبوصي · جرجس صاني · حنا صاني·فرج
حنجو · سعيد وعبد المسيح صاني · يعقوب توما كيسو وابنه توما
حنـا حنجي · اسكندر بجدو الميمي · جبور نكزي · يوسف
صباغ · الياس جرجي · جبرائيل اصبهان · انطون بيدروس·سعي
مريخ · ابن خاجو · اوهنيس نهبيه وجبور قصعه السرياني · يعقوب
سوسي وجرجس مرزايو امـا النساء اللاتي اضطرهن المسلمون ا
جحود الايمان المقدس فلا حاجة الى ايراد اسمائهن

ولنا وطيد الامل انه سيوافي وقت فيه تُفتح الكنائس المغلق

ويعود النصارى الباقون الى ما كانوا عليه من شديد العبادة وحميم المحبة نحو الاههم عز شانه ودينهم المتين الوطيد قرب الله ذلك اليوم السعيد

الفصل الثاني والعشرون

في المآدب

تهيأ المآدب للصفا والانشراح وتتوفر فيها بواعث الهناء والافراح واذا قضاها المرء على كيس غيره كان صفاوه اكثر ولذته اوفر ومتى حضر شيطان الخمرة ولعب بالرأس استفحلت الشرور وتفاقمت الفظائع ورقصت المفاسد والمظالم

فالنصارى اذ كانوا غائصين في بحار الهواجس متقلبين على بساط الهموم متجرعين كؤوس الغيم مختفين عن عيون الخصوم حائرين كان اولو الشهوات يجتمعون في النوادي يتساقطون الاحاديث والاخبار ويعقبون على من بقي من الشيوخ والفقراء ليوقعوهم في الورطات ويقطعوا خيط حياتهم ويحتووا على جميع ثرواتهم وقد قيل ويلٌ للشجي من الخلي اي ويل المهموم من الفارغ

وعليه فلما استاقوا الاغنياء والوجهاء وفتكوا بارواح زهرة النصارى في القافلات الثلاث التي ذكرناها في ١٠ و١٤ حزيران و٢ تموز . راحوا يستنبطون الذرائع لسوق النساء ايضاً . فتم الرأي ان يبقى من بقي من الرجال ليساق في القريب العاجل مع النساء بنوع انه لا ينتهي شهر ايلول حتى ينجزوا الامر حسب المامول

فجعلوا يولمون الولائم ويأدبون المآدب كل ليلة في دار فيستضفون

لحم النصارى ويتواون عليهم السوء ويعقبو . ويعمقون على الاسما
ويرقمونها في ورقة على حدة ويبعثون بها في ... اصبوحة الى الضباط
القبض على من كان اسمه مدرجاً فيها . ... كانت نوادي الخصو
والحالة هذه كأوكار انضم اليها ذئاب الخبث وثعالب الغدر واسو
الفساد ونمورة الخيانة . واصاب السهم الافوز في ذلك كله بدري
المتصرف فكان اسخن الله عينه ناطورة الديوان وعين اولئك الاعوان
اذ كان نهض بامور الخبث والدهاء من غيره . فكان يستنزف
الذهب والفضة من سيدات النصارى فيولم الولائم الحافلة بالاطايب
من المآكل والمشارب وكانت تتخللها اغاني القينات السمجة وحركات
الرواقص النجسة ذلك اقتناصاً لحبة المنصبين واستخلاصاً لافكارهم
ورضاهم ليسكتوا عما يبدو منه مما يمجه الذوق وينفر منه الطبع
وتشمئزه الانسانية الحرة

وعلى هذا المنوال كانوا يقضون الليالي منذ عاشر حزيران فصاعد
ويتقلبون في الترف والترفه . وكانت عقولهم ثملة برحيق الانتقا
والتشفي ونفوسهم فرحى بما صار ويصير وقلوبهم مرحى بالمكاسب
والارباح المستعجلة . وكثيراً ما قالوا ما النصارى الا كشعر الراس
نخدمهم ونكرمهم ما داموا على كرهم وفرهم . ومتى فارقو
استقذرناهم ورفضناهم واستحوذنا على جميع مالهم وكنوزهم

وتتابعت المآدب وتوالت في بيوتات الوجهاء جمعاء وما كادت
تنتهي ليلة بدري حتى كان غيره يرغم ويؤثم من لا يحضر ليلة الغ
في داره للمسامرة ومواصلة ما سبق من المحادثة وعلى هذا النمط
قضوا شهراً كاملاً والمصاريف كلها على حساب النصارى المظلومين

يستلبون اموالهم وحليهم ويسرفونها في البذخ والرفاغية فتم ما قيل:

ومصائب قوم عند قوم مسرة

ومن الغريب ان هولاء لم يكونوا فيما سلف يراعون عهود الصداقة وحقوق الولاء لبعضهم بعض ولكنهم في مسئلة الحاق الضرر بالنصارى وازعاجهم تحالفوا وتسابقوا في الشر والعسف وصدق فيهم ما قيل « راح العدوّ من بيننا فتصافينا » راح النصارى فتآخينا وتصالحنا . على ان نجيم بن امين مدير بنك الزراعة رقم لائحة عنوانها « فرخ الحية حية » فيها صرح بوجوب استياق النساء المسيحيات واجتثاثهن . وبناء عليه . أصلتوا سيوف الفتن ورفعوا الوية البغض واحيوا معالم الجور ومرجوا الالسنة في الاعراض واعتمدوا على سوق النساء كالرجال وافتضاضهن وسبيهن او قتلهن وسفك دمهن

تمتعوا يا هولاء تمتعوا بكفركم وطغيانكم وتمادوا في ضلالكم وبهتانكم . فلا بد من يوم ينقطع فيه وتر حياتكم التاعسة فتغدو روؤسكم ناكسة ووجوهكم ممتقعة سوداء عابسة . فتستحيل المأدبة مندبة والفرحة ترحة والصفاء مناحة . فاذا قيل لكم لا تفسدوا في الارض قلتم انما نحن مصلحون الا انكم انتم المفسدون | سورة البقرة |

الفصل الثالث والعشرون

في الترهة او قدوم قافلات الارمن من ارضروم

وغيرها ٤ — ٩ تموز

كأني بك ايها القارئ النجيب سئمت مطالعة مما اقص عليك

من الحوادث المحزنة والاخبار المزعجة مما يزيدك كدراً وغماً ويبرد منك الهمم ويضعف فيك النشاط فتود اذن لو اخبرك بما يسر قلبك ويكشف عنك ضيمك . بناء على طلبك وافيت ادعوك اليوم الى نزهة في غربي البلد الى باب المشكية لنسرح الطرف في الاراضي المخضوضرة المتلجة التي استأسد نباتها والتفت اشجارها وكثرت ثمارها وعذبت بقولها . وبما اننا في شهر تموز فالنزهة صباحاً اولى واوفق لئلا يتعذر علينا اذا اشتد لافح الحر ان نرجع الى دارنا دون تكلف ومشقة

هلمّ بنا اذاً الى كرم الدير المفردس نتشرق هنيهة في ذلك القهقور ومتى ذرّ قرن الغزالة تفيأنا تحت العرزال واستنشقنا نسيم الصبا الطيب . اليك ايها العزيز اهالي القرى والبساتين موافين بضروب البقول والثمار من الحدائق الغناء كالمشمش والكرز والتفاح والخوخ والاجاص والخيار والكرفس الى غير ذلك من الثمار والبقول اليانعة اللذيذة . تراهم جذلين محبورين فرحين فخورين بما تدفق عليهم من الخيرات وما حصلوا عليه من الاموال وقد خيمت فوقهم الطمأنينة وساد فيهم الامان . وامتلأت اكياسهم من الفضة والاصفر الرنان . يودون لو تطول هذه المدة وتطمئن لديهم الارض .. ما اعذب الهواء الذي نستنشقه . وما اطيب الروائح المنبعثة من النباتات الحافلة بانواع الزهور والوان الورود مما ينعش الطبيعة بعد خمودها ويبعث فيها روحاً جديدة بعد همودها . تفرس في تلك الروابي المكللة بالاشجار وقد فرشت عليها شمس الضحى ارجوانها القانيء . ما اجمل هذا المنظر !

ولكن يا لله ماذا ارى عند عين عمر آغا . ارى قافلة كبيرة تسرح كانها قطيع غنم او بقر . هلم المنظار انتحققها . . جيش عرمرم يناهزون عشرة الاف نسمة . ارى اغلبهم نساء واطفالاً صغاراً وبينهم بعض الشيوخ والعجائز . ارى جنوداً محتفين بهم يوسعونهم ضرباً ورفساً يحملون عليهم فينجفلون بين يديهم . اليك دواخن البواريد متلبدة فوقهم . تطرق اذني اصوات كالمدافع . أفرزت منهم شرذمة اكتنفها بعض الجنود . اراهم يدعونهم دعاً عنيفاً ويتسلقون بهم مصاعد تلك القلعة . يا لله ! الى اين . الى البئر كالامس وما قبل استعرضوهم للتعري واحدوا عليهم السكاكين واعملوا فيهم الخناجر وفصلوهم وزجوهم على حاق راسهم وعادوا ادراجهم . تباً للفظاظة والخشونة

ها هوذا مئات منهم انعرجوا عن الجادة ونزلوا بهم في منعطف الوادي الجنوبي هوذا سكان قرية الموسكية قد بادروا اليهم كالكلاب الكلبة يعرّونهم ويحاولون ان يرتكبوا المنكرات ويقضوا الاوطار يقسرونهم ليكفروا بدينهم . يسدحونهم فيختلعونهم فيذبحونهم ويعودون فيقولون مع عنترة :

لنا النفوس وللطير اللحوم وللـ وحش العظام والخيالة السلب

اليك البقية قادمين افواجاً افواجاً كالجراد يبلغون ثمانية الاف عداً . عجبي قبل هنيهة كانوا زهاء عشرة الاف . فاين الالفان . فاذا كان الخصوم الطغاة قد فتكوا بارواح الفي نسمة في مدة ثلاث ساعات . فكم كان عددهم يا ترى حين نُفوا من اوطانهم ؟ لا شك انهم كانوا اكثر جداً من هذا العدد . وقد سمعت منذ ايام

انهم يبلغون خمسين الفاً . وهم قادمون من ارضروم ولجه وخربوت
وما والاها من بلاد الارمن . ها قد وصلوا الى الصهريج وقد
تاجج صدرهم عطشاً فلا يدعهم الجند ان يبردوا اكبادهم بل
يلجئونهم ان يسيروا السير العنيف . وها هم يتوكأون على بعضهم
والنساء حاملات الاطفال على الاكتاف

اليك كبار البلد وقد وخطهم الشيب مستوين على صهوات الخيل
يتبعهم الاولاد والنساء راكضين مبادرين في هرج ومرج وقد انجلقت
افواههم مفرطين في الضحك تلعب في عقولهم هواجس الطمع والخلاف
يستركضون الخيل للبلوغ الى العين . يسبق بعضهم بعضاً على
الاختلاس والخطف . حذار ان يلمحونا . هلم نختف عن عيونهم
تحت هذه الشجرة لئلا يصيبنا ما لا تحمد عواقبه

هوذا فئة اخرى من المسلمين الصعافيق متابطين اوعية ملأى
بالماكل حاملين اطباق الفواكه والثمار كأنهم خارجون الى نزهة
او فرجة . ولكنهم مشاؤون الى السلب والنهب والخطف . الله
وحده يعلم سرهم ونجواهم . قد دنوا من القافلة واكتنفوها اخترق
قوم منهم الصفوف للتفتيش والبحث

انظر النصارى الارمن في حال يرثى لها مفترشين الارض ليستريحوا
من تعب الطريق . قد اجهدهم الجوع وجد بهم العطش يتالمون
ويتلعلعون يطلبون البلوغ الى الماء ليرووا ظمأهم فلا يؤذن لهم الا
بعد قبض شيء من الدراهم . لا يكاد يصل الواحد منهم الى النبع
ويتقدم ليجرع جرعة حتى يقبض فتاتيه الضربة فاللطمة فالرفسة
فالموتة . يلتمس نفر كسرة خبز فلا يذوقها الا ممزوجة بالزقوم

وصل اليهم اصحاب الخير والمروءة ليبيعوهم شيئاً مما استحضروا

ــ قواكم الله يا نصارى . الحمد لله على السلامة يا ارمن

ــ مرحباً بكم يا اسلام . ما عندكم من القوت والثمار

ــ الرغيف بمجيدي ابيض ــ حفنة الزبيب بعشرة قروش ــ التفاحة بقرش ــ الاجاصه بقرش ــ سعر محدود ــ لا يقبل اعتراضاً ــ الاسعار متهاودة ــ جرعة الماء بخمسة قروش ــ كلوا واشربوا هنيئاً مريئاً . انما جئنا اليكم مشفقين عليكم لنسد جوعكم ونسليكم ــ وان شئتم استصحبنا الى بيوتنا جماعة منكم

الاحظ وجوه المسلمين ونساءهم متغلغلين وسط النصارى الفائضة عيونهم بالدموع والمحشوة قلوبهم من الاكدار . ينتقون منهم من ارادوا دون مانع . يتخيرون من استحسنوا من الاطفال والاولاد والنساء ولاسيما الفتيات . يضطرونهم ان يجحدوا دينهم فلا ينجحون يعدونهم بالنجاة من القتل ان وافقوهم فلا يفلحون . فالنصارى على شدة عناهم وشقاهم يظهرون بسالة غريبة ونبالة عجيبة ويقولون لهم ما نحن بتاركي الاهنا وجاحدي ايماننا . اختلسوا واسلبوا واخطفوا واقتلوا . طوحونا في الصحارى . القونا في الآبار . فانا لائذون بالصبر الجميل حتى يحكم الله لنا وهو خير الحاكمين

اليك نبلاء البلد قد اختطفوا عدداً صالحاً من الفتيان والفتيات من دون ان يمارضهم احد الجنود الحراس او ان شئت فقل الجنود الداعين الى الاختــلاس . اراهم راجعين يتجلقون . فقوم يردفون فتياناً على خيلهم وقوم يختطفون بنات قنعوا وجوهن كي لا يراهن اصحابهم الانذال فيتقاتلون عليهن . هذه حاملة على ذراعيهــا فتى

جميل المنظر تريد ان تتبناه لانها عاقر . وتلك قابضة بيدها على ابنة
تريد أن تستخدمها . هذا ملأ جيبه من الذهب والفضة وعاد مسرور
يضحك بملء شدقيه وذاك حمل ما طاب له من المتاع ورجع يقرقر
ويكركر . نزل هذا من دابته وحملها ما شاء وترجل . وذاك
ينهب الطريق ليصل الى داره قبل ان يشعر احد . هؤلاء يتخاطبون
في الطريق مبتهجين لا يملكون نفوسهم من الطرب لما نالوا من
الغنائم في اوجز مدة جاهلين ان ما جاؤا به هو سحت حرام . وان
الخائن كبر مقتاً عند الله

قد انكفئوا راجعين الى منازلهم يكادون يخرجون من جلدهم
فرحاً وقد امتلأ كيسهم وانجلى بؤسهم . تركوا من بقي من الارمن
تتقطع احشاؤهم لهفاً وتتساقط نفوسهم غمّاً واسفاً وانثنوا عائدين
يتدفق السرور من وجوههم — صبّر يارفيق النفس لننظر ما يضي
ونقف على النتيجة

اليك الجنود القساة وقد شدوا وطأتهم على الارمن ونهضوا
يضربونهم ويصفعونهم . قبضوا عنهم جناح الرحمة والجأوهم ان يمشوا
وقت الهاجرة لتطبخهم الشمس بحرارتها الوهاجة وتنهك ما بقي فيهم من
القوى . ها هوذا قد ساقوا قسماً كبيرا منهم وطوحوهم في مهاوي
التركمان — اسمع اطلاق القنابل عليهم وانظر عجاجهم وعجيجهم
صبوا عليهم سياط الالام وتركوهم جزر الحيوانات وعادوا . ها هوذا
يسوقون البقية الى البلد . الى اين يا ترى ؟ — الى الدير على
اسمع . اذاً فلنبادر الرحيل ولنعد الى منزلنا . كفانا ما راينا
لعمري لقد تمزق قلبنا واقشعر جسمنا وشملنا من الحزن والكآبة

اضعاف اضعاف ما شملنا من المسرة في اول وصولنا الى هذا المحل المشؤوم — لا يعزب عن فكركم ايها المنافقون والمنافقات ان الله العادل قد وعدكم نار جهنم خالدين فيها هي حسبكم ولعنكم الله ولكم عذاب مقيم [سورة التوبة ١٩٦] طالع ما سنكتبه عن دير مار افرام في الاعتكاف [ج ٣ : ف ٣٠]

الفصل الرابع والعشرون

غدر وخيانة . مصرع الفتى انطون معمار باشي

ما برح كبار الحكومة ووجهاء البلد يتشاورن ويتباحثون في مسئلة النساء النصرانيات حتى اتفقوا باجمعهم على سوقهن . فذاعت هذه الكلمة وشاعت ودبت الرعبة في الافئدة وايقنت النساء انهن سيصرن الى ما صار اليه الرجال . وتاكد لهن ذلك لما رأين قافلات النساء اخذت تتوارد من اعالي ارمينية كالقافلة الكبيرة التي اشرنا اليها سابقاً . وفي خامس تموز وصل الى ماردين طائفة من سيدات دياربكر الارمنيات تقلهن عربات النقل فذهبوا بهن الى دارا وذبحوهن باجمعهن . فهذه الحوادث وما شاكلها ادخلت الرعب على قلوب سيدات ماردين فارسلن الى بدري المتصرف غرّا بنت القصار لتقف على النتيجة فقال لها اجمعي مبلغاً كذا اعف عنكن . فجالت في البيوت وجمعت شيئاً كثيرا من الذهب حملته في الحقيبة الى المتصرّف ولكن القلق كان يزداد يوماً فيوماً

فاتفقت اذ ذاك شموني قرينة نعوم جنانجي وريجينا قرينة اسكندر آدم ووردة قرينة يوسف خوجا يونان وقصدن دار عبد

القادر باشا الحاج كوزه في سابع تموز يلتمسن منه ان يوقفهن على حقيقة الامر . او يسعى في نجاتهن والبقاء في بيوتهن . فما كان من الباشا الا ان زجرهن وانتهرهن وقال لا سبيل لي الى تخليصكن ارجعن من حيث اقبلتن ولا تعدن تأتين اليّ . واعلمن انكن ستسقن كالكلاب واذا بقيت منكن بقية فستطرد من بيوتها وتلزم الاصطبلات ويرتب لها المعاش اليومي الجوهري لا غير . فاستحوذ على السيدات المذكورات القلق والرعب وعدن الى بيوتهن مأيوسات واخذن في التاهب والاستعداد للرحيل

واليك ما روت لنا زيزف قرينة اسكندر حمال عن والدتها ريجينا قرينة اسكندر آدم لتتخذ من ذلك امثولة عما جرى لسواها من السيدات الارمنيات قالت :

لما عادت والدتي ريجينا من دار الباشا سرتُ اليها حالاً لاقف على نتيجة ما جرى فاكدت لي ان لا بد من سوقها وقتلها وقتل كنتيها وانجالها وجميع السيدات الارمنيات . فلبست ولبسنا معها السلاب واكبت تبكي وتنوح حتى نضحت خدها بوابل دموعها . ثم جمعت افراد الاسرة وكانوا احد عشر ودعتهم ليصلوا ويلتمسوا النعمة من رب السماء . وظلوا كذلك ثلاثة ايام بلياليها يعذب السهر اجفانهم ويؤلم الجوع ابدانهم . امـا والدتي فزادت على ذلك انها فرشت الرماد ولزمته مدة ثمانية ايام بلياليهـا . ويوم الاثنين خامس تموز اقبل ممدوح وهرون وعبد العزيز بك في ثمانية من عسكر الخمسين المتطوعين وقال لوالدتي اخرجي السلاح وادفعيه لي . وجعل يقضبها ويضربها وهي تقول وا ويلي من هـذا الزائر

الجائر الذي يتظاهر بالانس وهو فاجر كافر . ثم خلع ممدوح رداءه وعلق يضرب سائر من في البيت ويقول عليَّ بالسلاح والا قتلتكم جميعاً . فاكدت له امي ان لا سلاح عندها البتة . والتفتت تقول لذويها . اعلموا يا اعزائي انكم نزهة قلبي وقرة عيني فلئن صدعت ايادي الاثمة شملنا فاننا لا نبطأ عن الاجتماع في مقرنا الابدي فبحقي عليكم ضعوا الصليب الكريم على فوأدكم وجددوا وثيق ايمانكم ولا تفتروا من ان تقولوا : اننا نحيا ونعذب ونموت على ايمان يسوع . اما ممدوح فجال الحجر والغرف كلها ثم عاد الى امي يبالغ في تهديدها رغبة الحصول على ما توهم . فلما لم يجد عندها شيئاً خرج يضمر لها السوء واراد ان ياخذ فرس والدي لكنه اضرب عنها ساعةً وانصرف

واتفق ان ابن خالتي انطون بن انطون معمار باشي وعمره يناهز الخامسة عشرة وجد اثناء ذاك عند امي ريجينا يتعهد احوالها . فاستدعاه ممدوح الى مقام البوليس فضربه ضربات شتى واضطره الى ما لا يجوز ثم سار به الى السجن . وعصر الاربعا ٧ تموز استدعاه يقول اعلم يا هذا اني ساطلقك من السجن لخاطر والدك . ولكني لستُ اخلي سبيلك ما لم تحضر الي فرس اسكندر زوج خالتك . فاقبل انطون واخبر مالك عمه بما حدث له ثم راح يطلب الفرس من خالته فاستشارت خالته بطران السريان فاشار عليها ان تعطيه الفرس . فركبها انطون وسار بها الى ممدوح فرآه من رآه من النصبين فقالوا هذه رشوة يحاول ممدوح ان ياكلها وحده . فشعر ممدوح بما افتكروا واخذ الفرس وقال لانطون قد اصطفيتك لتجول معي

بمثابة ترجمان في بعض الدور . فسار معه الى دار جنانجي وشلمي
واستخلص ممدوح من البيتين ما طاب وتيسر له . وبعد هذا ارسل
انطون الى بيت ميخائيل كامل كنذير ان اعدوا لوازمه فانه الليلة
يسافر . فما لمح البوليس انطون حتى قبضوا عليه وساروا به الى مقام
البوليس فشعر ممدوح بذلك فبعث واطلقه وسرحه الى بيته

وليلة الجمعة تاسع تموز عند الساعة الخامسة ليلاً اذ كان انطون
نائماً في التخت خارجاً اقبل كبوشو الشهور يتبعه حقي صاحبه في
افتعال الشرور ومعهما خشبة ضخمه وضعاها على الحائط وركباها
متعرشين بها حتى وصلا الى سرير انطون فاوقدا كبريتاً فانتباه ونبهاه
وقالا له هلم الساعة فان ممدوحاً يطلبك . فنهض انطون مذعوراً
ولبس ثيابه وتبعهما . وعند الصباح سارت في طلبه ابنتا عمه ملك
فقيل لهما ان قد ساقوه فقصدتا دار ممدوح . فتجاهل وقال كيف
تقولان ساقوه . ومنو الذي ساقه ؟ فاذا كان ذلك صحيحاً فها انا
مرسلٌ خيالاً ليرده . وما عتم ان اصدر ممدوح الامر بسجن الذي
اذاع ان قد سيق انطون . اما ملك عم الشاب فرفع الدعوى الى
بدري فحولها الى ممدوح فسارت ابنتا ملك لتقفا على النتيجة فضربهما
الضباط وزجروهما . ويوم السبت ١٠ تموز وافى معاون القومسير الى
دار ملك معمارباشي يستنسر عن انطون متجاهلاً ويقول ان عليه دعوى

وحقيقة الواقع ان محمد كبوشو وحقي سارا بانطون الشاب
اللطيف الى باب الصور واطلقا عليه الرصاص وقتلاه وعادا فاخبرا
ممدوحاً بما اقترفا فلم يصدقهما الا بعد ان رجعا فحزا هامته وحضرا
بها اليه ولما استحقها سر قلبه الخبيث وطاب نفساً . فغدا مثل ممدوح

وانطون مثل افعى يطعمها المرء ويكرمها ثم لا يكون منها الا اللدغ

اوردنا ههنا حادثة ريحينا آدم وحادثة انطون معمار باشي ملمعين بذلك الى ما جبل عليه الوجهاء والمنصبون من اللوم والغدر والخيانة وقد جاء في القرآن " هل انبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افاك اثيم . ان الله لا يحب كل خوان كفور [سورة الحج]

الفصل الخامس والعشرون

قافلات النساء القادمات من دياربكر ٥ - ١٥ تموز

ومذ خامس تموز اخذت قوافل النساء والاولاد تتوارد من دياربكر ونواحيها طبقا بعد طبق فكان اعداء النصرانية يبادرون مسرعين وينتقون الحسان من فتيات وفتيان ويخطفونهم ويمضون بهم الى بيوتهم ويذهبون بالبقية الى دارا ونواحي ويرانشهر وراس العين فيعرونهم ويذبحونهم ويلقون الجثث في المغاور والابار ويحتوون على الاسلاب من الحلي والثياب ويعودون

وروى لنا الكثيرون ان داود بن خضر افندي احد الجلادين الثمانية الذين اصطفاهم دعاة الكفر والنفاق لانزال النكال بالحريم والاطفال قال متشدقاً ذات المرار: اني لما كنت اعري النساء والفتيات والفتيان واجلدهم فوق آبار دارا وفي مغاورها كنت احسو في كل فترة شيئاً من دمهم ليزول عن راسي الدوار واستجمع القوى لاواصل العمل . تامل يا هذا وتبصر وانظر الى اي حد يتصل الانسان من الخبث والفظاظة واحكم بما يستوجبه

وفي ٨ تموز وافت الى ماردين قافلة ثانية من نساء دياربكر راكبات

عجلات النقل فسارع اليهـا الانذال وخطفوا منهن من استحسنو
واستحوذوا على الحلي والثياب وركبوا الفواحش قدر مـا اشتهوا
من ذلك ان صادق بن علي النزي خطف فتاتين جميلتي المنظر ولف
راسيهما بزطين حذر ان يراهما سائر اصحابه ومضى بهما الى بيته او
ان شئت فقل الى ماخوره وارادهما عـلى المنكر فابتا كل الاباءة
فحنق عليهما وسار بهما الى جنوبي البلد فعراهما واوثقهما وركب
منهما المنكر قسراً ثم قتلهما عند صهريج شاق التين وتابط ثيابهم
وانقلب راجعاً الى بيته وكانت عيون نصارى الحي تلحظه. وعنـد
الصباح سار حنا منصور السرياني الى المقطع ليشتغـل مع الحجارين
فراى الجثتين ملقاتين على الحضيض وبالقرب منهما صليبين مكسورين
وكتاباً ارمنياً ممزقاً فاستدعى فرنسيس صاني وحفرا لهما ضريحاً دفناهم
كلتيهما . وكان يشاهد في كل اصبوحة جثة او جثتين فيدفنها

وباراه في الفحشاء والخشونـة والقسوة حجانو بن خلفو الذي
خطف من تلك القافلة عينها فتاتين جميلتين واخذ منهما سبع ليرات
وشيئاً من الحلي واكد لهما انه يصونهما ويحقن دمهما ويدرأ عنهما
كل ضيم. غير انهما ما باتتا عنده ليلتين حتى مضى بهما الى البلسيق
واخذ معه سفوداً ثقب بـه قدميهما كلتيهما وسلك الحبل في تلك
الثقوب واوثقهما وعراهما وركب منهما الفاحشة ثم جعل يجرُّهما
بشراسة على تلك الصخور الصلدة حتى ترضضت عظامهما وتكسرت
وأغمي عليهما ـ افتح اذنيك يا انسان واسمع ـ وما كفاه ذلك
بل انتقى حجراً كبيراً كفخ به هامتيهما وفسخهما وعاد بالغنيمـة
الى داره ـ انفتحي ايتها الارض وابتلعي هولاء الارجاس الانجاس

المتهتكين الخالعين

وحضرت قافلة ثالثة من دياربكر في عربات النقل ايضاً بلغ عددها نيفاً واربعمائة . ولما وصلوا الى خانكه جزموا ان يفصلوا الفتيان والفتيات من امهاتهم . واتفق ان جميلة بنت بطرس حكيم الكلداني قرينة ارموش (ارميا) ابن سعيد حداد السرياني بادرت الى عربة اولادها لويس ورحيم وماري وعانقتهم والدموع تتساقط على خديها وودعتهم . فساقوها مع صواحبها الى محل قريب وفضحوهن وقتلوهن . اما ماري فافرزوها من اخويها وضموها الى سائر الفتيات واحضروهن الى ماردين واقتسموهن قسمة ضيزى . فوقعت ماري في حصة رجل يقال له صالح فدفعها الى امرأته لطيفة فمضت بها الى بيته اما عزيز اخو صالح فخطف ابنة اسمها روزا عمرها اثنا عشر ربيعاً . وبعد ان اقامت كلتاهما في دار صالح وعزيز حولاً كاملاً استاذنت روزا في الذهاب الى دياربكر واخبرت كدار جدة ماري بامرها فدفعت لصالح عشرين ليرة ذهباً فاوفدها الى دياربكر ورجعت روزا الى ماردين واستمرت عند عزيز

ثم وافت قافلة رابعة كان اغلبها من اهالي ماردين عرفنا منهم عبد المسيح كركوش وامرأته وابنه وصمموا ان يسوقوهم مع البقية فلاذ عبد المسيح بالسيد جبرائيل مطران السريان فاستحصل الامر بنجاته . اما البقية فمضوا بهم الى نواحي ويران شهر وقتلوهم والقوا جثثهم في الآبار — وعلى هذا النسق افتعلوا في جميع قوافل النساء المسيحيات وفيما ذكرناه كفاية

الفصل السادس والعشرون

انقضاض البزاة على العذارى المحصنات

لزمت الحمامة مقصورتها خائفة مذعورة وفي صدرها نجية اسهرتها وفكرة مزعجة دوختها واسكرتها فراحت تعلل فوادها العليل بالاسى والصبر الجميل واستدعت صغارها وطفقت تناغيهم وتشدو لهم الاغاني المحزنة وتنشي لهم المراثي المرة الوجعة وتذكرهم بما صار اليه آباؤهم واخوتهم وتوصيهم ان يرفعوا حميم الدعاء الى المولى العطوف ليخفف عنها وعنهم وطأة سخطه ويرد سيف النقمة الى غمده وما برحت تطوي الليالي على تلك الحال حتى خامس عشر تموز فانطبق عليها من كل فج البزاة الانذال يبغون الغوائل لها ولانجالها ورضعانها ويحاولون اختلاس حليها واموالها واستباحة دورها وجميع املاكها. فانخلع قلبها وخفقت احشاؤها ورجفت اعضاؤها ثم افاقت واستجمعت قوى جديدة والتفتت تستطلع الاعداء طلع الامر فقالوا انهم مقبلون ليخرجوها من خدرها ويسلبوها مالها وحريتها ويطوحوها في الفلوات وينزلوا بها وباولادها الشرور والعذابات

وما دخلوا على الحمامة وصغارها حتى شهروا عليها وعليهم السيوف البتارة والسهام النافذة وهم يقولون لها غادري الساعة خدرك يا رائعة المحاسن . ابرحي وكرك يا جارية فرهاء وامتثلي الاوامر يا عذراء نجلاء . فاننا اقبلنا لنخطف زهرة عفافك ونسلب قلائد فخارك ونشبع ابصارنا من روئية محياك الفتان ونتصرف بك كما يشاء الهوى ويوسوس الينا الشيطان . ذري حليك وجواهرك ودعي

مصوغاتك ولآلئك فاننا نوصلها اليك ...

فنهضت تلك السيدة الحصينة والحماسة المسيحية آخذة منها كل ماخذ وقالت لهم . يالله ! اين الانسانية واين المدنية . اين المبادئ الدينية والاصول الشرعية . اين السنن العادلة والحقوق المرعية . اما قيل لكم « لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم [سورة النور] وبعد قليل « فان لم تجدوا فيها احداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم . وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم » اذن من اذن لكم ايها السفلة ان تخطوا هذه القصور الرفيعة وتخرقوا هذه الحصون المنيعة . ويحكم من احل لكم ان تهجموا على الحرائر المخدرات وتلجوا اخدار العذارى المحصنات وتفزعوا افئدة الفتيان والفتيات . ترى من اصدر هذه الاوامر الغريبة . من افتى هذه الفتاوى الجائرة الخبيثة . اهذا مبدأ يرجع اليه . اهذا شرع يعول عليه . لا بارك الله في مبدأكم وشرعكم . لعمري ان اوامر كهذه لا يصدرها الكفرة ولا الهمج بل لا يجمع عليها اسافل الناس وسقاطهم . اعلموا ان عملكم هذا عمل بربري يأنف منه الطبع البشري ويأباه التمييز وينفر منه كل ذي لب . عملٌ يستوجب مقترفه افظع عقاب واشنع عذاب . عمل اذا ما سطر على صفحات التاريخ استبشعه كل من طالعه واستشنعه كل من سمعه . واستغلظه كل اديب واستفظعه كل اريب فصاح من فوره فليقتل الجاني والطاغي ولينكل به . فليعذب الآمر والمنفذ وليمحق اسم هذا وذاك من على الارضين وليخسف في بلاليع العدم وليرد اسفل سافلين

ليت شعري اما بينكم احد ذو نخوة وحمية يكف عنا شر هذه البلية . اما فيكم انسان ذو انفة واريحية يمنع عنا هذه الرزيئة اترضى الحكومة ان تنتهك اعراضنا . ايروقها ان تسفك دماؤنا ايعجبها ان تسلب اموالنا . والا فكيف ادت بكم القحة والجسارة الى الدخول علينا على غرارة

– قدكِ سفاهة يا نصرانية . الزمي السكوت يا سليطة . واسرعي الى الرحيل ولا تتشبثي بقال وقيل . فاليوم لا مبدأ ولا شرع ولا ولا . . . بل الظلم والغدر والسيف والسلب . . اذا غادري دارك انت وانجالك . لا حاجة ان تاتي بقوت لغذائك او تحملي ذهباً وفضة معك . فانك متى وصلت الى حلب عند قرينك او ابنك ? رأيتِ كل ما يسرك

– لكني عرفت ان قريني وشباني قد قضوا منذ اسابيع معدودة بالقرب من هذه المدينة المنحوسة فما لك تموه علي الكلام

– غضي صوتك يا كذابة وعجلي بالرحيل لتلحقي سائر صواحبك والا ضربتك ضربة قاضية وفتكت بك ههنا

ولما استيقنت الحامة ان لا مندوحة لها من الخضوع للاوامر الاعتدائية استودعت الحكم لله العدل القهار الذي « يقص الحق وهو خير الفاصلين » [سورة الانعام] وتاكدت ان باسه لا يرد عن القوم المجرمين [سورة يوسف] ثم التفتت الى صغارها تقول لهم لا يشرد عن ذهنكم يا اخوتي واولادي اننا انما وردنا الحياة الدنيا لاستحصال حياة اسعد واعذب : ما خلقنا للبقاء في دار الشقاء بل للارتحال الى دار الهناء والصفاء . الا بحق عليكم لا تيأسوا ولا

تفشلوا فان ربنا معنا اينما توجهنا — اذن يا بناتي وكناتي المحبوبات توشحن ثيابكن الناصعة البياض عربوناً لطهارتكن . واشددن احقاءكن بدرع القوة تاييداً اديانتكن . ودسن باقدامكن مجد الدنيا وزهوها وانبذن ظهرياً لذائذ الحياة ونعمها وبادرن الى الاستشهاد حباً لمن قضى على الصليب لاجلكن فقيراً عرياناً لغير ما سبب . اي بناتي وكناتي العزيزات تشجعن ووشحن هيئتكن الانثوية ببسالة رجلية ولا تبخلن بانفسكن فانكن لستن خيراً من رجالكن وابائكن ورؤسائكن

فهبت اذ ذاك عذارى الفادي الخواصن وتدرعن بالبسالة والنبالة ونسين شعبهن وبيت ابيهن . تركن الاطواق الذهبية والقلائد الثمينة والحلل الحريرية واتخذن بيمينهن شمعة الديانة وبيسراهن زيتونة الامانة وغادرن مقصورتهن جذلات محبورات وفي اثرهن العذارى الغواني مبتهجات وهن ينشدن اهازيج الفرح مسرورات موقنات انهن خارجات الى زفاف عريسهن الحمل الطهور

فلما رآهن خدمة العريس في تلك الهيئة اخذوا يتساءلون . من هولاء اللابسات الحلل البيض ومن اين اتين فقيل لهم : هن اللائي اتين من الضيق الشديد وقد غسلن حللهن وبيضنها بدم الحمل . . فلا يجعن بعد ولا يعطشن ولا تأخذهن الشمس ولا الحر البتة . لان الحمل الذي في وسط العرش يرعاهن ويرشدهن الى ينابيع ماء الحياة ويمسح كل دمعة من عيونهن (رؤيا ٧)

فيا هنيئاً للعذارى الورعات اللائي بذلن دماء اعناقهن حباً لدينهن

وكلفاً بعريسهن وهنّ يقلن « لتمت نفسنا موت المستقيمين. ولتكن آخرتنا كآخرتهم (عدد ٢٣ : ١٠)

الفصل السابع والعشرون

سوق نساء القافلة الاولى

لم يتيسر للمسيحيين الباقين ان يكفوا اعداء الانسانية والدين عن مواصلة شغلهم ويتزلوهم عن نيات قلبهم في شأن استياق النساء وكثيراً ما التمسوا بالحاح ولجاجة من اولياء الامر ان لا يمدوا اليد اليهن فحسبوا التماسهم لغواً . وليلة الخميس ١٥ تموز احاط الجنود بدور اغنياء الارمن ووجهائهم فدخل الى دار كل منهم رجل في يده ورقة نشرها يقرأ ان قد ورد تلغراف عن السيد اغناطيوس مالويان بامضاء كرمه بنت لولي مخو مفاده « وصلت سالمة الى دياربكر لا تقلقوا من جهة المطران فانه موقوف بعدُ في دياربكر » فنفر صدّق الاكذوبة والاغلب كذبوها . وبعد مضي ساعتين من الليل اذاعوا ان قد وردت الرسائل البرقية من رجال الارمن يطلبون آلهم الى حلب . فازداد القلق والاضطراب . ولكن الحاذقات النبيهات استيقن ان قد حان الوقت للرحيل . فارسلت السيدة شموني قرينة نعوم جنانجي تقول للسيد جبرائيل مطران السريان المجاورة غرفته لدارها : اننا مستعدون للرحيل باجمعنا فاسالك متى شخص الجنود ليخرجونا من دارنا ان ترفع يمينك وتباركنا وتدعو لنا بالتاييد والانتصار. وعند نصف الليل اوقدت السيدة شموني الشموع فاستدل المطران انها وجميع من عندها مستعدون لقبول الحل الاخير. فنهض

الراعي المحبوب والفاهم راكعين يصلون فقرأ عليهم صورة الحل وباركهم وودعهم وهو باك . وقبل الفجر اخرجوا السيدة وجميع الاسرة فلحظهم السيد جبرائيل من الكوة وكرر لهم الادعية وودعهم . فخرجوا بلفيفهم وساروا الى شرقي المدينة ينتظرون البقية

واحاط الجند كذلك دار شلمي فاخرجوا جميع من فيه ثم قصدوا دار بوغوص الكبيرة فاذا بالنساء اجمع حاملات الشموع لابسات الثياب البيض نازلات الدرج جذلات . فتعجب الجنود من ذلك وقالوا ما لكن خارجات كذلك كانكن سائرات الى حفلة عرس شائقة . فقالت لهم الام . اتجهل اننا مستعدات الخروج الى لقاء العريس الحبيب الذي ينتظرنا . ترانا لذلك حاملات المصابيح النيرة حتى اذا شاهدنا الختن مستعدات فتح لنا الباب وادخلنا بترحاب فانذهل الجنود من تلك الشجاعة . وقالوا لا يتيسر لاحد ان يزحزح النصارى عن مباديهم ولو ذاقوا الامرين

ثم ساروا الى دار كسبو وامروا بخروج الجميع دون استثناء . وقصدوا دار جرما وفعلوا كذلك واستاقوهم قاطبة الى باب الصور يقولون ان ثمَّ جحاشاً وحميراً وعجلات للركب وحمل الاثقال . ثم ذهبوا الى بقية دور الاغنياء والشرفاء وقصدوا دار السيد اغناطيوس مالويان وفعلوا ما فعلوا بالدور السالفة الذكر . وقد شاء الله سبحانه بتدبير رباني ان تفلت من تلك القافلة حنة قرينة مال الله شقيق المطران اغناطيوس مالويان . ولما حضرت الى ماردين استدعيناها فقصت علينا ما جرى لها وللنساء بنظام وترتيب . واليك التفصيل باوجز ما يكون قالت :

ليلة الخميس ١٥ تموز قرع الباب احد الضباط[١] يقول ان معه نبأ من السيد اغناطيوس الى الورتبيد اوهنيس بوطري - وكان الورتبيد في دارنا مذ عشرة ايام - فانشر الورتبيد ذلك النبأ فاذا بـه تقول كرمه بنت لولي مخو » وصلنا سلامة لا تقلقوا من جهة المطران . فانه موقف بعد في دياربكر » فمنـا من صدقه ومنا من كذبه ودفعنا مجيدين للضابط فذهب . وعند غلس الخميس راينا اربعـة جنود عـلى كل باب جنديين واقفين . واتفق ان مسئلة التلغراف شاعت في البلد فجعلت النساء تتوارد الى دارنا للوقوف على الحقيقة . وحُرِّج عليهن الخروج منها حتى العصر . فجاء اذ ذاك جماعـة من قبل الحكومة لا ادري منهم سوى توفيق الانصاري فقالوا . يلزم ان تستعدوا جميعاً للرحيل . ثم كتبوا اسماءنا فكنا عشرين مع الورتبيد . واطلقوا الحرية الزائرات فرجعت كل الى بيتها

واستتلى كبيرهم يقول لنا . ان رجالكم اليوم موجودون في حلب وقد ارسلوا في طلبكم فلا بد من انجاز رغبتهم . غير اننا ننصح لكم ان تدفعوا لنا ما عندكم من الحلي لؤلؤاً وذهبا وفضة لاننا نخاف ان ان يغير عليكم شذاذ العرب والاكراد ويسلبوكم اياها . فالخليق بكم ان تستودعونا اياها لنصونها لكم في صندوقنا الامين ? ونحولها اليكم في حلب . فدفعنا لهم صليبين وخاتمين وساعة ذهبية وسبحة كهرباء ثمينة . ثم جمعنا ما عندنا من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة حتى امتلأ الصندوق . فاخذوا ذلك كله

(١) هو ابرهيم الحربوطيّ مأمور التلغراف ناشر الاخبار الزورية الذي قصد دور الاغنياء ونمق لهم الاكاذيب واستحصل منهم الهدايا الوافرة

وقالوا لنا: خذوا معكم ما يكفي لقوتكم يومين لانكم سائرون في طريق ويران شهر . قالوا هذا وانقلبوا راجعين بالصندوق الى دار الحكومة

وفي فجر الجمعة ١٦ تموز اقبل عشرة جند وعدونا واخرجونا ومضوا يحفون بنا حتى وصلنا الى باب الصور وانضممنا الى سائر النساء والرجال . يكتنفنا ستون جندياً نصفهم خيالة من الوجهاء والمنصبين ونصفهم رجالة . اما نحن فركب بعضنا ومشى البقية حتى وصلنا الى تل يبعد عن المدينة زهاء ثلاث ساعات لا ادري ما اسمه . فأمرونا بالجلوس هنيهة لنستريح . وجعلوا يستدعون اربعاً فاربعاً يفتشون ما عندهن حتى افضت بهم الهمجية والمطامع فحلوا قمط الاطفال وفتشوها واحدا واحدا . واخذوا ما بقي عندنا من الحلي والفضة وملأوها في الحقائب وانكفئوا الى المدينة . فلم يبق معنا سوى قوم منهم ومن الضباط والعسكر الخمسين ثم امرونا فنهضنا واخذنا نغذّ في السير حتى شارفنا تل ارمن . فتعبت السيدة تريزيا حماتي والدة السيد اغناطيوس وكلت عن المشي . فوافى احدهم يقول دعوها هنا الليلة وفي الغد تلحق بكم . فسار معها اثنان منهم قدر رمية حجر وما لبثا ان رجعا فتحققنا انهما قتلاها . اما نحن فبتنا ليلتنا تلك في ضواحي تل ارمن

واتفق ان مرّ بتلك الطريق سليمان نظيف بك ابن سعيد باشا الآمدي المشهور بمكارم الاخلاق ومحاسن الخلال فعوّل على استحياء بعض النساء واستخلاصهن من براثن اولئك الذئاب . وكانت غايته على ما اكد ان يمضي بهن الى مقره ويدرّ لهن الارزاق والمعايش

ريثما يخبو سعير الحرب الضروس غير ان ممدوحاً لعنه الله تصدى لسليمان بك وعرض عليه اوامر رشيد الخبيث الناطقة بوجوب سفك دماء تلك القافلة قاطبة دون استثناء البتة · فقال له سليمان بك · لا يخفاك اني انا ايضاً والٍ ولي من المقام ما اواليك رشيد فذرني انجز رغبتي واحقن دماء من يتيسر لي من هولاء المسيحيين المنكودي الحظ · فما كان من ممدوح الكافر الا ان عربد عليه ساخطاً وقال له اعرض عن رايك والا امرت الجنود ان يقبضوا عليك ويسوقوك قسراً الى دياربكر مخفوراً · فصمت سليمان بك مندهلاً من توحش ممدوح واصحابه وانصاع الى خيمته مستودعاً الامور الى الواحد العدل القهار

وصباح السبت ١٧ تموز امرنا الجنود بالتاهب للرحيل فنهضنا من ساعتنا وسرنا ومررنا بسوق تلّ ارمن فكبسنا الاكراد الاجلاف وحاولوا ان يخطفوا الفتيات والرضعان من احضاننا فاطلق عليهم العسكر البنادق فتضاربوا وتقاتلوا ساعةً ونحن في القلب ولم نصب باذى حتى بلغنا قرية تدعى عبد الامام

وعند الظهيرة وافى الينا ابن ابرهيم باشا في رجاله وعثمان آغا صاحب عبد الامام واحتفوا بنا · ومكثنا في تلك القرية حتى العصر مطمئنين النفس بالرحيل الى ويرانشهر غافلين عن ان الذين حضروا ما حضروا الا لتهيئة الحفائر واعداد المقابر · وقصد ابن الباشا من كان معنا من الرجال كبطرس جناجي وشكر كسبو وفتح الله شلمي وبولس مخولي بوغوص وابن نعوم جناجي والورتبيد اوهنيس وجعل يخاطبهم بما فطر عليه من الدهاء ويلثمهم بكلامه ويعللهم بالرحيل والنجاة معاً

الفصل الثامن والعشرون

مذبحة نسوة القافلة الاولى من ١٦–١٧ تموز

غير انه قبل الغروب عاد ابن الباشا فيمن معه واستدعوا الورتبيد والرجال الومى اليهم فقاموا اليهم وتبعوهم · فطفقوا يعرونهم وانا اراهم ثم اركبوهم عربة وهم عراة وساروا بهم الى الحفرة القريبة فذبحوهم ورجعوا · وعند ذاك ارتفعت الاصوات وارتجت القلوب ودبّ الفشل فينا جميعاً · فتهددونا بالقتل او نسكت · ثم جعلوا يستدعون اسرة فاسرة يعرون النساء والبنات ويركبونهن العربة الى الحفرة المعهودة فيقتلونهن ويرجعون حالاً · وكانوا قبل القتل يخيرون من اراد الاسلام شفقة عليه · يا للظلمة الكفرة · غير ان الياور اعلن قائلاً قد صدر حكمٌ جزمٌ وامرٌ فصل بقتل الجميع دون استثناء · اما الاكراد فلشديد شبقهم ومزيد حقدهم جعلوا ينتقون من البنات والاولاد الصغار من استحسنوا واستطابوا · ورايت ابن الباشا قد قبض على روزا امراة شفيق ادم وعلى سبع بنات غيرها فما تماسكت روزا ان رفعت صوتها والتفتت تقول للضباط · « ما بالكم يا هولاء صامتين علامَ لا تحرجون على هولاء الاوباش ان يخطفونا · اما قلتم انكم لن تبقوا على واحدة منا فهلموا انقذونا من يد هولاء الانذال الارجاس واذبحونا كما امرتم » فسارع الضباط وتلقفوها وضموها الى البقية · غير انهم تركوا منيرة بنت الخواجا يونان قرينة فتح الله شلمي بيد اولئك الاعلاج فاستاقها الشيخ طاهر الانصاري الى مكان قريب وارادها على المنكر فلم تطعه ونهج

لها لتسلم فلم تجبه فسخط عليها وقتلها وعاد بثيابها

اما السيدة شموني قرينة نعوم جنانجي فما كادت تغيب عن عياننا حتى نشموا يعرّونها ويعرون الانثي معهــا فما تمالكت ان صاحت باعلى صوتها وقالت لهم : قبحاً لكم ايها الخالعون ما لكم تغصبونا على ما لا يجوز . كنا نظنكم اصحاب دين وانفة ورحمة وشفقة ولكنه تاكد لدينا ان لا دين في صدركم ولا انفة عندكم . والا فمن حلل لكم ان تعرونا . أما تقولون ان اعراض النساء اعراض السلطان من مسها مس السلطان . فما لكم اذاً تقترفون ما لا يحلّ انكم في الحق غليظو الرقاب متوحشو الطباع منغمسون في ردغات المخازي منصبون على الفحشاء والنجاسة مع انه تعالى « يامر بالعدل والاحسان وايتــاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون [سورة النحل] فتباً لقلوب ما سلّم عليها اللين ولا ولجتها رحمة ولا عرفتها رقة — ثم استتلت تقول قد صدر الامر بقتلنا فاقتلونا غير مكشفات واخلصوا من وجوهنا ولا تنتهكوا اعراضنا . فحنق عليها الملّا خليل وقال لها اصمتي يا سفيهة انــا عرفنا وتحققنا انك خائنــة . . . فقاطعه الياور واصدر الاوامر الى الاجلاف ان يدعوا بقية النسوة مستورات فاستاقوهن بقمصانهن الى البالوعة واعملوا فيهن البنادق والسيوف والخناجر والعصي وذبحوهن وقتلوهن دون رحمة وشفقة . وظلت امينــة بنت سعيد مخولي بوغوص ما بين دواليب العربة مغمياً عليها فظنوها ميتة وتركوها في موضعها

واخر الجميع استدعوني لي ولجميع آل السيد اغناطيوس مالويان

الى مكان المذبحة فرأينا اولئك الكفرة يجرون جثث القتلى وهي مخضبة بالدماء الى تلك البالوعة فيكفتونها فيها ويعودون. فلما بلغت نوبتي عرضوا علي الاسلامية فانكرت عليهم ذلك ووضعت ابنتي ازنيف في الارض امامي وضممت ابني البير الصغير الى حضني وتأهبت للعذاب . فالحوا علي ان اسلم وانجو فلم ارض . فطفقوا يضربوني بخناجرهم زهاء عشرين ضربة حتى أُغمي علي وغبت عن حسي وما عدت اعرف احية انا ام ميتة . ثم سحبوني من قدمي والقوني عريانة فوق الجثث . وبعد مضي ساعة انتبهت فلم ارَ طفلي آلبير اما ابنتي ازنيف فكان صياحها وهي على ذراعي العربي يجرح قلبي . وكنت اسمعها تقول : اريد الذهاب عند امي . فحرت في امري وفاضت احشاي تعطفاً على ابنتي وامسيت كالمجنونة لا ادري اين انا وماذا اصنع . وكان اولئك الاشرار الكفرة قد انكشفوا عنا ولم يبقَ سوى عربي واحد وجندي واحد. فقال هذا لذاك هلم نوقد مصباحاً نفتش عمن هي حية لنقتلها . فسارا الى احدى النساء وهي على اخر رمق ليقتلاها فاذا بها تقول لهما ان عفوتما عني اعطيتكما عشر ليرات . فحلا ضفيرتها واخذا المبلغ وقتلاها. والما وصلا الي التمست منهما ان يطلقا لي الحرية لاذهب عند ابنتي . اذ كان انينها يزعجني جداً ويولمني . غير ان العسكري ضربني على فلق راسي ضربات شتى حتى غبت عن وجدي ثانية فتركني يظن اني متّ وانصرف

وبعد مضي ساعة افقت تكرارا وسمعتُ انين ابنتي وهي مع رجل عربي اسمه جمعه فاستدعيته وقلت له : خلاك الله خلني واصحبني مع ابنتي الى بيتك . فقال أانت بعد في قيد الحياة . قلت لا ادري

ارجوك ان تاخذني اليك . فدفع الي عباءته فتسترت بها وتقفيته والدماء تتدفق من راسي وجسمي كله حتى وصلت معه الى قرية عبد الامام ولما دخلت الى بيته فرش لي ولابنتي فنمت حتى الصباح فاقبل الجيران يقولون لجمعه اذهب بها الى موضع صواحبها واقتلها. فقال بل تبقى في جناحي وحمايتي . ثم انصرف الى المقتلة ينبش الجثث فعثر على اربع ليرات فرجع بها مسروراً وقال قد عولت ان اعالج هذه المرأة حتى تستصح وتعود لها القوى . فاشترى خروفاً وذبحه ولفني بجلده اربعاً وعشرين ساعة ثم غسل جسمي واستحضر نوعاً من العلك ودواء آخر مزجه بالسمن البقري ودهن به جسمي وزاول ذلك مدة ثمانية ايام حتى اندملت جراحاتي وثابت اليّ قوتي ولم اخرج خارج بيته الى اخر كانون الاول ١٩١٥

الى هنا ما نقلته لنا حنة المذكورة التي حضرت الى ماردين في عاشر تشرين الاول ١٩١٦ وافادنا عبد المسيح سفر مختار السريان بماردين انه في تشرين عام ١٩١٥ سار في جملة من العملة الى عبد الامام وقصد المقتلة فاذا هي عبارة عن وادٍ منخفض الى جانب نهر الزركان ممتلئة كلها من الجثث فيها عظام بلحومها وقد جفت ونشفت

على هذا المنوال جرت مقتلة الورتبيد والرجال والسيدات والاطفال والرضعان الماردينين يوم السبت سابع عشر تموز وبلغ عددهم نيفاً ومائتين وستين . وغدا تذكار قتلهم واستشهادهم مثالاً لمن بقي منهم جليلاً يتباهون به مفتخرين . ويصرفون جهدهم في الثبات والغلوّ نظيرهم بالدين المتين . ويقصدون ان يخلدوا ذكرهم الطيب

في قلوبهم ويتناقلوا محاسن اعمالهم وحميد خصالهم هم وجميع ذراريهم على تتالي السنين

اما انت ايها الاخ المسيحي فلتجد عيناك بالدموع على اللاءي كن عفيفات محصنات لازمات اخدارهن في حياتهن وقد حصلن وقت قتلتهن في الفلوات شريدات طريدات معريات

ونختم هذا الفصل المؤثر المفجع بما كتبه احد ايمة المسلمين قال واجاد : يا لله ! ماذا فعلت النسوة والصغار ؟ هل حاربوا الاتراك ام هل قتلوا احدًا منهم . والا فما جريمتهم – جريمتهم انهم ارمن لا غير – اتعد هذه جريمة ايها المسلمون بالله عليكم فكروا قليلًا . ما ذنب هولاء التعساء . فلو فرضنا محالاً ان رجال الارمن كانوا اهلًا لهذه المعاملة فهل يجوز ان تعامل النسوة بهذه المعاملة التي تأبى الوحوش الضارية ان تعاملهن بمثلها . اما قال الله تعالى في القرآن الكريم « ولا تزر وازرة وزر اخرى » اي لا احد يجازى عن اخر والا فماذا فعلت النساء بل ماذا فعل الاطفال . اعند رجال الحكومة التركية دليل ولو ضعيفاً يجيز لهم هذا العمل البربري . كلا . . ايجوز لهولاء الاغرار الذين يدعون انهم هم اركان دولة الاسلام والخلافه وهم حماة المسلمين مخالفة اوامر الله . مخالفة القرآن . مخالفة الانسانية . والله انهم افتعلوا امرًا تأباه الاسلامية وجميع المسلمين وجميع امم الارض من اسلام ونصارى ويهود ومجوس . والله انه لامر فظيع لم يسبقهم لمثله احد من الامم التي تعد نفسها متمدنة

ونضيف الى ذلك ان القرآن يشهد للنصارى بانهم ذوو رحمة ورأفة فقد ورد في سورة الحديد « وجعلنا في قلوب الذين اتبعوا

عيسى رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله » افتجازى الرحمة بالقسوة والرأفة بالتوحش والعفة بارتكاب الفواحش . على انا لا نكتفي بذلك بل نضيف اليه ايضاً ما اورده ابو الفداء في تاريخه [جز ١ ص ٦٦] نقلاً عن جالينوس قال « يظهر من النصارى افعال مثل افعال من تفلسف بالحقيقة وذلك ان عدم جزعهم من الموت امر قد نراه كلنا وكذلك ايضاً عفافهم .. فان منهم قوماً رجالاً ونساء ايضاً قد بلغ من ضبطهم لانفسهم في التدبير وشدة حرصهم على العدل ان صاروا غير مقصرين عن الذين يتفلسفون بالحقيقة ... »

الفصل التاسع والعشرون

تتبع سوق النساء . اسرة معماربلشي ودقماق . فرض الفي ليرة على طائفة السريان . مذبحة الارمن عند نهر كوكو . بيع القوافل . شهامة عبد القادرجلبي الفاشوخ

ولما ذبح الاعداء اصحاب قافلة النساء الاولى ولم يذروا منهم احداً انقلبوا مسرعين الى البلد ليواصلوا العمل اذ كان ممدوح الخبيث يهيء لهم الغنائم سلفة فسلفه . واذاع انه معول على سبي نساء السريان الكاثليك اذ كان عارفاً ان لكلتا الطائفتين الارمنية والسريانية علائق مع بعضها وان اولئك يصونون عند هؤلاء شيئاً من ذهبهم واموالهم وامتعتهم فلا يبقى والحالة هذه لرجال الحكومة شيء . بناء عليه اصدر الامر يوم الاثنين ١٩ تموز الى اسرة معمارباشي ودقماق بالتاهب للرحيل . فدبت المخاوف في قلوب السريان وايقنوا

انهم سيهجرون وطنهم كاخوانهم الارمن

اما السيد جبرائيل مطران السريان فاكبت عليه الهموم واقلقته الافكار وبات ليلته تلك ساهدا يفتكر في انقاذ جماعته المحبوبة من اعتداء الاشرار فاوفد في طلب ممدوح ليتشاورا في الامر وقال له اراك قد اخلفت في كلامك فانك قلت لي في الامس ان نسوان السريان لن يهجرن وطنهن فما لك أجليت اسرتين سريانيتين بالرغم عن العفو الصادر في حقنا . قال ممدوح يلزم ابناء جماعتك ان يؤدوا الفي ليرة ذهبية والا تراجعت الامور الى ما كانت عليه وصدرت الاوامر بابعادهم كالارمن . فصرّح له الراعي النبيل بفقر ابنائه وعدم كفاءتهم وتيسر له بعد التيا والتي ان يقنعه بنصف ذلك المبلغ ما عدا ما ابتزه هو من الاسر المثرية على حدة كقولك اسرة جرباقه ونصري جمال ورفائيل جمال وتبسي وقاووغ الخ ففرض السيد جبرائيل على كلٍ مبلغاً وفوّض الى الاب نويس الغيور ليجول ويجمع الذهب سرًّا ويدفعه لممدوح وتمكن بتلك الذريعة ان يكفه عما اضمر من السوء والعدوان على السريان . غير انه بعد ما رحّل الاسرتين السريانيتين اقسم بالطلاق انه يرجعها ولكنه كذب كعادته واستاقها مع ثمانين نسمة وتبعتهم قافلة ثانية كان فيها الفتى يعقوب شلمي فقافلة ثالثة من جملتها بيت عين ملك وبلغ مجموع الثلاث نيفاً وثلاثمائة

وعند خروج القوافل من البلد كان ينزل ممدوح واصحابه وينتشون الاوعية والاحمال والثياب ويأخذون ما يصادفون من الذهب والفضة وسائر الحلي ويعودون . ولما وصلت القوافل الى دنيسر عند تل ارمن اغار عليهم اعلاج الاكراد واخذوا يطلقون الرصاص

ليهلكوهم كالذين سبقوا فاعترضهم القومسير وبلغهم ان الحكومة قد حرجت ذبحهم فانكفتوا راجعين الى قراهم وسار المسبيون الى راس العين سالمين وركبوا القطار الحديدي الى حلب[1] فوزعتهم الحكومة في بلاد سوريا كحمص وحماه وبعلبك وزحله والنبك ودمشق ومجدل الشمس وعينطورا (بلبنان) بل افلتت منهم قسماً صالحاً الى طفيله على طريق الحجاز . ذلك لتخلص من اعتدائهم على حقوقها وتحاملهم عليها اذ كانوا مزمعين ان يقوضوا اركانها الابدية القرار

وتواترت مذ ذاك قوافل النساء والصبيان من بلاد ارمينية الى جبال ماردين وبراريها ففي ٢٢ تموز على ما اخبرنا الياس بن حنا استيبو الارمني حشد الخصوم قافلة نسوة وفتيان وفتيات في بالو بلغت نيفاً واربعة عشر الفاً وفوّضوا الى الياس المذكور والى رفاقه اسكندر فروجي وجرجس حداد ويوسف شامية والياس فرا وغيرهم من السريان اليعاقبة ان يحرسوهم . ولما وصلوا بهم الى دياربكر ثار بهم جم غفير من العسكر الخمسيني وتكالبوا على البستهم واشيائهم واحاطوا بهم من كل صوب واستاقوهم جميعاً الى نهر كوكسو . وكانوا في كل مرحلة يفرزون منهم جماعة ويبعدون بهم ويقتلونهم

(١) اعلم انه لما وصلت النسوة المسيحيات الى حلب صادفهن كرتير ونيفاجه الطبيبان الالمانيان واستخبراهن عما جرى في بلادهن فأفدنهما عن ذلك فنشرا تلك الفواجع والفظائع بالطبع في المانيا فبادر اولو الامر واحرقوا تلك النشرات وارسلوا في القبض سرًا على الطبيبين الصادقين فتملص كرتير الى سويسرا واستيق نيفاجه الى الاستانة وشنق

ويعودون

ولما بلغوا بهم الى النهر المذكور انفجر عليهم عشائر الدنبلية والشيخانية والسراكجية والبارافية وجميع العشائر المتوطنة في براري دياربكر السوداء واختلطوا مع العسكر فاستلبوا اثيابهم وامتعتهم وخطفوا الفتيات والفتيان واعملوا الضرب في بقيتهم مدة يومين كاملين وتركوا جثثهم على شاطىء ذلك النهر وانكفتوا الى قراهم بالغنائم والاسلاب . اما الشبان النصارى فلما راوا ذلك خاطروا بنفوسهم وانهزموا وشخصوا الى ماردين واحتجبوا عن عين الخصوم ولما ساقوا اهلهم ساقوهم معهم الى حلب وبعلبك وطفيلة وغيرها

ويوم الجمعة ٢٣ تموز ابصرنا قافلة كبيرة قادمة من دياربكر يحيط بهم اجلاف الاكراد واعلاجهم فكانوا يستذلونهم ويجيعونهم ويعرونهم ويتعبونهم وكانوا يكلفونهم قبل ان يذبحوهم ان يهجروا ايمانهم والا فيسارعون الى قتلهم قبل اصحابهم . وبالنتيجة نقول ان الجبال والبراري امست مدفناً لعامة المسيحيين . واخبرنا ثقة ان الجنود كانوا يبيعون القوافل للاكراد باسعار متهاودة جداً — ما احلى من العسل . الخل بلا ثمن — وكان الاكراد يتزايدون عليها في الاثمان كأنها سلع او بضائع مرّ عليها الزمان فاقتضى بيعها سريعاً وجزافاً لئلا يخسر اصحابها الكفار من راس المال . فباعوا والحالة هذه قافلة بالف ليرة واخرى بستمائة واخرى بخمسمائة الخ اما الاكراد فكانوا بعد دفع المبلغ يسوقون الغنائم الى البراري والوديان فيطبقون عليهم ويعرونهم ويرمونهم بالرصاص ويبقرون بطونهم ويسلتون امعاءهم ويفتشون الخناثر والافرشة والثياب حتى الاحذية لئلا

يخسروا شيئاً من راس المال فكانت غالباً تجارتهم رابحة وكفتهم راجحة ويا ويل من كانت له سن ذهبية وكانوا يقلعونها قبل ان يقتلوا صاحبها او صاحبتها

ويوم الاثنين ٢٦ تموز ساقوا قافلة اخرى من نساء ماردين في الشيوخ والصبيان والرضعان كانت معهم اسرة كيجو الارمنية وسار معهم لسلبها عبد القادر بن يحيى جلبي الفاشوخ ليحافظ عليها ويكف عنها ايدي الاعداء ويحقن دماءها ولما وصل الجميع الى القصور تبعتهم قافلة ثانية فثالثة كان معهم بعض الحمير والجحاش والبغال لنقل الاثقال. ولما شارفوا دنيسر خرج الاكراد كعادتهم الى استقبالهم فخاف النصارى ولاذوا بعبد القادر والتمسوا منه ان يصرف العناية في كشف الاكراد عنهم . فبادر عبد القادر نحو قادي عمشاكي والشيخ قاسم ابن الشيخ ايوب الانصاري ماموري القوافل وقال لهما : ارغب ان تصدرا الاوامر الى الاكراد ليبتعدوا عن النصارى . فقالا ان اسلحة العسكر الذي معنا قليلة لا توازي ما مع الاكراد من البنادق ومن ثم فيصعب علينا ان نقاومهم . فالح عبد القادر في الطلب وارسل الى ماردين في استحضار طائفة اخرى من العسكر في عدة من الاسلحة ليقاتلوا الاكراد ويدحروهم . ولما وصلوا الى قرى الكيكية وافى ابن بلالو الشهور في قوم من الداشية وابن كاصو في جماعة من عشائر ديركه وحاولوا ان ينتكوا بالنصارى ويستلبوا الغنائم . وما نشبوا في اطلاق البنادق حتى قابلهم العسكر فانهزموا وبات النصارى ليلتهم في قرية محمد علي آغا وعند الصباح بعث المذكور خمسين من اصحابه ليصونوا المسيحيين ويردعوا عنهم الاعلاج

فساروا معهم الى راس العين واوصلوهم سالمين مطمئنين . كل ذلك بهمة عبد القادر جلبي ومساعيه . ولولاه لفتك الاكراد باغلبهم ان لم نقل بكلهم وكان عدد المسيحيين زهاء الفين وخمسمائة نسمة ركبوا القطار من راس العين الى حلب وسارت جماعة منهم الى دير الزور وجماعة الى الشداده

وفي سلخ تموز ساق الاعداء قافلة من ماردين زاد عددها على المائة كان في جملتهم بيت بابيك وكرابيد وحنجو . ولما وصلوا بهم الى بئر طاوا عند حرّين تكولوا عليهم وذبحوهم وحزّوا رؤوسهم والقوهم في تلك البئر . اما عبد المسيح حنجو فان جثته لضخامتها لم يسعها فم البئر فاضطروا لعنهم الله ان يفسخوها شطرين ويلقوها في تلك البئر . وقد اكد لنا ذلك سعيد ابن القدسي وانيس وكان احد المشكويه قد استحياه وتركه لديه في قرية تومكه وظل عنده سنتين كاملتين ثم انهزم الى ماردين

وواصل اعداء المسيحيين شغلهم في ماردين فكانوا يجمعون النساء والاولاد ويحشدونهم في كنيسة الارمن حتى اذا بلغ عددهم حد الكثرة ساقوهم معاً دون تكلفة ومشقة

ومما يستحق الذكر انهم ابعدوا الشيخ الوقور توما شيطو وهو في السن الثمانين ولم يذكر احد كبار المسلمين اصحابه خدمه الجمة واتعابه بل لم يبقوا على قرينته العجوز وهي سريانية بل ساقوهما كليهما مع غيرهما الى حماة بعد ما فتكوا بنجليهما المحبوبين الياس وسعيد

الفصل الثلاثون

اعتكاف الرهبان الافراميين

تفرد رهبان السريان الافراميون اثناء الغائلة بالاعتكـ ومواصلة الصلوات استجلاباً لمراحم الله الرؤوف على المسيحيين وليكف عنهم ضربات عدله الرهيب . ولما قبض على السيد اغناطيـ والارمن في ثالث حزيران بادر رئيس الدير والرهبان الى الكـ يعفرون جباههم امام حمل الله يستمنحونه العفو والغفران . وجـ يمعنون في اقامة الادعية المتواترة كتلاوة التساعيات والمز الداودية . وصلاة السبحة الوردية او صلوات اخرى خشوعية . اذا صار العصر اجتمعوا قاطبة لرياضة درب الصليب ثم خرجوا الكنيسة يتنفسون الصعداء ويتاهبون لقبول ما يسمح به سبحانـ وتقدست احكامه

وكان المقدسي يوسف ارملة يختلف اذ ذاك الى الدير عـ شقيقه حذار ان يعثر به الخونة فيقبضوا عليه ويضموه الى رفاقه السجن . وصباح الاربعاء تاسع حزيران نهض يصلي في بيته ثم الى صحن الدار فكشف راسه وفتح ذراعيه يقول : « اللهم استرحمك في شأن اخي القس اسحق واتوسل اليك ان تجعلني فلئن اعذَب انا واقتل اعذب لقلبي من ان يعذب هو او يقتل » هذا واستودع امه وولديه وسائر ذويه لحماية الله وعنايته و الى الدير كعادته . وعند الظهيرة وافى ضابطان او عفريتان خبـ يفتشان الحجر والغرف والكنيسة . وعند عودتهما التقيا بيوسف

الساحة الجوانيـة فاخذا يحادثانه بالتركية الشيطانية فعرض عليهما تذكرة الشماسية فنبذها الضابط ومزقها ثم التفت يقول له « كال » تعال وكان اخوه القس واقفاً من بعيد يترقبه ليقف على النتيجة . فما سمع لفظـة (كال) حتى خفق فؤاده وجاشت نفسه وترددت الدموع على خديه . وتعذر عليه ان يدافع عنه او يحميه او ينقذه من براثن الاسدين المفترسين لئـلا يصح فيه المثـل « من تحكك بالعقرب لسعته »

فسارا به الى السجن فاوثقاه مع اصحاب القافلة الاولى واستاقاه سحر الخميس عاشر حزيران . لا خلف الله عليهما ولا على اصحابهما

وصباح الجمعة ١١ حزيران اوفد السيد جبرائيل تبوني الى رئيس الدير رسالة اليك نصها :

الى ابناء نيابتنا الاعزاء حضرة الخوارنة والكهنـة ولفيف الشعب الموقرين البركة والسلام

لما كانت هـذه الاوقات الحرجة التي شاء الله ان يفتقدنا بها قـد جعلتنا كسفينة تتلاعب بهـا امواج المحن والاخطار من كل صوب حتى صرنا لا ندري ماذا يحلّ بنا في كل ساعة راينا ايها الابناء الاعزاء من اقـدس واجباتنا الرعوية ان نوجه الحاظنا اليكم انتم وديعتنا بل فخرنا امام الله . لئلا تتفرق وحدتُكم وتزيغ سفينتكم عن منار الايمان الكاثليكي المقدس . وعليه نتلو على مسامعكم

للمرة الاخيرة كلام الله . وكراع بل كاب حنون نناشد
باحشاء رحمة ربنا يسوع المسيح ان تتمسكوا بعروة ا
المستقيم والطاعة الكرسي الرسولي ولغبطة بطريركنا الج
الطوبى والاتفاق والمحبة بين بعضكم . وان تستعدوا
النفس والنفيس صيانة لهذه الوديعة الثمينة التي نسلم
اياها خالية من كل غش وضلال لتكونوا كعبيد ينتظ
سيدهم متى يرجع من العرس حتى اذا جاء وقرع يفتح
له للوقت

هذا وبينا اننا خاضعون الخضوع التام لكل
ترسمه العناية الالهية نعانقكم فرداً فرداً معانقة ا
الاباء لاولادهم المحبوبين . ونودعكم الوداع الاخ
ونستودعكم في حمى قلب يسوع الاقدس وامه الطا
مريم العذراء محاميتنا . فهما يكونان لكم ملجأً و
اميناً ليفرجا عنكم كروبكم ويقصيا عنكم وعن اولا
وذويكم النوائب والاخطار المحدقة بكم . ونسالكم
تقدموا التضرعات والصلوات اليه عزّ وجلّ ليغفر
خطايانا ويجعلنا ان نقضي حتى النفَس الاخير من حيا
في نعمته ومحبته

واذا نفذت فينا احكام المولى باي نوع كان فاننا نعين حفظاً للاتفاق حضرة الاب الفاضل الخورفسقفوس افرام احمر دقنه الموقر لينوب منابنا حتى ترد اوامر الرؤساء في تدبير شؤونكم اجمعين . فعليكم ان تخلصوا له الطاعة والاحترام وتبذلوا بعضكم لبعض المحبة والاكرام

عن قلاية النيابة البطريركية السريانية بماردين ١١ حزيران ١٩١٥

✝ ثاوفيلس جبرائيل تبوني مطران بطنان
والنائب البطريركي بماردين

ولما قرئت الرسالة في غرفة الرئيس على مسامع الرهبان استيقنوا باجمعهم انهم سيصيرون عاجلاً او آجلا الى ما صار اليه اخوتهم الكهنة والجماعة فراحوا يهيئون ذخيرة السفر ويعدون الزاد الاخير ليحظوا عند ربهم بالقربى ويفوزوا بالغبطة

على ان المطران جبرائيل هُدد دفعات شتى بالقبض والسوق والقتل كما سترى ولكن الله انقذه . واصيل ذلك اليوم وافى الى الدير ثلاثة ضباط وامروا ان يجتمع الرهبان في غرفة الدرس فكتبوا اسماءهم ولزموا الصمت وهم يحسبون الف حساب لما سيكون . فاستخبرهم الرئيس عما جرى لاصحاب القافلة الاولى . فافادوه ان قد وصلوا الى شيخان سالمين فذبحوا لهم الذبائح وطبخوا لهم ارزاً ولحماً فاكلوا وشربوا ثم توجهوا الى دياربكر ليستنطقهم الوالي فالخائن يزجه في السجن اما من رفعت عنه الشبهة فيعيده الى بيته فلم يثق الرهبان

بكذبهم وخزعبلاتهم اعلمهم الوكيد انهم قتلوهم وذ
بجملتهم . وهم لكذلك اذا بعشرة من البوليس يتقدمهم القو
قد اقبلوا وطفقوا يطوفون الغرف والسطوح اكبادهم سوداء وشر
الحقد والدهاء تقدح من بين عينيهم ولما وصلوا الى باب الغرفة
كان الرهبان ضمنها صاحوا بهم فخرجوا فقال لهم كبيرهم
ان تخفوا عندكم ارمنيًا واحدًا والا قبضنا عليكم وعاملناكم
معاملة . قال له الرئيس ليس عندنا سوى هذا - واومأ الى
نقط المعتوه - فاذا شئتم فخذوه . فحدق اليه القومسير فتبسم
كعادته فتركه وانصرف هو واعوانه

وواصل الرهبان عملهم وثابروا على الطلبات والادعية . وا
يجولون في المدينة ويقبضون على من يشاهدون من قسان وش
وعوام. وتواترت اذ ذاك اخبار الاكاذيب وشاعت التلفيقات ك
ان جيوش الروس دوخوا ارضروم ووان وبتليس وبلغوا
وشارفوا دجلة وعما قليل يكبسون دياربكر ويوافون الى م
وينقذون النصارى من المعاطب والهلكات . فكان ذلك
اضغاث احلام . وما فترت الحكومة تقبض وتسجن وتسوق وتق

ويوم الاحد رابع تموز وافت قافلة جرارة من بلاد ارمي
كان عددها فيما قيل خمسين الفاً ولم يبق منهم مذ وطئوا
دياربكر السوداء حتى وصلوا الى ماردين سوى عشرة الاف
ص ٢٦٦] فقتل من قتل وسبي من سبي وبقي من بقي . و
اغلبهم نساء واطفالاً وشيوخاً . ولما وصلوا الى باب البلد
احاط بهم الضباط وتابور من العسكر مبرطمين ساخطين وتها

عليهم كالكلاب على الفرائس وانتقوا من بينهم من حسن بعينهم الشريرة واستاقوا البقية الى الدير فكردسوهم كتيبة كتيبة كالدواب وكوموهم كومة كومة في ساحتي الدير البرانية والجوانية. وحرجوا على الرهبان المحادثة معهم ثم اقبل جماعة من العسكر الخمسيني يجولون بينهم ويتكولون عليهم ويلكزونهم باعواد الحطب ويصدغونهم بالحجار ويصقرونهم بالعصي ويلمقونهم بالاكف ويخطفون من بينهم من استحسنوا من البنات والبنين وكان ضجيجهم وعجيجهم يفتت الاكباد

اما مسيحيو البلد فما سمعوا بقدومهم حتى فاضت احشاؤهم تعطفاً فاحضروا الوان الماكل وانواع الحلواء فاقتسموها بينهم شاكرين لاصحاب الخير والمعروف. وقد أُحصي ما اتى به المسيحيون من المخاضب والاطباق المملوءة من ضروب اطعمة البلد «كالكتل والكبه واليبرق والرز والبرغل والمشوي وما يتبعها من الخبز والجبن والزيتون والزبيب والبصل والتوابل» فبلغ مجموعها نيفاً ومائة وعشرين مخضباً وطبقاً. ذلك دليل على حب المسيحيين لبعضهم وتفانيهم على عمل الخير واصطناع المعروف. اذ كانوا يؤملون البقاء في بيوتهم. وفاتهم انهم بعد ايام قلائل سيعاملون كهؤلاء المنكودي الحظ ويعذبون ويقتلون نظيرهم

وما مكث سبايا الارمن في الدير يومين حتى وافت شرذمة من الجند والعسكر الخمسيني متنمرين والقوا فيهم صيحة مرعبة ارتجت لها افئدتهم وانخلعت قوتهم فاستعجلوهم على الرحيل. وكان بينهم شيخ هرم قطعت عضده فحاول الفرار فلم يقدر فضربوه فخر قتيلاً

وعلت اذ ذاك اصوات البكاء والنحيب وقامت القيامة وتغلل
ما بينهم يعملون فيهم اوجع الضرب حتى اذا بلغوا الى الباب الخ
استخاروا من اشتهوا · ولم يبق سوى عشرة من فتيان و
مكنعين يابسي القوائم فصفقوهم وصدغوهم كانهم يود
وتركوهم على اخر رمق وانقلعوا · ومضوا بتلك القافلة في لم
الى الغرس فتكولوا عليهم وقتلوهم عن بكرة ابيهم واحتوو
ما بقي عندهم من الثياب والمتاع والمال وانقلبوا راجعين الى
مسرورين « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاءً بما
يكسبون » [سورة التوبة]

وكان المسيحيون في قلق متواصل يندرون النذور ويقـ
الهدايا للكنائس ويلقون فيها التقادم وينصرفون · وفي ٤
انجلت الدسائس وأعلنت المضمرات فاصدر بدري المتصرف الا
بسوق النساء الارمنيات واستاقوا معهن من السريان ايضاً ا
شريفتين · ونادى المنادي يحرّج على بقية المسيحيين ان يصونوا ل
شيئاً من اموال اقاربهم وانسبائهم

غير ان النساء اللاتي كن يختلفن الى الدير التمسن بلجاج
الرئيس ان يتنازل ويقبل منهن الهدايا فرفض الطلب · فبالغ
الالحاح فراح بعض الرهبان نظراً لرقة قلبهم وتعطفهم يتو
الى رئيسهم ليقبل شيئاً من تلك التقادم والحلي فلم يسعد ب
الا قبول الطلب · فتاتى من ذلك ان جملة من السريان وال
وضعوا عنده امانات وودائع من حلي وذهب وفضة من جملتها ار
ليرة ذهبية وحليٍ لاسرة قاووغ السريانية

واتفق ان ممدوحاً الداهية شعر بذلك . ولما كان صباح الاثنين ٢ اب والكنيسة غاصة بجماهير المؤمنين احاط بالدير شرذمة من الجنود يتقدمهم ممدوح وهرون فانبثوا في الاروقة وعلوا الاساطيح وتفرقوا في ساحة الدير ينتظرون خروج الرهبان من الكنيسة . فاستحوذت عليهم الرعبة وشملتهم الحيرة . وانهى ممدوح امر الى جميع الذين في الكنيسة ان يلزموها . ثم استدعى الرئيس وقال له : بلغني ان عندك مالاً وذهباً كثيرا للارمن فادفعه الي والا عاقبتك وعاقبت رهبانك . فانكر الرئيس ذلك بتاتاً . فقال له ممدوح لا مندوحة لك من الاقرار بما عندك وتسليمه الي والا قتلتك . فانكر الرئيس تكرارا . فارسل ممدوح في طلب السيد جبرائيل لعله يتلافى الامر فيغمض عن الحاق السوء بالرئيس ورهبانه . واغتنم الفرصة حين ذاك فاستدعى الرهبان الى غرفة الدرس ودوّن اسماءهم فكانوا سبعة كهنة واربعة عشر راهباً . ولما وافى المطران جبرائيل انفرد بالرئيس واستفسره عما لديه من الودائع واشار عليه ان يدفع مبلغاً لممدوح (على السكت) فيغمض وينكفئ راجعاً . بيد ان الرئيس اصر على رايه وانكر مدّعى ممدوح على الاطلاق متوهماً انه يستحق كلامه ويصدقه . بل رفض ايضاً مشورة الراعي الفطن ولم يعبأ بها . والحاصل انه بعد اخذ ورد كثير عاد المطران الجليل الى الكنيسة . فامر ممدوح للحال ان يتهيأ الرهبان جميعاً فاصطفوا اثنين اثنين واكتنفهم العسكر واستاقوهم الى السجن

الفصل الحادي والثلاثون

الرهبان في السجن

خرج الرهبان من الدير اثنين اثنــين لازمين الصمت مطر
الرؤوس الى الارض · والافكار آخــذة منهم مأخذها فسار
الجنود في الجادة العامة ليراهم الناس فيفرح الاعداء والخصوم و
الاصحاب والاهــل · وتبادر الى ظن بقية النصارى الخائفين
النيران تسعرت من جديد وانه كما قتل الارمن يقتلون · فلزم
بيته وجلاً مذعوراً وطفق يجأر الى الله تعالى ليحمي الرهبان وي
عليهم بالنجاة

ولما وصلوا الى مقام الحكومة امروهم ان يجلسوا على الا
في الساحة الداخلية · وجعلوا يفتلون شاربيهم ويتجهمونهم · ويترصد
الفرص ليبردوا بهم غليلهم · ويشبعوا منهم مطامعهم اذ كانوا
جائعين الى المال عطاشاً الى سفك الدماء · اما ممدوح فسار حالاً لي
بدري المتصرف بما افتعل · وحضرت اذ ذاك والدة القس اس
وشقيقته الى الشباك فقام ليراهما فزجر عليه احد الجنود ورفع
ليضربه · فما كان من القس الا ان رجع للحال صامتاً وخائفاً · وعا
امه واخته باكيتين مايوستين · اما الرئيس فاخذ ورقة يكتب
فما لمحها احد الوقوف المتحمضين حتى ابتدر من فوره وخطفها وانص
بها تواً الى بدري فاذا بها كلمة « طاولة » وما ادراك ما الطاو
فان الاعداء شادوا عليها قصوراً شاهقة وعلقوا عليها آمالاً فسيـ
واسعة · فارسل المتصرف حالاً في استحضار الرئيس فاستنط

وامره بالرجوع الى الدير واستخراج ما اديه من الذهب والفضة وسائر الحليّ · فنزل به ممدوح وانتقى من الرهبان اصغريهما وسار بهما وبالرئيس وظل الرهبان مستقرين بمكانهم · فاقبل احد الجنود يقول انهضوا واتبعوني الى السجن · وعند الباب فتشوهم واحداً واحداً اودكموا هذا في صدره وكفخوا هذا على راسه وقبضوا على لحية الاخر ونطحوا غيره بحاق حنجورته وكفتوهم قاطبة الى اسفل والفوا عند احدهم شمعة فقالوا يا الك من لئيم فانك سبقت فاعددت اللوازم للمغاور · ثم حشروهم في غرفة واغلقوا الباب وحرّجوا عليهم الخروج

وكان اذ ذاك في السجن البادري دانيال الكبوشي والياس بعبوصي ونصري حمال ونعوم نجله وغيرهم من النصارى · فجلس الرهبان مصطبرين منتظرين ما يكون من امر الرئيس وامرهم ·

اما ممدوح فسار بالرئيس والراهبين الى الدير وقصد غرفة الرئيس وجلس وجلس الرئيس ايضاً · فقال له ممدوح بالتركية والراهب فرج الله منصوراتي يترجم

- يلزم ان تدفع لي كل ما عندك من الذهب والحلي
- ليس عندى شي مما تقول
- الم تدفع لي ذلك قتلتك كما قتلت مالويان ومات
- فأوجس الرئيس خيفة وقام الى صندوق المكتبة ورضخ لممدوح ببضع عشر ليرات ظاناً انه يكتفي بها وينصرف
- ممدوح : ما هذا · انا اريد الليرات الكثيرة الموجودة عندك
- ليس عندي شي·

ـ عندك ودائع شتى ثمينة ولا مناص لك من دفعها الي

ـ قلت لك ان لا شيء عندي

ـ فنهض ممدوح مغضباً الى المكتبة والقى بالكتب الى ال
فاذا بصرر وعقد وعلب فيها كثير من النقود والحلي والجواهر
التفت يقول للرئيس . ما لك تموه علي الامر . اليك الودائع والا
التي ابحث عنها

ـ لكن بها ودائع تخص السريان لا الارمن

ـ وانا افتش عن هذه وعن تلك ايضا

ذلك ان الرئيس لمزيد حرصه على الودائع وشديد امانت
احجم عن الاقرار بما لديه ولكنه لما رأى ما استحوذ ع
الرعب والخجل معا . فقبض ممدوح على لحيته البيضاء وقال
كيف يسوغ لشيخ مثالك ان ينمنم الاكاذيب ويخفي الحقائق
كأن لممدوح الطاغية حقًّا صريحًا وديناً شرعيًّا على عباد الله يري
يأكله هو . كل وتمتع يا مبطان فقد عجلت لك الطيبات في الد
واجلت لمطامعك العذابات في الاخرى

ثم اخرج ممدوح الرئيس من غرفته ومضى بالاخ فرج الله
الغرفة الداخلية وبيده قضيب رمان وقال له محملقاً فيه بصره :
يا هذا اني عارف انك خادم الرئيس واقف على جميع اموره . فا
تلى مطمورة الذهب والا اشبعتك ضرباً واوديت بحياتك .
له فرج الله ان لا معرفة له بما عند الرئيس . فامره ممدوح ان
صندوق الحلل الكهنوتية . فقال من فوره هذه حلل مالوي
قال فرج الله : كلا يا سيدي بل هي حلل عمه المطران متى .

كان يقلّب ما في ذلك الصندوق عثر على علبة صغيرة فيها خواتم ثمينة فأخذ خاتماً ادرجه في جيبه حالاً لئلا يراه هرون رفيقه وخرج بالصلبان والخواتم والملاعق الخ ثم انحدر الى الكنيسة وخاض فيها فشاهد عند شخص العذراء حللاً حريرية فقال : لا يجوز لنا ان ناخذ هدية قدمت لمريمانا لان ديننا يقضي بان لا نعرّي الكنائس من زينتها — ما انزه نفسك يا ممدوح —

وكان توفيق الانصاري يجول مع ممدوح فقال له اليك هذه السجادات فانها كلها للارمن . قال له ممدوح بما انها خصت بالمسجد حُرّم علينا اخذها واستعمالها .. يا سبحان الله كيف يتبدل الانسان ويتقلب !

وبعد هذا طاف ممدوح الغرف جمعاء وتركها مفتوحة واقام حارسين او ان شئت فقل لصين سارقين ليحرسا الدير اي لينهباه . وعاد بالنقود والذهب والرئيس والراهبين يريد مقام السيد جبرائيل الجليل . فاراه ما استحضر وقال له : قلت لك ان عند الرئيس ذهباً ونقوداً كثيرة فلم تصدقني . اليك الصرر . فبهت المطران مما راى واطرق ساكتاً . ثم اندفع ممدوح يقول للمطران مر الرئيس ان يدفع لي ما تبقى عنده من الذهب والودائع والا صلبته في شارع المدينة ليكون عبرة لغيره

فجعل المطران يحادثه بكلام مستعذب ليهدّئ روعه ويخمد اجيج سخطه الى ان قال له بما انك الان قد فزت بمطلوبك فدعه وشانه واطلق رهبانه

قال ممدوح ان اعفو عنه الم يطلعني على كل ما عنده . فسأله

المطران ان يتركه في البطركخانة لديه فلم يرضَ بل قال لـ
لست أوذيه وسافرج عن رهبانه كرماناً لك

قال هذا ورجع عند الغروب بالرئيس والراهبين الى الحبس
لسائر الرهبان اني اطلقت لكم الحريـة لتبيتوا ليلتكم خارج
وقد اطلعت على ما عند رئيسكم فان اقر بالبقية سرحتكم وا

وصباح الغد استُدعي الرئيس تكراراً الى مقام المتصرف فا
ان يستحضر ما تبقى لديه من الودائع والامانات . ثم مضى
ممدوح الى الدير ايضاً وجعل ينقّر وينقّب . وبعد تفتيش كثير عثر
صندوقة مملوءة من اللؤلؤ والذهب والفضة ممـا تخلى عنه المو
للعذراء مريم بمثابة نذر او هدية . فاخـذ تلك الصندوقة وا
راجعاً الى البطركخانة والرئيس معه . وجعل يتهدده في غرفة ال
ويسمعه كلاماً جفياً خشناً ويهدده بالصلب والقتل لسبب خيا
غير المحتملة ؟

وعند ذاك اشار السيد جبرائيل الى الرئيس بالخروج . و
بممدوح وطفق يستعطفه على الرئيس ورهبانه بعبارات دُبجت ب
والعذوبة ولكنها لم تؤثر في قلبه القاسي . فعمد الحبر النبيـل
معالجة المصلحة بالتوسل والتخضع واستعمال الذرائع لاسترضاء م
وصرفه عن خبيث مراده . وبعد اخذ ورد كثير تيسر للحبر
ان يقنعه بخمسمائة ليرة اخرى ذهبيـة فائض ما اختلس من ال
والحلى وساعده في ذلك القدسي حنا هداية اذ كان المطماع ي
الفي ليرة . وضرب له مهلة ثمانية ايام لا غـير . ثم ودّع ال
وترك الرئيس في البطركخانة لخاطره وانصرف الى دار الخواجا ن

هداية صديقه ليقضي فيها ليلته

ولا يسعنا ان نسكت عما ابداه نصري المذكور والقدسي حنا نجله الكريم من الغيرة والشهامة في شان اطلاق الرهبان . فان ممدوحاً ضيفهما قدم لنصري قدحاً ليشربه فانكر فالح عليه فما تماسك ان قال له : كيف اشرب الكاس وابن خالتي ملقى في السجن . اني لن اشربها او تعدني الوعد الوثيق باطلاقه واطلاق رهبانه معه . قال له ممدوح كنت اجهل ان الرئيس من انسبائك . بناء على ما قلت اشرب الكاس وكن على يقين اني لن اضيق عليه . غير ان نصري لم يصدقه ولم يشرب الكاس الا بعد ان اقسم براس ابنته القصيفة انه يخلي سبيله

وعند الصباح شخص القدسي حنا الى غرفة السيد جبرائيل ووافى بعده ممدوح فتفاوضوا في المسئلة كما اشرنا وتمّ الصلح والاتفاق على ان يدفع الرئيس المبلغ المرقوم اعلاه وقدره خمسمائة ليرة عثمانية عين حجر لمرور ثمانية ايام من تاريخه . وغب الدفع يخلّص البوليجة مظهرة بالوصول ويقيدها بالحساب الجاري تحريرا في رابع ايلول ١٩١٥

وقضى الرئيس ليلته تلك في البطركخانة وظل الرهبان في الحبس يبلبل الحفظة افكارهم ويقلقون ضمائرهم ويلفقون لهم انواع الاكاذيب . فقالوا ان الرئيس سيق الى دياربكر ليصلبه رشيد الطاغية وان اراضي الدير باسرها قد حفرت ونبش ما فيها وان الجنود مشغولون بنقل الصناديق من الدير الى غرفة بدري المتصرف الخ الخ

وصباح الخميس ٥ آب اقبل ممدوح الى السجن واستدعى الرهبان

اثنين اثنين وكتب اسماءهم ونصح لهم ان يدعوا للدولة ويخلـ
لها الطاعة والامانة ثم سرحهم الى الدير فقصدوا البطركخانة وشكـ
السيد جبرائيل مساعيه واهتمامه في امر نجاتهم من الموت ولما د
كنيسة الدير رنموا تسبيحة الملائكة الطقسية شكراً للعناية الربـ
التي صانتهم من الاعداء . ثم خرجوا الى غرفهم فاذا بالحفظة
نهبوا ما كان فيها . من جملة ذلك ان حسن بك الضابط ابن ا
علي بك اختلس كل ما وجد في غرفة القس اسحق معلم الرهبـ
مما بلغت قيمته نيفاً وخمسين ليرة

ولما عول ممدوح على الذهاب الى دياربكر اوفد القس لو
منصوراتي يقول للرئيس ابعث الي بسجادة عجمية شاهدتها في غرفـ
فارسلها اليه لخوفه . ثم كتب ممدوح ورقة فحواها انه لم ياخذ
البتة من الرئيس واوفدها اليه ليوقعها بامضائه فابى فتهدده بالـ
فأمضاها قسراً . وكلف حبس الرهبان وخروجهم اكثر من الفي
عثمانيه ذهبية فقط لا غيرها

الفصل الثاني والثلاثون

تتبع سوق النساء في شهر آب

قلنا ان اعداء النصرانية كانوا يواصلون الجولان في الدور يجمـ
النساء والشيوخ والاولاد ويذهبون بهم الى كنيسة الارمن حتى
بلغ عددهم اكثر من مائة استاقوهم الى باب الشكية واركبو
بعض الحمير والجحاش ومضوا بهم الى راس العين . ففي ٢ و٤
آب ساقوا ثلاث قوافل بلغ عددها نيفاً وخمسمائة كان في جملتهـ

اسرة جاندري والمقدسي كعيب وسيونجي . وكان سعيد مقدسي كعيب راكباً جحشاً فتعرض له اعداء الخير والدين وابعدوا به عن القافلة وقتلوه قبل وصولهم الى تل ارمن واحتووا على اثقاله وافتعلوا مثل ذلك بغيره ايضا ولما وصل البقية الى راس العين اركبوهم القطار الى حلب ووزعوهم في بلاد سوريا وسيروا قسما صالحا منهم الى طفيله وارادوهم على الاسلام فمنهم من اسلم ومنهم من لبث راسخا في ايمانه

وليلة عيد رمضان ١١ آب استاقوا قافلة نسوة واولاد الى جنوبي البلد يريدون ان يضحوا بهم اكراما لعيدهم ولما وصلوا الى بئر قريبة ذبحوهم قاطبة على فمها والقوا جثثهم بها . وافضى اللؤم والتوحش بنفر منهم فعذبوا بضع عشر نسوة بالخازوق واوغلوا في التمثيل بهن وتركوا جثثهن جزراً لوحوش القفر . واتفق ان احد الاكراد خطف من تلك القافلة المدعوة ملكه بنت جبورشد وسار بها الى بيته ليرتكب منها الفاحشة فابت كل الاباءة فتهددها فلم تصغ اليه . وظلت عنده اشهراً وهو يلح عليها في الطلب فوعدته بشيء من الذهب وارسلت الى اهلها ماردين فبعثوا لها بعشرين ليرة دفعتها الكردي ونجت بنفسها وغادرته الى بيتها

ويوم الاحد ١٥ اب ساقوا قافلة اخرى من نسوة وشيوخ واولاد بلغ مجموعهم زهاء اربعمائة من جملتهم ملكي حولوزو وايليا طوبال وابنه جرجس ورزق‌الله مالو وجرجس تفنكجي وابنا عبد المسيح آدم . ولما وصلوا الى دنيسر انضم اليهم نحو ثمانين امراة وولداً من تل ارمن فباتوا تلك الليلة في محلهم وعند الفجر ساقوهم الى عرينه فألفوا ثم درويش بن خضر افندي مدير تل ارمن فانقض عليهم

واختطف اربع نسوة فعارضه مأمور السوق وتهدده فلم يسع درو
الا ان يردهن . فاستاذنوا المسير الى بانياس فقرية الامير ووجد
على الطريق جثث قتلى القوافل السابقة . ثم وصلوا الى راس ا
وركبوا القطار الى حلب . وكان في جملتهم جبرائيل خا
صديقنا العزيز

ومذ ذاك اخذ العدد يقل فكان الجنود يجولون كعادتهم
البيوت يفتشون عن المسيحيين في المخابىء ويحشدونهم في كـ
الارمن الكبرى ويسوقونهم طبقاً بعد طبق

الفصل الثالث والثلاثون

قافلات شهر ايلول

ونختم هذه الحوادث المفجعة بما نقله لنا الفتى النجيب اسـ
كسبو قال يوم الجمعة ١٧ ايلول قبض عليّ وعلى شقيقي الياس وم
بنا الى الكنيسة واضافونا الى اصحابنا الشيوخ والعجز والعميان وا
ولفيف النساء والاولاد حتى اناف عددنا على الاربعمائة ويوم ا
٢٤ ايلول وافى عبد القادر القومسير وقال تهيأوا للرحيل الى المو
ثم نحى فتاتين جميلتين يحاول ان يسير بهما الى بيته فأبتا عليه
فردهما حذر ان يشتهر امره . وفي فجر السبت ٢٥ ايلول اقـ
المسمى الحاج الفداوي في اثني عشر جنديا وقوم من العسكر الخمـ
معهم بعض الجحاش للعجز فاستاقونا الى باب الصور فبادر الاكراد ليـ
ويسبوا فلم يدعهم القومسير . ولما شارفنا باب البويرة انتصب
الفداوي يقول . ادفعوا لي ما عندكم من الدراهم لانكم عما

تشاهدون شذاذ العرب واعلاج الاكراد ينقضون عليكم ليخطفوا ما عندكم . فان احببتم ان تضنوا بدراهمكم اعطوني اياها فادفعها لكم في الموصل . فسمعنا نصح الفداوي ودفعنا له كل ما كان عندنا من بيضاء وصفراء واستأنفنا السير الى حيث نجهل وما مشينا القليل حتى باغتنا الاكراد فضربهم الجنود فعادوا ادراجهم . وجعلنا نغذّ في السير فتخلف عنا الشيوخ والمرضى والعجز . فقال لهم الفداوي تربثوا فاحضر لكم دواب . ثم مضى بهم الى بئر قريبة من البويرة فزجهم فيها وهم احياء وعاد مسرعا . وفي حرين وافى اهل القرية وملأوا انا ماء فشربنا وقلنا خير ان شاء الله . وعللنا النفوس بالحياة ولما غادرنا القرية شاهدنا اثنين وعشرين جركسياً ممتطين الخيل فقالوا للفداوي ارجع الى البلد ونحن نتعهد بحراسة القافلة (اي بذبحها) فلم يرضَ . فعربدوا عليه فلم يكترث لهم . فجعلوا يستوضحون كلًّا منا عما عنده من الفضة او الذهب فافدناهم اننا دفعناها كلها للحاج فتنازع الشراكسة والجنود وتقارعوا ساعة على المال ثم تراضوا واقبلوا جميعا فاحتفوا بنا

وما سرنا الا القليل حتى امرونا بالعروج الى جهة الغرب يقولون ان قد وردت الاوامر بوجوب ذهابكم الى راس العين فتداخلنا الرعب والارتعاش وقلنا هذه قضية وراها بلية . فمشينا نصف ساعة فكبسنا الاكراد جماهير جماهير حاملين اسلحتهم ومضوا بنا الى تل موسى كوره وهناك بئر جرورة مشهورة . فصاح الحاج . مكانكم . فوقفنا وايقنا بدنو الاجل . فنزلنا عن الدواب فاخذوا الاثقال ودفعوها الى العسكر وامرونا بالجلوس والاكراد ينظرون الينا شزراً ويترصدون

الفرصة لشرب دمنا · فجعلنا نعول ونبكي · اما الاكراد فقص
البئر واحاطوها واقبل العسكر ففصلوا منا عشرة ومضوا بهم ال
ووافى غيرهم وفرزوا عشرة ومضوا بهم اليها ايضاً وقس عليه البق
واتفق لترزيا بنت الياس حيتك ان اختطفها اوصمان الكردي و
بها الى بيته في القوس فاحس الشيخ جلال الارديني وراح يتهـ
اوصمان ليسلمه اياها فابى عليه ذلك · وصانها عنده مدة ثمانية اي
احضرها بنفسه الى ماردين · اما نحن ففي اخر الكل وافى
العسكر في جملتهم رجل اسمه خليل كان صديقاً لالياس شقيق
فذكره اخي بسابق الصداقة والتمس منه ان ينقذني وحدي من ا
فوعده بذلك فاعطاه اخي ساعة وكمية من الفضة بمثابة هـ
فاخذني خليل · ودفعني الى كردي يقول لـه · صنه عندك
المساء · اما الكردي فدفعني الى خادمه وهـذا سار بي الى بيت

وانا ذاهب التفت لارى ما حل باخي اليـاس فاذا هو والـ
الباقون قد غابوا عني وقتلوا والقوا في البـئر · ومررت في طر
بطائفة من النساء الكرديات حاملات فتياناً وفتيات مـاضيات
الى دورهن ولم اعرف منهم سوى ابنة من بيت البازوعا

ولما وصلت الى بيت افنديكو الكردي في قرية بغدك لقـ
عنده ابناً لجرجس كرابيد آدم وولدين لنصري زلطان· ولما اصبـ
شاهدت في تلك القرية قوماً من نسوة ماردين ودياربكر مع اولاد
غير ان افنديكو لم يعاملني مثلما كنت اظن بـل عراني وبعثني
ابنه الى قرية شيخ اوصمان عند تل هلف· فلمح على صدري ذ
عود الصليب الكريم فاختلسها مني وقفل راجعاً فثار به ابن الـ

بجول وضربه ضربة اليمة شقت جمجمته فاستدعوا طبيباً كردياً عالجه زمنا حتى زهقت روحه . وتمت مقتلة القافلة يوم السبت ٢٥ ايلول

وآخر قافلة استاقها الاعداء في سلخ ايلول عرفنا منهم بيت جبرائيل عطاالله وبيت حناوي وبيت سلجماية بلغ عددهم فوق المائتين ومضوا بهم الى قلعة اقرص وحملوا عليهم وذبحوهم والقوهم في البئر وانقلبوا راجعين بثيابهم واسلابهم . فكانت والحال هذه بداءة المذابح وخاتمتها في القلعة المذكورة . وبعد ذلك كله الغي العسكر الخمسيني لانهم انهوا العمل فوق ما يرام وادوا الوظيفة حقها بالتمام والسلام

الفصل الرابع والثلاثون

في المملة النصارى

نذكر القارىء العزيز بما قلناه (ص ١٢٧) في شأن صدور الامر بتوسيع الجادة واصلاح الطرق داخل البلدة وخارجها واتفاق الكلمة على تشييد منارة حديثة في الجامع المعروف بالشهيد . فاحدثوا لذلك عملة من النصارى الداخلين في السن الجندية ليشتغلوا مجاناً من دون ان يعينوا لهم بشيء . واقاموا الاستاذ لولي كيسو المشهور اماماً واستاذاً ولما اشتد الاضطهاد صدر الامر بازدياد عددهم لانجاز الشغل بسرعة . فعينوا قوماً لمقالع الحجارة وقوماً لاصلاح الطرق . وطائفة لتقويض البيوت . وجماعة لتجديد دار الحكومة وتشييد المنارة

وبادىء بدء عولوا على توسيع الجادة العمومية استعطافاً لخاطر رشيد الطاغية واطلقوا عليها اسمه الكريه ليكون بمثابة تذكار لا

يجي من صدر كل من عرفه ووقف على دهائـه : فلشموا منـ
يهـدون البيوت والدكاكين وقوضوا جـانباً من كنيسة الـكـ
وكنيسة الـكبوشيين. وما برحوا يهدون ويقوضون حتى ثالث حز
فقبضوا على جبرائيل زاعور وساروا بجبرائيل نهبيه الى كنيسة الا
يستوضحونه وتهددوه وضربوه وصحنوه باقدامهم وشددوا عليـ
التقرير فقال لهم لست اقدر ان اكذب او اخالف الحق . فانـ
شيء في البيعة البتة . فتحمضوا عليه واثخنوا فيه حتى أُغمي علـ
فحمله رجل الى بيته وظل يومين لا يدري أفي عالم الاحياء هو
في عالم الموتى ثم قبضوا عليه واضافوه الى اصحابه وقتلوه

ويوم السبت ٥ حزيران اقبل الى البلد اغاوات المشكوية
يديهم ابن الوزير موثقاً وهم يقولون له اقد صممنا ان نذبح
بيتك فكيف يتيسر لنا ان نغمض عنك. ثم حضر عبد القادر جاو
البلدية يقول لالياس بن حنا قوج السرياني رئيس العملة . ان ـ
جلبي يأمرك ان تنشيء دفتراً تدون فيه اسماء من عندك من ا
وتذكر طائفة كل منهم. فقام بالامر حالاً ودفع الدفتر الى الجاو
غير ان المشكويه والمغرضين كانوا يبوحون الى المنصبين باسماء
عند الرئس من الارمن فيقبل محمد كبوشو القتل ويقبض عليهم
وفي ١٢ حزيران وافى فائق افندي معاون القومسير وخضر جلبي
شرذمة من العسكر الخمسيني فجمعوا العملة عنـد باب المشـ
واستوضحوا كلا منهم عن اصله وفصله وطائفتـه فافرزوا الا
ومضوا بهم الى السجن

ثم اقبل محمد كبوشو يضرّس اسنانه ويفتل شاربيه ناظراً

الياس نظر مسخوط وساقه الى مقام البوليس فاستنطقه المعاون فتاكد انه سرياني فقال له · اطلقك على ان تخدم افكارنا ·فوعده لخوفه وانصرف ليواصل عمله

ويوم الخميس ١٧ حزيران القي القبض على الياس وعلى جميع العملة وعددهم ١٢٠ واستاقوهم الى الثكنة فالقلعة فمكثوا بها خمسة وعشرين يوماً محشورين في غرفة ضيقة حرجة جداً · وكان الجند يثيرون الاكراد ليكبسوهم في محلهم الحرج ويؤذوهم ويضيقوا عليهم · فمن دفع عشرة غروش الى عبد العزيز جنر قضى ليلته خارجاً والا استمر داخلًا فتاذى وتعذب · وكان يوسف التخوماني من احنق الجنود على النصارى وكان يدخل عليهم ويقسر كلا منهم ان يؤدي له رشوة او يضربه قدر ما يشأ من الضربات

ولما رجعت القافلة الثانية من ديابكر انتقوا منهم مائة وثلاثة وثلاثين وساروا بهم الى القلعة وحشروهم في بيت ضيق وحضر ضابط يقول : قد وردت الاوامر بابعادكم ومهاجرتكم ولعلكم قبل بلوغكم الى المهجر يردكم العفو فلا تضطربوا · قال له الياس كبيرهم « يا افندينا ايشمل امرك هذا العملة » قال كلا· وذهب الى الحجرة الثانية وبلغ ذلك الامر المائة والثلاثة والثلاثين · فاخرجوهم سحراً بي حال يرثى لها· فكنت تراهم منحدرين والضربات تتساقط عليهم كالصواعق والامطار · وبالغوا في ضرب جرجس نهبيه حتى أعيا عن المسير فتركه الجند على آخر رمق فاقبلت المطاربة وجعلن يرجمنه حتى فاظ فاتى اهله وحملوه ودفنوه ومضوا بالقافلة الى اقرص فاغار عليهم الداشية والمشكوية ورجال رشمل وقباله وقتلوهم

باجمعهم وزجوهم في البئر

وظل العملة يتقاون على جمرات الانتظار متوقعين وفود ا
من يوم الى يوم حتى وافتهم الاوامر بالذهاب الى قرى الكو
وتل ارمن والابراهيمية ودارا وسائر القرى التي ذبح اهاليها النص
ليحصدوا الزروع المسيبة . فاقبل شكري بك الملي وبيده دفتر
العملة فاذا باسماء الارمن المتبقين معلمة بحبر احمر مما ينوط اس
بالمتصرف فقط . فاطلقوا السريان وتركوا الارمن وحدهم .و
عيد رمضان ١١ آب سار الياس الى القلعة ليتفقد العملة الارمن ا
تخلفوا فيها فقيل له انهم قد مضوا بهم الى الزنار والقوهم في
هناك . ولم يفلت منهم سوى الشاب اليـاس جرجي الذي اس
في تلك البئر نحو شهر حتى قضى الله بنجـاته فعاد الى ماردين
يزال حياً يرزق

اما سائر العملة فواصلوا الشغل داخل البلد اسبوعاً فقط .
ايلول انتقوا من العملة طائفة ليشتغلوا في عقبة الفرس المشهورة
رئاسة اطني القنبور فكان هذا اللئيم يعذبهم جداً ويقسرهم ع
كل عمل شاق مستصعب من دون ان يعينهم شيئاً . وكان في
امسية ياتي بهم الى باب الشكية فيرفعون المجارف والرفوش والفو
وسائر آلات العمل الى فوق وينادون ثلاثاً « باد شاهم جوق
وكان هو على قصر قامته ينط ويقفز طرباً فتم فيه ما قيل ع
لسان العامة

قومي ارقصي لي شويه   يا عقروقـة الميـه
لما كلت قامتها   طلعت شبرين وشويه

ولما بدأت تتوارد قوافل الارمن من البلاد القاصية كان الاكراد يحملون على المرأة ويهتكون سترها ويبطحونها ويتناولون الخناجر فيشقون من ترقوتها ويفتشون عما لعلها ازدردت من الذهب. وكان العملة يشاهدون في كل اصبوحة جثثاً مبثوثة على الطريق فيبادرون الى دفنها لئلا تنتشر الروائح وتعم العدوى. بل ان الحكومة انارها الله عينت قوماً من العملة لدفن اجسام القتلى الملقاة في الطريق من دياربكر الى ماردين . لان اغلب الارمن ما قتلوا الا في هذه الاراضي الشقية

الفصل الخامس والثلاثون

حزم المسيحيات وبسالتهن

كلَّ القتلة وملوا واسترخت سواعدهم وعجزوا ولم يتيسر لهم ان يظفروا بآربهم . تثلمت سكاكينهم وفؤوسهم وتكسرت خناجرهم وسيوفهم ولم يفوزوا بخبيث نياتهم وفساد شهواتهم . على انهم شاهدوا من النسوة والفتيات ما لم يكن يدور في دماغهم النجس . وفاتهم ان المسيحيين قاطبة ليسوا الا جسماً واحداً يرأسه المسيح ربهم وفاديهم « ليس عبد ولا حرّ ليس ذكر ولا انثى لانهم جميعهم واحد في المسيح يسوع [غلاطية ٣] وكلهم ابناء كنيسة واحدة منتمون الى اب واحد ومدبرّ واحد ورب واحد. وقد صح ذلك في نسوة زماننا فان كلا منهن اذا مستها البأساء واكتنفتها البرحاء ابدت بسالة وفطنة لم تخطر على قلب الخصم واستطاعت كل شيء في الذي قواها [فيلبي ٤]

على ان الفتاة او المرأة لدى الترغيب والوعد والوعيد والض
والتعذيب كانت تشعر بدافع قوي يضطرهــا الى بذل عنقها
لخالقها . بل كانت تستجمع قوى جديدة لتناضل عن حقوقها .
راحت غير واحدة تعترض اعتراضات معلمة حصيفة وتجاوب اجو
سديدة يعجز عن مثلها امهر الفلاسفة واحذق المنطقيين. ذلك لس
الانجيل الكريم يقول « ضعوا في قلوبكم ان لا تفكروا
قبــل فيما تحتجون به فاني اعطيكم فماً وحكمة لا يقــدر ج
مناصبيكم على مقاومتها ولا مناقضتها (لو ٢١) ولا مشاحة فا
آنى وجد الدين راسخاً وجد الحزم ولاحت البسالة وتــلألأ الـ
بالذات

وقد ايدت لنا غير واحدة ممن نجت ان الخصم اذ كانوا يجز
الرؤوس او يعرون الاجسام كانت الالسن تتشاغل بالاناشيد والتر
ولما كان السيف فوق هامة الفتاة واليد قابضة عــلى عنقها كان
تصيح كريسطوس كريسطوس او قدوس الله دلالة عــلى غلوها
الدين الحق. وكانت البنت تبــادر الى الذبح قبل الام وكانت ا
تبوء بفلذة كبدها حباً لفاديها وتقول ان اولادي هم بمثابــة عو
استودعينهم ربي ومتعني بهم الى اجل معدود ثم يقبضهم اليه و
يريد وكانت غيرها تسارع الى القتل والسبحة في يدها كأنهــا
تحسب الموت حساباً . اما الفتاة الجميلة فلما كان يخطفها احـ
الانــذال كانت تنهزم من بين يديه وتعود الى المذبحة وتعرّ
عنقها للذبح

اجل ان الجنس الانثوي النحيف البنية غدا بوطيد ايمانه وشد

غرامه بالاهه كصخرة صلدة لا تزعزعها الارياح ولا تزحزحها العواصف ولا ترعبها سطوة حاكم ولا تغلبها تمليقات لئيم ولا تشويقات شهواني نذل . ففاقت الانثى بذلك رجاها واباها او نجلها واخاها لانها كانت مستهدفة لنبال العدوّ الفاجر اكثر منهم

واهاً لك ايها الايمان القويم ! ما اشد تأثيرك في النفوس ! انك تولي المعتصم بك قوة غريبة وتسكره سكرة عجيبة فيستحلي العذاب ويتشرف بالعار وينزل الى مضمار القتال ويصارع اوحش الوحوش ويفوز باكليل الغار

سقياً لك يا عروس السيد المسيح وابنة الايمان الصحيح ! يا من وطئت باخمصك زهو الدنيا وغلبت لذائذ العالم وبطشت بالطواغيت . عقدتِ على راسك تاجاً مرصعاً وطوقت جيدك بقلادة كريمة . مددت عنقك للذبح ففاح شذا ضحيتك . ما اجمل اعضاءك مضرجة بدمائك . ما اجمل قدكِ متنطقاً بجراحك . ما الطف محياك مخضبا بالالوان اليانعة . انقضّ الاعداء ليسلبوك جوهرة بكارتك او يثلموا درّة عفتك فامتنعت عليهم وخيبت مآربهم . بدلت جمال طلعتك ليستنكفها الفجرة فيزداد بهاؤك عند ملاقاتك ربك . طوبى لك فان الكنيسة عروس السيد المسيح تحتفل بعيد انتصارك الباهر وتخلد لك الذكر الطيب كسوسنة ويهوديت وشموني واغنيسة ولوقينة وفبرونيا وبربارة ويولينا وغيرهن من الشهيدات النبيلات الحازمات الباسلات

الفصل السادس والثلاثون

سفك دماء الابرياء

اذكر ايها القارىء الحبيب ما حل بقاين الحقود امـام
وسفاكي الدماء . كيف ان اللعنة لزمته والرعبة ملكته والا
الخبيثة عذبته حتى انـه لما دعا الرب لم يستجبه بل قال له «
وشاردًا تكون في الارض . وملعون انت من الارض التي ف
فاها لتقبل دماء اخيك من يدك (تكوين ٤) وشاول بما انه
ثمانين كاهنا سقط في الحرب وقتل اشنع قتلة .واحاب ذبح نا
فلحست الكلاب دماءه ودماء ايزابل اللعينة امراته . ذبح الا
زكريا الكاهن واخوته فلعنت ارضهم واجتيحت مدينتهم . وي
ذبح اوريا بن شمعيا فلعن ومات ودفن كالحمار . وقد كتب م
« ان الدم يدنس الارض ولا يكفر عنها الدم الزكي الذي سفك
الا بدم سافكه (سفر العدد ٣٥)

ليت شعري بم يحتج اليوم من اصدر الاوامر في سفك د
الابرياء بل بم يحتج الذين سفكوها بايديهم الاثيمة .كيف ي
للذين رفعوا ايديهم الخبيثة عـلى مسحاء الرب وذبحوهم وذ
جماعتهم وابناءهم ان يبرّئوا ذواتهم ؟

كأني بتلك الدماء الزكية الطاهرة تصرخ كدماء هابيل ونا
وزكريا وغـيرهم من قلل الجبـال وبطون الابار وسطح الـ
الارضية طالبة الانتقام. لعمري ان التفكر في ذلك يرعش الفر
ويرعب القلوب .فان سفاكي الدماء الزكية يستوجبون نقمـة

نقمة ولعنة فوق لعنة . ولا يمكن لكائن من كان ان يعرف قيمة الدم البري الالبري الذي سفك دمه الزكي على الصليب حباً لاولاده . فهنيئاً لكم اذاً ايها السيحيون الابرياء فان طالب دمائكم يقدرها حق قدرها . سيروا اليه لانكم ذبحتم نظيره خارج المدينة وحملتم عاره (عبر ١٣) وتتعولون بمشاهدته الى دهر الداهرين

الفصل السابع والثلاثون

الوان المذابات

استنبط رجال اوربا الاعلام من الغرائب والعجائب ما حير عقول الانام فاقرّوا لهم بالسبق واثنوا عليهم كل الثناء . نبغ بينهم رجال حذقوا جميع الصنائع ووقفوا على غوامض الطبائع فاستحدثوا مثلاً البواخر والمدرعات والبوارج والتلغرافات السلكية واللاسلكية . وانشأوا المناطيد والطيارات والدراجات والقطارات واوجدوا المطابع لنشر الكتب والادوية لدرء الامراض والعاهات . اكتشفوا الاثار والعاديات وفكوا ما أُغلق على غيرهم من المشكلات . هذا الى اصناف المعارف والفنون التي طبلت لها المجلات وزمرت لها الصحف والنشرات فتهافت على مطالعتها القراء واثنوا على مخترعيها وكافأتهم دولهم على اعمالهم احسن المكافاة

فهذا كله لم يعره الاتراك المجاذو الانسانية اذناً صاغية بل راحوا يتفننون في اختراع الالات الشيطانية للتنكيل بالبشرية . اجالوا اقداح الاراء في تهيئة العدد ونزلوا باجمعهم الى ميدان المعارك لا يثنيهم عن الفظاظة والجفاوة مبدأ ولا تزعهم شريعة ولا سنة . واليك نتفاً من

اشكال تلك العــذابات التي استنبطوها لتتبصر فيها وتحكم
يستوجبه مخترعوها

حشدوا اطفالاً في البرية وكوموا فوقهم الحطب واقبسوه النير
فتسعر كاتون بابل واحرقهم . وحشروا غيرهم في وادٍ ووض
فوقهم حسكا وعوسجا ثم ركبوا الخيل واستركضوها فوقهم فوطئ
بسنابكها وفتكت بهم . اضطروا جماعة ان يرقدوا تحت عر
القطار الحديدي فسار القطار وهرسهم . واثاروا الكــلاب العو
عــلى الفتيان فنهشتهم واكلتهم . جمعوا اطفالاً في المتابن وا
فيها النيران فاحرقتهم والتهمتهم . واوثقوا فريقاً باخشاب ضخ
ونشروهم من الهـام الى الاقدام . كووا طائفة بالمياسم وبردو
بالمبــارد . واختضروا آذان غيرهم وشرموا آنافهم وفزروا انام
وبتروا اقدامهم وارادوهم على المشي حتى زهقت ارواحهم . سفـ
طائفة كاللحم المشوي وكووا جباههم وسائر اعضائهم . وجـ
اظفار غيرهم عن اصابع يديهم ورجليهم وفلقوا هامهم واقحافهم
ثقبوا ايدي قوم ورجليهم واذنيهم وعينيهم بمسامير ضخمة وشر
غيرهم بالمدى والمواسي حتى فزرت جراحهم وتضرجت اجسامهم
وسطوا فيئة من الاطفال وقدوهم وضربوا امهاتهم بالوتد حتى هـ
فيهن كله . نتفوا لحية الاقليرس وشاربيهم واشفارهم وحاجبيـ
حتى تخضبت وجوههم بالدماء ثم وضعوا فيهم الخناجر وقتلوهم
شقوا البطون ليستخرجوا ما فيهــا من التبر والنقود . وذبحوا ق
وحسوا دماءهم . جردوا لحمان طائفــة من عظامهم وكبكبو
وتركوهم فريسة لجوارح الطير . ودمسوا جماعة في الحفائر والخنـ

وضيقوا عليهم حتى فطسوا . زجوا غيرهم في الابار واتلفوهم .
وانتقوا فئة القوا بهم من اماكن شاهقة تجاه امهاتهم حتى استطارت
صدوع اكبادهن من الحنين اليهم . ازلفوا الشيوخ في الصحارى
فظلوا يشكون الجوع والعطش حتى فاضت ارواحهم . وحفروا للبنات
العفيفات حفائر اهبطوهن اليها مكشفات ورجموهن حتى غاب نصف
بدنهن فتركوهن كذلك الى ان فاضت ارواحهن . ابخقوا عيون
البعض وقلعوا اسنانهم وجزّوا شعورهم وشرموا انافهم وفرزوا
اناملهم واقدامهم الخ وعلقوها في قفف ليراها غيرهم فيتعظوا ولا
يخونوا الدولة ! القوا داخل البيوت حطباً اقبسوه ناراً فخرّ السقف
واحترق ما في البيت مع من فيه . استحضروا نعال دواب وضعوها
في النار وكوروا بها خدي جماعة واليتيهم وسائر جسمهم . وسلقوا
البيض ووضعوه تحت الابطين وعلى الراحتين حتى نضج اللحم وتفسخ .
بل ان الاتراك استأجروا قصابين دفعوا لكلٍ ليرة كل يوم ليذبحوا
المسيحيين فكانوا يدعون واحداً واحداً فيمد عنقه صاغراً صامتاً
فيذبحه القصاب فياتي اخر وينقل جثته . هذا الى غير ذلك من
ضروب العذابات الفادحة التي يأباها الله ويشمئزها الطبع ويأنف منها
كل ذي عقل . واننا نضرب الصفح عن اللطم والصفع والضرب
والجلد وما شاكل ذلك مما حسبه المسيحيون من اخف الالام واهونها .
دع الاغتصاب وانتهاك الحريم الخ ولو شئنا لوزنا وكلنا من هذا
الجراب شيئاً كثيراً جداً

ونختم هذا الفصل المؤلم الموجع بحادثة غريبة نقلها لنا فتى نجا
من القتل بطريقة عجيبة قال : لما كنا نسير في الهاجرة بالقرب من

الدربيسية اقبل الاكراد وسالوا الحفظة ان ينتقوا من يستحسنوا
النسوة والعذارى فصفوهن اثنتين اثنتين وعرو ن جميعاً واستعرضو
عليهم . فاختار احدهم امراة صبيحة الوجه بيدها فتى ذو
اعوام واضطرها ان تنتزح عن صواحبها فابت . اما الجند فج
يقبضون على اثنتين فاثنتين ويدفعونهما الى كرديين واقفين على
البئر فيقولان لهما كالعادة اسلما او نقتلكما ثم يذبحانهما ويلقيا
فيها حتى اذا كان اخر الكل استدعوا المرأة الحازمة فطفق عا
يراودها عن نفسها ويعدها بالاطايب . فقالت له ببسالة : أأ
ربي واتبعك يا نذل أأكفر بديني والزم دينك يا لئيم . كلا كلا
اقتلني فاني لست افضل من صواحبي . قالت هذا وقبضت ع
ولدها والقته في البئر بيدها ثم مدت عنقها وقالت لذاك اللع
النجس اذبحني اقتلني والحقني بابني فقتلها ساخطاً والقاها في الجب
فراحت هي وولدها ترفل بثوب النصر في المجد الابدي

الفصل الثامن والثلاثون

احوال بقية النصارى الذين نجوا من القتل

لك ان تستخلص من كل ما كتبناه حتى الان انه لم يبق
الارمن الكاثليكيين بماردين سوى اربعة بيوت فقط اعني بيت يو
طازباز ونصري زرمبا وجرجس لاوو الخباز وسعيد شفونه وبم
نسوة منتميات الى الطائفة السريانية الكاثليكية والطائفة الكلدا
اما عامتهم فقتلوا او رحلوا او انهزموا او اسلموا . فتاتى من ذلك
اسواق الكثلكة بعد ان كانت رائجة في البلدة ونواحيها ضارب

اطنابها على براريهـا وضواحيها امست اليوم كاسدة لا تستغرق الا بيوتاً قليلة اخنى عليها الزمان وكادت تدخل في خبر كان لولا عناية المهيمن المنان

فكان مثلها مثل كرمة يانعة تاصلت في الارض عذوقهـا وامتدت عروقها • واخضوضرت قضبانها واوراقها • فاينعت عناقيدها واعذوذب مذاقها • وهي لكذلك اذ هاج هائج خصومها فتسرعوا الى خضدها وتترعوا الى سحقهـا وقرضها • وحاولوا أن يقضبوا قضبانها • وينفضوا اوراقها وينثروا ثمارها ويستأصلوها بالمرة ويجعلوها مرعى لوحوش الصحراء ومربعاً للصوص الاوغاد الارديا • يختلفون اليها متى راموا ويتصرفون بها كما احبوا

غير انه تعالى بحكمة ربانية وعناية صمدانية تعهد هذه الكرمة المحبوبة التي غرستها يمينه المباركة الرحيمة واشفق على الخصاصة التي صانتها عينه الصالحة الكريمة • فأطفأ سعير احقاد خصومها وكسر شوكة خيانة مناوئيها • على ان هيرودس المنافق واصحابه اللئـام حاولوا بكل وسعهم ان يستاصلوها من اصلها ويجتثوا اثرها تشفياً • ولكن الله سبحانه ابى الا ان تبقى فيها خصاصة تذكرهم على المدى بما اسلفوا من الجرائم وتدعوهم الى الرفق بالقريب والاحسان الى البشرية وتحرضهم ان ينبذوا ما كانوا عليه من الفساد واللؤم والخيانة • وفي الحق انه لولا ان الرب كان معنا عندما قام البشر علينا لابتلعونا ونحن احياء • • فتبارك الرب الذي لم يجعلنا لاسنانهم فريسة • نجت نفوسنا مثل العصفور من فخ الصيادين (مز ١٢٣)

واننا لمتأكدون ان الذي غرس هذه الكرمة المحبوبة وسقاها بدمه

الكريم وغذاها بجسده الاقدس مزمع ان يعيدها الى سالف جماله وسابق عزها فتتاصل وتنمو وتنتشر كامس وما قبل · فيعذ مذاقها ويزكو طعمها ويتشوف اليها الغريب فيبادر ويستظل بورد ظلها ويرتشف سائغ شرابها ويسكر بخالص حبها ويهيم بغرام ويود لو باء هو ايضاً بدمائه حباً بغارسها وحارسها

ولا غرو فان دم المسيحيين يحاكي حبوب حنطة زهيدة زرع في قلب الارض فاتت واحدتها بثلاثين وستين ومائة · وما اجد ان نقول مع ابائنا النبلاء القدماء « يا هولا اسجنونا اوثقونا. اصلب اخنقونا · اطردونا ضايقونا · عذبونا اسحقونا · فان لنا اباً رو عطوفاً يمكث معنا ويحامي عنا ويحفظنا وينصرنا لانه قال « معك انا في الضيق فانقذكم وامجدكم (مز ٩٠) واجعلكم منتشرين جميع اقطار الدنيا

الفصل التاسع والثلاثون

في المراثي الوطنية

معلوم ان لكل بلدة لهجة تؤثر في قلوب سكانها شديد الت وتدعوهم الى البكاء والندب والعويل · فالماردينيون اثناء الح ولاسيما وقت الذابح والسبي انشأوا كثيراً من المراثي المحزنة المب وجعلوا ينشدونها ليلهم ونهارهم ولاسيما اذا حضروا المناعي بغتتهم فاجعة او دهمتهم كارثة · وقد شئنا ان نطرف القراء بن منها على الوزن المعروف عندهم بباليه ذكراً لما جرى

اتراك لا تعادونا   الاكراد من اين جاونا

كل الجمعة حسبنا في الذبح ما افتكرنا
جانا خبر العدم اليوم على غفلة
مصطومة[1] حكومة ماردين تودي قفلة بقفلة
في عصر عيد الجسد رشيد بعث ممدوح
العسكر كبسوا المطران وقالوا له قوم تنروح
لما وصل السراي ما عملوا له قيام
قالوا جا امر من فوق تنعدمك اعدام
قالوا جيب معك السلاح وتقدّم لقدام
تناخذ افادتك[2] ونقتلك مع الاعوام
نصارى قوموا صلوا في ها المساوية
ابكوا وصلوا بلكي[3] تفك عا المسيحية
امي لخاطر الله قومي اعملي لنا حال
كل شي كنا نحسبه القتل ما كان على البال
من عصر الخميس بدوا كلهم يمسكوهم
في الحبوس وفي القشلة كومات كوموهم
بالحبال والزناجير بدوا يربطوهم
بالقضبان وبالقمشات صاروا يجلدوهم
الساعة ثانية بالليل راحوا يشددوهم
كل اربع باربع سوى بزنجير زنجروهم
لالاتهم[4] في رقبتهم نخمات[5] ينخموهم

(١) مهدومة (٢) استنطاق (٣) لعل (٤) طوق الحديد
(٥) دفات

من القشلة ومن الحبس ميسرين[1] طالعوهم
طابقة بطابقة مكتفين مشيوا بذلية
منهم حفاية وكلهم قلوبهم هي مكوية
طلعت تودعهم والدنيا حزينة
يكسر كم اسلام والمان من اين ها العزيمة
نصارى قوموا اطلعوا ساقوا الفدواية
صلبانهم على صدرهم كلهم مسيحية
منهم شباب محسنين كبار النصرانية
ودموعهم على خدودهم وقلوبهم محشية
طلع قدامهم ممدوح وكبار الملية
حولهم عسكر الخمسين خلفهم مشكوية
لحقوهم مستعجلين اكراد وداشية
خناجرهم في وسطهم ومعهم عينلية[2]
عدوا النصارى في الباب وقراوا اساميهم
اساميهم ايش كانوا كانوا اخاوية
اخاوية ايش كانوا دم اليسوعية
كلهم راحوا للقتال ونالوا الاكليلية
كان طلع امر من فوق عفا على السريان
اديب الكافر ما راد وافقوه الاعيان
ساق الابروط والسريان وشباب الكلدان

(١) كالاسرى (٢) بندقية

ساق الشيوخ والشبان	والاكبار والقسان
نصارى ابقوا في بيوتكم	طالعوا مالويان
ايأديه مشددة	على صدره نيشان
صارت منزلته	في اراضي شيخان
وانتمت مذبحته	في قاعة زيزوان
كما كريات[1] الغنم	والقطعان ساقوهم
قالوا اسلموا ما اسلموا	ذبيح ذبحوهم
في المغاور والجبوب	حلقوا[2] اجسادهم
وثيابهم اخذوها	ورجعوا الى بيوتهم
وقبل ما يذبحوهم	اختلى معهم المطران
صلى عليهم وحلهم	وناولهم القربان
يا نصارى اصطبروا	هذا السفر[3] ما يدوم
وان كان السفر تيدوم	القيامة تتقوم
ايش عملتم يا ارمن	وقعت ورقتكم
ايمت تيفك السفر	تطلع حسرتكم
وايمت تيدور الفلك	تتجي ضربتكم
وان كان ما فك السفر	نحن تنتبعكم
الى متى في الجزا	والى متى في ها الحال
يا حسرتي على العمر	راح ضائع وبطّال
يا حيف على النصارى	لكانوا كلهم ابطال
ربي انت من عندك	تفرّج على الاطفال

(١) قطيع (٢) القوا (٣) الحرب

يا بنتي قومي تعي[1] دوري في المغارة
جيبي الحبايب معك واحسبيها زياره[2]
خلي يحضرون معك قسان النصارى
صلوا علينا وقولوا يا حيف عا الخساره
رجالنا وشبابنا راحوا قصائص خلونا
يكفاكم اتراك يكفي اكثير ظلمتونا
ملأتم شطّ الدجلة قسان ومطارين
تليتم مرجة شيخان من جثث الحلوين
وحياة ربي وربهم ما يروحون من بالي
اسمهم طيب حلو وعلى قلبي غالي
عليهم خرب عمري وتيتموا اطفالي
يا رب صبر من عندك انظر الى احوالي

في قافلة النساء

يا رب صيرني سواح تقعد عا الطريقين
واستخبر لكل من راح لين ودوا القافلتين
قفلة راحت لشيخان وقفلة لراس العين
لعبد الامام ودوهن ثنتين وراء ثنتين
في الحفرة كردسوهن كلهن قدام العين
اطفالهن على اكتافهن ابو شهر وشهرين
من ثيابهن عروهن مرتين[4] بعد مرتين
ومن كل واحدة اخذوا قلادة وقلادتين

(١) تعالي (٢) مزار (٣) مقصوص الجناح (٤) ارانين

شقوا بطونهن طالعوا ... اسيرات بالكمشتين[1]

هرّبوا منهن بنات ... عمرهن سنة وسنتين

كردي دقنه لصدره ... قام وقت الصلاتين

ذبح وهرّب نسران ... وما فضل غير مرتين

يا ما يتموا الاولاد ... وحرقوا الفواد

يا ما خرّبوا البلاد ... وداسوا حقوق العباد

(١) حفنة

الجزء الرابع

في مذابح بلاد ما بين النهرين

الفصل الاول

نظر عمومي

هلم بنا نبحث عما صار في البلاد والقرى المجاورة لماردين
شبت نيران المذبحة حتى خمدت · فان الخصوم راسلوا المشايخ
المبادرة الى نجدتهم والاشتراك معهم في خيانتهم فلبوهم من ساعت
وبادروا ليساعدوهم على الاثم والعدوان وينغمسوا نظيرهم في ح
الظلم والطغيان وتمّ فيهم ما ورد في كتابهم "وكذلك جعلنا
كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفس
وما يشعرون [سورة الانعام]

على ان الائمة والمشايخ والصوفية والخطباء والقضاة والولاة وس

اصحاب النفوذ شطوا ونافقوا كثيراً حتى استجلبوا بقيبة القوم الى انجاز امنيتهم طوعاً او قهراً وقد كنا نود لو نرفع قدر قلمنا عن تسطير اخبار فسقهم وفجورهم وسرد شناعاتهم · ولكن الحقيقة اضطرتنا ان نكتب ما اقترفوا من المنكرات قدر ما تسمح لنا الظروف والاحوال · اذ لا بد من كشف احوالهم وان كان في كشفها بعض المرارة والصعوبة فان في بط القروح النغلة كما لا يخفى اذى شديداً والماً لصاحبها قاسياً اذا صبرَ عليه وجد بعد ذلك حلاوة العافية واطمأنّ قلبه فاثنى على الطبيب وقبل يده وشكر له تعبه واتخذ الذرائع الفعالة لئلا يسري اليه الداء من جديد

فالائمة اعلنوا بما اجترموا انهم خالون من العدل والرحمة عادمون كل مزية صالحة · والا فكيف ساغ لهم ان يكافئوا الحسنى بالسيئة ويستبيحوا الذمار وينتهكوا الحريم ويأمروا بسفك الدماء وابتزاز الاموال· اما المشايخ فصموا مسامعهم عن الصدق والاخلاص وجعلوا الكذب والخيانة اصل قولهم ومتن كلامهم فصدقهم الباقون وايقنوهم · اما الصوفية المتفانون بنفسهم الراغبون في الحقائق المتجنبون الدعاوي النفسانية فقد خرقوا تلك الاصول والمبادىء وجاروا الخونة في افاعيلهم وهم يعلمون ان عاقبة الخيانة سيئة يذيق الله صاحبها وبال امره ويسمه بسمة عار تبقى فيه وفي اعقابه اذ لا خزي ارجح من ترك الوفاء بالميثاق · ولا سوء اقبح من غدر يسوق الى النفاق · واية امة على ما قال الافغاني عطلت نفسها من حلية الامانة لا توجد فيها الا آفات جائحة ورزايا قاتلة وبلايا مهلكة ولا تلبث بعد هذا كله ان تبتلعها بلاليع العدم وتلتهمها امهات

اللهيم . اما الخطباء المسمون حمّامات المساجد فلم يذروا وسـ
لتسعير نيران البغضاء واصلات سيوف النقمة والتحريض على ارتـ
الشر بكل قوة

ان يعلموا الخير اخفوه وان علموا شرًّا اذاعوا وان لم يعلموا

فانهم اثاروا الاكراد على النصارى الامناء فجعلوا همهم ا
الاستيلاء على الارزاق والحاصلات وانفاقها في المعاصي والمنكر

اما القضاة فانهم نسخوا ومسخوا كل شرع وسُنة وبتوا احـ
جائرة تمكنوا بها من الفوز بما رغبوا مع انهم يقرأون « وان حـ
فاحكم بينهم بالقسط » (سورة المائدة) لا بالغدر والافك وا
ولله من قال

اذا خان الامير وكاتباه وقاضي الارض داهن في ا
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ لقاضي الارض من قاضي

فما اكتفوا بالحكم في دماء المسيحيين بل افتوا باستباحة امو
واعراضهم ودورهم فامسوا كما قيل

قضاة زماننا اضحوا لصوصاً عموماً في البرية لا خصو
فحسبك انهم لو صافحونا لسلّوا من خواتمنا الفصو

ولا بد لنا من اعادة ما قلناه ذات المرار اعني اننا نحن النصـ
في كل بلدة وقرية كنا مطمئنين في مساكننا يضربون علينا الضر
فنؤديها يلزموننا بالعائنات فندفعها يضطروننا الى تخلية بيوتنا فنـ
عنها يقسروننا على دفع الاموال فندفعها « كنا نشتم فنبارك نضـ
فنحتمل يشنع علينا فنتضرع (١ قور ٤) ومع هذا كله ما استحـ
رضاهم . فاينْ منهم ذلك وهم يقرأون في سورة آل عمران « ولتـ

منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ليت شعري اين دعاة الخير واين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ؟

الفصل الثاني

مذبحة اورفا (الرها)

ما مر على المذبحة الاولى (ص ٥٣) عشرون عاماً حتى نهض اعداء الانسانيه لاقتراف الفظائع تكراراً في مدينة الرها . وقد شئنا ان نلخص لقرائنا اخبار تلك المذابح ليكون كتابنا شاملاً .
في حزيران ١٩١٥ اصدر ذوو النفوذ اوامرهم الى جمهور المسيحيين لينقلوا ما عندهم من الاسلحة الى دار الحكومة فامتنعوا عليهم بادئ بدء ولكن الحكومة الحت في الطلب وتهددت المسيحيين باغلظ العقاب وافظع الميتات فاشار عليهم الروساء الروحيون بتسليمها وهم كذلك اذا بجيش عرمرم يتقدمهم قائدان المانيان في مدافع ضخمة وضعوها في القلعة وصوبوها نحو دور النصارى فدكوها واعدموا تحت الردم خلقاً كثيراً . ثم نشموا يكبسون الدور ويذبحون من تبقى

واخيراً جردوا شرذمة من الجند الى كنيسة الارمن الغريغوريين فقبضوا على الرئيس وكان شاباً لم يبلغ الاربعين واستاقوه اعنف سوق الى دار الحكومة وابرموا عليه في الجدال ثم قضوا بشنقه . ولما وصلوا به الى منقع العذاب استاذنهم في الكلام فاذنوا له رغبة ان يصيبوا منه حجة تخفف عنهم فظيع جرمهم . ففتح الرئيس فاه وقال بالتركية ما شرحه :

« في ظني ان خطيئتي عظيمة لاني حرجت على جماعتي مقاتلـ
الاتراك مع علمي الوكيد بانهم لو قاتلوهم لغلبوهم . . بناء عـ
اننا نموت لا لتقصيرنا عن مصارعة اعدائنا بل حبا الدين المسيحي ـ
لارمينية المنكودة الحظ . والله العدل قادر ان ينصف لنا من
ظلم غشوم » وما انهى كلامه حتى ثار به الخصوم وشنقوه. وقتـ
عامة الارمن واستباحوا اموالهم وفتكوا بنقسم صالح من السر
والكلدان واليعاقبة والارمن الكاثليكيين. فقتلوا القس حنا قندلفـ
والراهب افريم السريانيين وظل سائر الكهنة متزوين في بيوتـ
حتى تجددت اوامر العفو عنهم

اما الورتبيد ورطان توماسيان رئيس الارمن الكاثليك فاختـ
ردحاً من الزمان عند احد الاصدقاء وصرف لذلك السبب المبـ
الطائلة ولما درى به ارباب الحكم اصدروا الاوامر بنفيه الى النـ
ثم سيروه الى اطنه والقوه في السجن وحكموا عليه بالاعدام فر
الامر الى العاصمة فقضوا عليه بمائة سنة وسنة فاستأنف فحكـ
عليه خمس عشرة سنة فميز فانعموا عليه بالحبس سنتين . غير
قبل دخول الانكليز والفرنسيس الى اطنه بيومين اوفد الوالي
استدعائه ولفق عليه الشكايات الكاذبة وقضى بشنقه وامر ان يو
بالحبال ويجرّ في شوارع الولاية . فتوسل اليه كبار النصارى
يخفف وطأة العقاب فادّعى انه اقسم بالطلاق ولا بد من تنفيذ الحكم
وبعد الالحاف والالحاح تمكنوا من اقناع الوالي في تخفيف القصاص
ذلك ان الورتبيد ورطان سير بهِ الى المشنقة فصعد الكرسي واو
رقبته بيده وصاح بأعلى صوته اني اموت حبًا للدين المسيحي و

لارمينيه وليعلم جميع السامعين اني بري لا ذنب لي البتة » وبعد ان خرّ شهيداً راح المسيحيون لينقلوه بالعربة الى المقبرة . غير ان الوالي ابى الا ان يضعوا الزبل فوقه وتحته لئلا يحنث في يمينه الجورية وعلى هذا النسق شيعوه ولحدوه . انظر يا صاح الى اي حد يتصل الانسان من الكفر والخبث . ليت شعري هل يتعقب علينا اذا استمطرنا على مثل هذا الزنديق وامثاله اللعنات الابدية والنيران الجهنمية ؟

الفصل الثالث

مذبحة دياربكر وما يجاورها

لو شئنا ان نحصي الفظائع التي جرت في دياربكر السوداء ونستقصي الجرائم التي اقترفها محادو الانسانية لطال بنا الشرح وشردنا عن القصد . وحسبنا ان نقول ان دياربكر السوداء امست جرثومة النوازل ومغرس الغوائل ولقد صدق من سماها قلعة الدماء . على ان الاتحاديين نصبوا رشيداً العاتية والياً عليها وخولوه امتيازات سامية وسلطة واسعة مطلقة وزودوه شرذمة من القتلة العفاريت المشهورين بفظ الطباع وقساوة القلب كاحمد بك السرزي ورشدي بك وخليل بك وممدوح الذائع الصيت وغيرهم

بناء عليه اذاع رشيد الخبيث في خامس نيسان ١٩١٥ ان ستة ضباط انهزموا من العاصمة ووافوا الى دياربكر ليضرموا فيها جذوات الشحناء والقتال واستدراكاً لذلك اوفد ينتش عنهم في الكنائس ودور الوجهاء للقبض عليهم . وكان اولئك الستة الملاعين جواسيس شياطين اصطفاهم رشيد عينه ووسوس لهم ان يقصدوا كنيسة

الارمن الغريغوريين متظاهرين بالنصرانية بغية الاطلاع على النيا
والسرائر . وما مضى القليل على ذلك حتى تحفز رشيد ذاته ورشد
بك القومندان وجمعا اليهما اطرافهما كالقومسير والضباط ونشم
يجولون في الدور ولما وصلوا الى كنيسة الارمن وصادفوا الجواسيـ
نادوا بالويل والثبور وزكبهم ابليس ابو الشرور فأمروا بنبث
الكنيسة ودار المطرنة لاستخراج القنابل والمدافع وثابروا على ذلك
مدة خمسة ايام

وفي تلك الغضون وصل الى دياربكر السوداء ٨٤٠ من العم
الارمن كانوا يشتغلون مجاناً منذ ايلول ١٩١٤ في طرق ارضرو
وطرابزون وارزنجان وما كادوا يطأون ارض الولاية حتى ارسل رشيـ
اللئيم تابوراً من العسكر لاستقبالهم فحملوا عليهم حملة شنع
وذبحوهم قاطبة وانقلبوا راجعين باسلابهم الى الولاية يبشرون الوا
القبيح الذكر

ويوم الاثنين ١٢ نيسان القي القبض على كرابيد طوربنجي إما
الارمن وعلى معلمي مدرستهم وعلى مرديك ويكانيان وزجوهم
اعماق السجن . ويوم الثلاثا ١٣ نيسان قبضوا على نيف وسبعين مـ
وجهاء حي فاتح باشا وساروا بهم الى محل المسافرين (المسافرخانه[1]

(١) كانت المسافرخانه منقم عذاب النصارى والله وحده يعلم ما ارتكب في
الظلمة من الفظائع والمذابح على انـه في شتاء سنة ١٩١٩ قوضت الزوابع اركانـ
فلم يبقَ فيها حجر على حجر كأنه جلت احكامه اراد الانتقام منها لما جرى بها
من ضروب العذابات . فاذا كان سبحانه اجرى ذلك في الابنية فبماذا تراه يعاقب
القتلة وسفاكي الدماء

وعند المساء اطلقوا من اولئك المسجونين ثمانية توطيناً للنصارى .
ويوم الاربعاء ١٤ نيسان كبسوا الجلة عينها وقبضوا على ثلاثمائة واربعة عشر رجلاً من اغنياء الارمن الذين دفعوا البدل العسكري واستاقوهم الى السجن . وصباح الغد اكبوا على حي الحصولي وتحملوا مائتي ارمني وساروا بهم الى الوضع المرقوم . واوفد الوالي من فوره الكتائب الى قرى النصارى المجاورة فاغاروا عليهم وقتلوهم واحرقوا دورهم

ولما غص السجن بالمسيحيين انطبق عليهم اعداء البشرية وعلقوا يعملون فيهم انواع العذابات ولم يكونوا يفترون من التنكيل بهم حتى تنهمر دماؤهم على الحضيض فيقصدون غيرهم . اما الوجهاء فجافوا اظفارهم وبقروا بطونهم وثقبوا يديهم ورجليهم وقلعوا اسنانهم حتى قضى عدد غفير منهم داخل السجن فجروهم في شوارع البلد والقوهم خارجاً

وثالث احد بعد الفصح ٢٥ نيسان اوثقوا ثمانمائة وسبعة رجال بالاغلال والحبال واستاقوهم عند الفجر من باب ماردين باللطم والصفع والشتم والتشنيع وكان في جملتهم الموسيو كزابيان ترجمان القنصل الفرنساوي فوصلوا الى دجلة واعدوا لهم سبعة عشر كلكاً او طوفاً وسار معهم رشدي بك القومندان والف من الضباط والجنود والجراكسة وما قطعوا من دجلة الا القليل حتى امروهم بكتابة الرسائل الى ذويهم فامضوها وختموها وكان فحواها انهم قاصدون الموصل وارادوا بذلك ان يموهوا الحقيقة على اصحابهم لئلا يثبطوا الحكومة بهيجانهم عن مواصلة شغلها ويعطلوا تدابيرها فلا يتيسر لها ان

تدرهم بلافينهم . وبعد هذا انطبقوا عليهم وعروهم وقتلوهم
مضيق عشيرة الرما واحتووا على اموالهم وامتعتهم . والقوا على قد
منهم خشب الاكلاك واحرقوهم وانقلبوا الى الولاية مسرعين يو
الثلاثا ٢٧ نيسان ليواصلوا العمل قبل فوات الفرصة

وافضى بهم الخبث واللوم فقبضوا على مطران الارمن الغريغوري
ومضوا به الى باب ماردين واجلسوه على كرسي ليرى شعبه عن
مرورهم فيزداد ألماً وتوجعاً ثم رجعوا به توّاً الى السجن وجعل
يقبضون على كل من يصادفونه داخل البلدة وخارجها ويسوقونه ا
جامع فاتح باشا فيعذبونه او يقطعونه عضواً عضواً او يقلبون عليه زيت
البترول ويحرقونه وكانوا يشيرون على ذويهم ليحملوا لهم الاطعم
وعند وصولهم الى السجن كانوا يوثقونهم ويضيفونهم الى اصحابهم

ثم استدعوا قسان الارمن الاربعــة ونفثوا فيهم وفي مطرانه
حمة سخطهم وغضبهم واخرجوهم الى الساحة وركبوهم كالدوا
وساقوهم وصفعوهم ثم امروهم ان يكنسوا دار الحكومة وه
راكبون فوقهم كما جرى الامر بماردين القس يوسف رباني السريا
معلم المدرسة . وظلوا يعذبونهم مدة ثلاثة ايام ليل نهار واخير
فوضوا الى الملاوية (المؤذنين) ان يعــذبوهم كما يلهمهم الخنا
فقاموا بتلك الخدمة طول الليل بالمناوبة ووضعوا جرناً ثقيلاً عـ
هامة المطران واضطروه ان يقفز ويرقص ثم سلقوا بيضتين ووضع
في كل يد بيضة وارادوه على طبقها حتى تهرت اللحمان ثم استحضر
مسماراً ضخماً ضربوه في ام راسه حتى نفذ من عنقه واذاعوا انـ
خولط في عقله واخيراً مضوا به الى ساحة دار الحكومة وقلبوا عل

زيت البترول واحرقوه وجروه الى الزبلة والقوه فوقها . اما القسان الاربعة فاخذوا بخنقهم حتى صاروا يلعبون كالسمكة في الماء فتراهن الجنود على قلنسوتهم فمن اصابها صفقوا له استحساناً وما زالوا يعذبونهم هكذا حتى فاظوا

وبعد ان استاقوا الرجال وذبحوهم طفقوا يجمعون النساء فاخرجوا طائفة من باب الروم واخرى من باب ماردين واختطفوا الاطفال من احضانهن . وذكر لنا جرجس مرجان القصوراني انه لما كان يجول في البرية بزيّ عربي راى في شيركه قافلة سيدات قادمات من دياربكر راكبات العجلات وما بلغن الى تلك القرية حتى امروهن بالنزول ونشموا ينتقون اربعاً فاربعاً الى بئر قريبة فعروهن وقتلوهن على فم البئر وجرجس يلحظهم . وشاهد قافلة ثانية من شيوخ دياربكر ونسائهم واطفالهم في تعليكه واوذي ذبحهم الاعداء قاطبة على فم الآبار . فقصد جرجس عند الصباح احداها ودلى الحبل فنشل اثني عشر شخصاً من جملتهم داود بن رزق الله وزير وخاتون بنت يوسف طوراني . وشاهد قافلة ثالثة في عاليه غربي تعليكه ذبحهم الخصوم عن آخرهم والقوهم في البئر فسار عبد القادر بك في اصحابه ونشل منهم زهاء خمسين ولما اغلبهم جرحى فعني بامرهم وعالجهم لكنهم كلهم ماتوا

اما السيد اندراوس جلبيان مطران الارمن الكاثليك فلسبب طمع رشيد في الاستيلاء على ثروته ابقى عليه ردحاً من الزمان . ولما باشر الخصوم يسوقون النساء ساقوه مع ذويه وثلاث راهبات على طريق حلب فوصلوا به الى خان حبش واضطروه ان ينتصب في

طرف الجادة واخذوا الحجار ورجموه كاسطفانس راس الشهدا حـ
تكومت الحجار عليه ووارت قامته الا راسه وكتفه الواحدة فامسك
حطبة وتركوه هكذا يتعذب حتى فاضت روحه الطاهرة بيد خالق
وكان كلما مر المسيحيون بتلك الطريق . قال لهم الجنود « حيد
زوروا مطرانكم » اما شماسه وكان من اسرة طازباز الماردينيـ
فهجموا عليه وخنقوه داخل الكنيسة والقوه في بئرها وبقي الا
اوسيب متزوياً في دار المسافرين اثنين وخمسين يوماً فاسنى للوا
مائة ليرة ذهباً ونجا من القتل

واعلم ان الخصوم بدياربكر على شديد حنقهم وكيدهم ابقـ
على الف ومائتي ارمني بدياربكر جاهروا بالاسلامية . اما الارمـ
الكاثليك فظل منهم اربعون شخصاً لم يسلموا . واستاقت الحكو
من جماعة الكلدان اربعة وثمانين بيتاً ومن اليعاقبة ستة وعشرين بـ
واسلم منهم ثمانون رجلا . واسلم من السريان الكاثليك اسـ
شكال واسرة بالي سوى يوسف وامه واخوته . اما دور النصار
وكنائسهم واموالهم فحدث لها مثلما حدث في ماردين فان رجـ
الحكومة ضبطوها وحشدوا اموال الارمن فيها وتبايعوا عليها

واليك نتفاً من الوان العذابات التي انزلها بالنصارى اعداؤهـ
على ان كاهن قرية علي بوار الارمني الذي كان عمره خمسة وثلاثـ
ربيعاً استاقوه الى السجن واستاقوا امراته معه فعروها امامه وركبـ
منها الفاحشة مراراً ثم صعدوا به الى السطح ودعوه الى اسفل وقطعـ
اما امراته المسكينة فاغمي عليها وفاظت . ثم انهم نعلوا قدمـ
بوزو النعلبند وشدوتيه بنعال ضخمة حتى قضى اجله . وجلفوا اظفـ

ذكران حلوجي عن اصابع يديه ورجليه وضربوه بقضبان رمان طرينة حتى اماتوه ونكلوا نظيره بباهو (ابراهيم) القصاب وتكاولوا عليه بالعصي حتى قضى . وعلقوا جاقوجي بكلابة القصاب وسلخوا جلده وقطعوه ارباً ارباً وافتعلوا كذلك بجران بسطجي . وقس على ما صار في دياربكر مذابح النصارى في الابشيرية والجاروخية وسائر القرى وفي سويرك ايضاً فان الاتراك لم يبقوا على نصراني واحد فيها والخلاصة ان النيران اثناء المذبحة كانت تلتهم جثث المسيحيين داخل ولاية الدماء وخارجها

الفصل الرابع

مذبحة ديركه

ديركه قرية الى الجنوب الشمالي من ماردين تكثر فيها الحدائق والبساتين واصناف الشجر ولاسيما الزيتون والعفص وفيها المياه الطيبة والينابيع الغزيرة . اورد ذكرها مورخو السريان في القرن الثامن المسيح فان اثناسيوس الرابع بطريرك السريان اليعاقبة ٧٥٦ — ٧٥٨ شاد ديراً جليلاً عند تل بسم قرب ديركه ما زالت اطلاله ظاهرة حتى اليوم . وكان في ديركه قبل المذبحة زهاء مائتين وخمسين بيتاً من نصارى الارمن والسريان والبرتستان وكان في بيران شمالي ديركه نحو عشرين بيتاً من الارمن . واليك تفاصيل ما جرى لهم :

يوم الاثنين ٢٤ ايار اوفد رشيد الطاغية الى ديركه مبعوث الولاية في ضابطين فسار كهنة الارمن والسريان لزيارتهم في دار الحاج اوصمان فتجهموا لهم وكانوا يفتحون العين الواحدة الى القتل

والعين الاخرى الى الاختلاس والخلاعة . وبعد ان عادوا الى كنائسهم
اوفد المبعوث في طلب توما بجي الارمني الكاثليكي وتانيل كو
وكرابيد كركو وبولس ايلو ومراد بابو وبوغي شمامه وجبرائيل قص
فامتثلوا الامر ما عدا جبرائيل فان ابرهيم صهره ناب منابه

وما وضعوا اقدامهم في الاستانة حتى اخذ نائب رشيد الخبيث
يلسنهم ويخني عليهم في الكلام مدعياً ان عندهم اسلحة فاستمهلو
ليدافعوا عن نفسهم فابى وامر الجنود من ساعته فضربوهم ورفسو
ولطموهم وعقلوا اقدامهم وبالغوا في الضرب حتى ايسوا من المش
فحملوهم الى بيوتهم بين احياء واموات . وبعد ذلك انقلب هولا
الى دياربكر في ٢٦ ايار وغلب على ظن المسيحيين ان المخاوف
والاخطار قد زالت

غير ان الحكومة رتبت مجلساً في المكتب تحت رئاسة مصطف
المدير ليتبصروا في الذرائع التي يجب اتخاذها للفتك بجمهور المسيحي
وابتزاز اموالهم وامتلاك ارزاقهم فقرّروا ان يستدعوا نفراً فنفر
لعلهم يصيبون منهم الغرض للايقاع بهم . فانتدبوا جبرائيل قص
في جملة من انتدبوا كبولس شامي واوسيب ابن اسقف البرتستا
واربعة غيرهم فاستخبروهم عن الاسلحة والبنادق فلم يؤيدوا عليه
دعوى فامروهم بالنزول الى اعماق السجن ولبثوا ثم ثمانيــة ايام ينز
بهم اصحاب الذمة ضروب النكال . ثم استدعوهم ثانية وقا
لهم : قد صدر الامر ان تقتلوا جميعاً فمن ادّى خمسين ليرة نج
ومن لم يؤدِّ قتل . فسرحوا الذي دفع وابقوا الذي ابى الدفع
واتفق ان المستنطق ومدعي العموم الغريبين جملا يتعتبان ويدافع

عن المسيحيين ويشنعان على الخصوم فكتب هولاء الى الوالي حالاً فاوفد الاوامر في وجوب خروجهما عن القرية وذهابهما الى وطنهما. وظل النصارى مسجونين الى يوم الاربعا ٢ حزيران

وليلة الخميس ارسلوا في طلب القس ابرهيم كروم السرياني فسار من ساعته ومكث ينتظر النتيجة حتى العصر فجاء جندي يقول له اننا احضرناك سهوا فانهض وارجع الى مقرك . ثم استدعوا الاب اندراوس خوري الارمن الكاثليك والاب اوهنيس خوري الارمن الغريغوريين فاستنطقوا الاخير وسرحوه وتركوا الاول في موضعه فرفع الى الجمعية رقعة كتب فيها « بما اننا غداً الخميس معيدون فاسترحم ان تاذنوا لي في الذهاب الى كنيستي لاقضي فروضي » فاذنوا له . كل ذلك ليكشفوا الفزع عن قلوب المسيحيين ويطمنوهم

ويوم الاثنين سابع حزيران قبضوا على توما بجي وجيه الارمن الكاثليك وعلى اخيه وعلى انطون قليونجي وعبد المسيح كراكوس وغيرهم وكبسوا كنيستهم عند الظهيرة وفتشوها وفتشوا اوراق الاب اندراوس وساقوه الى السجن وانتابوا الى كنيسة السريان الكاثليك فبحثوا فيها بحثاً عميقاً وتهددوا القس ابرهيم كروم وحنقوا عليه واهبطوه الى جب الكنيسة يريدون ان يستخرج منه اسلحة . ولما سحبوه ولم يعثروا على شيء القوا حبلاً في عنقه وساقوه بعنف حافياً ونشموا ينتفون لحيته البيضاء وجبلوا رماداً لطخوه في وجهه ثم وضعوا على راسه طبقاً مملوءاً حجارة وركبه احدهم وجعل يسوقه وتجمهر الاعلاج والعجايا واخذوا يحصبونه ويرجمونه ويستهزئون به حتى اوصلوه على تلك الهيئة المفجعة الموجعة الى دار الحكومة فتناوبوا

في ضربه ودفعه احدهم الى اسفل فتخاخات اعضاؤه وكادت تزهق روحه

ويوم الثلاثا ٨ حزيران القوا القبض على القس اوهنيس وعلى ابرهيم معلم البرتستان وبسطوا الايدي على عامة المسيحيين واساقوهم الى السجن وعند الغروب استدعوا الاب اندراوس وحاكموه وانزلوا به اعنف ضرب واعادوه الى السجن وقصدوا القس سعيدا السرياني اليعقوبي فنتفوا لحيته ورفسوه وضربوه . وضربوا توماس بجي تسعين ضربة ونادوا جبرائيل قصعه وسطحوه على الخشبتين ووقف واحد عند راسه واخر عند قدميه وتناوبا في ضربه حتى أُغمي عليه ثم صاحوا بيوسف اخي توماس وجعلوا يضربونه وضربوا غيرهم ايضا واخيراً التفتوا الى الكهنة الاربعة ونشموا يبصقون عليهم ويلطمونهم ويضربون بهم الجدار ويتفحشون عليهم في الكلام . وعند ذلك اقبل مصطفى القائممقام في رجال الحكومة يتفرجون على مرسح العذاب والتفت يقول لجبرائيل قصعه[1] هل ضربك احد . قال . بلى . قال قم ارجع الى محلك

وظل المسيحيون في السجن ثمانية ايام ينزل بهم اصحاب المروءة اشكال العذابات كنتف الشعر وخلع الاظفار وتسمير الاعضاء وتفقيئة العيون وجلد الاجسام حتى تضرجت الارض بالدماء . وتمادى الخصوم في التنكيل والتعذيب حتى الاحد ٢٠ حزيران فطفقوا يستدعون عشرة فعشرة ويذهبون بهم الى محل قريب من خواروك فينكالون

(١) عنه وعن غيره نقلنا حوادث دير كه

عليهم ويعرونهم ويقتلونهم وياتون باسلابهم الى القائم مقام · اما الكهنة فخنقوهم داخل السجن يوم الاحد ٢٧ حزيران ووضعوهم في خرجين في كل خرج اثنين ومضوا بهم الى شمالي القرية وانقلبوا راجعين بثيابهم

واقبل في تلك الغضون ضابط من دياربكر فامر المنادي ان ينادي بالعفو عن المسيحيين غير انه اجتمع ايلًا بخليل بن ابرهيم باشا والياس الحاج اوصمان وجميع المشايخ وقال لهم اياكم ان تدافعوا عن احد النصارى والا صدر الامر بقتلكم نظيرهم · فاذا كنتم ممن يحب الدولة ويخلص لها الطاعة لزمكم ان تنشطوا لقتال عامة المسيحيين · فقاموا من فورهم وطفقوا يجولون في الازقة ويقبضون على كل من يشاهدونه ويسوقونه الى السجن فازداد الخوف وانصدعت الافئدة · وكان هداية افندي يكتب اسماء المسيحيين ويعرّيهم ويحفيهم وينزلهم الى السجن · وحضر اذ ذاك فيمن حضر نصري انجيم فلطمه جندي لطمة ذهبت بعينه الواحدة ثم سمر اذنه في الجدار وتركه كذلك ليلته كلها · ثم وافى هداية افندي الخبيث والقى حبلًا في عنق توماس افندي وخنقه واغلق الباب وانقلب راجعاً · فاحضر الجند خرجاً وضعوه فيه وساروا به الى كافره كر والقوه ثم ورجعوا

وصباح الاثنين ٢٨ حزيران قصد وكيل رشيد الطاغية محل المسجونين واخذ ورقة الاسماء من هداية وجعل يستدعي واحدًا فواحدً فسرّح الشيوخ وترك الشبان والكهول فاوثقوهم صباح الغد واستاقوهم الى زناره سعور فقتلوا قسماً منهم وابعدوا بالقسم الاخر الى محل

ثانٍ فتمسكوا بالجميع وعادوا بالاسلاب

ولم يبق اذ ذاك في السجن سوى ثلاثة وعشرين شخصاً فاطلقوا منهم ستة عشر وتركوا البقية فاتفق اذ ذاك انطون قليونجي ونصر انجيم ويوسف الدياربكري على دفع ثلاثين ليرة الى كركور الارمني وكيل الصندوق ليسعى في اخراجهم فخرجوا وخرج معهم جميع المسجونين ما عدا جبرائيل قصعه فظل وحده في السجن وبعد يومين احضر الخصوم الى الحبس عبد المسيح جولخ بعد ما قبض منه وكيل الوالي خمسين ليرة فشد عليه هداية الظالم بعد ليلتين وغل رجليه وانزل به الضربات الشتى حتى صاح الموت وضرب عبدال الارمني وامر اربعة جنود فحملوا عبد المسيح وعبدال الى الغاب القريب وقتلوهما بين اشجار الزيتون

اما جبرائيل قصعه فاختلى به ابرهيم النصيبيني وكلش الز وقالا له ان دفعت لنا شيئاً من الذهب اطلقناك والا قتلناك كما قتلنا اصحابك النصارى فاستمهلهما جبرائيل الى الغد . وعند الصباح اقبل اليه هداية واستخبره عن حاله فقال له قتلي خير من بقائي . فاس اليه هداية بان القائم مقام حرّج على الجنود التعرّض له . فافاده ابرهيم وكلش صمّما على قتله ليلة امس فصاح بهما ووبخهما وقال حذار ان تبسطا اليد اليه لانه سرياني لا ارمني

وبعد ايام قليلة عاد الجنود يقبضون على الذين سبقوا فسرحوهم وما اقاموا في الحبس اربعة ايام حتى استاقوهم جميعاً وذبحوهم واطلقوا جبرائيل على شريطة ان يشتغل الصابون للعسكر مجاناً وفوض اليه هداية ان يجمع له سرًّا ذهباً وفضة من بقية النصارى

غير ان الحكومة كانت تلاحق عملها فتقبض وتسوق وتفتك بالنصارى ولما بقي منهم عدد يسير نادى المنادي بالعفو واستدعاهم رجال الحكومة ليكتبوا اسماءهم ويطلقوا لهم الحرية على قولهم ليستأنفوا شغلهم فالذي سار ليكتتب قبض عليه والذي بقي بقي محتجباً حتى ليلة عيد رمضان فوثب العسكر على الدور واستاقوا الجميع صباح العيد على طريق الفراشية فنزعوا ثيابهم وقتلوهم عن اخرهم . وقصد القتلة في الغد قوم من الاجلاف فالفوا اناساً بين احياء واموات فاثخنوا فيهم وقتلوهم وانقلبوا يبشرون اولي الامر بانجاز العمل

وثالث العيد هجموا البيوت وقبضوا على عدة نساء وبنات واستاقوهن الى كورتا وهتكوا سترهن وقتلوهن وكانت والدة كركو زياني في جملتهن فمضوا بها الى بستان قريب وعلقوها في غصن شجرة واخذوا شفرة ضخمة فسخوها شطرين وتركوها معلقة

وبقي جبرائيل يشتغل زماناً في ديركه حتى استدعاه القاضي والمفتي وقالا له اننا دلالة على حبنا لك نشير عليك ان ترحل الى الشعب لتتكسب ثم الرزق لك ولعيالك والا فاذا لبثت ههنا اغتالتك ايدي الاجلاف واودوا بحياتك وحياة عيالك فسار جبرائيل في اهله الى تلك القرية ومكث بها ثلاثة اعوام ثم شخص الى ماردين فكان اول من القي عليه القبض واخر من افلت من القتل وصرف جبرائيل العناية في انجاء نفر من المسيحيين الذين سباهم الاكراد كبنت انطون قليونجي ورافائيل قبلو وسوسان اخته وفهيمه كاتو وغيرهم . اما تانو النصراني فانه لسوء الحظ هجر دينه حرصاً على دنياه ويمم ماردين فلقيه يوماً ابن حمو اليونس واستخبره عمن بقي من النصارى في ديركه

فقال له انهم قتلوا باجمعهم فقال له ابن حمو اعلم يا تانو اني بيد
هذه التي ستأكلها الدود قد ذبحت سبعة وعشرين نفساً ولو صعـ
بيدي لاتلفت النصارى بلفيفهم

الفصل الخامس

مذبحة ويران شهر

ويران شهر بلدة قديمة (هنا ص ٥٩) عرفت سابقاً بتل مو
وهي وطن سرجيس اول بطاركة السريان اليعاقبة ٥٣٨ — ١
وبقيت تلّ موزل في حوزة الروم حتى ظهر المسلمون فملكوها
ما ملكوا من بلاد ما بين النهرين

وكانت النصرانية شائعة فيها تدلّ على ذلك اثارها وانقاضها
وفي اوائل القرن التاسع عشر هجر اليها قوم من نصارى الرها وماردي
وسويرك . وكان ابرهيم باشا الكردي في زمانه يحسن معاملتـ
ويشير عليهم ان يبنوا الدكاكين والدور فراجت اسواق التجارة فـ
وكثر العمران . وابتنى فيها الارمن الكاثليك كنيسة كبيرة عـ
اسم يوحنا المعمدان انجز بناءها الورتبيد اسحق حولوزو سنة ١١
وفيها السريان الكاثليك ايضاً كنيسة باسم مار افرام . وكان فـ
مصليان ايضاً للارمن الغريغوريين واليعاقبة اما عدد النصارى فـكـ
زهاء ستمائة بيت اغلبهم من الارمن الكاثليكيين

وبعد اعلان الحرب المشؤومة باربعة وعشرين يوماً اضطر قائم
ويران شهر جميع النصارى ليحضروا الى ماردين ويكتتبوا كما سـ
فوصفنا ذلك في يومه (هنا ص ٩٤) ولبث المسيحيون متقلين بالمـ

والعائلات حتى اول ايار ١٩١٥ فكبسوا كنيسة الارمن عند فحمة الليل واخرجوا الورتبيد اسهاك حولوزيان رئيسها خارجاً واستقصوا البحث عن السلاح مدة ثلاث ساعات فلم يجدوا شيئاً . فاستاقوا الورتبيد الى المحكمة واستنطقوه فلم يثبتوا عليه حجة البتة فصرفوه وقصدوا في ٢ ايار كنيسة السريان الكاثليك وفتشوها ولم يصادفوا شيئاً . فكتب القس جبرائيل مناشي الى رئيسه السيد جبرائيل تبوني الجليل يطلعه طلع الامر . وتبادر الى ظنه وظن الورتبيد ان تلك السحابة الكثيفة قد انقشعت وانهما قد تملصا من كل تبعة ودرك ولكن . . . .

وثالث عشر ايار ارسل رجال الحكومة في طلب وجهاء الارمن مثل اراكيل وطاطيوس وماردو وعمسيح الفرنجي ووجهاء السريان الكاثليك كبطرس رومي ويوسف اخيه وابرهيم قريو مدعين انهم من الجمعية الارمنيــة المسماة (فداوية) ولما وصلوا الى دار الحكومة اندفع سفير والي دياربكر الطاغية يقول لهم : قولوا لي ما اصنع بكم . هل اسمركم بالمسامير ام اقتلكم قتلاً . ام اقلع عيونكم وافقئها . ام اجلدكم وانزل بكم اغلظ العذاب . فقال له ضيا بك راس الضباط الاجدر ان نصوب نحوهم الرصاص ونقتلهم لكن السفير نذير الشوم بعد ما بكتهم وعنفهم صفع كلا منهم صفعات شتى وامرهم ان يلازموا السجن ريثما يتفق مع عصابة الشرور والمفاسد كضيا المذكور واحمد رجب رئيس البلدية والملا خليل وحسين الموصلي واولاد ابرهيم باشا وغيرهم على اتخاذ الوسائل اللازمة للفتك بازواجهم قاطبة

ويوم الثلاثا ١٨ ايار طفق الجنود يجولون في دور الاغنيـ
والوجهـاء ويقبضون عليهم ويسوقونهم الى السجن في ضرب و
كثير وقصدوا دار عبد الاحد صلبو السرياني وجعلوا يفتشون لعل
يعثرون على شيء من الاسلحة . وانزلوا نفراً الى البئر فاخرج ع
كبيرة ممتلئة من الرصاص كان عبد الرحمان جاويش الخبيث قـ
سبق فالقاها فيها انتقاماً من عبد الاحد عدوه كما اقر بلسانه .
رأوا العلبة قالوا لعبد الاحد كيف ادت بـك القحة الى ان تخ
الدولة هل تروم مقاتلة رجالها العظام ببنـادقك وبواريدك . قا
هذا وجعلوا يكفخونه باعواد الخيزران وقضبان الرمان عـلى ظه
وصدره حتى تكسرت القضبان . ثم سحبوا سفافيـد ستور البي
وواصلوا الضرب حتى اعوجت والتوت . فامسى عبد الاحد على ا
رمق وتضعضعت اعضاؤه وتكسرت عظامه وسالت دماؤه . وب
هذا حملوه على أيديهم الى دار الحكومة . فلما رآه الياور حـد
النظر اليه وزمجر ساخطاً عليه ثم رفسه برجليه ودفعه فتدحرج
علوّ الدرج الى اسفل . وكان كل جندي من الجنود الواقفـين
الدرج يرفسه ويعجله الى الآخر حتى انتهى المظلوم الى اخر در
فاخذه بستاني الباشا وصفعه ثلاثمائة ضربة وكان رجال الحكو
واقفين يضحكون ظهراً لبطن . ثم امر الياور ان يردوه الى بي
لتراه امه وامرأته واخته . فحمله تسعة رجال والدمـاء تتدفق م
عينيه واذنيه وقدميه وجميع اعضائه . فلما رأته امـه خولطت
عقلها . اما اخته فما تمالكت ان قالت لهم علام احضرتموه . لما
لم تقتلوه بالمرّة وتواروه عنا . فتحسر عبد الاحد وقـال بصو

خافت : كونوا على ثقة اني بري مما اتهمني هولاء الغدرة. فانا قد قضي قضاي وعما قليل يدركني اجلي. اما انتم فاحرصوا ان يصيبكم ما اصابني . وبعد ذلك بدقائق حملوه تكراراً الى السجن

وعند المساء سارت اليه اخته حبو لتتعهده فلم ياذن لها البواب الا بعد ان دفعت له اربع ليرات . واخذت معها جلد عنز لفت به اخاها وعادت فرات ثلاثة عشر جندياً واقفين على الباب يقولون ادفعوا لنا ما بقي عندكم من السلاح . فقالوا لهم كذبت ظنونكم ليس عندنا شيء مما توهمون فاندفعوا يضربون النساء بالمناوبة ويحمون السفافيد ويكوونهن. واخيرا اوثقوا الام وابنتها وجعلوا يكنخوزها ويضربونها ويقولون . ان عبد الاحد افادنا انه لا يعرف احد بمخزن الاسلحة سواكما. فاكدتا لهم ان قولهم افك صريح لا صحة له . فاخذوا منها خمساً وثلاثين ليرة وانصرفوا . فارسل ضيا بك يقول لهما ينبغي ان تتاكدا اني انا الذي اثرت الجنود ليضربوكما وسيواصلون العمل حتى ترسلا الي جميله قرينة عبد الاحد والا قُتلتما كلتاكما . فسارت اليه جميله وقالت له اعلم ان قتلي وقتل حماتي وحبو خير من الاجابة الى طلبك. وتيقن ان لا سلاح عندنا ثم عادت الى بيتها وفي ٢٨ حزيران ارسل في طلبها اليه وتهددها بالقتل وحرّج عليها الرجوع الى بيتها

ويوم الخميس ٢٠ ايار ارسل عبد الاحد في طلب اخته وقال لها اني احمد الله تعالى لان نفسي تراجعت وقد نلت العافية فخذي يا اختاه ثيابي الى احدى النساء لتغسلها ولا تريها امي لئلا تجن او تفقد عقلها. فاخذت حبو الثياب فاذا هي مضرجة بالدماء. واندفعت

تبكي بكاء أليماً . ثم ودعت اخاهـا وسارت بالثياب الى امرا
غسلتها وردتها اليه . وفي ٢٢ ايار استحضروا عبد الاحد للاستنطاق
فقال لاخته اتبعيني ولا باس عليـك ان ينالك ما نالني من الضرب
فاني اخوك . فدمعت اخته وتبعته وظلت واقفة على الباب تنتظر
النتيجة . ولما رآه الياور تجهمه وقال اه علي بالسلاح . قال عبد الاحد
ليس عندي سلاح وقد وضعت دمي في كفي وما عدت اؤمل الحياة
فاضربوني واقتلوني فان البري يحميه الله الصمد . قال الياور اخرجوا
هذا الكافر الخائن فاني لست اطيق ان اشاهده . فخرج المسكين
ذليلاً مأيوساً . فامسكته اخته ونزلت به الى موضعه . وقالت له
اخي المحبوب ارى سيف الموت فوق راسك يتهددك . فحذار ان
تيأس او تقنط . حذار ان تنكر ايمانك . استودع نفسك بين
يدي يسوع ومريم ويوسف . فقال لها يا اختي اني على ما قلتِ لن
اخون ربي وهو القادر ان يعضدني ويشجعني لانه عارف ببرارتي

اما الورتبيد اسحق رئيس الارمن الكاثليك فبعد ان باغته
الجنود يوم السبت اول ايار وفتشوا غرفته وكنيسته وسجنوه
اطلقوه كبسه في ٢٧ ايار احمد اونباشي وعبد الرحمان جاويش وضابط
آخر يقولون له ان ابن رومي يدعوك فنهض من ساعته وسار الى
دار الحكومة ينتظر النتيجة ولما امست جاء اليه عسكري يقول قد
أُرجئت مسئلتك الى الغد فابعث في طلب فراش لتنام ههنا . فقضى
ليلته تلك ضيفاً كريماً عند النصارى . وصباح الغد استدعوه واستنطقوه
فلم يجدوا حجة للتمثيل به فردوه الى السجن ولكنهم لم ينكلوا
به . غير ان السهر سُلط عليه والنوم امتنع منه فاغتنم الفرصة وجعل

يسلي المسجونين ويرطب قلوبهم ويبعث فيهم النخوة والحماسة ليتجلدوا على العذاب والاهانة ويثبتوا الى آخر رمق في قويم ايمانهم

ويوم الجمعة ٢٨ ايار استاق الجنود اراكيل وطاطيوس وماردو ورفاقهم المشار اليهم الى الغاور وفتكوا بارواحهم . ويقصر اللسان عن وصف ما الم بهولاء المساكين من صنوف العذابات الفادحة فان الجنود كانوا يتناوبون يومياً في ضربهم وتعذيبهم واراقة دمائهم . وتاييداً لشديد الامهم نقول ان فراشهم وثيابهم حتى صحن الغرفة التي كانوا منزوين بها امست كلها متعصفرة بدمائهم ذلك لان الاعداء المنافقين رفعوا كل رحمة وشفقة من قلوبهم فبالغوا في التنكيل والتمثيل بهم حتى لحقت الدماء بالدماء (هوشع ٤)

ومساء الاربعاء ٢ حزيران ارسل عبد الاحد في طلب امه واخته وقبل يدي الام وعانق الشقيقة وبكى حتى أخضل خديه بدموعه وبكت لبكائه امه واخته . ثم قال لهما ارغب اليكما ان تصونا قرينتي قدر مكنتكما . اصرفا كل مالي فهو فداؤكما . . ان لي عند الخوري افرام احمر دقنه باردين اثنتين وعشرين ليرة دفعتها اليه منذ اشهر فاقبضاها منه . اليك يا اختي هذه الورقة فاني قد سطرت فيها ما لي وما عليّ وهي آخر ورقة اكتبها . . واهاً لك يا اختي العزيزة اني افارقك بقلب جريح وفؤاد كسير . اتخذي لك حذاء من حديد وعصاً من فولاذ وتقفيني فانك ما عدت تشاهديني الا في الابدية يوم الدين الرهيب . اودعك واودع امي وجميع اهلي واصحابي . . وبعد هذا عادت الام الثكلى والشقيقة الحزينة الى بيتها وجلستا للبكاء والعويل واستيقنتا ان عبد الاحد غاب عنهما الى الابد

وليلة الخميس ٣ حزيران سيق عبد الاحد مع ثمانية رجال ا
بوغري وفيها سفكت دماؤه مع دمائهم وبدأوا ينالون الجزاء الم
للابرياء الامناء.

وصباح الخميس عيد الجسد استاقوا الورتبيد اسحق حوالوزو ا
دياربكر راكباً يكتنفه ستة من الضباط . ولما شارف البلد ابصر
قوم من النصارى فحيوه تحية السلام فلم يجبهم . وكان عارفاً بـ
سيعرض له . ولما وصل الى موضع المسافرين خصت به غرفة سكن
خمسة عشر يوماً منتظراً الفرج على اي اسلوب كان . ويوم الثلا
خامس عشر حزيران مضى به الجنود الطغاة الى تل قريب وفتكو
به . شلت يمينهم وعميت عيونهم

يا نفس مالكِ في الدنيا مخلفةً من بعد رحلته عن هذه الدو
وكيف تمشين فوق الارض ذاوبةً اليس جثمانه فيها بمقبور
حقٌ على كل « خلٍ » ان يموت اسى لكن ذلك امرٌ غير مقدور
يا نفس فاتئدي لا تهلكي اسفاً فانت منظومة في سلك معذو

ويوم الاثنين سابع حزيران انتشر الجنود كالجراد في اسواق
ويران شهر وبيوتها والقوا القبض على الرجال والفتيان من سن الثانية
عشرة الى السبعين واستاقوهم قاطبة الى الثكنة العسكرية . وراح
ثلاثة الى كنيسة السريان فقبضوا على القس جبرائيل مناشي احمر دقنه
وجعلوا ينتفون لحيته وشاربيه ويخطاون له في كلامهم ويضربونه بشراسة
ويقولون له « انت فرنساوي تحب فرنسا وتصون لذيك كتبها
وتحامي عنها . فهلم الى السجن تره مستعدة لتخلية سبيلك » ثم

بلغوا به الى الثكنة في حال يبكي لها الجماد وضموه الى رفاقه النصارى وعند الليل اقبل احد الجنود وبيده دقاقة كبيرة وتشم يضربه بقسوة ضربات شتى حتى تكسرت عظامه ثم التفت يقول للنصارى المسجونين . من منكم يفديه ؟ فتحمس الشاب عبد النور الارمني وقال: روحي فداه فتركه ذلك الظالم الكافر على اخر رمق واندفع يضرب الشاب عوضه وكان كل من الجند يضرب من يشا كيفما شاء . واحتشد تلك الليلة في السجن اربعمائة وسبعون من ارمن وسريان ويعاقبة عذبوهم قاطبة من دون ان يفرطوا منهم احداً

وعند الغروب سار حسين الموصلي في خمسين عسكرياً الى كنيسة السريان الكاثاليك وفتشوها ثم اوصدوا الابواب ودفعوا المفاتيح الى منش اخت القس يقولون لها احترسي على ما في البيعة واذا فقد شي الزمناك به . وما مضى من الليل ثلثه حتى اقبل اليها القائم مقام والقاضي وضيا بك ومدعي العموم فنبشوا ونقروا ثم اغلقوا الابواب وانقلبوا

وليلة الخميس عاشر حزيران اشتغل الجنود بربط المسجونين وغلهم حتى الفجر ثم ساقوهم حفاة اربعة اربعة الى حفتماله وذبحوهم وقتلوهم جميعاً . وحملوا ثيابهم كلها على الحمير والجحاش وعادوا بها الى البلد واقتسموها كل حسب وظيفته وقدر جهاده وخيانته . وقد ايد لنا غير واحد ان ايوب بن حمزة اغا اقر مراراً شتى بانه هو الذي قتل بيده الخبيثة القس جبرائيل احمر دقنه فاصيبت عينه بالعمى جزاء لقسوته وفظاظته

ويوم الجمعة ١١ حزيران واصل الاعداء شغلهم فالقوا القبض

على النسوة المثريات كاسرة اراكيل وماردوميرو وطاطيوس ومريمو وكيخوا وتنبل وسهدو وزابون ويوني وشد وكركو والوس وغيرهم كثيرات من نساء وصبيان وفتيات حتى بلغ مجموعهم نيفاً والف نسمة واستاقوهم قاطبة الى المغاور وعروهم وذبحوهم وفقأوا عيون البعض منهم ولاسيما عيني مارتا بنت الياس كيخوا واحضروا ثيابهم وامتعتهم على ظهور الجحاش وتقاسموا بها قسمة ضيزى

ويوم الاثنين ١٤ حزيران استاقوا قافلة ثانية من النساء ما افرطوا واحدة منهن في قيد الحياة واستحوذوا على امتعتهن . ويوم الاربعاء ١٦ حزيران شدوا على قافلة ثالثة وافتعلوا بها ما افتعلوا بالاثنتين السابقتين

ثم استاقوا من بقي من نساء الارمن الى راس العين واستحوذوا على اموالهن واستباحوا بيوتهن واملاكهن

ثم تعجلوا الى النساء السريانيات كاثوليكيات ويعاقبة واخذوا منهن كل حلية وذهب ووعدوهن بالبقاء في بيوتهن . ويوم الاحد عشرين حزيران عاود رجال الحكومة الهجوم دفعة ثالثة على كنيسة السريان الكاثليك وجمعوا كل ما كان فيها من غال ورخيص واختلسوا من غرفة القس جبرائيل ما بلغت قيمته نيفاً ومائة وعشرين ليرة ذهباً واخلوا الكنيسة وجميع الحجر وانصرفوا يقتسمونها بينهم كغنائم باردة

ولم يبق من النصارى في ويران شهر سوى بعض نساء من يعاقبة وسريان كاثوليك وثلاثة رجال شيوخ لا غير . وطفق المسلمون يؤذنون يومياً في الكنائس واستحوذوا على الارواح والاملاك

والاموال معاً . . الا يا ايها الخونة وسفاكو الدماء الغدرة اذكروا انكم « اكلتم ولم تشبعوا شربتم ولم ترتووا اكتسيتم ولم تستدفئوا » (حجاي الفصل ١) . ونختم هذا الفصل بما كان يقوله ارباب الحكومة يوم قبضوا على الارمن والسريان معاً ونصه : ان لا فرق بين الكلب الاسود والابيض فان النصارى قاطبة كلاب يجب ان يساقوا ويقتلوا كالكلاب — بشر المنافقين بان لهم عذاباً اليماً (سورة النساء)

الفصل السادس

مذبحة راس العين

راس العين بلدة قديمة شهيرة على ضفاف الخابور كانت في حوزة ملوك الروم ثم ملكها عرب ربيعة وسكنها النمر بن قاسط وفي اواسط القرن السابع دوخها المسلمون وامتلكوها وكانت اسواق النصرانية رائجة فيها واشتهر فيها من السريان عدة مطارين اما في ايامنا فتغلب عليها الجركس ولم يكن بها من النصارى في هذه الاثناء سوى جماعة معدودة

على ان البارون منكس ابناهيم الالماني قصدها قبل الحرب واكتشف فيها على عتائق شتى من حجار ودمى . وكان البارون المشار اليه يوم اعلان الحرب الطاحنة ضيفاً لدى السيد اغناطيوس مالويان فأعزه جداً واطلعه على فوائد كثيرة منوطة باخبار ما بين النهرين واليك ما جرى في تلك الناحية اثناء النازلة الجائحة

عرفت ايها العزيز مما قدمنا ان حكومة ماردين ودياربكر ساقت النساء الى راس العين فحلب فبلاد سوريا ولبث من المسيحيين

في تلك البلدة زهاء مائة من الرجال والنساء والاولاد وكان القائمقام طيب الاخلاق مفطوراً على الرقة واللطف والرفق فاحسن معاملتهم والقى القبض على ثلاثة من الجراكسة الظلمة وبالغ في ضربهم حتى فزّت الدماء من يديهم وقدميهم واخيراً سرّحهم وحرج عليهم التعدي على المسيحيين

ولما كان ايلول ١٩١٥ بدات تتوارد القوافل من سيواس وغيرها فوصل اولاً الى راس العين في سلخ ايلول زهاء الف وخمسمائة من الارمن عراة حفاة وكانوا لزيد سغبهم ولغبهم يصرخون الماء لا غير. ولما بلغوا الى النهر لانبين شربوا بغزارة فمات منهم نحو مائتي نسمة . وفي الغد استلمهم عسكر دير الزور واستاقوهم في شتم وقدح وضرب ولطم فقتلوهم باجمعهم واستولوا على ما عندهم

ومذ ذاك كان النصارى يتوافدون قوافل قوافل في القطار الحديدي من ازمير وقونيه وانقره ودرتيول ومرعش وعينتاب ومرسين والزيتونه وغيرها بلغ مجموعهم نيفاً وسبعين الف نسمة في قسانهم واولادهم ونسائهم ومتاعهم ونصبوا لهم خيماً في ضواحي راس العين كانهم يتوطنون بها . وما مضى عليهم اسبوعان حتى ساقوا منهم اربع قوافل كبيرة اثنتين الى نواحي دير الزور واثنتين الى نواحي الوصل فوصلوا الى المحلين سالمين واوفدوا رسائل الاطمئنان الى ذويهم المتبقين براس العين

وفي اواخر كانون الثاني ١٩١٦ عزل هذا القائمقام الطيب الذكر ونصب بدله متصرف وقائمقام اسمه رفيع بك وكانا كلاهما جركسيين فاستقبلهما جراكسة راس العين احسن استقبال وقدموا

لهما الاكرام وخلعوا عليهما الخلع . ولم يمرّ شهر حتى اصدرا الاوامر في سوق جميع الارمن من دون كسوة ولا قوت دع الاثقال والامتعة فقصدهما وجهاء الارمن واستوضحوهما عن السبب فقال لهم القائم مقام . اني ما حضرت الى راس العين الا لكي اشخصكم الى اوطانكم . فاستعدوا للرحيل فاطمأنت افكار الارمن وانقلبوا يهيئون اللوازم للسفر

وفي اوائل اذار ١٩١٦ استدعى القائم مقام ثلاثين من الجراكسة الاشرار القساة يراسهم حسين بك وسار بهم الى منازل الارمن فاحاطوا بخمسين خيمة وامروا سكانها بالتاهب للرحيل من دون شي فنهضوا من فورهم صاغرين فاستاقوهم الى الخابور وجعلوا يضربونهم بالعصي ويكفخونهم ويلطمونهم حتى وصلوا بهم الى الجرجب وهناك ذبحوهم عن اخرهم واحتووا على ذهبهم وثيابهم وانقلبوا راجعين الى تلك الخيم فجمعوا الاسلاب وساروا بها الى السفح واذاعوا على مسامع النصارى المتبقين انهم يوصلونها الى اصحابها

وبعد خمسة ايام افرزوا من الارمن خمسين خيمة اخرى واستاقوا كل من كان فيها الى الجرجب وافتعلوا بهم ما افتعلوا بالسابقين . وواصلوا ذلك العمل اسبوعاً فاسبوعاً حتى قتلوهم عن بكرة ابيهم واخذوا جميع نقودهم وذهبهم وامتعتهم وحملوها الى السفح وجعلوها كلها في غرفة احكموا اغلاقها وانقلبوا

ولم يبق من اولئك السبعين الفاً سوى اشخاص مشردين فرّوا من انياب الجراكسة . فامر القائم مقام ان ينادي المنادي . ان من

اسلم سلم ومن لم يسلم قتـل ولم تكن حضرته الشريفة تأذن في
ذلك الا لنفر فنفر حتى اذا حذق اصول المذهب الاسلامي وبرع فيه
اسلم غيره نظيره

وكان متصرف دير الزور قد ارسل في تلك الاثناء زهاء مائة
بيت الى راس العين وفوض اليهم ان يشيدوا بيوتاً يشغلونهـا . ولما
اقبلوا باشروا في البناء واكملوه حتى السقف وامسوا ينتظرون الخشب
لانجاز العمل . فهولاء لما سمعوا المنادي يعرض عليهم الاسلام
كتبوا الى القائم مقام واعلنوا انهم يريدون الانضمام الى ذلك المذهب
فقال لهم : اني عارف انكم مسلمون نظيرنا فـلا حاجة الى عرض
حال ولا الى استدعاء . وها اني باعث في استحضار احمد افنـدي
كاتب النفوس ليحرر اسماءكم . فمن كان في السن الجندية اضيف
الى رفقته . اما الباقون فيسرحون ليفلحوا ويواصلوا شغلهم بحريتهم

غير انه صباح عيد القيامة ١٩١٦ وثب بهم الجنود والجراكسة
معاً واوثقوهم بالحبال واستاقوهم الى الجرجب الصغير فافرزوا الرجال
من النساء والفتيـان وجعلوا ياخذون خمسة فخمسة يفتشونهم ثم
يسلمونهم الى العرب المنتظرين بالوادي القريب فيستلبون مـا بقي
ويقتلونهم . ولما انهوا قتل الرجال نشموا في تعرية النساء والاطفال
وتفتيشهم ثم دفعوهم الى العرب فذبحوهم واستبقوا غير واحدة من
الحسان . ولم ينج من اولئك المظلومين الا ابن بنت يعقوب كشيشر
الهاجني . هذا انهزم الى الجرجب الكبير واخبر عما جرى لاصحابه
واستتلى يقول : ان الجراكسة احتووا على ذهب كثير وامتعـة
وافرة ثمينة . وفي الحق اليقين ان القائم مقام وحده بلغت حصته اكثر

من اربعين الف ليرة · على ان الخواتم والسلاسل الفضية والذهبية وما شاكلها من الحلي وزعت بينه وبين الجراكسه بالطسات وبما ان التوزيع كان يصير غالباً تحت الليل كان الجراكسة الختارون لشديد صلابة قلبهم وتوحشهم ينتقون فتى سميناً ويمضون به الى مخزن الذهب والامتعة فيحرقونه بدل المصباح ويقتسمون على ضوءه بالغنائم تفادياً من الكلفة والصرف · افتح يا صاح افتح اذنيك واصغ ثم قل لعنة الله على كل كفور يطغو

ولم يبق في راس العين سوى عشرين بيتاً من الارمن من ارباب الصنائع · وافلت من القتل واصف افندي الارمني مامور التبغ فانه استحصل وثيقة باسم سرياني يعقوبي فابقى رجال الحكومة عليه وعلى عياله حتى تشرين ١٩١٨ فسافر الى بغداد

وفي اول ايار ١٩١٦ وفدت الاوامر من العاصمة في سوق الارمن المتبقين وقتلهم فالقوا عليهم القبض واوثقوهم واتقوا معهم عبد الجليل برغوث الارديني وحشروهم في الدور التي شادوها ثلاثة ايام فاستفرص عبد الجليل الفرصة وفرّ منهزماً فتتبعه قوم من الجنود والجركس والعرب واطلقوا عليه البنادق ولما ادركوه انزلوا به وجيع الضرب حتى أغمي عليه ثم حملوه الى المحل السابق واضافوه الى اصحابه واقاموا لحراسته جندياً خصوصياً · غير ان رشيدا الديري اقبل عند الغروب واستدعاه وقال له اذهب في سبيلك فشكر له عبد الجليل وعاد الى بيته · وسحر الغد استاقوا اولئك الارمن برمتهم وعروهم وقتلوهم واستولوا على ما كان عندهم واستراحوا .

الفصل السابع

مذبحة دير الزور والشداده

دير الزور بلدة على نهر الفرات تجددت ابنيتها في اواخر القر
الماضي وانتقل اليها قوم من النصارى قصد التجارة اغلبهم من مدين
ماردين وهم من الطوائف الثلاث الارمنية والسريانية والكلدانيـ
ولكل طائفة كاهن يرعاهم اما شؤونهم البيعية فمنوطة برؤسـ
ماردين الروحيين. واليك ما جرى في تلك البلدة عام ١٩١٥ و١٩١٦

في اواخر تموز ١٩١٥ ورد الخبر من راس العين الى جرجس سعي
كجو ان اهله واسرة ترزيباشي وبطانه يطلبون حضوره اليهم فراجـ
المتصرف فامر ستة من الخيالة ان يرافقوه فقصدوا راس العين فا
باهله وغيرهم راكبين العجلات قادمين إلى الدير فرجعوا بهم ووصلو
آمنين مطمئنين . وفي تشرين ١٩١٥ وافى الى الدير ارمن كثيرو
من مرعش وعينتاب وقونيه وانقره وبرسا وسيواس وغيرها قافلـ
فقافلة حتى بلغ مجموعهم مائة وستين الفاً بنيف عين لهم المتصرف
الكريم المعايش قدر ما امكنه . غير انه في ايار ١٩١٦ عُزل هـ
المتصرف النبيل ونصب بدله متصرف فظ الطباع لئيم فانشم من ساع
يراسل الجراكسة والعشائر القريبة ويستنهضهم لذبح المسيحيين. وعز
جميع مديري الاحسجا والشداده والصور وهنان ونصب بدلهم رجال
خبثاء مرداء . ولما استتب له الامر شرع ينتقي طائفة فطائفـة مـ
اولئك الارمن ويبعثهم مع الضباط والجراكسة الى جسر السـ
فالشداده فيقتلونهم على الطريق ويعودون بالاسلاب فيقترعون عليـ

ويستحلونها

وذات يوم جمع المتصرف زهاء بسبعمائة من البنائين من السن العشرين الى الخامسة والعشرين وبعثهم الى صحارى الدير في قوم من الجراكسة اصحاب الخير فتركوهم من دون اكل وشرب وكانت الارض فراشهم والسماء غطاءهم مدة ثمانية عشر يوماً . واشتد ما نالهم من أذى الجوع اكل بعضهم بعضاً . وبعد هذا ارادوهم على المسير فمات منهم كثيرون في الطريق لما اعتراهم من الهزال والضعف ولم يبق من السبعمائة سوى مائتين لا غير اعملوا فيهم الضرب حتى هلكوا عن اخرهم

وبعد ذلك امر المتصرف بسوق النصارى قافلة قافلة وارسل منادياً ينادي في الدير ان « من آوى اليه ارمنياً استحلت الحكومة عرضه وماله وروحه » فلم يتجرأ والحالة هذه احد المسيحيين ان يأوي اليه احداً . فاستاقوا جميع الارمن رويداً رويدا وبعث معهم المتصرف قوماً من القصابين باجرتهم فاوصلوا منهم زهاء خمسة عشر الفاً الى الشدادة وركب اليهم المتصرف وحياهم تحية السلام فتبادر الى ظنهم انه قادم لينقذهم ويوسع عليهم . بيد انه ما تأخر ان ارسل في استحضار جماعة من الخيالة انضموا الى القصابين واحاطوا بالمسيحيين وذبحوهم واطلقوا عليهم البنادق وفتكوا باكثرهم . وسارع اهالي جبور لمساعدتهم فالتحم القتال حتى كادوا يفنونهم عن آخرهم . وانتقوا من النساء والاطفال من استطابوا كمالوف العادة ثم مضوا بالعذارى الى ضفاف الخابور ففرعوهن وركبوا منهن الفواحش والقوهن في النهر . وكروا راجعين الى الشداده وجمعوا اصحاب الدكاكين

وصوّبوا نحوهم البنادق وقتلوهم جميعاً . ولما انتهى المتصرف من المذبحة عاد الى دير الزور جذلاً مسروراً

اما الاب بيدروس ترزيباشي كاهن الارمن بدير الزور فكان يختلف الى خيم الارمن المهاجرين ويقرأ لهم ما يردهم من الرسائل الارمنية ويعزيهم في غربتهم ويسري عنهم غمومهم . فاستدعاه المتصرف وقال له : بلغني ان الارمن تردهم رسائل جمة من بلادهم وتذهب انت فتقراها لهم فاصدقني هلا يبعث لهم اصحابهم ذهباً وكم من المبالغ وصلت اليهم على يدك . قال له الاب لا ادري الكمية لانه قد مضى على ذلك زمن طويل . قال له المتصرف انصرف وهلم اليّ العصر . فسار اليه والفى في غرفته شاباً موسيقياً كان المتصرف يؤدي له ستمائة غرش راتباً شهرياً ليطربه بنغماته ولما حضر الاب بيدروس امر المتصرف الجنود فاوثقوا ذلك الشاب والقوه على الحضيض وصفعوه ضربات شتى تجاه الاب حتى تناثرت لحمانه ثم اندفع المتصرف يقول للقس عليّ بكل ما ورد للارمن من النقود والا فعلت بك نظير هذا الموسيقار . فرجع الاب الى بيته مغموماً حائراً في امره لا يدري ما يصنع . فاشار عليه آله ان ينهزم الى سنجار فلم يستحسن ذلك . غير ان المتصرف استدعاه ثالثة وطالبه بالنقود ثم دفعه الى اربعة ضباط فاركبوه وساروا به الى الجسر فرأى عبد المسيح شقيقه فودعه وقال لا عدت تومل بقائي في قيد الحياة ارجع الى بيتك . ثم انضم الى الضباط قوم من الجراكسة وساقوه الى الصور فسار اليه المتصرف واستنطقه فلم يفز بمطلوبه فامر الجراكسة فمضوا به الى الخابور وقتلوه وانقلبوا راجعين .

فرأى عبد المسيح اخوه سليمان الديري عائداً فاستخبره عما جرى لشقيقه فقال له اننا حسب قولك دفعنا خمساً وعشرين ليرة الى الشراكسة ليطلقوا انساء الحرية في دفنه فلم يرضوا فتركناه تحت الشجرة وعدنا

اما ما جرى المسيحيين في الشداده والصور فانه يتعذر على اللسان والقلم وصفه وترتعش الفرائص لذكره . من ذلك ان الفتى يعقوب بن سعيد ترزيباشي وهو في السن السابعة من العمر بعد ما استاقوه مع والدته وشقيقته في مائتي امرأة وولد الى ملاحة قريبة زجوهم في بئر هناك ناكز وهم احياء فصادف يعقوب وامه واخته في تلك البئر مغارة مجوفة لاذوا بها متنحين عن البقية . اما اعداء النصرانية فالقوا فوق اولئك المكومين حطباً وقشاً وقلبوا فوقه البترول واعملوا فيه النيران فاحرقتهم ما عدا الثلاثة المحتصنين بالمغارة وغيرهم من الذين لم تصل اليهم النيران فوافى قوم من العرب ودلوا الحبال وانتشلوهم ثم ذبحوا منهم وتركوا البقيه فزجوهم ثانية في البئر ثم اخرجوهم وقتلوا منهم جماعة والحاصل انه لم يبق سوى خمس نسوة ويعقوب الفتى المذكور . امه اخته زكية فانهزمت الى خيم عرب جبور واخذت تجمع الاعشاب وتتقوت بها مدة ستة اشهر فبحث عنها عمها عبد المسيح واسترجعها الى دير الزور اما يعقوب فحملته امه سوسان بعد ما كسر الكفرة كتفها وشدخوا راس ابنها وتاهت به في الفيافي حتى وصلت الى سنجار فاستقبلها المسيحيون واغاثوهما وكشفوا عنهما الضيم . وعام ١٩١٨ عادت به الى دير الزور ثم سارا الى حلب

وافادتنا حبو قرينة جبرائيل نعلبند وغيرها ايضاً انهم راوا ابوين يسوعيين في الشدادة عراهما الكفرة وانزلوا بهما افظع العذاب ثم صوبوا نحوهما البنادق وفتكوا بهما

وروى جرجس بن عبد المسيح تازا الارديني انه يوم كان في الشداد، راى بعينه جماهير جماهير من الارمن مبثوثين في تلك البرية الفسيحة يسرحون كالغنم والجراكسة الغليظو الرقاب والقساة القلوب يثبون بهم كالنمورة الهائجة فيعرّونهم ويحتوون على اسلابهم ويعملون فيهم السيوف والخناجر حتى يتخضبوا بدمائهم فيقبل العرب الشواية فيذبحونهم ويلتون امعاءهم ويستخرجون منها ما ابتلعه القتلى من الذهب . اما الاطفال فكانوا يسوقونهم مائة فمائة ويلقونهم في الخابور او يجمعون القش والشوك ويكومونه فوقهم ويقذفون فيه النار فتشتعل وتتسعر فيرقص اولئك الاطفال داخل الاتون البابلي وترتفع صراخاتهم ونحيبهم حتى تتصرم انفاسهم . . كفاك ايها القلم كفاك اعرض عن الكتابة فان اليد ترتجف والعين تدمع والقلب يختنق

اخط وداعي الحزن يملي وكلما تعديت سطراً رملته مدامعي

قبحاً لك يا ابن ادم ما الامك وافظك . ما الذنب الذي اجترمته الرضعان والاطفال حتى تنزل بهم العذاب والنكال . ما افسد قلبك واغلظ كبدك . استرسل يا هذا استرسل في الشرور والفظائع فان

---

(١) يغلب على الظنّ انه هو الاب بطرس اغاجانيان اليسوعي الذي ساقه المحرم من الطنه صحبة اخ يسوعيّ وكان الاب بطرس شاباً بعد لم يمر على رسامته كاهناً الاّ عام واحد فقط

الك عذاباً افظع واغلظ

ثم ان الجراكسة الوحوش كانوا يهجمون على الفتيات غير المراهقات ويرتكبون منهن المنكرات ثم يبيعونهن من العرب الشواية فيكملون شهوات ابدانهن ويدفعونهن الى غيرهم . او يستخرجون امعاء الحريم ويقسرون النسوة ليسلتنها تجاههم لعلهم يصادفون فيها ذهباً . اما الحبلى فكانوا يبقرون رحمها ويستخرجون جنينها على مرأى منها ثم يقتلونهما كليهما او يضطرون الام بعد ما يشقون بطنها ان تاخذ جنينها على كتفها وتمشي بسرعة والا فيخطفون الجنين ويضربون به الصخرة تجاهها وهي تولول .. في الحق ما عاد يتيسر لي ان اواصل تدوين فواجع مرة كهذه تجري مدامعي وتجرح فوادي وترعشني فالسكوت اولى بي ولا باس ان عاودت ما كتبته سابقاً على لسان داود النبي « يا ابنة بابل الصائرة الى الدمار طوبى لمن يجزيك ما كافاتنا به . طوبى لمن يمسك اطفالك ويضرب بهم الصخرة (مز ١٣٦) كما فعلت انت يا شقية يا اثيمة . يا خبيثة يا خائنة . يا فاجرة يا كافرة ...

الفصل الثامن

تواريخ سنجار

سنجار جبل واسع الارجاء خصيب تكثر فيه اشجار التين المضروب به المثل . وكانت النصرانية شائعة ذائعة فيه تشير اليها آثار الكنائس والاديار الكثيرة الباقية اطلالها حتى يومنا . غير انه في اواخر القرن الثاني عشر تغلب عليه قوم من اليزيدية اليك شيئاً من

اخبارهم عن نسخة كلدانية سطرت سنة ١١٩٨

اليزيدية ينسبون الى يزيد بن معاوية ويعتقدون بالاه واحد تحت رئاسته ستة الهة هم يزيد والشيخ عادي والملك طاوس وشرف الدين وشمس الدين وفخر الدين وعندهم التناسخ وخلود النفس . وكان ميلاد يزيد سنة ٦٥٩ م وعام ٦٨٨ قتل جماً غفيراً من عرب الكوفه والبصرة . وعام ٨٧٩ تولى امرهم احمد جد الشيخ عادي وخلفه احمد مسفر ثم عادي فعلم اليزيدية الاعتقاد بكون يزيد الاهاً . وهو الذي فتك برهبان سنجار في اواخر القرن الثالث عشر وقُتل عادي في الطاق قتله اصحاب هولاكو المشهور وقتل ابنه شرف الدين في الجزيرة

ولليزيدية رئيسان يقال لاحدهما الحاج يصومان كلاهما اربعين يوماً في الصيف واربعين في الشتاء وهما متصفان بالرحمة والرفق .. ولهم رؤساء غيرهما . واذا ولد لهم ولد لبث ابوه في البيت سبعة ايام ثم يجتمع الاهل فيختنونه ويغمسونه بالماء اثناء الصيف . والزواج والخطف عندهم مباحان في كل السنة الا نيسان . وهم يتزوجون الى السبع نساء ويأكلون الزبيب مع العريس والعروس . ولا يتم الزواج الا برضى الابوين . ولا فرق عندهم بين البكر والثيب واذا مات الميت احضروا فرساً وشحوه بالحرير الاحمر وساقوه امام الجنازة وزفنوا امامه بالسيوف والتروس واطلقوا البنادق وذروا التراب على رؤوسهم ومزقوا ثيابهم وجزوا شعرهم فوضعوه على ضريح المتوفى

ولهم ثلاثة اعياد الاول في سلخ الصيف يسمونه عيد الاربعين

ذكراً لقتل الشيخ عادي والثاني في بدء تشرين الثاني ذكراً للشيخ عادي اذ قبض عليه اصحاب هولاكو. والثالث في اول نيسان ذكرا لاستيلاء عادي على دير النسطور

ولا تجوز القرآة والمطالعة عندهم الا لمن ينتمي الى اسرة الشيخ عادي. وتحت رئاسة الامير خمسة وعشرون اميراً وله الحرية المطلقة في القتل والنهب والعزل والنصب. وثاني الامراء لا يشرب مسكراً البتة ولا يدخل اليه من يشرب المسكر. ووظيفة الامير الثالث الصلاة والتعليم وامره مطاع يصون في بيته سلسلةً وعصى يُبعد بها الابالسة. والامير الرابع يقضي في امور الزواج وتحت ادارته مشايخ خاضعون له. اما الخامس فاصحابه يسكنون بجزانه وبجشيقه بالموصل ويجمعون الصلات والصدقات ويرسلونها اليه. اما السادس فاصحابه يسمون فقراء يترددون بثياب سوداء وهم دراويش اليزيدية يتزوجون كلهم ما عدا امامهم ويقال له الجاويش. اما السابع فاصحابه يسمون خواجكية وعددهم كثير يصومون اربعين يوماً في السنة ويحجون الى قبر الشيخ عادي ويحطبون الحطب ويقولون اننا حمير الشيخ عادي

وكان لليزيدية سبعة اصنام نحاسية اهلك المسلمون منها اثنين وبقيت الخمسة تحاكي الطيور باشكالها لكلٍ عين واحدة. وعند اجتماعهم في بيت الامام يضعون الصنم في طست ماء صغيرة ويغنون بالفارسية هالوم هالوم هاولن حتى يرقص الصنم. ذلك لا يصير الا مرة واحدة في السنة

وسنجار يشمل نيفاً وخمسين قرية اعظمها السموقة والقيران.

وعددهم في يومنا يبلغ زهاء ثمانية الاف نسمة . يسايرون النصارى ويغزون من المسلمين بل ان المسلمين يتطيرون من ذكر اليزيدية ويستبشعون مذهبهم وعوائدهم . غير ان اليزيدية ولاسيما في ايامنا هذه قد ابدوا شهامة واعمالاً صالحة سطرت لهم في قلب التواريخ ذكراً طيباً على انهم لم يمدوا يداً عادية على نصراني واحد بل احسنوا اليهم واضافوهم لديهم وحقنوا دماءهم وسهلوا لهم طرق المعيشة واليك حقيقة ذلك

الفصل التاسع

جالية المسيحيين بسنجار

رأى البعض من النصارى الوطنيين ان في غيبوبتهم عن ديارهم خيراً لهم واصون لحياتهم . لانهم مهما اطاعوا رجال الحكومة وكارموا الترك لا يحوزون الحظوة لديهم ولا يستجلبون خواطرهم . فاستدركوا المسألة وجعلوا ينهزمون رويداً رويداً الى جبل سنجار عند اليزيدية مؤثرين التغرب على التجند موقنين ان من تجند لحقه العطب والهلاك . فودعوا الاهل والاصحاب ولسان حالهم يقول :
الموت بالعز في الغربة خير من الموت بالذل في سبيل حكومة خائنة

ولما اقبل ربيع سنة ١٩١٥ اخذت تتوارد اخبار الشؤم من وان وارضروم تصرح بان تركيا قد جردت سيوف سخطها على الارمن وعلى عامة النصارى وجعلت تترصدهم بالخيانة لتوقع بهم وترديهم . فما كان من بعض الشبان الا ان طاروا باجنحة الركض او تسللوا الى سنجار منهزمين من وجوه الخصوم ضناً بحياتهم . فكان مثلهم

مثل يعقوب لما جفاه اخوه عيسو فانهزم من وجهه الى حران او موسى لما هرب الى مدين من وجه فرعون الطاغية او ايليا لما لاذ بصارفية صيدا خوفاً من احاب اللئيم

ولما وصلوا الى سنجار استقبلتهم اليزيدية ولاسيما امامهم حمو شرو بكل ترحاب وهشاشة واجزلوا لهم العطاء واجاروهم . وفتحوا لهم ابواب الارتزاق والمكسب وخصوهم ببيوت او خيم . فاستوجبوا لذلك الثناء العاطر والشكر الوافر

غير ان الجالية المسيحية ما لبثوا مضطربين قلقين لانقطاع اخبار آلهم عنهم وكانوا عارفين انهم معرّضون للاخطار حاصلون ما بين انياب الاعداء الاشرار . فكانت لذلك غيوم الهواجس والاكدار مخيمة فوقهم وامواج الاحزان والاشجان تلاطمهم وما وصلوا الى شهر تموز حتى ذاعت وانتشرت عندهم اخبار القوافل والمذابح وسوق المسيحيين والمسيحيات فتفاقمت غمومهم وازدادت همومهم وايقنوا ان آلهم واصحابهم جميعاً قد امسوا فريسة للوحوش او انتزحوا عن الوطن

ولما كان تشرين ١٩١٥ تعلقت بهم الحمى التيفونيدية على اختلاف طبقاتها لسبب المخاوف التي شملتهم . فنجم من ذلك ان شيوخ اليزيدية ولاسيما عاشور شيخ ماميصه اشمأزوا منهم والزموهم ان يغادروا بيوتهم خوفا من سريان العدوى اليهم . بل افضى الخوف بعاشور فصمم ان يحشر مرضى النصارى في محل واحد ليموتوا كلهم ويخلص السنجاريون من اذاهم . فلاذ المسيحيون بخليلهم حمو شرو كبير سنجار فاستدعى عاشوراً وتهدده واغلظ

له في الكلام فعدل عن رايه . ثم اتفق معه فخصص للمسيحيين احدى جهات داميصة ليسكنوها ريثما ينالون البرء التام

واستصعب على المسيحيين ايجاد الوسائل لمعالجة المصابين بالعدوى وتعذرت عليهم المواساة الى الموصل او ماردين في استحضار الادوية فتاتى من ذلك ان عشرين منهم قضوا انفاسهم فريسة الحمى فسخط عليهم عاشور واهل قريته وصمموا ان يخرجوهم قاطبة عن قريتهم فالتجأ المسيحيون تكرارا الى حمو شرو فجد في استحيائهم وافرز لهم تلًّا كبيرا تقاء قريته وفوض اليهم ان يبنوا بيوتا وعرازيل من خشب البلوط يشونها في الخريف حتى اذا اقبل الشتاء يعودون الى محلهم . وقال لهم اني ارى في بقائكم بالقرب مني خيرًا لكم ولما وافى الشتاء واصبحت السكنى تحت العرازيل شاقة راح النصارى يشيدون لهم بيوتا من اللبن فابتنوا بادئ بدء غرفة كبيرة يختلفون اليها كلهم لقضاء فروضهم الدينية وقيض لهم الله اذ ذاك كاهنا كلدانيًّا غيورًا اسمه القس يوسف تنكجي اضطره شديد خوفه ان يغادر وطنه ماردين ويرحل الى سنجار فجعل يخدم الابرشية الجديدة بوافر النشاط ويقيم لهم الذبيحة الالهية ويوزع عليهم الاسرار المقدسة . ولما اعتمد على الرجوع الى وطنه بلغ ذلك حمو شرو واعلمه انه قد نصب المعلم فرج الله كسبو وكيلًا ينوب منابه واستلفت نظر الشيخ اليه واستعطفه على جميع المسيحيين القاطنين بجواره . فقبل حمو شرو الوظيفة وتعهد بمجاملة المسيحيين ومساعفتهم بكل قدرته

ويقصر اللسان عن وصف كيفية اجتماع المسيحيين في المعبد الحديث فانهم كانوا يتلون اولاً السبحة الوردية ثم يقرأ عليهم

المعلم الانجيل الطاهر او فصلاً روحياً وكانوا يقيمون قداساً احتفالياً من دون قس ويرنمون الاناشيد التقوية عربية وارمنية . وكان المسيحيون يتقاطرون الى المعبد الجديد من مسافة ساعتين . ويرفعون الادعية الحميمة الى العزة الصمدانية لتكشف عنهم كل ضيم . فضارعوا بذلك اجدادهم المسيحيين الاولين . وزد عليه ان وجودهم ما بين اليزيدية الجأهم ان يكفوا عن الشتم واللعن والسب والتجديف والتفل وذكر ابليس اخزاه الله وشرب المسكرات لان ذلك كان ممقوتاً عند السنجاريين يأنفون من ذكره ويعاقبون من استعماله . فاصبح المسيحيون والحالة هذه كرهبان ضمهم دير واحد وتمت فيهم وصايا الرسول بولس . فكانت محبتهم بلا رياء . ابغضوا الشر واعتصبوا بالخير . أحبوا واكرموا بعضهم بعضاً . عبدوا الرب بحرارة . صبروا في الضيق . واظبوا على الصلاة . اعرضوا عن اللعنة وتشبثوا بالبركة . اعتنوا بالصالحات امام الله والناس معاً (روم ١٢)

وابتنت جالية المسيحيين في سنجار زهاء ستين منزلاً لمثواهم خصوا منها منزلاً كبيراً جعلوه كمستشفى نقلوا اليه جميع المرضى وتولى رئاستهم المعلم فرج الله فجمع الحسنات والصدقات من جميع النصارى لمداراة المرضى ومعيشتهم . وكان يتعهدهم صباح مساء من دون فتور ويهيئ لهم كل ما يفتقرون اليه حتى نالوا العافية التامة ما عدا فرج الله دريج فان داءه كان عضالاً تعذر شفاؤه فدفنوه بالصلاة والاكرام

وحدث لتوما بن رافائيل بوصيك انه لما انهزم من ويران شهر الى سنجار تتبعه اصحاب حسين قنجو واطلقوا عليه البنادق فاصاب

احدهم كتفه فانهزم وتوارى بين عرب عنزا ولما قصد سنجار لقيه ابن ابرهيم باشا الكردي في عصابته فطعنه برمحه طعنة كادت تودي بحياته. غير ان الله تعالى انقذه من الموت باعجوبة فوصل الى سنجار خائفاً مذعوراً جداً وما مرت عليه اشهر حتى أصيب بالحمى التيفوئدية فاصطبر على الالم زمناً حتى لفظ روحه وزوده بالاسرار الالهية القس يوسف تفنكجي الكلداني الغيور وكان عمره تسعة وثلاثين ربيعاً . ولما بلغ الخبر الى والده بحلب تواجد جداً وتغلبت عليه الهموم فعاد الى ماردين وقضى حياته كمداً . ومما يجدر بالذكر انه اثناء الحرب المشؤومة لم يتجند ولا واحد من اسرة بوصيك المذكورة

ولما كان اذار ١٩١٦ اخذت تتوارد قوافل الارمن من نواحي الشداده ودير الزور الى خف سنجار الجنوبي قصد ان يزيدهم الاعداء عناء وشقاء فطوحوهم في البراري المحلة ليموتوا رويداً رويداً . ولما شعر بهم اليزيدية خرجوا اليهم واختطفوا منهم فتياناً وفتيات جاؤا بهم الى الجبل ودفعوهم الى المسيحيين عراة حفاة نحيفي البنيه شمل الهزل اجسامهم وعلا الاصفرار جباههم وامست عظامهم ظاهرة فكانوا الى الموت اقرب منه الى الحياة . فاستقبلهم المسيحيون بترحاب وبالغوا في اسعافهم واثنوا على من وافى بهم

وحضر اذ ذاك الى سنجار طائفة من الماردينيين بحال يرثى لها انهزموا من الشداده وغيرها من فم الذئاب المفترسة وكان في جملتهم سوسان قرينة سعيد ترزيباشي وابنها يعقوب (هنا ص٣٦٧) فهذه لما وصلت الى سنجار كانت لازيد ما الم بها من العذاب قد تبدلت

صورتها وتعذر عليها التكلم فبالغ المسيحيون ولاسيا عبد الكريم قره كله في معالجتها حتى نالت العافية · وحضر الى سنجار بعدها كثير من النساء والرجال المنكوبين بلغوا ثلاثمائة نسمة اركنوا الى الفرار من امام العدو الغدار فاستقبلهم المسيحيون واغاثوهم واعتنوا بشفائهم

فازداد عدد المسيحيين وتعذرت عليهم بواعث المعيشة فهزت الغيرة الدينية كبراءهم فنظموا اكتتاباً خيرياً لمساعدتهم وجمعوا لهم مرة الفين واربعمائة غرش ومرة الفين الخ وامتاز بين المتبرعين على اولئك المنكوبين الياس مالو وعبد الكريم قره كله والياس شوحا وغيرهم

ولما اقبل صيف ١٩١٦ نشط النصارى ليشتغلوا ويسعوا في استحصال الرزق والمعيشة فراجعوا اليزيدية وضمنوا كرومهم وبساتينهم بالمناصفة واستغلوا منها كفافهم · وراسل غيرهم من بقي من اهلهم بماردين فبعثوا اليهم شيئاً من الابر والعلك والسكر والشب والفضة والذهب وما شاكل ذلك فاخذوها وطافوا القرى وبدلوها بالقمح والشعير والعدس لقوتهم وقوت اخوانهم · فتداركهم الرب المنان بالطافه ووسع عليهم وجوه الارتزاق حتى انهم استحصلوا ما كفاهم وكفى الغريب ايضاً

ولما اشتد الغلاء وارتفعت اسعار الحبوب ارتفاعاً فاحشاً وعمّ الجوع جميع من في الجبل · راح النصارى الى عشيرة طي غير مكترثين للاخطار وجاؤا بكمية وافرة من الشعير والدخن والذرة وما شاكلها مما كفاهم مؤونتهم حتى اصبحوا في عيشة راضية كأنهم اخصبوا بعد الجدب والقحط وغدت السنتهم تحمد الله وتشكره على فتحه في وجههم ابواب جوده العميم وسخائه الوافر · حتى ان حمو شرو لما

راى من النصارى ما راى ما تماسك ان قال « اني لمنذهل اشد الانذهال منكم يا نصارى · فان بواعث المعيشة تعذرت علينا نحن اصحاب الزروع والكروم والمواشي وانفسحت لكم فاحتاج اليكم اولادنا بارك الله في همتكم واتعابكم » وما هو اغرب من ذلك ان اليزيدية لما راوا النصارى رافلين بحلل العيش الطيب والرخاء تحفزوا لسلب مؤنتهم فبلغ الخبر مسمعي حمو شرو فاصدر الامر الى منادٍ يقول « من اغتصب او سرق شيئاً من النصارى نهبت بيته ونفيته » ونفذ امره هذا بنفر من الحلكية المتعصبين

لعمري ان اللسان يقصر عن تعداد اوصاف حمو شرو النبيل فان النصارى راوا من فرط اكرامه لهم وتوسيعه عليهم ما لم يعهدوه في غيره ممن كان من اكرم الرجال وافضلهم · وقد كافأه الرب على مروته وشهامته بان استقامت اموره في الايام الاخيرة وصفت له الدنيا وانيطت بعهدته مصالح الجبل ونال الحظوة والشرف وخلد له ذكراً طيباً في قلب كل من عرفه واطلع على اعماله

الفصل العاشر

تتمة حوادث سنجار

وفي ربيع سنة ١٩١٧ انفتح باب بغداد فوافى الى سنجار قوم من العرب يبلغون النصارى ويخبرونهم في السفر اليها وبذلوا لهم عهد الامان · فسار معهم ثلاثون شخصاً من الماردينيين دفع لهم كل واحد ثلاث ليرات · وغب وصولهم الى بغداد على الطائر الميمون بعثوا الى اصحابهم باخبار السلامة والطمأنينة · اما الاهالي بماردين فكاتبوا

رجالهم او اخوانهم بسنجار ان قد انقشعت سحابة الخطر فلا بأس من حضوركم . غير انهم لم يجسروا على الحضور لعلمهم بان اعداءهم يترصدونهم ليهدروا دماءهم ويضيفوهم الى من سبقهم . فظلوا يزاولون شغلهم في سنجار حتى صيف سنة ١٩١٧ فشخص منهم قوم الى سرجي وتل هلين والدربيسية واكتتبوا في عملة السكة الحديدية انتجاعاً الرزق ليس الا

وفي اذار ١٩١٨ تعرض الاتراك لمعاداة جبل سنجار واضطرموا حنقاً للاستيلاء عليه والفتك باهاليه . فاوفدوا الى لحفه شرذمة من الجنود في مدافعهم وقنابلهم وحصروه . واوفد قائدهم رسالة الى حمو شرو يقول « ابعث الي جميع من عندك من النصارى اللائذين بك وكل ما لديك من الاسلحة والا انزلت بكم الوبال واخربت دياركم » وكانت الرسالة موقعة بامضاء « محيي الدين بك القومندان رئيس تعقيبات جبل سنجار »

ولما طالع الرسالة حمو شرو تحمض على القائد وكاشحه بالعداوة وقال: « كيف يتاح لي ان ابعث اليه النصارى وقد بذلت لهم الامان وحلفت بشرفي وبختي اني لن اخونهم . كلا وحق الخرقة [1] اني لن اسلمه احدا منهم ما دام بعيني ماء . غير اني متى ذبحت انا واولادي فللاعداء ان يفعلوا ما يرون ثم استتلى يقول . ان القومندان يطلب سلاحنا . يا للغرور أنبعث اليه بالسلاح ونبقى مستهدفين لنباله » قال هذا وارسل في استحضار مشايخ الجبل وبلغهم اوامر القومندان السامية العالية وصرح لهم بمكنونات قلبه وخلاصة فكره في انكار

(١) هو اكبر قسم عند اليزيدية

طلبه بتاتاً . لكنهم لسوء الحظ انكسروا على قسمين قسم قضى بالمقاومة وقسم حتم بالتسليم فالح عليهم الشيخ بالاتفاق جميعاً ففت ذلك في عضده . وراحوا من عنده وتالبوا في بردحله مسلحين وخيموا في شيب القاسم وهو مقام زيارة لهم

اما حمو شرو فانتقى نفراً من الفقراء المنتمين اليه فشدوا على اثاره وانحدروا لمقارعة الجنود التركية ومصارعتهم في بوغاز كرسه . فالفوا ثلاثة توابير من الجيش التركي رابضين في خان يبعد عن الجبل زهاء ساعتين يتربصون الفرصة الهجوم على الجبل والتمثيل بمن به . ويوم السبت ليلة عيد الفصح تقدم الجنود من الجبل وصاقبوا المضيق واطلقوا مدفعاً صوبوه نحو شيب القاسم ارتجت له ارض الجبل وارتجفت افئدة سكانه هلعاً . ثم جعلوا يتقدمون الهوينا وحمو شرو ورجاله في الكمين يترصدونهم ليستشفوا العاقبة . ولما دنوا منهم صوبوا نحوهم البنادق فقتلوا من الترك نحو خمسة عشر . فنزل خلف السنجاري الى مكان القتلى ليأتي باسلحتهم فبغتته اربع رصاصات القته على الحضيض واماتته

اما حمو شرو فلما راى قوة العدو وكثرتهم تخوف من تقصير يقع به او هلاك يفاجئه ان استمر في الكمين فراى ان في رجوعه الى القرية اولى له . ولاسيما لان عدد رجاله قليل . ولما شارف قريته صاح بالنصارى اعزائه " اني انصح لكم اشفاقاً على مهجكم وضناً بانجالكم ان تخرجوا من بيوتكم قاطبة وتاخذوا زادكم وتبادروا الى الجهة الجنوبية فان العدو على ما ارى مقبل نحونا " . فنهض النصارى وانهزموا باجمعهم اقبح هزيمة تاركين اثاثهم واثقالهم

وهم يعوون ويضجون كالسكارى . وتطلعوا الى ورائهم فاذا بالجنود التركية قد دخلوا ماميصه ونشطوا ينهبونها وواصلوا الهجوم حتى بلغوا عند الاصيل الى قرية النصارى . واول بيت دخلوه صادفوا شيخاً تعذر عليه الانهزام فاطلقوا عليه الرصاص وقتلوه ثم عاثوا في البيوت وعبثوا بما فيها ونهبوها

اما النصارى فظلوا يتسلقون مصاعد الجبال يتقحمون المسالك الصعبة خائفين خائري القوى لشديد ما استحوذ عليهم من الرعب والهلع . وعلت اصوات النساء والاطفال والمواشي معاً فكأن القيامة قامت والوالدة اضاعت ولدها لتفاقم الخطب وتراكم الشر

اما الاتراك فوصلوا الى قرية حمو شرو وتفجروا عليها غيظاً ونهبوها واوقدوا بها النيران واستولوا على ما فيها ثم ساروا الى غيرها فاعلن اليزيدية حينئذ بالخضوع والتسليم . فاقام الاتراك وكيلاً لهم في ماميصه ونصبوا خفرة في القرى وانقلبوا راجعين فارتاح اهالي سنجار . وكان العسكر التركي ينقص رويداً رويداً لانهم ملوا الاقامة بالجبل . فعاد سيف اليزيدية الى نزعته وجردوا عزائمهم للاثار من الترك فكانوا كلما راوا واحداً وثبوا به وقتلوه واخذوا سلاحه فما كان من البقية الا ان انهزموا وغادروا الجبل

امـا النصارى فان منهم قوماً واصلوا السير حتى بلغوا خيم مشايخ طي فلاذوا باحدهم ورضخوا له مبلغاً ليسير معهم ويكفيهم شر اعـدائهم . فاستصحب ذلك الشيخ من ارضاه بدفع الدراهم وترك الفقير والعاجز . وظل قوم منهم في جنوب سنجار قضوا ثلاث ليال حزانى مايوسين فراشهم الحضيض وغطاؤهم السماء فادركهم

الضجر والملل فاستصرخوا الله القهار الكاره ووضعوا عليه كل اتكالهم وقاموا يسوحون من قرية الى قرية ومن عشيرة الى عشيرة حتى وصلوا الى نصيبين حفاة جائعين . اما من تخلف منهم في سنجار فانضموا تكرارا الى اليزيدية ورجعوا الى قراهم . وكانوا كلما تذكروا دوي المدافع توثقت عقد ارتعاشهم وتكاثر خوفهم . فكان مثلهم مثل من رشق بسهمين لا يضمد جرحه الاول حتى يصاب بجرح ثان

واليك اسماء العيال المسيحية الماردينية التي هجرت الى سنجار فيحقن حمو شرو دماءها . الياس مالو وبيت عمه . فرج الله كسبو . اسرة كجو . وحنجو . وبلبلي . وخوداي . وابرط . وعمجا . ودريج . وطازباز . وحيتك . وبرغوث . وقليونجي . وبازا . وسرقه وبوشه . وبغدي . وسعرتوي . ومنكلو . وفروجي . وشد وحندواء . وبازوعا . وصول الخراب . واصبهان . ومانمو . ونعمو ومقدسي . عموس . وجمالديني . وتتري . واصاو . ونعلبند . وغيرهم

اما الافراد فكانوا من بيت ازرق . وحاجيكه . ومامش . ومشقع . ونهبيا . وزرمبا . وسحار . وكويل . وباهي وكزابيت وطماس . وجابر

وكان في سنجار من السريان الكاثليك اسرة بنوصيك . وقره كله وصلبو . وجرخي . وجرباقه . ونانو . وبتو . وبنابيلي . وموري منصور . وشمعي . ومن الكلدان الياس شوحا . وتمرز

ولك ايها القارىء النجيب ان تعتبر مما اوردناه ان اليزيدية عباد الطاووس والشيطان فاقوا وفضلوا بني عثمان برفقهم ومجاملتهم وحسن

معاملتهم للانسان . فاستحقوا لذلك الثناء العاطر من كل فم ولسان وإذخر الاتراك لهم ولاعقابهم سوء السمعة وقبيح الذكر على تتالي الازمان .

اما محيي الدين بك القومندان التركي المذكور الذي حصر سنجار فان حمو شرو الشيخ الكريم بلغ امره الحاكم السياسي بالموصل فحكم عليه بتأدية الفي ليرة ذهبية او مزاولة الاعمال الشاقة مدة خمس سنوات . وقد ذكر لنا غير واحد انهم راوه يشتغل اليوم مع العملة في ازقة الموصل . وجزاء سيئة سيئة مثلها

الفصل الحادي عشر

مذبحة الجزيرة

الجزيرة او جزيرة ابن عمر وتعرف بازبدى بلدة على ضفة دجلة رديئة المناخ كان يسكنها قوم من الكلدان والسريان واليعاقبة لكل ملة مطران وكنيسة وعدد من القسان . وفي نيسان ١٩١٥ سير اليها رشيد الوالي زلفي مبعوث دياربكر (ص ١٥٠) فاثار الاكراد وحرضهم على سفك دماء المسيحيين دون استثناء . واتفق ان السيد يعقوب مطران الكلدان ذهب ليزوره فما كان من زلفي الا ان تجهمه وسخط عليه وقال له « سيوافي يوم نحملك فيه مائة كيلو شعيراً ونسوقك سوق الحمير » فاضطرب المطران وعاد الى قلايته كئيباً

ولما دبت عقارب المذابح في ارمينيه ودياربكر انهزم بهنام العقراوي مطران اليعاقبة الى آزخ وظل المطرانان الكاثليكيان في

مركزيهما حتى اذا كان ٢٧ آب كبست شرذمة من الجند كنيسة السريان والقوا القبض على السيد فلبيانس ميخائيل ملكي[1] وعلى الخوري شمعون والقس بولس قسطن الافرامي ومضوا بهم الى السجن وانقلبوا الى كنيسة الكلدان من بغتة واستاقوا المطران يعقوب والقس حنا والقس ايليا والقس مرقس ويوسف سعيد ومضوا بهم الى السجن واضافوهم الى الاولين . واتفق ان ايلي بنت اسطيفو قصدت نحو السجن لتقف على الخبر فاعطاها السيد ميخائيل صليبه وقال لها ارجعي حالاً الى بيتك فصادفها احد الطواغيت في الطريق فوثب بها واختطف الصليب وهددها بالقتل فاسرعت الى بيتها وانزوت . وملكت الرعبة افئدة المسيحيين فاحيوا تلك الليلة بالصلوات والطلبات

وليلة ٢٨ اب استدعى دعاة النفاق المطران يعقوب الى المحكمة واستنطقوه عما عنده وعند جماعته من السلاح فنجحك منهم المطران وايد لهم ان ليس عنده وعند ابنائه شي من ذلك بتة . اما الحضور فاربد لونهم واستشاطوا غضباً وتناوبوا في ضربه ثم اطلقوا عليه ثلاث رصاصات فخر شهيدا وكان عند كل طلقة يرسم على جبهته اشارة الصليب الكريم . وبعد هذا حملوه الى خارج الجزيرة وعروه وتركوا جثته على ضفاف دجلة وانقلبوا راجعين

ثم استدعوا المطران ميخائيل واستوضحوه كالسابق فلزم الصمت لانه ادرك الدسيسة واكتشف الحيلة وايقن انه صائر الى ما صار

(١) ارتسم مطراناً على الجزيرة في ١٩ كانون الثاني ١٩١٣ بوضع يد غبطة السيد اغناطيوس افرام رحماني بطريرك السريان الكاثليك

اليه رفيقه الشهيد . اما اعداء الانسانيـة الشاحنون فما توقفوا ان سطحوه على الحضيض وعقلوا قدميه وصنعوه صنعات شتى حتى كلوا وتعبوا فاغمي على الحبر النبيل وغدا بين حي وميت فاخرجوه خارجاً واستهدفوه الرصاص حتى فاضت روحه فاوثقوه وجروه الى موضع رفيقه الشهيد وعروه وتركوهما كليهما فريسة للوحوش وانقلبوا الى دار الحكومة فاعملوا الضرب الوجيع بلفيف الكهنة ونكلوا بهم اشد التنكيل واستاقوهم على اخر رمق وعروهم وفتكوا بهم اجمع

وفي ٢٩ آب شد الجنود على دور النصارى وقبضوا على جميع الرجال وساروا بهم الى السجن فظلوا اربعة ايام في عيش ضنـك وضيق شديد ثم استنطقوا الوجهاء عما عندهم من البنادق والقنابل واعملوا الضرب في اغلبهم واخيراً اوثقوهم بالسلاسل والحبـال واستاقوهم الى محل قريب وقتلوهم واستحوذوا على الامتعة والثياب

وفي اول ايلول حملوا على دور المسيحيين وقبضوا عـلى النساء والاطفال وافادوهم انهم مزمعون ان يسيروهم الى الموصل عنـد ذويهم فاستاقوهم قاطبة في بكاء وعويل شديد وقتلوهم واحتووا على ما كان عندهم من الثياب والذهب وانتقوا من استحسنوا من الفتيـان والفتيات ورجعوا بهم الى بيوتهم مسرورين . ولم يبق في الجزيرة سوى اربع نسوة احتجبن عن الخصوم في دار احد المسلمين فحقن دماءهن وكانت من جملتهن عفيفة بنت ملك معمارباشي بذلت ذهباً وافراً حتى تيسر لها الحضور الى ماردين سالمة . وكان في الجزيرة اثناء النازلة قوم من رجال ماردين كمحمد رسول ومجيد نازو واخي خضر جلبي وغيرهم ممن شاطر الاتراك في المفاسد واعانوهم على المظالم

الفصل الثاني عشر

مذبحة سعرت

سعرت او سعرد بلدة من ديار ربيعة قريبة من شط دجلة تحيط بها الجبال وفيها شيء كثير من اشجار التين والرمان والبندق والبطم والكروم جميع ذلك عذي لا يسقى . وهي متصرفية خاضعة لولاية بتليس وبينها وبين ماردين اربعة ايام . وكان في سعرد وقراها قبل المذابح اكثر من اثني عشر الف نسمة من المسيحيين من كلدان وارمن ويعاقبة وسريان . وكان يدبر شؤون الكلدان السيد ادى شير المؤرخ والعلامة الشهير تلميذ الاباء الدومنكيين . وكان في سعرت ثلاثة من الاباء الدومنكيين وهم الاب شاريو والاب ميشيل دي بواسيه والأب لويس صائغ لهم دير ومدارس للفتيان والفتيات وميتمان يقوم بهما ثلاث من راهبات تقدمة العذراء تحت يدهن اربع معلمات بلديات . وكان للدومنكيين كذلك مدرسة يتعلم فيها الشبان شيئا من الصنائع . فاذا عرفت ذلك كله هلم نقص عليك ما حدث لهولاء المسيحيين اجمع اثناء الحرب المشؤومة

ذلك ان رجال الحكومة بعد اشهار الحرب باسابيع اضطروا الاباء الدومنكيين والراهبات ان يغادروا سعرت الى اوطانهم ففوضوا امور مدارسهم ومياتمهم الى الكهنة والمعلمات الوطنيين والى وكيلهم سليمان شقيق الخورفسقفس افرام حيقاري رئيس دير الشرفة بلبنان

وفي اواسط حزيران ١٩١٥ ثار ثائر الخصوم فكبسوا طائفة من

المسيحيين داخل الدور ونكلوا بهم شديد التنكيل وقتلوهم ثم القوا القبض على الوجهاء كأسرة عبوش النبيلة التي كان افرادها يناهزون ستين نسمه واسرة ايواز واسرة موسى كوركيس واسرة اوشو وغيرها حتى بلغ المجموع نيفاً وستمائة شخص وزجوهم قاطبة في اعماق السجن وحرجوا على ذويهم ان يتفقدوهم او يحملوا اليهم الغذاء الجوهري . ثم طفقوا يستدعون الكهنة والوجهاء الى منقع العذاب ويستوضحونهم عن مخابيء الاسلحة وينزلون بهم ضروب الالام فعذبوا كهنة الارمن الخمسة وسائر الوجهاء واغار احمد آغا كبعه السعردي على القس ابرهيم رئيس السريان المنفصلين وحز هامته واثار الاجلاف ليلعبوا بها في شوارع المدينة . ثم حمل قاسمه واصحابه العفاريت على دار القس جبرائيل كبو الكلداني تلميذ الاباء الدومنكيين واستاقوه اعنف سوق الى دار الحكومة وما كاد يصل اليها حتى عروه وتناوبوا في ضربه وتعذيبه بالمدى والشفار وكانوا في كل طعنة يلحنون عليه ان يجاهر بالاسلامية . غير ان الاب القديس ابى عليهم ذلك وكان لا يزال يصيح باعلى صوته . اني اموت على دين المسيح القويم حتى فاضت روحه فقطع الخصوم هامته ودحرجوها الى اعماق الخندق القريب المعروف بخندق بيت الاغا

وما قضى السجينون في الحبس اربعة ايام حتى تكالب عليهم الاعداء واوثقوهم واستاقوهم جميعاً سحراً الى وادي زرياب شمالي سعرد يبعد عنها مسافة ساعة وهناك تكاثفوا عليهم وجردوا الاسلحة والخناجر ليفتكوا بهم فنهض القس افرام القصوراني السرياني والقى عليهم خطاباً وجيزاً حمسهم في ايمانهم وشدد عزائمهم ليخوضوا

غمرات المنون حباً الى فداهم فعلت حينئذ الصيحات بشدة حتى سمعها من بقي في البلد فكأن الجبال ارتجت وتصدعت والارض اهتزت وتزازلت . ثم ان الخصوم حملوا عليهم حملة منكرة وذبحوهم عن آخرهم ورجعوا بثيابهم والبستهم الى البلد وتقارعوا عليها

وبعد ذلك هجموا البيوت ثالثة وقبضوا على النساء والفتيان والفتيات والفوا منهن ثلاث قوافل استاقوا الواحدة تلو الاخرى وركبوا من اغلبهن الفواحش والمنكرات وكانوا لازيد حقدهم ولومهم يسوقونهم حفاة عراة جياعاً عطاشا في مخاصر الطرق الوعرة ازداد الهم ووجعهم وابقوا على عدد صالح من الفتيات غير المراهقات ليشبعوا بهن شهوات قلوبهم الفاسدة . ولم يذروا في البلد سوى قوم من الاطفال قدموا لهم المعايش زمناً حتى شارف جنود الروس تلك الاراضي فوثبوا بهم وقتلوهم في سري زينة

وفي ١٦ اب ١٩١٥ وصل من سعرت الى ماردين ثلاث معلمات منتميات الى الرهبنة الدومنكية وهن وارينا وبرنديت وريجينا تبعهن ثلاث نسوة ايضاً فاستاقهن الجنود العفاريت من سعرد اخر القوافل وكان عددهن ثلاثمائة وخمسين ونيفا لم يبق منهن سوى بضع عشر نسوة . وكان اعداء الانسانية يعرونهن من الصباح الى العصر ويتركونهن مكشفات تجاه الشمس لتطبخهن بهواجرها . ولم يأذنوا لهن البتة ان يأكلن او يشربن وكانوا يضطرونهن الى المسير في مستعجلات الطريق الوعرة . وعند الليل كانوا يحملون عليهن كالخنازير النجسة وفي يديهم المشاعل فيتخيرون من استحسنوا لارتكاب ما حرّم الله . وجعلوا ذلك ديدنهم الوحيد في كل مرحلة حتى اذا

دنون من ماردين تمكنت النسوة الست من استحصال ثياب مرقعة تستترن بها وشخصن الى كنيسة السريان الكاثليك فاستحقهن الاب بيره رئيس الدومنكيين وبلغ امرهن الى السيد جبرائيل تبوني مطران السريان فصرف المساعي في كشف الضيم عنهن واوفدهن الى دير الراهبات الافراميات واجرى عليهن الاعطية والمعايش وعني بكسوتهن وسائر تكاليفهن مدة سنتين كاملتين ثم ارسلهن الى الموصل

اما السيد ادي شير النبيل فاشار عليه عثمان اغا الديرشوي ان يرحل عن سعرد الى دير شو وما مر عليه اسبوع حتى شعر به علي نقيب الاشراف والقاضي فجردا اليه العسكر ولما ابصروه وثبوا به وارادوه على الاسلام فابى فصوبوا نحوه البنادق ليقتلوه فقال لهم : سالتكم بالله ان تمهلوني هنيهة فجثا وصلى ثم لبس ثوبه وتقلد صليبه وركع وقال : لكم الحرية ان تفعلوا ما يعجبكم فاوغلوا في تعذيبه وفتكوا به وعادوا بامتعته الى علي والقاضي . غير ان الله جلت احكامه انتقم للحال من علي المزبور ومن ابنه ايضاً فقتلا كلاهما شر قتلة

وتشاغل الاعداء بعد ذلك بتوزيع اموال المسيحيين واستحلال ارزاقهم ومساكنهم فجعلوا كنيسة الكلدان الكبرى جامعاً سموه الجامع الخليلي تيمنا بخليل باشا راس النحوس عندهم . وخصوا مقام الاباء الدومنكيين بمستشفى العسكر . واكتشفوا على مطامير النصارى وخزائنهم من جملتها مطمورة بضائع ثمينة بلغت قيمتها فوق الاربعة الاف ليرة كان سليمان حيقاري قد اخفاها في غرفة داخلية بداره وسيع الجدار لئلا يشعر بها اولو المطامع . واختلسوا

كل ما وجدوه في مخازن النصارى ودكاكينهم من غال ورخيص وتبايعوا عليه . فنقلوا مثلاً من مخزن سليمان حيقاري بضائع بثلاثة الاف ليرة تقريباً واختلسوا من مخزن اسرائيل منصور صهره اموالاً جاوزت قيمتها ثلاثة الاف ليرة ايضاً وقس على ذلك مخازن بطرس القس اشعيا ودكرمان والمقدسي ميرزا ويوسف حيقاري وغيرهم

وما اجترمه محادو الانسانية في سعرت اجترموه في جميع القرى فقتلوا وذبحوا واختلسوا وسبوا وافحشوا ولم يدعوا فيها من النصارى نافخ نار

ونختم هذا الفصل بما جرى لاسرة حيقاري السريانية فان الخصوم بعدما فتكوا بكبيرها سليمان لاذت امه وشقيقته وقرينته وانجالهما بدار احد المنصبين وبذل الوسع في تسفيرهم الى الموصل سليمان افندي الكركوكي رئيس شعبة اخذ العسكر الذي كان سكن احد بيوتهم واخذ منهم بدل ذاك كثيراً من الحلي والجواهر . ونجا من تلك الاسرة سعيد الموجود اليوم في مرسيليا وشقيقه الدكتور جورج رئيس معالجة داء الكلب في مكتب الطب الفرنساوي ببيروت وظل هذا مختفياً في جبال لبنان يتاسي الامرين حتى انطفأت جذوات الحرب المشوم

الفصل الثالث عشر

مذبحة كربوران

كربوران بلدة مخصبة في طور عبدين اغلب اهلها يعاقبة وارمن وسريان كاثليك . ولما شبت نيران الذابح استدعى المدير اولاد

على رمو ومشايخ العشائر واستنهضهم ليفتكوا بجمهور المسيحيين فحملوا من فورهم على البلدة وحصروا النصارى في بيوتهم مدة اربعة ايام يقاتلونهم فلا يقوون عليهم حتى ادى بهم العجز والضجر الى كشف سقوف البيوت والقاء التبن والعشب والقشاشي على الساكنين واضرموا فيها النيران حتى احترقوا جميعاً . اما الذين انهزموا فحملوا عليهم وقبضوا على اكثر من ستمائة شخص واوثقوهم رويداً رويداً وساقوهم الى السجن ولم يستحيوا سوى النساء والفتيات الحسان

وبعد ذلك اوفد المدير في طلب يعقوب مطران السريان اليعاقبة وقال له اعلم ان ليس في مكنتنا مقاومة العشائر او صدهم عن ارتكاب الجرائم والمنكرات . وفي ظني انهم متى ظفروا بك قتلوك لا محالة . فهلا تسمع نصيحتي وتجاهر بالاسلامية فان ذلك احوط لك وابقى لحياتك . فاقتنع المطران لسوء حظه بكلام المدير ولبث في داره ضيفاً معززا مكرماً يومين كاملين

ولما درى بذلك الشماس يعقوب بن يوسف بامردي وكان مختفياً عن الخصوم خاطر بنفسه وسار الى دار الحكومة واستأذن في الدخول فالفى المطران جالساً الى عين المدير والعمامة البيضاء على راسه فما تماسك الشماس ان بصق عليه وقال له « واذلاه لك . كيف وانت امام الملة نبذت جوهرة ايمانك الثمينة وبعتها بعمامة بخسة القيمة طمعاً في حياة وجيزة قصيرة » قال هذا وانقلب راجعاً ونزل الى الحبس وانضاف الى النصارى اصحابه يندب حالة المطران الشقي ويتأسف عليه . وفي تلك الليلة ذاتها هجم الجنود والاكراد على المسيحيين المسجونين فاوثقوهم كافة واخرجوهم زوجاً زوجا الى

موضع مصاقب لدار الحكومة وقتلوهم جميعا . وكان الشماس يعقوب يبعث فيهم روح الشجاعة ويحمسهم قائلًا لهم بالسريانية ما شرحه " اننا خراف المسيح يلزمنا ان نحتمل ما احتمل المسيح لنملك مع المسيح . ثم التفت يقول لابن اخيه تشجع يا ابن اخي المحبوب وتقوَ فاننا عما قليل نغمض عيننا ونفتحها في السماء ونشاهد المسيح فادينا "

اما يعقوب بلا مطران (كما يقول اليعاقبة) فان مصطفى بن علي رمو قصد بعد المذبحة دار المدير والح عليه ان يسلمه المطران فأبى وقال له لا جناح عليه لانه اسلم فالحف مصطفى في الطلب فرفض المدير . فما كان من مصطفى الا ان وثب بالمطران واوثقه واخرجه قسرا وذهب به الى محل قريب من دار الحكومة وامر اثنين من اعوانه فقتلاه شر قتلة [1]

اما الكنائس وما فيها فاستولى عليها الاعداء. ولم يبقَ اليوم في كربوران سوى ثلاثة او اربعة من النصارى هجروا ايمانهم واسلموا

الفصل الرابع عشر

مذبحة دير العمر ودير الصليب وباسبرينا

ما زال حتى اليوم ابرهيم بن شندي واخوته وذووه يدّعون بان دير العمر يخص المسلمين وان عمر ابن الخطاب ٦٣٥ — ٦٤٥ هو الذي انشاه واطلق عليه اسمه . ذلك يستغربه كل من له المام

(١) اكدت ذلك امرأة شقيق المطران المنكود الحظ وكانت اذ ذاك عند المدير بمثابة خادمة .

بتواريخ طورعبدين واديارة ويزداد استغرابنا اكثر فاكثر لدى سماعنا بعض ايمة اليعاقبة يقررون ذلك ويؤيدونه امام وجهاء الحكومة ويدعون بان عمراً المذكور هو مؤسس الدير مستندين في ذلك الى اسمه ܥܘܡܪܐ (العمر) وفاتهم ان العمر لفظ سرياني يراد به الدير او مسكن الرهبان. ومن اراد أن يطلع على الحقيقة فله ان يراجع ما سطر على صفحات المشرق (١٦ : ٨٣٥) فيرى ان دير العمر يخص الكاثليك لا اليعاقبة لان ابن العبري اليعقوبي ذكر في تاريخه البيعي انه شيد سنة ٣٩٧م اي قبل انفصال اليعاقبة من حضن امهم الكنيسة الكاثليكية بقرن ونصف قرن ثم جدده السريان اليعاقبة في اواسط القرن السادس واليك ما جرى للدير اثناء الحرب

في خريف ١٩١٧ جهز شندي المذكور عسكراً وحمل على الدير واراد الحراس الاربعة الذين به على الخروج منه يقول ان الدير عائد الي. ثم دخل اليه في اصحابه فوثبوا بالرهبان والقسان وبسبعين من نصارى كفربه ومضوا بهم الى محل قريب وقتلوهم قاطبة ولم يفلت منهم سوى صبيين فقط انهزم احدهم الى باسبرينا والاخر الى عينورد . واستحوذ شندي واصحابه على الدير بما فيه من كتب واثاث وذخيرة وما برحوا حتى يومنا مستوطنين فيه

اما من بقي في كفربه من النصارى فدافعوا عن ارواحهم مدة ستة اشهر فامنتهم الحكومة ورفعت عنهم الحصار وما مضى على ذلك ثلاثة اشهر حتى ثار بهم العشائر وفتكوا بهم داخل بيعة مار اسطفانس واحتووا على املاكهم وامتعتهم ولم ينج منهم الا نفر يسير تفرقوا طرائق في القرى المجاورة

واحتشد من اليعاقبة جم غفير في دير الصليب النصيبي فسار اليهم اولاد علي رمو في عشائرهم وحصروهم زماناً فلم يصيبوا منهم الغرض فتركوا عندهم عسكرا ليحفظوهم وتصرف باملاكهم امام قرية زاخرا . وفي ربيع ١٩١٨ بذل لهم علي كلمة الامان ووعدهم بالنجاة من كل سوء ففتحوا له الباب . وما مر القليل حتى تغامز هو واصحابه على قتلهم . فاغاروا على الدير في سبعة من الجنود وقصبوهم عن اخرهم ولم يعفوا الا على بعض النسوان الحسان واستحلوا الدير بما فيه

اما نصارى باسبرينا فان الحكومة ارسلت اليهم عشرة جند ليصونوهم على قولها . فلما راى ملكي حنا حيدو امام القرية ما جرى بنصارى القرى المجاورة ايقن ان العشائر سيهجمون على قريته ايضاً ويفتعلون بالاهالي ما افتعلوا بغيرهم . فاستدعى كبير العسكر وقال له ارى ان تسلمونا سلاحكم لنقاتل العشائر متى وثبوا علينا فلم يرضَ . فسار اليهم ملكي في جماعة من اهالي القرية واختلسوا سلاحهم واخرجوهم عن القرية ووعدهم ملكي انه لا يضرهم . ولما وصلوا الى مذيات وبلغوا القائم مقام ما صار امتعض اي امتعاض وحرد على النصارى وعلق يتحين الفرص للانثار منهم وفي ربيع ١٩١٧ اوفد القائم مقام الخوري عيسى وجرجو مختار عينورد في جماعة من اليعاقبة الى باسبرينا يدعون الاسلحة المختلسة ويطلبون علاوة عليها اسلحتهم ايضاً ووضعوا شرذمة من الجند عندهم ليحرسوهم . فرضي ملكي بذلك وتبادر الى ظنه ان سحابة العدوان قد انقشعت وان الحكومة قد عدلت عن سابق فكرها . ولما سمع العشائر طفقوا

يغدون ويروحون وهم يستفظون المسيحيين ليستأصلوا شأفتهم . وبعد ذلك طلب الجنود من المختار ان يسلمهم الكنيسة ليبيتوا فيها لياتهم فرضي . ومذ ذاك ازداد عدد الجنود شيئاً فشيئاً حتى بلغوا المائة وهم داخل الكنيسة وملكي معهم . واتفق ان العشائر تألبوا على القرية وطلبوا المختار فاتفق معهم العسكر والقوا القبض عليه واحرقوه

وكانت باسبرينا منقسمة قسمين هذا مع ملكي المقتول وهذا مع الشيخ اوجين فانضم حزب اوجين الى العشائر بعد قتل ملكي بثلاثة اشهر وهجموا على اتباعه ليلاً وفتكوا بكبارهم وصغارهم فتكاً ذريعاً . وظلت باسبرينا في قبضة عشيرتي الصالحية والدومانية فاستحوذوا على البيعة والقرية وعلى جميع ما فيها ولم يبق من النصارى سوى زهاء عشرين بيتاً ممن انتموا الى اوجين . وكان قوم من حزب ملكي قد لاذوا بجبيس برصوما فثار بهم اعداؤهم ونقبوا الجبيس واحرقوهم عامة

ولما سمع علي بطي إمام عشيرة الخزير كان بما جرى لصديقه ملكي حيدو ارسل فاستحضر الى مزيزخ جبرائيل (كوريه) عمه وامرأته وامرأة شمعون اخيه الذي كان محبوساً معه في خربوط قبل الحرب فافرد لهم داراً لسكناهم واعزهم ودرّ لهم الارزاق لمعيشتهم

الفصل الخامس عشر

مذبحة مذيات وصلح

مذيات قصبة طورعبدين موقعها في بطحاء فسيحة تحلق بها

الروابي والتلال المزدانة بالكروم والاشجار · واهلها يشربون مياه الابار وكان عددهم يناهز السبعة الاف اغلبهم يعاقبة وكان فيها ثمانون بيتاً من البرتستان وخمسون من الاسلام وثلاثون من السريان والارمن والكلدان الكاثليك واليك ما حدث لهم اثناء الغائلة

يوم الاحد سادس حزيران شخص الى مذيات حسين الضابط الماردني واذاع ان مدير حصن كيفا وامين آغا فتكا بالنصارى الذين كانوا في ذلك الحصن فاحس القائم مقام وارسل فقبض عليه وكذب مقالته الصادقة وضربه وزجه في الحبس · وفي عصر ذلك النهار وصل الى مذيات ثلاثة من نصارى الحصن واكدوا مقالة حسين فدب الرعب في قلوب النصارى وتجهزوا للمدافعة · وفي ١١ حزيران صار الى حبسناس مشايخ اشكفتا والرماء فعارضهم اسلام القرية وراجعوا القائم مقام فاوفد شرذمة من الجند فقتلوا من العشائر شخصين وكشفوهم عن حبسناس ورجعوا

وفجر الاثنين ٢١ حزيران تحفز الجنود التطواف في بيوت المسيحيين ليفتشوا عن الاسلحة · وكان مع الجوالة القس افرام اليعقوبي وحنا سفر وعيسى زته وعزيز اغا رئيس البلدية يتقدمهم راوف بك قومندان التابور السيار فلما افاق النصارى وراوهم على الابواب ذعروا واندهشوا · وخرج من كل بيت كبيره يستفسر عن السبب فقالوا لهم اننا طبقاً لاوامر الحكومة جئنا ننقر عن الاسلحة فاذا وجدنا شيئا اخذناه والا رجعنا · فانكر النصارى عليهم الدخول بتاتاً · فالتفت راوف بك يقول للقس وللنصارى الذين معه « انتم تعرفون لهجتهم فرضوهم اندخل ونبحث »

فجعل الجنود ومن معهم يطوفون بيتاً فبيتاً كأنهم يريدون التفتيش عن السلاح . والقوا القبض على نيف ومائة رجل من الارمن والبرتستان وساقوهم الى سجن سفاكي الدماء وخلوهم ثم اسبوعاً كاملاً . فاخذ القلق من النصارى ماخذ وحاروا فيما يصنعون .

وليلة الاثنين ٢٨ حزيران نشم الجنود في القساء الاغلال باعناق المسجونيين واكتافهم وعولوا على استياقهم . فوصل الخبر الى اليعاقبة فقصد القس افرام وحنا سفر دار الحكومة وقالا للقائم مقام بلغنا ان المسجونين يساقون الليلة . فنرى ان تامر منادياً ينادي ان لا يخرج احد من بيته لئلا يحدث شغب وفتنة . اما القائم مقام فاصدر الامر بسوقهم عند الظهيرة[1] في هرج ومرج فغادروا مذيات الى استل فاشولالات ثم انعرجوا عن الطريق وصاروا الى كفر حوار فبئر سيطا . وهناك اذاقوهم الوان العذاب ثم عروهم كمألوف العادة وذبحوهم وزجوهم في البئر وما برحت اصداؤهم فيها حتى هذا اليوم

ويوم الجمعة ٢ تموز اشار القائم مقام الى الحاج بشار بك فاوفد الخبر الى حسنو مختار صليح ليضم اليه العشائر ويحرضهم على الفتك بالمسيحيين . وصباح السبت ٣ تموز اكتنف الجنود والعشائر معاً بالقرية فاخذ المسيحيون اسلحتهم ليدافعوا عن نفسهم ولكن العسكر

(١) ما خرجت القافلة من مذيات حتى التفت جبرائيل (كاله) هرمز يقول لحنا سفر كبير السريان اليعاقبة « اعلم يا حنا انا بدسائسك ودسائس اصحابك وصلنا الى هذه الحال . فنحن قد قضي امرنا وعما قليل نصير الى عالم الموتى . اما انت ويعاقبتك فتمتعوا بالحياة الدنيا . ولكن لا يفتك انك ستقتل انت ايضاً شر قتلة » وفي الحق ان حنا سفر يوم دارت الدوائر على اليعاقبة قُتل داخل مذيات ولعب الاعداء بهامته تلاعبهم بهامة اذل الحيوانات زاجيها

لكثرتهم تغلبوا فقتلوا عامة النصارى داخل دورهم واستثنوا منهم النساء الحسان فاستبدوا بهن ولم يفلت من نصارى صلح سوى بعض اشخاص كانوا في حفره واربعة كانوا اثنا المذبحة غائبين وما زالوا حتى اليوم في قيد الحياة يخدمون رئيس البلدية · وبعد ذلك كله نهبوا الاموال والمواشي وتصرف حسنو بالاملاك والاراضي

ولما راى اليعاقبة ما حدث لجماعتهم في صلح اخـذوا يحتاطون لانفسهم ويبحثون عن اسلحة ليقاوموا بها هجمات اعدائهم · فلما شعر بذلك القائم مقام استدعى شيوخ اليعاقبة ومختاريهم وبلغهم انه يريد ان يضع في دار كل منهم انفارا من العسكر صيانة لحياتهم غير انهم لم يستصوبوا كلامه ولم يعتمدوا على رايه بل لاذوا ببيوتهم وجلين وآلوا على انفسهم ان يلزموها ريثما يجدون ذريعـة التملص من دواهي القائم مقام · اما سعادته فاصر يطالب وضع الجنود في البيوت للحراسة او ان شئت فقل للخيانة · فتاكد اليعاقبة اذ ذاك ان لا بدّ من قتلهم كما قتل الذين سبقوهم

وسادس عشر تموز امر القائم مقام عامة الجند ان يطلقوا الرصاص على دور اليعاقبة · فنهض اليعاقبة لمعارضتهم ومقابلتهم وظلوا يتضاربون من مفتتح اليوم الى مختتمه · فارسل القائم مقام في استحضار العشائر من نواحي دياربكر وماردين وسعرد والجزيره فلبوه صاغرين طائعين وشخصوا الى مذيات وظلوا يقاتلون النصـارى اسبوعاً كاملا حتى فتكوا بهم داخل البيوت وخارجها وذبحوا الاطفال والرضعان ثم عروهم وجمعوا جثثهم حول البلد واحرقوها والقوا بعضها في الابار · فقتل من النصارى زهاء عشرة الاف نسمة منهم القس هرمز دنحو

ولم ينجُ سوى الف نسمة تقريباً انهزموا تحت الليل الى عينورد وكان معهم القس بطرس حمال

وبعد هذا طاف العسكر والجنود واغتلسوا ونهبوا وصادفوا في الاسراب والمخابئ زهاء خمسمائة من رجال وصبيان فاستاقوهم جميعاً الى خان موسى الشماس جرجس وحبسوهم يومين ثم افرزوا من كان من السن السبعين الى السن الخامسة وساروا بهم ليلاً على طريق استل وقتلوهم وزجوا . اما الاطفال فمضوا بهم الى الخان وقالوا للنصارى الموجودين ثم خذوا نصاراكم وربّوهم

وكان فرج الله مرزا عند الحاج بشار بك فاخذ منه ٢٥٠ ليرة وابتز جميع امواله وامتعته وسيّره مع من ذكرنا اعلاه الى استل وقتل كرفاقه

واعلم ان رجال اليعاقبة على كثرة ما اصابهم من التعدي كالقتل والسلب والسبي كانوا يحاولون اهلاك النصارى المتبقين في مذيات ونواحيها من غير طائفتهم ولاسيما داود بن جبرائيل هرمز البرتستنتي واليك ما كتبوه في هذا الشأن بتاريخ ٢١ تموز ١٣٣٤ اعني ١٩١٨ م الى متصرف ماردين بتصرف قليل :

« المعروض اننا نحن جماعة اليعاقبة ما زلنا منذ الف وخمسمائة سنة تحت ظل الملة الاسلامية والدولة العلية العثمانية . ونؤيد ان اموالنا وارواحنا هي فدى لها . كل ذلك يؤيده جميع من عاشرهم وعرفهم .. غير ان داود بن جبرائيل هرمز احد وجهاء البرتستان بمذيات ما برح متحداً مع اليزيدية وهو احد اعضاء الجمعية المنتمية الى الارمن والانكليز والاميركان . وقد اقاموه بمثابة جاسوس يسعى

في ما يؤول لانتصار الارمن والاميركان · بل هو من وجهاء الجمعية الخنجكيانية الارمنية منذ عام ١٣١٧ وعام ١٣٢٠ و١٣٢٧ و١٣٢٨ وهذا داود انهزم هو وابن اخيه جرجس وابن اخته بولس وقت سوق القافلات من وجه الحكومة الى انحل وعينورد وباسبرينا وحباب وسائر قرى اليعاقبة واليزيدية واثاروا الاكراد الجهال المغفلين وتقنوهم ليقاوموا الحكومة السنية · وما فتئوا منذ ثلاثة اعوام على هذه الحال · بل ان داود منذ استاقت الحكومة والده واخوته لا يفتر من ان يثير الفتن والشاغب على الحكومة ويحاول ان يسترجع اموال والده واملاكه الحاصلة اليوم في حوزتها ويتظاهر بانه منتم الى اليعاقبة قصد النوز بغايته هذه : مع انه يفرغ كل جهده في القدح في اعراضنا ليثير الحكومة علينا · بل زاد يتنقص الحكومة ويصرح للاهالي بانها جائرة ظالمة غدارة · ولا يخفى انه اذا استمر في مذيات ازداد الفساد واستفحل الشر

بناء على ما ذكر نسترحم ان تصدروا في حقه اوامر النفي (بالشفرة) والخفية لئلا يطلع اصحابه ولاسيما النصبون فيبلغوه ذلك ويستعجلوه على الهرب كما جرى الامر منذ سنتين · فنسترحم اذاً ان تجروا به مثلما يستحق جرمه ذلك تاميناً لحقوق اليعاقبة الاذلاء المساكين وصيانة لحياتهم واطلاق الحرية لهم في الاخذ والعطاء · والا سلبت الامنية بالمرة وازداد الفساد والاضطراب »

هذا والضبطة مرقومة بالتركية وهي محفوظة لدى داود المذكور ممضية باسم الخوري عيسى والقس جبرائيل ومحي كو مختار اليعاقبة وموسى اسمر العضو النصراني ورشيد بن عبد العزيز العضو المسلم

وحجي مختار الاسلام بمديات

ولما وصلت المضبطة الى متصرف ماردين دفعها الى حسن افندي المتولي ليجري في داود ما يستوجبه فسار الى مديات وواجهه ولكن الله سبحانه باحكامه الغامضة انقذه من دهاء اعدائه وكيدهم

بقي ان نورد كلمة في شان كنيسة السريان الكاثليك بمديات على ان رجال الحكومة كانوا منذ اذار ١٩١٥ قد جمعوا مائة وعشرين من العملة النصارى فهدوا الجامع العتيق ليجددوه ويوسعوه. فباشر العملة في التقويض والبناء من دون اجرة ولما وصلوا الى النصف ثارت نيران الشحناء وخاضت الحكومة في الدماء فابطلت العملة والغت البناء . وفي ربيع ١٩١٦ نهض شاكر افندي ابن الملا زبير الماردبني وكيل جامع مديات يريد انجاز العمل فجمع ثلاثين من النصارى وامرهم بتقويض كنيسة السريان الكاثليك فدكوها من الراس الى الاساس ونقلوا حجارتها كلها الى الجامع وارسل شاكر الى ماردين فاستحضر حنا صاني الارمني الذي اسلم ووكل اليه ان ينجز البناء ويشيد منارة الى جانب الجامع فابتنى بالحجار ما ابتنى وقفل راجعاً الى ماردين ولم يكمل بناء الجامع والمنارة حتى يومنا

الفصل السادس عشر

المعروف والاحسان او الدكتور نعمان

ليت شعري هل من رذيلة اقبح من نكران الجميل وغمط الاحسان. ايروق الاب ان يرى ابنه يعاديه ويحاول ان يتلفه ويرديه أيهون على قلب المحسن ان يرى من احسن اليه يدبر على تدميره .

ايعجب السيد ان يرى عبده بعدما فكه من الرق ينقلب فيعقه ويسعى بكل طاقته لينتك به . اعمري ان ذلك الا وحش ضائر بل اوحش من الوحوش . لان الوحوش تشفق على اولادها وتتذكر المعروف اما ابن آدم فكنود عقق لا يكترث للاحسان بل يستفرص الفرص ليوقع بولي نعمته ويعذبه ويهتك سره ويهدر دمه

فالدكتور نعمان بن يوسف قره كله تكلف المشقات الوافرة وصرف المبالغ الطائلة وقضى سبع عشرة سنة يزاول الدروس في البلاد القاصية حتى اتقن علم الطب وحذقه . ولما ان بلغ اشده جاء سنة ١٩١٣ الى ماردين وطنه مستصحباً قرينته الفاضلة التقية الورعة ستيلا بنت حنا طولو البلتمورية الكاثليكية وهي في ريعان العمر . وباشر يشتغل بجد واجتهاد في تمريض ذوي العاهات . حتى اذا كانت سنة ١٩١٤ المشؤومة فوض اليه رجال الحكومة شؤون العسكر المرضى فخدمهم وعالجهم ستة اشهر . وفي اذار سنة ١٩١٥ الدموية اوفدوه الى مذيات وعهدوا اليه تمريض التابور السيار تحت رئاسة راوف بك القومندان . فخضع الدكتور للاوامر وسار من ساعته مع نجله فيليب الصغير وقرينته الكريمة الى محل وظيفته وقام بمداواة العسكر ومعالجتهم خير القيام

غير ان القائم مقام والقومندان أبيا الا نفث سمهما . القتال بين خدم وتعب وعرق وسهر لاجل الحكومة ورجالها . على انهما من بعد قتل اليعاقبة وسوق من تبقى وذبحهم . استدعيا الدكتور النجيب ودفعا اليه تلغرافاً ملفقاً منطوقه « تحولت ماموريتك الى ماردين . يلزم حضورك اليها عاجلاً » والا فستخرب ويهلك سكانها قاطبة ؟ .

ثم انعما عليه بشي من ماله الذي سرق قبل بضعة ايام واستعجلاه على السفر . وقال له القائم مقام اني عربوناً لاتعابك امرت الجنود ان يحضروا حصاني الخاص لتركبه . وقال راوف بك القومندان اني مرسل معك حفظةً يوصلونك بالسلامة (بالخيانة) الى ماردين

فاطمأن قلب الدكتور نوعاً واعلم قرينته النبيلة فقالت لا بد من السفر والا اضطرونا ان نغادر مذيات قسراً . فاحضروا الفرسين فاردف الدكتور نجله فيليب وراءه وخرج العروس والعريس يتبعانهما شرذمة من الجنود الارجاس الخالعون يتقدمهم صالح بن احمد الخلوصي الارديني وكان قد اسر اليه القومندان ان يقتلهما ويستحيي الصبي ويرده اليه

ولما وصلوا الى شول الات امروهما بالنزول عن حصانيهما وعروهما من ثوبيهما واحاطوا بهما كالكلاب الكلبة وحركوا اذنابهم كالخنازير النجسة ونشموا في ضربهم وقضبهما بالمناوبه ضربة لهذا وضربة لتلك . وكانوا يقولون للدكتور . اما تعجبك الادوية التي كنت تصفها لنا . خذ لك دواء يصلح لك . مكافاة لاتعابك ؟ وكانوا اذا رفعوا السيدة استيلا او هجنوها يقولون لها انت اجنبية غريبة عن تركيا فيقتضي ان نعزك ونحترمك اكثر من زوجك

ويا ليتهم وقفوا عند هذا الحد وفتكوا بهما بالضرب والتنكيل . غير ان قوماً حببت اليهم الخلاعة والفحشاء وكره اليهم الطهر والحياء ابوا الا ارتكاب ما هو اشنع وافظع . فانهم عروا حلياة الدكتور الطاهرة وركبوا منها الفاحشة الواحد بعد الاخر بالمناوبة كالخيل الشموسة الجموحة مدة ثلاث ساعات والدكتور يرى ذلك بعينه .

وزوجته المسكينة متخفرة صامتة صابرة تتمنى لو ساخت بها الارض لشدة خجلها . فاغمي عليها لكثرة ما كابدت من الاذى والعذاب . افتح اذنيك يا صاح فاستمع وعينيك وباصرتيك فانظر وتبصر واحكم . وبعد ان اكملوا شهوات قلوبهم اذروا راسيهما والقوهما في البئر واستحلوا ثيابهما وذهبهما وانقلبوا راجعين بالطفل وسلموه الى راوف القومندان وقالوا له اننا ادينا الفرض وقمنا بالخدمة اكثر مما تتمنى ويتمنى القائم مقام

هذا جزاء المعروف والاحسان . كذا فليكن الرجال والا فلا ما رايك ايها القارئ العزيز . ما كنت تصنع بهؤلاء الوحوش لو حصلوا في قبضتك . اهذه مكافاة من جدّ وتعب في خدمة الحكومة اهذه مجازاة من صرف زهرة عمره وخاطر بحياته حبًّا لتمريض الجنود .. ولكن انى للشوك ان ينبت وردًا . وانى للعليق ان يثمر عنباً . وانى لمن يتنافس في ارتكاب الخنى والفواحش ويتفاخر بالشناعات وسفاسف الشؤون ان يتجافى عن مضاجع الاثام ويأنف من خسائس الشهوات البهيمية واللذات الحيوانية

على ان رجال الحكومة سبقوا فعرفوا للدكتور نعمان احسانه وقدروا له خدمته حق قدرها فاستاقوا والده يوسف واخاه سليماً وقتلوهما في ١٠ حزيران في اراضي شيخان ليزداد نشاط الابن في خدمة الجنود ويغار على صوالح الدولة

اما راوف القومندان فبعد ان صان فيليب نجل الدكتور زماناً عافته امراته والحت عليه ان يرسله الى اهله فاستدعى الشيخ موسى ابن الخلوصي ودفعه اليه فجاء به الى ماردين وارسل في استدعاء

عمته جميله · ولم يسلمها اياه الا بعد ان قبض منها عشر ليرات · وما مرّ الشهر حتى استدعاها تكرارًا وقال اعطيني اربع ليرات لابعث في استحضار امه استيلا فدفعت اه المبلغ لحسن ظنها · وفاتها انها هي وزوجها الكريم قد قضى صالح ابن الخلوصي امرهما بما فطر عليه من النذالة والتوحش · اما فيليب نجل الدكتور فما ابث عند عمته خمسة وعشرين يوماً حتى قضى نحبه ·· لا غرو ان مخفي الفظائع مسطور · ومستور الفضائح يوم الحشر مشهور · والديان العدل لا يذر يومئذٍ سريرة الا ابداها · ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها · وعاقب من اتاها

الفصل السابع عشر

حصار عينورد

عينورد قرية بطورعبدين قريبة من مديات مشيدة على رابية عالية جميع سكانها من السريان اليعاقبة لهم كنيسة كبيرة قديمة تشبه معقلًا حصيناً · واشتهر منها احنوخ ويشوع ويوحنا بن قوفر بطاركة طورعبدين · ورجالها متصفون بشدة العزيمة والتأفف من الدنية ولم نسمع ان احدا في بلاد ما بين النهرين عارض الاتراك وقاومهم سوى اهاليها واهالي ازخ

ذلك ان امام عينورد مسعود الامزيزخي الشجاع ضم اليه

(١) هذا بعد حادثة عينورد سار الى ازخ واقام بها حولا كاملا وطاف قرى النصارى ينصح لهم ليتفقوا على مقاتلة عدوهم · وفي كانون ١٩١٨ كبسه عشائر دالينه وبيت حاجو في كفره وفتكوا به

الرجال والشبان وبعث فيهم روح التحمس والنخوة واستنهضهم ليدافعوا عن نفوسهم ويقاتلوا الاتراك حتى آخر نفس وسار اذ ذاك الى عينورد قوم من نصارى مذيات وباته وزاز وحبسناس وكفره وكفرزه حتى ناهزوا الستة الاف وافادوا مسعوداً عما ارتكبه اعداء النصارى في قراهم من المنكرات والجرائم فاتفقوا جميعاً على مناوشتهم القتال بكل طاقتهم

اما قائم مقام مذيات فاوفد في طلب مشايخ القرى وبلغهم ان يجمعوا قواهم ويحشدوا رجالهم ويوزعوهم فرقتين فرقة يبعثون بها الى انحل وفرقة الى عينورد فيقاتلوا عامة المسيحيين ويستاصلوا اثرهم. غير ان عزيزا آغا رئيس البلدية قال للقائم مقام : لا يسعنا ان نحارب كلتا القريتين في آن واحد بل الاحوط ان نحمل باجمعنا على عينورد ونستفرغ كل قوة وحيلة في اتلاف سكانها ومتى تم لنا الفوز بهم انتقلنا الى انحل وافنينا اهاليها مثلهم . فاستطاب القائم مقام كلامه وعوّل الجميع على رايه فاحتشد الحال في مذيات عشائر عرناس ومزيزخ والرمه ورجال احمد اغا وسالم آغا وسائر عشائر ماردين حتى اربوا على الثلاثة عشر الفاً وخصص لهم القائم مقام المعايش على كيس الحكومة ودفع لهم من البنادق شيئاً كثيراً فساروا باجمعهم في اثقالهم وعددهم ونسائهم الى عينورد وعلقوا يحاربونهم حرباً عنيفة حتى استحوذوا على الرابية المطلة على القرية وكادوا يدوخونها الا ان الرصاص نقصهم فارسلوا في استحضار غيره من دياربكر وماردين فبعث اليهم رشيد وبدري بكل ما طلبوا وزادا على ذلك انهما ارسلا اليهم صحبة شوكت بك ابن محمد سعيد آغا مدفعاً

ضخماً يسع نصف رطل من البارود ورصاصة تزن اكثر من رطـل فواصلوا مقاتلة العينورديين بكل طاقتهم يؤملون اخـذ ارواحهم وامتـلاك ارزاقهم وخطف حريمهم . وظلوا كذلك عشرين يوماً قتل منهم في اثنائها زهاء مائتين وقتل من اهالي عينورد زهـاء ثلاثمائـة

واتفق ان عبد الكريم نصري سعيد (مقدسي نانو) السرياني التحصيلدار انهزم وقت المعركة الى عينورد مع حماته وقرينته وناصر ابنه فما لمحه الشيخ صدقي واصحابه المنافقون حتى اغاروا عليـه وفتكوا به وبامرأته وحماته وابقوا على نجله فمضى به صدقي الى بيته ولبث عنده سنتين فاوفد السيد جبرائيل تبوني مطران السريان واشتراه وبعث به الى حلب عند عمه

اما اهالي عينورد فان مسعوداً امامهم افرز منهم طائفة لصب الرصاص فلم يذروا في بيوتهم نحاساً او رصاصاً الا ذوبوه وصاغوه وقاتلوا به اعداءهم . فاخبر الخصوم القائم مقام فارسل في طلب شيخ دارا ورجاله ليوافوا وينجدوا الاكراد . ولما وصل هـذا الشيخ الى عينورد استدعى ثلاثـة من النصارى وبذل لهم كلمة الامان وحلف لهم بالطلاق انه لا يغدر بهم . ولما ساروا اليه قال لهم : اعلموا انكم بمقاومتكم الدولة تجلبون عليكم وعلى لفيف النصارى العطب والدمـار . فالاحرى بكم ان تسلمونا اسلحتكم ونحن نتعهد بحقن دمائكم . فقالوا قد طاب لنـا نصحك فذرنا نعود الى القرية وننصح للاهالي ليقوموا بمشورتك وينفـذوا امرك فسرحهم على هذا الشرط . غير ان النصارى بعـد ما استقدحوا

الاراء في ذلك نبذوا المشورة ظهرياً وقالوا اننا اذا دفعنا لهم السلاح افتعلوا بنا من الفظائع والشنائع اكثر مما افتعلوا بغيرنا ممن صدقهم وعليه فلئن نقتل فرادى خير لنا من ان نقتل جميعاً . فاستحسنوا الراي وظلوا يقاومون الاعداء

اما الخصوم فركبهم شيطان الغضب والسخط فشددوا القتال وعاودوا الحصار مدة ثلاثين يوماً ليلاً ونهاراً حتى اعياهم الامر وضجروا : فاوفدوا الى متصرف ماردين يعلمونه فعمد سعادته الى الحيلة شأن الضعيف الغدور وارسل الى عينورد الراهب يشوع وحنا القس السريانيين اليعقوبيين ليقنعا الاهالي في التسليم والخضوع . ولكن العينورديين لم يكترثوا لنصحهما بل قالوا لهما : تيقنا انكما بمشورتكما هذه تعرضاننا للهلكة . فرجع السفيران بخفي حنين وظل الاكراد يحاصرون القرية

على ان اللسان قاصر عن وصف ما الم بالنصارى المحاصرين من الضيق والضنك والعذاب والجوع والمخاوف حتى ان عدداً غفيراً من النساء والاطفال زهقت ارواحهم لشديد رعبهم وظلت جثثهم على وجه الارض فانبعثت منها الروائح واعدت قسماً صالحاً من المقاتلين وزد عليه ان الذخيرة نقصت جداً حتى ألجيء المسيحيون ان يذبحوا عامة غنمهم وبقرهم ويتقوتوا بها . اخيراً عجز العشائر وضجروا من المحاصرة وارسلوا الى النصارى يقولون ان اهالي انحل قد جاهروا بالاسلامية ونالوا العفو فاصنعوا مثلهم تخلصوا . ثم بعثوا اليهم وفداً يقول لهم كفاكم تقاتلون . اعتمدوا على من ترومون ليتوسط في الصلح واطفاء نيران الشاحن . فقال لهم النصارى ان

صح قولكم ابعثوا الشيخ فتح الله ابن الشيخ ابرهيم كبير عين كاف فنسر اليه بمكنونات صدرنا . ولما حضر الشيخ المذكور انحدر اليه ثلاثة من نخبة النصارى وقبلوا يده وفوضوا امورهم الى ذمته وامانته وقالوا له لا دليل لنا بعد الله سواك . واننا راضون بما تامر وتحتم . فامنهم الشيخ وقصد رجال الحكومة فاكدوا لـه انهم يزحزحون الاكراد عن قريتهم ولن يبسطوا اليد اليهم . وبعد ان تمّ القرار جمعوا الاسلحـة كلها وسيروها الى الشيخ فكشف عنهم العشائر والعساكر معاً ونبههم وحذرهم ان لا يؤذوا نصرانياً ابدا واستغرقت مدة الحصار اثنـين وخمسين يوماً . وظل النصارى في قريتهم لا يجسرون على الخروج عنهـا خيفة من اهالي عرناس وهلخ ومزيزخ الذين كانوا يترصدونهم ليفتكوا بهم . وطالما غدروا بهم وخانوهم وقتلوا منهم عدداً غفيراً من جملتهم القس بطرس حمال فانه بعدما ظل في عينورد الى شتاء سنة ١٩١٧ اوفد الى السيد جبرائيل تبوني يطلب منه ما يلزم لاقامة الذبيحة الالهية فاشار عليه المطران بالشخوص الى مـاردين فخاف . ولما كان يوماً راجعاً من مذيات الى عينورد ثار به الاعداء وقتلوه . فكان عدد القتلى غيلة بعد رفع الحصار منهم اكثر من عددهم وقت المحاصرة . ذلك دليل مقنع وبرهان ساطع على ان الخائن يفعل غالباً بدهائه ما لا يفعله البطل الباسل بقوته

الفصل الثامن عشر

مذبحة كفرجوزه وباته

كان في كفرجوزه قوم من النصارى الكلدان يشتغلون في الفلاحة

وكان المسلمون يعزّونهم ويودونهم ويكلفونهم المشقات فيقومون بخدمهم . ولما صار ما صار بمديات اوفد يوسف حسن شمدين آغا في طلب النصارى المنتمين اليه وبلغهم انه يدافع عنهم ويحميهم من هجمات خصومهم . غير انه لما رجع من عينوزد ركب راسه وانقلب عامرّ حبه خراباً فحشد ذكور النصارى واستاقهم حفاة عراة الى النهر القريب والقاهم فيه قاطبة . وكانوا في مسيرهم ينشدون الترانيم بالسريانية ويحمس بعضهم بعضاً لنيل اكليل الشهادة . وثابروا على ذلك حتى بلغوا النهر فاغرقهم الخصوم وانقلبوا راجعين . وكان ذووهم ينوحون ويبكون عليهم ويتالمون شديد الالم لفراقهم . اما يوسف اغا فلما رجع الى القرية غيّر خطته الاولى وسام بقية النصارى خسفاً وبالغ في القدح في اعراضهم وانتيابهم فنفروا منه وتسللوا الى مديات وتركوا املاكهم وارزاقهم وجميع اثاثهم تراثاً له

ثم ان جميلاً ونجيباً ولدي اوصماني صاحبي باته جمعا اليهما اعلاج الاكراد لينتكوا بنصارى قريتهما فحصروا نصفهم في كنيسة اليعاقبة والنصف الاخر في كنيسة السريان الكاثليك ثم كبسوا الكنيستين كلتيهما وانزلوا بالنصارى ضروب العذابات واخيراً كوموا الحطب واحرقوهم جميعاً ولم يفلت منهم سوى بعض اشخاص فروا الى عينورد . وكان للسريان الكاثليك في تلك القرية كاهنان وهما القس دنحو والقس ملكي فاصابهما ما اصاب سائر المسيحيين وراحا ينالان الجزاء المعدّ للابرياء الصالحين

الفصل التاسع عشر

مذبحة قلث وحصن كيفا

كان السريان اليعاقبة في قلث كنيسة قديمة على اسم سمعان القناني الرسول ويوحنا الديلمي يخدمها خمسة كهنة . وكان للسريان الكاثليك كنيسة شيدت سنة ١٨٨١ يقوم بخدمتها القس بولس هيمو القلثي . وكان نصارى القرية عائشين في الرخاء والسعة لكل منهم اراض مخصبة ومواش كثيرة . ولما صدرت الاوامر بذبح المسيحيين استدعى رجال الحكومة مشايخ القرى القريبة ليبادروا الى نجدتهم ومشاركتهم في خيانتهم وخباثتهم فابتدر اليهم احمد اغا وسالم آغا من العرين ومحمدي شرو وغيرهم وشنوا الغارة على قلث فتلففوا عليها يحاولون سفك دماء نصاراها

فبادر النصارى كعادتهم الى الكنيسة فحمل عليهم العشائر وقتلوهم بلفيفهم واحرقوهم ثم انقلبوا الى البيوت وانكالوا على الباقين وذبحوهم عن آخرهم واستحوذوا بعد ذلك على الاموال والامتعة والمواشي والاراضي وتصرفوا بها كما افتعلوا في كل محل وطئته اقدامهم النجسة

اما حصن كيفا وكان نصاراها نحو خمسمائة نسمة من يعاقبة وارمن وبرتستان فان الفتن ثارت بها منذ ٥ حزيران ١٩١٥ ذلك ان قائمقام مديات ارسل الى احمد منير مدير الحصن في استدعاء الاكراد الانذال ليفتكوا بجميع المسيحيين . فسارع امين ابن الحاج عبدالله شيخ اشكفتنا في عدة من الاعلاج والا وصاروا الى الحصن انضم اليهم

مائة من الجند فاوفدوا الى الاهالي ان يفتحوا لهم باب القلعة فابى المسلمون فالحوا في الطلب فنزل مدير الحصن ليقف على السبب فكاشفه الشيخ بما اضمر وصرح له بأمر القائم مقام فاخذ المدير بيد الشيخ ودخلا كلاهما الى الحصن واقاما جماعة من العسكر على الباب يحرجان الخروج على النصارى

ولما توسطا القلعة طفقا يستدعيان الجنود والاكراد ويوزعانهم على بيوت المسيحيين ويشيران اليهم ان يفتكوا بهم . فانهزم بعض الشبان فادركهم الأكراد والقوا بهم من ذلك العلو الشاهق الى اسفل حتى ترضضت اعضاؤهم وفاظوا . ثم حملوا على بيت فبيت وقتلوا كل مسيحي وجدوه ونهبوا الامتعة والاموال والقوا القبض على جرجس كبير البرتستان وعلى زاخي امام اليعاقبة وزجوهما في السجن . وواصل الجنود والاكراد يذبحون ويعذبون مدة اربع ساعات لا يستحرمون شيئاً البتة . وتعرّش غير واحد من النصارى بالصخور فانهزموا الى كفرجوزه فمديات . اما النساء المتبقيات فالقين بانفسهن الى دجلة وغرقن

واخيراً قصد المدير وامين اغا السجن ووثبا بجرجس وزاخي المشار اليهما وبنصرانيين آخرين وهبراهم بالسيوف وطعناهم بالخناجر حتى تضرجت اجسامهم بدمائهم وفاضت ارواحهم . ولم يبق في الحصن نصراني واحد . ودخلت الاموال وسائر الامتعة والاثاث في حوزة الامامين المزبورين طبقاً القاعدة المطردة

الفصل العشرون

مذبحة الصور

كان يسكن الصور جماعة من النصارى الارمن والسريان (المشرق ١٦ : ٥٧٢) يبلغ عددهم ثلاثمائة نسمة . وعام ١٩١٢ سار اليهم السيد اغناطيوس مالويان ووعدهم بارسال كاهن اليهم لقضاء فروضهم الدينية . وفي اواخر حزيران ١٩١٥ اجتمع بيكواتها (شيوخها) المشهورون وراسلوا ماردين فيما يجب ان يفعلوا بالنصارى المتوطنين عندهم . فكان الجواب اطلاق الحرية لافتعال كل محذور ومحظور وارتكاب كل جريمة . فالقوا القبض على جميع الرجال والشبان وحبسوهم وعذبوهم ثم استاقوهم وقتلوهم . وبعد اسابيع ثلاثة استدعوا الاربعة الرجال المتبقين في السجن وقالوا ليوسف ابن المعلم الياس كبيرهم اننا معولون على رحيلكم الى ماردين وما خرجوا بهم عن الصور الا مسافة قصيرة حتى فتكوا بهم وانقلبوا وطفقوا يطوفون البيوت ويقولون للنساء ادفعن لنا الذهب والفضة والحلي فنسلمكن اياها في ماردين . لان الحكومة اوصلت اليها رجالكن وقضت بان تلحقن بهم . فاستلبوا ما استلبوا وقبضوا على النساء والاطفال واستاقوهن الى الثكنة واغلقوا الابواب واوفدوا الاعلاج فنقلوا ما فيها من غال ورخيص وكثير وقليل الى دار الحكومة . وظلت النسوة والاطفال والرضعان في ذلك الوضع يومين كاملين يبست السنتهم من العطش وضمرت بطونهم من الجوع وانهكت قواهم من البكاء والعويل . ثم حضر حسن بك المختار ومصطو عنفيص

وحمدو واسمعيل الدفا وغيرهم يقولون تجهزن . فاخرجوهن اثنتين اثنتين والاطفال بيدهن وعلى صدرهن والاجنة في رحمهن واستاقوهن بعنف وشراسة وهن حافيات خائرات القوى متضورات من الجوع والعطش والبكاء . ولما وصلن الى الخربة تشم الجنود يطلقون الرصاص عليهن ويقضبونهن ويذبحونهن بحد السيف . فقتلوا طائفة واستاقوا البقية الى باقيسه وعروهن بالمرة وطفقوا يفتشون في الثياب على الاصفر والابيض . ولا يمكن لقلمنا ان يسطر ما افتعله اذ ذاك هولاء الاوباش الخالعو العذار من الفواحش والمنكرات بالنساء المكشفات

وما استراحت النسوان في باقيسه حتى اضطرهن الوحوش البرابرة الى مواصلة المسير وتفضلوا عليهن بما يسترهن ولما شارفوا رشمل وقباله اقبل رجال كلتا القريتين واختطفوا من احبوا من البنين والبنات فاخذت النساء يتوجعن ويسجعن كحمامات خطف البزاة افراخهن . وبعد هذا تعاوروهن بالخناجر والسيوف والهراوى حتى وصلوا بهن الى راس الميدان شرقي ماردين. فسار الاهالي واختطفوا من الاولاد الصغار من استحلوا واشتهوا . واضطرهن الجنود الى استئناف المسير حالاً الى حرّين تحت الليل . ثم صرن الى نصيبين ومنها الى خراب كورت . فاطلق لهن حينئذٍ الجنود الحرية التامة المطلقة الكاملة ليسترحن من اتعاب الطريق . ولا يفتك ايها القارئ النجيب انهن مذ خروجهن من بيوتهن لم يذقن شيئاً ابداً

وعند الصباح تعجلوا اليهن بالمسير فاقبل اكراد تلك القرى وطفقوا ياخذون واحدة فواحدة يعرونها ويضربونها على ام راسها

ويلقونها في الجب . واخر الكل ضربوا مريم بنت عبد المسيح قلايلي على يافوخها وزجوها في البئر لتموت على مهلها

واتفق ان خضر بن الصوفي مراد الادخي مرّ بتلك البئر فسمع انين المرة فقال لها اريد ان انقذك . قالت ان اخرجتني من البئر قتلتني . فاقسم لها بحظه وحظ دولته انه لن يقتلها . فقالت لو كان للدولة بخت لما أمرت بايصال الاذى الى الحريم واعراضهن عندها كعرض السلطان . فاعجب خضراً كلامها وامنها والقى اليها منديلًا تستتر به ثم دلى الحبل وانتشلها وسار بها الى بيته واستحضر طبيباً عالجها وابراها . واخيراً عادت الى ماردين ونزلت في بيت عمها عبد الاحد شكرو

الفصل الحادي والعشرون

مذبحة نصيبين ودارا

نصيبين بلدة شهيرة بقدمها كثيرة الحدائق والبساتين يمتد فيها نهر الهرماس وكانت حدود الدولتين الرومية والفرسية ثم اصبحت عاصمة ديار ربيعة واخيراً ملكها المسلمون في القرن السابع (المشرق ١٦ : ٨٤٩) وابتنى الاهالي علىٰ انقاضها الدور باللبن الا كنيسة مار يعقوب القديمة ودير فبرونيا والتكنة وكان فيها قوم من اليهود وجماعة من النصارى الكلدان والارمن والسريان واليعاقبة قريب الاربعمائة نسمة وكان القس حنا شوحا (هنا ص ١٤٠) الكلداني يقوم بشؤونهم الروحية

وسنة ١٩١٦ وما بعدها شغلها الالمان وابتنوا في جبلها الشمالي

دورًا واسعة حصينة وسموا المحل La quatrième Division اي مركز الفرقـة الرابعة حشدوا فيه الذخائر والعدد واوصلوا الخط الحديدي الى البلد . واليك ما جرى للمسيحيين اثناء النازلة

يوم الجمعة ٤ حزيران شخص رزو بن نجمـه الى دار جرجي ابرط يقول ان مدعي العموم يطالبك فسار من ساعته فاوثقه وسيره صباح الاحد ٦ حزيران الى ماردين فانضم الى المسيحيين وسيق وقتل معهم في ١٠ حزيران

اما عبد الكريم وحبيب ابرط فانهزما الى الدعدوشية عنـد الشيخ ابرهيم وكان شيخ طي ضيفاً عنده فاكد لهما انه يحقن دمهما ودم اسرتهما. ويوم الاحد قبض الاعداء على رجال النصارى بنصيبين وركب عبدالله بك الجركسي وعبد العزيز الداشي الى القرى المجاورة وكبسوا المسيحيين واستاقوهم الى نصيبين واستاقوا معهم عبد الكريم وسجنوهم وكان يعقوب زركو امام الكلدان يؤكد لهم انهم في تلك الليلة عينها يرحلون الى الدار الباقية

وعند نصف الليل اقبل رضى راس الضباط واستدعى عبـد الكريم ونخبة من المسيحيين وفتشهم واعادهم الى السجن الا عبـد الكريم فانه وجد عنـده رسالة مضى بها حالاً الى مدعي العموم فاستدعاه وقـال له ما معنى قول جرجي اخيك في الرسالة « قل لنومان الغنام لياخذ حمل الاجاص الى سنجار . ما مراده بالاجاص. وكيف تراسلون سنجار وسنجار خصم للدولة . افدني الحقيقة والا قتلتك شر قتلة » قال عبد الكريم هوذا الاجاص بعد في البيت فابعث من يستحقه ، فامره المدعي بالعودة الى السجن

واتفق ان فريدة والدته قصدت الحاج ابرهيم القطرجي رئيس البلدية تستوضحه عن سبب حبس المسيحيين ولاسيما والديها . فقال لها اعلمي ان والديك هما من الجمعية الفداوية . فلا بدّ من سفك دمهما غدا العصر . اما ماالويان (السيد اغناطيوس) الذي تتباهون به فقد قضي امره وقتل . فرجعت الام والدموع على خديها وعوامل الحزن آخذة منها اشد ماخذ ولكنها لم تخبر والديها بما نقل لهما الحاج ابرهيم

ويوم الاثنين ١٤ حزيران استدعى المأمور جميع السريان اليعاقبة المحبوسين وقال لهم ان الدولة انعمت عليكم بالعفو فاذهبوا الى دوركم وحافظوا على عهود الامانة . وعند العصر اقبل الى السجن محمود شوكت ابن عمّ ممدوح اللئيم وشاكر بك الحاج كوزه والحاج اسعد جلبي ورفيق افندي وقدور بك وتم قرارهم على اطلاق المسجونين اجمع فانهزم عبد الكريم وشقيقه باسيل الى سنجار فتعقباهما احمد اليوسف في اربعة عشر من الخيالة فلم يدركوهما

ويوم الثلاثا ١٥ حزيران احاط الجنود تكرارا بدور الارمن والسريان والكلدان والقوا القبض على جميع الرجال والشبان وزجوهم في السجن واستاقوهم نصف الليل الى خراب كورث وذبحوهم

ثم نظمت الحكومة لجنة للفتك بارواح عامة المسيحيين المستوطنين في القرى المجاورة وخصت رئاسة اللجنة برفيق بن نظام الدين وقدور بك وسليمان مجر . فارسلوا رسلاً الى المشايخ في قتل المسيحيين . من ذلك ان ابرهيم اغا خزنه اخرج النصارى من قريته وذبحهم قاطبة . واحمد اليوسف صاحب السيحه جمع نصارى القرى المصاقبة

لقريته وذبحهم بيده . ومحمد العباس آغا الدوكر استعان بقدور بك ملازم العسكر الخمسيني فاوفد اليه العسكر فقتلوا جميع النصارى . وعلي العيسى صاحب الحلوة فتك بالنصارى المتوطنين عنده بمشورة قدور بك واستولى على اموالهم وكان فيها كثير من الاغنياء كبيت ايليو البودا وغيره

ثم سار قدور في اصحابه وضمّ اليه احمد العباس وابرهيم الخليل وعمر الاوسي اغا الدكشورية فقتلوا نصارى المحركه وكركي شامو والخويتله ولم يذروا منهم احداً . غير ان سليمان العباس اطلق الحرية لنصارى كرشيران قريته فانهزموا ولم يقتل منهم احداً . اما مسيحيو السروجية وكربيبا وغيرهما فتفرقوا في البراري شذر مذر

وفي ٢٨ حزيران مضى قدور الى دار فريدة ابرط وقال لها هلمي كنائنك الى داري وحسبك ان تقولي اسلمتُ ولو بالفم فتخلصي انت وهن فانكرت عليه مشورته . ومساء ذلك النهار القي القبض على جميع النسوة والصبيان وسيقوا الى بيعة مار يعقوب فحمل عليهم الجنود فافرزوا الفتيان والفتيات ومضوا بهم الى بيت ججكي النجار واستاقوا النساء الى خراب كورت فذبحوهن واستحوذوا على ثيابهن وانقلبوا فاستاقوا الصغار الى البرية واوثقوهم بالحبال واستركضوا الدواب فدرستهم بحوافرها وهرستهم . وخلصوا من شرهم وخيانتهم . ولولا ذلك لتعطلت الاشغال وانقلبت الاحوال وصال الاستبداد وطال . ما أمهركم ايها اللئام بل ما اغلظ قلوبكم واجفاها . نافقوا وتمردوا ولا يعزب عن فكركم ان كل نفس ستوفى ما اقترفت

ولا يسعنا الصمت عن وصف الافراح التي شملت قلوب المسيحيات لدى سوقهن · فانهن كنّ يترنمن باهازيج الطرب واناشيد الفرح كانهن سائرات الى احفال الاعراس ليتمتعن بمشاهدة حبيب قلبهن المفدى حمل الله الذبيح لاجلهن

ثم اجتمع ابرهيم بشيره واخوه مخلوف ومحمود شوكت واسمعيل جاويش وخشوا في دور المسيحيين ونقلوا الاموال والامتعة الى بيوتهم واقتسموها ما بينهم · وسبى غير واحد منهم جملة من البنات والبنين واضطروهم ان يُسلموا

ولابد لنا من ذكر كلمة في شان محمد شيخ طي فانه اوصى من ينتمي اليه ان يحقن دم كل نصراني يلوذ به · وبعث عدداً من المسيحيين الى صديقه الحميم حمو شرو صاحب سنجار · ولم يستحسن ان ياخذ او يلمس شيئاً من اسلاب الارمن المظلومين · قيل ان اعداء الدين المسيحي عرضوا عليه يوماً خاتماً ثميناً جداً ليشتريه فاستفسرهم عن صاحبه فقالوا · نصراني · فقال لا يهون على قلبي ان اتمتع بما لم يتمتع به صاحبه الشرعي · فمسحوا صخرة جبينهم الصلبة من عرق الخجل ? وهو الذي قصد قدور بك وقسره ان يسلمه ولدين لاسرة ابرط كانا لديه فاردفهما على حصانه واحضرهما الى سنجار ودفعهما الى عميهما · لا غرو ان كل نفس تجزى بما تسعى · فالشقي في الدنيا سعيد في الاخرى والسعيد ههنا شقي هناك

اما دارا فلم يكن بها من النصارى اثناء المذابح سوى مائة وخمسين نسمة من الارمن الكاثليك كانوا يسكنون في الجهة الغربية وكان لهم كنيسة وكاهن يتعاطى خدمة نفوسهم · ودارا

هذه تضرب الامثال باسرابها الضيقة الطويلة وابارها الكثيرة ومغاورها الواسعة التي ملأها الخصوم في ايامنا المشؤومة من جثث القتلى النصارى

وفي ١٠ حزيران بادر الى ارمن دارا جيرانهم واخرجوهم عن دورهم بعنف واوثقوهم جميعاً بالحبال ومضوا بهم الى بئر قريبة فانزلوا بهم الوان العذابات وقتلوهم ولم يفلت منهم سوى رجلين انهزما الى البكيره عريانين وهما يوسف بن جرجس بسمه وجرجس الذي اشتغل اثناء الحرب في حفر الترب العسكر الموتى

الفصل الثاني والعشرون

حوادث دير الزعفران

دير الزعفران اقدم دير للسريان اليعاقبة وهو كرسي بطاركتهم منذ القرن الثاني عشر فيه كنيسة جميلة على شكل صليب طولها ١٧ متراً وعرضها ١٢ متراً وفي الطابق الاعلى كنيسة الكرسي شيدت سنة ١٦٩٦ ـ ١٦٩٩ وحول مذبحها كتابة سطرنجيلية تتضمن ايات الفصل ١٦ من انجيل متى التي تشير الى رئاسة بطرس زعيم الرسل . وكان هذا الدير حصناً منيعاً للروم في غابر الزمان تحيط به من الجهة الشمالية صوامع الرهبان كصومعة سيدة الناطف ومار يعقوب ومار عززائيل وغيرها

ولما استاق الخصوم قافلة نصارى ماردين الاولى في ١٠ حزيران بادر الى الدير سريان قلعة المراة وبنابيل وكان عددهم نيفاً وسبعمائة معهم شيء من البواريد والبنادق ليتحصنوا به ويدفعوا عنهم غارات

الاكراد . وفي اوائل تموز سار الاعداء الى باقرقره واستدعوا خليلاً غزاله وارادوه على حشد الداشيه واكراد العمريان ورشمل وقباله وغيرها ليكبسوا الدير ويفتكوا بمن فيه . فتعجلوا اليه في دوابهم ونسائهم والح عليهم خليل غزاله واحمد مرزو ونوري البدليسي راس العسكر الحفظة ليفتحوا الابواب فابوا . وقال للنصارى عبد الاحد (بجوني) يونو البنابيلي المشهور من فتح الباب ضربناه بالخناجر واخرجناه . فامتثل الجميع مشورته وتبجنت الشجاعة في افئدتهم وظلوا يقاومون . اخيراً توسل اليهم احمد مرزو ان يجروه الى سطح الدير بالحبال فلم يرضوا فحلف لهم بالله العظيم وجمع الى اليمين بالله يميناً بالطلاق انه لن يؤذيهم فما صدقوا . فاحتدم غيظاً وانقلب فاثار الاكراد والعشائر فجعلوا يطلقون البواريد على النصارى من صباح الاحد ؛ تموز حتى المساء فلم يقتلوا احداً البتة . على ان النصارى المحاصرين ما اكتفوا باطلاق ما عندهم من الرصاص بل جمعوا الحجار وقذفوها عليهم ودحروهم ولم يبق منهم حول الدير سوى القليلين ترقبوا الفرصة زمناً للهجوم فلم يفوزوا بخبيث نياتهم فنكصوا على اعقابهم مأيوسين

اما نوري البدليسي فنفر عليهم وجعل مذ ذاك يستنزف منهم الذهب والفضة شهراً فشهراً حتى اثرى . وباراه في طمعه عبد الاحد دلاله فاستحل حصة من الذهب ودفع الحصة الكبرى الى نوري بل افضى به اللوم والطمع الى ان اسر الى نوري باسماء الفارين من التجند فكان يزعجهم ويقتنص منهم الذهب والفضة . وظل النصارى محشورين في الدير مدة ثلاثة اشهر حتى اذا كان تشرين رجع البنابلية

الى قريتهم وتفرق اهالي القلعة في سنجار والخابور وعلى هذا النمط استنجى الدير ومن فيه من دهاء الخصوم وهجماتهم

واتفق ان خمسة رجال من ارمن بيران انهزموا الى الدير من وجه الاكراد فثار بهم الجنود وافرزوهم واستاقوهم الى جنوبي الدير وفتكوا بهم

الفصل الثالث والعشرون

مذبحة قلعة المراة

قلعة المراة قرية مشهورة شرقي ماردين بينها وبين دير الزعفران اهلها كلهم نصارى من السريان المنفصلين والسريان الكاثاليك لكلتا الطائفتين كنيسة على اسم جرجس الشهيد . وللبرتستان فيها مصلى ومدرسة

ويوم الجمعة ١١ حزيران ١٩١٥ وافت الى ماردين نسوة من القلعة وافدن مطران السريان والوجهاء ان الاكراد متحمضون ليتوثبوا على القرية ويفتكوا بمن بها فاشاروا عليهن بالانهزام مع ذويهن الى الدير فحملوا امتعتهم وذخائرهم وقصدوا الدير . فشعر بأمرهم ابسمعيل بن علي محمودي الداشي واحمد مرزو وابنه فتتبعوهم وطمنوهم لكن النصارى ابوا الا الرحيل

وصباح الاحد ١٣ حزيران خرج منهم اربعة وخمسون وقصدوا القلعة في استحضار ما تبقى في بيوتهم وسار معهم خاو وعبدي العسكريان ليحافظاهم . غير انهما اثارا الداشية فادركوهم عند الشرفة وصقعوا رووسهم بالسيوف واعملوا فيهم المدى وذبحوهم

ولم يفلت منهم الا جرجس بن عبي وشمعون بن ملكى يعقوب فانهزما الى ماردين فلقيهما عند الفردوس ابن الشيخ محمد علي فارادهما على الدخول الى البستان فابيا وواصلا المسير فقصد جرجس مستشفى البرتستان فعالجه الدكتور تام وابراه

ولما بلغ خبر مذبحتهم اهالي القرية دفعت الحماسة قوماً منهم فشخصوا الى المقتلة وملأوا الجثث في الاعدال وحملوها الى الكنيسة ليلحدوها فاطلق عليهم الداشية الرصاص لكن الله انجاهم جميعاً فدفنوا القتلى وعادوا الى الدير · وبعد هذا سار منهم زهاء ستين رجلًا ليقطفوا عنباً من كروم القرية فشد عليهم الداشية وفتكوا بثمانية منهم واحرقوا يوسف حنو وفرّ الباقون الى الدير

ويوم الخميس ٢٤ حزيران قحم نوري البدليسي والقى القبض على اربعمائة وخمسين شخصاً واخرجهم قسرا من الدير لياتي بهم الى البلد ويضيفهم الى العسكر العملة وكان ما بينهم خمسة عشر ارمنياً انهزموا من بيران فنحوهم عن البقية وذبحوهم عند مقطع خاجو والقوا جثثهم في المغارة وساروا بالسريان الى ماردين وضموهم الى عملة الاعبثة · لكنهم ما تاخروا ان تسربوا الى الدير واحداً فواحداً بعد ان رشوا المامور كمألوف العادة · وعند وصولهم الى الدير فرض نوري البدليسي على كل منهم مجيديين في الشهر وظلوا كذلك حتى رفع عنهم الحصار · غير ان الامراض المعدية فشت في معظمهم حتى انه في يومنا لم يبق من اهالي القلعة سوى ثلاثين بيتاً نصفهم في القرية والنصف الاخر في الخابور

الفصل الرابع والعشرون

مذبحة معصرتا وبافاوا وبنابيل

معصرتا قرية الى الشمال الشرقي كان يسكنها زهاء ثمانمائة نسمة من السريان المنفصلين دابهم فلاحة الكروم ونسج الاعبئة . وفي اواسط حزيران ١٩١٥ فر منهم ثلاثة رجال الى بنابيل فدير الزعفران فاخبروا المسيحيين بما جرى لهم قالوا : قصد شيخ معصرتا واسمه حسين بكرو وجهاء ماردين وشاورهم في امر نصارى قريته فبلغوه ان يستاصلهم قاطبة فانقلب الى القرية راكباً راسه واستدعى من فوره النصارى ليبلغهم على قوله كلمة الامان والعفو . ولما شخصوا الى داره الفوها مكتظة باجلاف الاكراد . وما وطئوا الساحة الخارجية حتى ثاروا بهم واوثقوهم واستاقوا نساءهم وجميع عيالهم معهم الى الابار القريبة وافحشوا في ضربهم وذبحوهم بلفيفهم والقوا جثثهم في تلك الابار . ولاذ ماكي يعقوب ويعقوب واخوه بمغارة مجاورة وظلوا فيها ثلاثة ايام كالمنزوعي الروح ثم انهزموا الى بنابيل فدير الزعفران . وابتز الاكراد امتعتهم واموالهم واستحلوا ارزاقهم واراضيهم واستراحوا

ولما بلغ الخبر نصارى بافاوا رجفت ابدانهم وحاروا في امرهم وظلوا يومين على تلك الصورة فشد عليهم حسين شيخ القرية في رجاله وكبسوهم في دورهم وتعاوروهم بالمدى والشفار والخناجر حتى افنوهم واستلبوا اموالهم وتركوا بيوتهم بلقعاً . وافلت منهم ثلاثة رجال ايضاً فروا الى بنابيل واخبروا النصارى بما صار

اما البنابلية (ص ٥٧) فلما بلغتهم اخبار تلك الفواجع ايقنوا انهم عما قليل يساهمون اصحابهم المسيحيين فحملوا بنادقهم وتفرقوا في البساتين والكروم وارسلوا نساءهم واطفالهم الى دير الزعفران . وفي سلخ حزيران اغار عليهم اكراد العمريان المحمودكية واهالي رشمل في اولادهم ونسائهم ودوابهم وتسلقوا قلة الجبل المطل على القرية يحاولون النزول للقتل والسلب . فقصد النصارى الجنديين اللذين عندهم والحوا عليهما ان يصدرا الامر الى الاكراد لينكشفوا عن القرية او يبعثا الى ماردين في استحضار العسكر ليقاتلوهم او يضطروهم الى مغادرة القرية فقصد احدهما البلد وظل الاكراد على قمة الجبل يحددون النظر ويستفرصون الفرص للهبوط الى القرية وقتل المسيحيين واستلابهم

ولما استبطأ النصارى رجوع السفير بعثوا نخبة منهم الى خليل غزاله كبير العمريان صديقهم ليوافي الى نجدتهم فسار خليل في ستين رجلا واوصى اخاه احمد ان يلحقهم في رجاله ايضاً .فاستقبلهم النصارى بترحاب شاكرين لهم اخلاصهم واعدوا لهم الاطعمة والفواكه فوعدوهم انهم يقاتلون الاعداء ولا يغادرون القرية الا بعد ان يهزموهم .وعند غروب ذلك اليوم عاد السفير الى القرية في ١٨ جندياً وبوقوا واستدعوا النصارى ووعدوهم انهم يزيحون عنهم الاكراد غير ان البنابلية لم يصدقوا كلام العسكر فظلوا في بساتينهم

وعند الفجر انحدر الاكراد الى القرية واحتفوا بها كالجراد في حميرهم وجحاشهم ونسائهم واولادهم وكان عددهم فوق العشرة آلاف بينهم قوم من الداشية وغيرهم . فاطلقوا اولاً البنادق ليختبروا

قوة النصارى . امـا البنابلية فلزموا السكوت يقولون : ان قاوم العسكر اعداءهم لاذوا بالصمت والا دافعوا بكل طاقتهم . غير ان العسكر مـا تأخروا ان اتفقوا مع الاعلاج وطافوا البيوت معهم للاختلاس والسلب . فنهض البنابلية وشدوا على الاعداء واطلقوا عليهم الرصاص فقتلوا ثلاثة رجال وامرأتين وهزموهم الى البساتين . فاستدعى العسكر اذ ذاك خليلا غزاله وقالوا له « قاتلك الله علام تحامي عن النصارى الكفار . او تجهل ان الحكومة ترمي الى قتلهم فذرهم وشأنهم وارجع الى قريتك » اما خليل فلم يكترث للتوبيخ بل ظلّ على العهود والمواثيق

فعمد الجنود الى الحيلة واختلقوا مضبطة كتبوها هم ووقعوها بامضاء خضر جلبي وعبد الرزاق شهتنا وشوكت بك ومحمد علي ابن الحاج علي وكان فحواها : « ان من دافع عن النصارى قتل وسلبت امواله . ومن سعى في قتلهم فاز بالحظوة لدى الحكومة » وسيروا المضبطة الى خليل (وهي عنده الى اليوم) فلما اطلع على مضمونها قال اعلموا يا هؤلاء : ان البنابلية ابطال شجعان لا يهابون احدا . فالاجدر ان نتحيل عليهم ونستدعيهم الى الكنيسة ونحصرهم ونفتك بهم . فـاعجبهم كلامه وارسلوا اليهم متو الداشي يقول لهم ان صديقكم خليـلا يدعوكم ليوقفكم على مضمرات قلبه ويلقنكم الوسائل لتدافعوا عن نفوسكم وتدحروا الاعداء . غير ان البنابليـة المحنكين قالوا له ارجع وقل لخليل ليحضر هو الينا لاننا عارفون حق المعرفة ان في حضورنا اليه هلاكنا . فشخص اليهم خليل صديقهم في رجالة وسار معه عشرون من مشايخ الاكراد . وما

لجهم البنابلية حتى تعرّش قوم منهم باشجار الشمش وجعلوا يقطفون الثمار ويطعمونهم · وفرّ منهم قوم الى دير الزعفران فاستدعاهم خليل وقال علامَ تنهزمون اما تصدقوني · ثم قلب لهم ظهر المجن واندفع يشتمهم ويلعنهم ويستنهض الأكراد ليقتلوهم · فانحدر البنابلية عندئذ من الاشجار واستجاروا الله ولاذوا بالهزيمة · غير ان الشيخ قبض على نعمه بن حنا خاتوني واخذ بندقيته وضربه بها ففرّ من بين يديه ولحق اصحابه الى دير الزعفران والاكراد والعشائر يركضون في اثرهم ويطلقون عليهم الرصاص فقتلوا منهم اثني عشر رجلًا فقط · وكان الفتيان النصارى يرعون الغنم والبقر في ضواحي القرية فقصد نحوهم خليل وزملاؤه وارادوهم على سوق المواشي الى الكرمية فتكالبوا عليهم وذبحوهم كافة ما عدا فارساً بن شمو فانه اركن الى الفرار واطلع الاه على ما صار

ولما صار البنابلية الى الدير الفوا نساءهم خارجاً والجنود يحرجون عليهن الدخول ويبالغون في تعذيبهن · فسخط البنابلية على العسكر وتسلقوا الحيطان وخطفوا المفتاح ففتحوا الابواب وادخلوهن وهن ينحن ويعولن · فامتعض نوري البدليسي وقبض على يوسف بروكي وابرهيم يوسفي وجرجس برو واوثقهم وسيرهم الى البلد فبعثوهم الى دياربكر وقتلوهم · فخاف سائر البنابلية وكانوا سبعين رجلًا وخرجوا من الدير واختفوا في سرب قريب مدة ثلاثة ايام ثم عادوا الى قريتهم واعتصموا بالمغاور والكهوف · وكانوا يبحثون ليلًا عن الحشائش والبقول ويقتاتون بها ثم صعدوا الى الحبيس وارسلوا يستحضرون الطحين من الدير وهم ينتظرون الفرج · واتفق لحسن

بيزي التخومي ان مرّ هنـاك فسمع صوتهم وبادر الى البساتين واستدعى الاعداء ليقتلوهم فسارعوا الى الحبيس وسارع معهم قوم من الاكراد يقولون . قد حصلتم في حوزتنا . فقال لهم البنابلية . اضربونا ولا تقصروا فنحن قد جعلنا دمنا في كفنا . قال الاكراد: اسلموا تخلصوا . قال البنابلية . انترك عيسى ونتبع محمداً يا حمقى كلا . اننا نحيا ونموت على دين المسيح . فقـد قتلتم كثيرين من اخوتنا النصارى فمثلنـا مثلهم . ولما راى النصارى كثرتهم ايقنوا بقرب المنون وانحدروا عنـد نصف الليل من الحبيس وتوغلوا في القرية فاطلق عليهم الخصوم البنادق كالمطر فلم يصيبوا احدا . ولما شخصوا الى الدير سالوا المطران الياس هلوله ان يفتح لهم البـاب فقصد نوري البدليسي ودفع له خمساً وثلاثين ليرة جمعها من البنابلية على ان يأذن لهم في الدخول فتسلقوا السطح ومكثوا في الدير نحو ثلاثة اشهر يدفع كل منهم لنوري راتباً شهرياً

ولمـا قلع نوري ونصب مكانه ابرهيم الخاكي عرض عليهم الاسلامية فابوا . فالح فلم يفلح فاستحضر عشرين عسكرياً فاوثقوا البنابلية جميعاً واخرجوهم في حـال يرثى لها . وكتب ابرهيم المزبور الى فرحان الداشي بقلعة الزراة يقول « استعجل في استحضار عدد كاف ليفتكوا بالبنابلية قاطبة » لكنه تعذر عليه ذلك لفوت الفرصة فوصلوا الى ماردين وفرقتهم الحكومة في القرى ليحصدوا الغلال . وكان الحنطة اذا انهى الحصادون شغلهم تكالبوا عليهم وقتلوهم مجـازاة لتعبهم . فقتلوا من قتلوا وانهزم الباقون الى قريتهم ولاذوا بالجبال وما زالوا كذلك حتى انطفأت نيران الحرب

الفصل الخامس والعشرون

مذبحة المنصورية

المنصورية (ص ٥٨) اقرب قرية من بلد ماردين تشمل اربعمائة بيت نصفهم نصارى ونصفهم داشية وهم من السريان المنفصلين والسريان الكاثليكيين لكلتا الطائفتين كنيسة باسم اسيا الطبيب . وصناعة اهلها الحياكة واشتهر من هذه القرية بيلاطس بطريرك اليعاقبة † ١٥٩٧ وعبد الغني اخوه

وكان الداشية اثناء الحرب يحدّدون النظر الى جيرانهم ليوقعوا بهم وافضت بهم اللآمة الى ان بلغوا اسماءهم الى الحكومة فقبضوا على كثير منهم وبعثوهم الى ساحات الوغى واضطروا الباقين الى تادية الغرامات الشتى . وما هو اعظم من ذلك كله ان اليعاقبة عينهم افادوا الحكومة عن شبان السريان الكاثليك الذين كانوا يعاقبة سابقاً فجعلت تبحث عنهم وتلحف في طلبهم التجند كما حدث الامر للقس يوسف ززقو المنصوري[1] تلميذ دير الشرفة بلبنان

(١) كان القس يوسف يعقوبي النحلة وانضم الى الكنيسة الكاثليكية منذ نعومة اظفاره فثار عليه اهل وطنه وبلّغوا رجال الحكومة فقبضوا عليه وحبسوه يومين كاملين ثم اجتمعوا وقرّروا ان يلزم مذهب آبائه حتى يبلغ رشده وبعثوه الى بطريرك اليعاقبة عبدالله سطوف في ثمانية جنود فاضطره البطريرك ان يسير الى الزعفران ويزاول الشغل في المطبعة فثابر على ذلك سبع سنوات وهو يراسل الرؤساء الكاثليكيين سرّاً فشعر بذلك المطران جرجس وامر وكيل الدير القس بطرس فضربه ضربات شتى حتى كسر اصابعه . وما تأخر صليبا ان فرّ من الزعفران وقصد السيد جبرائيل تبوني مطران السريان الكاثليك فاوفده الى دير

فاضطر الاب المذكور ان يغادر ديره ويطوف اديرة السريان الموارنة حتى انتهت الحرب الطاحنة . وحدث مثل ذلك لرفيقه الخورفسقفس بشاره حداد السرياني فعضده الشيخ يوسف حبيش النبيل وكفّ عنه تعدي الخصوم

وليلـه الاربعا ١٦ حزيران ثار الداشية على نصارى المنصورية وقصدوا اولاً بيادرهم ونشبوا يطلقون الرصاص ثم انقلبوا الى دار دلّي بن خليلو كبيرهم وصاروا يصيحون باعـلى اصواتهم فانهزم اغلب النصارى الى الكنيسة ولزم البقية بيوتهم خائفين

امـا ججانو سيراني فتظاهر بانه يدافع عنهم وتسلق سطح الكنيسة كأنه يحرج على الداشية اصحابه الدخول اليها . ولكنه ما مرّ القليل حتى انحـدر وفتح الباب على وجه الامانة فكبس الداشية عـامة المسيحيين وتعجلوا اليهم بالضرب والرفس والصفع وقتلوا اكثر من اربعين رجلاً وامراة واحـدة ثم اوقدوا المصابيح واستدعوا توما اخا القس عبد الاحد وبجدو موسى وذهبوا بهما الى بيت الاخرس ليستخرجوا المطامير والكنوز فبحثوا بحثاً شديداً ولم يعثروا على شيء . فاحتدموا سخطاً والبسوا ذينـك الرجلين ثوبين جديدين وقلبوا عليهما زيت البترول فاحرقوهما . وانهزمت اذ ذاك خزمه امراة عبد الاحد اخرس الى بيت اوصاني الداشي فتـالب الداشية وفتشوها واخذوا منها ثلاثمائة ليرة وقتلوها . وكـان زوجها وابنها واقفين على سطح الكنيسة فما سمعا بقتلها حتى القيا

الشرفة فقرا العلوم الكهنوتية وحذقها حتى اذا كان ٥ ايار ١٩١٨ ارتسم كاهنا باسم يوسف وهو يقيم ماردين يشتغل في فلاحة كرم الرب بغيرة ونشاط

بنفسهما الى اسفل وتهورا فتعاورهما الداشية بالسيوف وحزوا راسيهما وقتلوهما ايضاً

واستمرت النساء على سطح الكنيسة وانهزم الرجال . فتشاغل الداشية بنقل الاموال والامتعة والاثاث الى بيوتهم حتى بقي من الليل ثلثه فبلغ الخبر وكيل المتصرف بماردين فامر الجنود بالمسير الى القرية عاجلاً . ولما شارفوها دقوا الابواق فانهزم الداشية الى بيوتهم في الغنائم والاموال . ولما وصل الجنود قالوا للداشية علانية « الرماد في راسكم علامَ تركتم منهم بقية . لماذا لم تستاصلوا شافتهم بالمرّة »

وصباح الخميس ١٧ حزيران بادر نصارى القرية باجمعهم الى المدينة وحلوا في كنيسة اليعاقبة نافضين يدهم من اموالهم واملاكهم وظلوا عشرة ايام حائرين . فسار مطرانهم الى المتصرف وسأله الافراج عنهم . فاوفد سبعة جند يقولون : هلموا معنا الى القرية واستحضروا ما تحتاجون اليه . وبذلوا لهم الامان وسرّجوا لهم الاحاديث وقالوا انهم يصونونهم في الذهاب والاياب . فاجمر زهاء سبعين امراة على المضي . وحملت كل منهن شيئاً مما تبقى في بيتها من الزاد ورجعن . وعند النخزية بادر الداشية واحاطوا بهن واستاقوهن في اثقالهن الى مغارة القيصرية وفتكوا بارواحهن واحرقوا اجسادهن ولم يفلت منهن سوى امراتين احداهما خرساء فرّت الى المدينة عريانة على اخر رمق واخبرت بالحادثة

غير ان الحكومة ارادتهم على المضي تكراراً وعاهدتهم بالايمان المغلظة انها تحقن دماءهم وتسعى في دفع الخصوم عنهم . فذهب ثانية نحو مائة امراة ومكثن ثم شهرا . وذات ليلة ثار الداشية

بهن وساقوهن الى موضع يُعرف بجب القرقوعة على طريق بسبانس فذبحوهن قاطبة والقوا جثثهن في البئر . واوثقوا ايليا باكاني مع كلب واستاقوه على تلك الصورة الى بساتين الزنار يسخرون منه ويطعنون عليه وعلى دينه حتى اذا كان الغد عادوا به الى تلك البئر وقالوا له اعوِ نفلتك . فجعل ينبح ويعوي وهم يضحكون وقد يبس لسانه من الجوع والعطش ثم قتلوه والقوه في البئر فوق القتلى

ومذ ذاك لم يتجرأ احد على الذهاب الى المنصورية . غير ان امرأتين ذهبتا يوماً واستحضرتا شيئاً من الذهب المطمور في بيتيهما ولما وصلتا الى الفخرية انقض عليهما الداشية فاخذوا ما استحضرا وقتلوهما وقتلوا معهما صبية وعروهن ولففوا سراويلهن في اعناقهن وانصرفوا

ولم يذر الخصوم شيئاً في الكنيسة من الامتعة والاموال . ولما جاء المهاجرون الى ماردين سيرت الحكومة قسماً منهم الى القرية فقلعوا الاخشاب واحرقوها وباعوها . وقوضوا المساكن ودكوها ولم يعفوا الا على الكنيسة فقط

واليك اسماء اشهر مشايخ الداشية الذين استباحوا وانتهكوا واستحلوا ما حرّم الله تعالى : حسين بلالو وخليل وعثمان اخواه . ودلي برو خليلو . وحسن اوصماني . والحاج بدرو . والحاج بنيه وبيت شيخي . وبيت عجو . وحسي الحاج علي . وخلو مصطوكي وعلي الجبلي . وفرحو عرفي وغيرهم

وما زال اهالي المنصورية مستوطنين في ماردين يشتغلون الحياكة بنشاط وجدّ . وقد تحسنت احوالهم وكثرت اموالهم وتوفرت بواعث نجاحهم

الفصل السادس والعشرون

مذبحة القصور

القصور او الكولية (ص ٥٥) قرية في جنوبي ماردين بيوتها مبنية باللبن ما عدا كنيسة السريان اليعاقبة التي جددوها سنة ١٧٢٧ وكنيسة السريان الكاثليك التي انشئت سنة ١٨٧٢ بمساعي السيد ليون القاصد الرسولي . ولما حضر اليها الالمان عام ١٩١٧ نقلوا حجارة كنيسة الكاثليك وابتنوا بها بيوتاً لثواهم واليك ما جرى لنصاراها في هذه الاونة

في ٢ تموز قدم من تل ارمن الى القصور عشائر الملية والدقورية والميرسنية والكيكية والخلجه والعربانية والمشكينية والسوركية والديركاوية والدنبابية وانضمّ اليهم اكراد جبل عفص والغرس وشيخان وعرب البغاره والخراجنه وحرب يتقدمهم الداشية والمشكوية والتفوا بها عند الظهيرة ونشموا يطلقون الرصاص فهلع النصارى جداً وقصدوا الحفظة وكانوا مائة وعشرين وسألوهم ان يكفوهم شرهم فحملوا عليهم وكشفوهم عن القرية

وعند الغروب اوفد الاكراد الى محمد بك الملي ويوسف بن نوري البدليسي رئيسي العسكر يستأذنونهما في الهجوم . فامر محمد بك عسكره ان يحيطوا بالقرية ويحرجوا الخروج على النصارى . ولما جنّ الليل ارسلوا خليل بن بلالو وسعدو بن كاصو وخليلاً عبدالو وجاجان بك العرباني الى محمد بك يقولون مُر النصارى ان يدفعوا ثلاثمائة ليرة ذهبية نبتعد عنهم . فقصد محمد ورجاله دار ايليا جبور

كنعو كبير السريان وصرحوا له بنية العشائر فاستمهلهم الى الصباح فابوا وخرجوا من داره ساخطين

وفي الساعة الثامنة ليلا بوق البوق طبقاً للمؤامرة فشد العشائر على القرية فارسل محمد بك الى ايليا يشير عليه ان يحشد النصارى في بيته فيأتي هو واصحابه ويزجرون الاكراد عنهم . غير ان الاكراد ما دخلوا القرية حتى انضم اليهم العسكر الخونة وصاروا يتواثبون في الدور ويتراكضون على السطوح ويذبحون اخيرا كبسوا دار ايليا كنعو وكانت على رحبها غاصة بجماهير المسيحيين داخلا وخارجاً فانغمس فيهم اولئك الانذال وجعلوا يذبحونهم بحد السيوف والشفار حتى رويت الارض من الدماء وامست عبارة عن حوض ماء ثم ارادوا الذين كانوا داخلا على الخروج فانكروا فصاروا الى السطح وعالجوه حتى خر السقف عليهم فقذفوا زيت البترول واحرقوهم فانتشرت الروائح وتعجج الجو من الدخان

وبعد هذا راحوا يجرون جثث القتلى الى الآبار ويقطعونها ويلقونها بها . واكد لنا الكثيرون ان شيوخ الاكراد ولاسيما الذين سرحوا لحيتهم ورفشوها كانوا ينتصبون على فم البئر وفي يمينهم الخبيثة الشفرة او المدية فيقولون البسملة على كل فرد ويذبحونه ويهبطونه الى رضام البئر . وكانت نساؤهم الفاجرات يتهجان اليهم ويقلن لهم فسحوا لنا لنخضب نحن ايضاً يدنا بسفك دماء اعدائنا فكانوا يأذنون لهن لئلا يبقى بقلبهن . وبلغنا ان رجلا وحشياً من القوس قبض على عدة اطفال وصعد بهم الى السطح وثم يقبض على قدمي واحد فواحد ويجيله كالمقلاع ويلقي به الى اسفل ويقول

للطفل اذهب ارعَ السخلان وللطفلة اذهبي انظري القثاة وفتك على هذا المنوال بخمسين طفلاً وطفلة . وهذا غاية التوحش والقسوة

يا ربا. افتح عينيك وانظر . اسمع ايها السيد اصغ واصنع . لا تبطئ . (دانيال ٩) . وأحصي عدد القتلى في دار ايليا كنعو فقط فكان اكثر من ألفي نسمة . ولم يبق اليوم من نصارى القصور سوى مائتي نسمة فروا الى تومكه فحقن خليلو صاحبها دماءهم ودرّ لهم الارزاق وصانهم لديه حتى هدئت الثورة فسرحهم الى بيوتهم واذخر له اسماً صالحاً استوجب اعطر الشكر والثناء

الفصل السابع والعشرون

مذبحة تل ارمن

عرفت ايها القارئ العزيز ان نيران العدوان قدحت زنادها في قرية تلّ ارمن ومنها اندرأ الحريق وانتشر لان درويش مديرها هو اول من تنمر في الشر . ففيها كتبت تلك الضبطة الشيطانية في تدمير الارمن واهلاكهم (١) . ومنها أُرسلت الكتب الى الولاية وغيرها في محق النصارى وسحقهم . فيها لفقت الشكاوى على المسيحيين واستدعي سركيس الى ديوان الباي ليمضي الضبطة . في تلّ ارمن أعدّ اعوان هامان الاجاجي الخشبة ليعلقوا عليها مردكاي الامين وسائر الارمن المسيحيين والكاثليكيين . ولم يقرّ قرارهم حتى ادركوا اوطارهم فقلبوا القرية ظهراً لبطن ودمروها وجعلوا عاليها سافلها

(١) كتبت الضبطة في محل اسحق الخلوصي ووقع عليها درويش المدير وعبد الرحمن الفواس ونجيم مدير بنك الزراعة ومحمود عبدالو

ولا يفتك ايها الحبيب ان نصارى تل ارمن المنيفين على الستة الاف نسمة كانوا كاثليكيين قحين يغلون في دينهم ويتنافسون في الخلال الحسنة · ولما راوا مطرانهم الشهم وقسانهم النبلاء وجماعة ماردين قد سيقوا وقتلوا ايقنوا انهم سيصيرون الى ما صاروا

وفي ١١ حزيران سارت اليها شرذمة عسكر من ماردين واستحضروا القس انطون والقس ميناس والوجهاء وصفدوهم وساقوهم الى شيخان وقتلوهم · وبعد اسبوع اي يوم الجمعة ١٨ حزيران القوا القبض على عشرة اخرين منهم غزو سيروب وميخائيل مكي وجرجس جدعان وساقوهم الى قلعة ماردين فظلوا ثمانية ايام والخصوم يتغامزون على قتلهم · لكنهم راوا ان يعيدوهم الى قريتهم ليتمكنوا بتلك الذريعة من اكتساحهم عن بكرة ابيهم · وما مضى الاسبوع حتى انتقى المدير منهم سبعين شخصاً وفوّض اليهم ان يقوموا بخدمة الغادي والرائح من الجند وفي ٢٨ حزيران استاقوهم الى دار الحكومة · فانهزم بولس بن اوسي القس فاطلقوا عليه الرصاص وقتلوه · ثم قبضوا على النصارى من السن العاشرة الى السبعين واستاقوهم الى الكنيسة · واستدعوا رعاة الاغنام فسرحوا المسلم وأبقوا النصراني واستحوذوا على جميع المواشي والخيل وجمعوها في محلّ واحد · واحتشد من بغتة اكراد القرى المجاورة وانضموا الى العسكر ينتظرون اوامر درويش

اما النساء فصرن الى المدير يستفسرن عن الامر فتجاهل وقال لا خوف عليكن ولا على رجالكن واطفالكن فعادت النسوة الى بيوتهن خائفات مذعورات · وكان جرجس بن حنا المنصوراتي لائذاً

بكوخ الدجاج فشعر به الجند واستاقوه الى البيعة · اما درويش فارسل جماعة من العسكر الى الابراهيمية فقبضوا على ستين من اليعاقبة والارمن وعلى ابرهيم السرياني واحضروهم الى كنيسة تل ارمن فسالوا القس عن مذهبه فقال سرياني قديم · فبذلوا له كلمة الامان وصرفوه وصرفوا معه جماعته وجرجس المنصوراتي المذكور ولما وصلوا الى الابراهيمية شن عليهم الغارة جميع الاكراد يتقدمهم شيخي شهتنا ودرويش المدير واعملوا فيهم البنادق والخناجر حتى قتلوهم قاطبة · وحزوا هامة القس ابرهيم وجعلوا يلعبون بها لعبهم بجمجمة احقر الحيوانات واستاقوا النساء والاطفال الى تل ارمن وحشروهم في الكنيسة · ثم انتقوا مائة رجل واوثقوهم اربعة اربعة ورجموا غزو سيروب قبل الجميع وقتلوه وساروا بالبقية في اول تموز على طريق القصور وفتكوا بهم وعادوا الى الكنيسة ومعهم عبدالله جلبي ابن الحاج كرمو في رجاله وشركائه وطفقوا يعرون المسيحيين والمسيحيات ويقطفون رؤوسهم ويذبحونهم بالسيوف والمدى والخناجر حتى تعصفرت اراضي الكنيسة وحيطانها بالدماء

وعند ذاك حضن جرجس المنصوراتي طفله وقصد الوفه لينجو به من الضرب والقتل · فاقبل كردي يحاول ضربه فتماوت · فعراه من ثيابه وهو صامت وانصرف يظنه قد فاظ. اما النصارى الذين لم يصبهم الضرب فتكردسوا فوق بعضهم اربعة اربعة وخمسة خمسة وعلا ضجيجهم وصراخهم حتى كادت الكنيسة تتصدع وتتشقق · وركب نجرجس المذكور خمسة اشخاص الواحد فوق الاخر فظل تحت الجميع صامتاً ممدوداً على الدماء وابنه الى صدره وروحه

تتردد الى حنجرته .. وبادرت فتاة الى موضعه فهجم عليها الانذال وعرضوا عليها الاسلام فابت فضربوها وهي على فخذه وقتلوها

وما انتهى الاوباش من الذبحة وغادروا الكنيسة حتى دخلت ثلاث كرديات وقلن لرجالهن أعطونا السكاكين والخناجر لنخضر يدنا . شلت تلك اليد . ويبس ذلك اللسان . . وجعلن يفحصن الجثث ويضربن من شئن حتى انتهين الى القتلى الكومين فوق جرجس فقلبنهم وضربن المذكور في فخذه فلم يتحرك فانصرفن

وعند الغروب اقبل الجنود الى الكنيسة وخاطبوهم في جوفهم وقالوا من كان حياً فلينهض ولا يخف . لان الحكومة امرت ان لا تستغرق المذبحة اكثر من ثلاث ساعات . فنهض اربعة من الجرحى وتبعوهم فخرجوا بهم خارجاً وقتلوهم . اما النساء فذهبوا بهن الى حيث شاءوا . وما اكتفوا بالقتل بل اخرجوا الجثث واحرقوها جميعاً والقوها في البئر . وجمعوا الاطفال والرضعان في ارض البيدة ودرسوهم كالقمح كلهم وقتلوهم وخلصوا من تعذيبهم ؟ واستحيوا زهاء سبعين امراة وفتاة استاقوهن الى ميدان الثكنة وعروهن وركبوا منهن الفواحش علانيةً دون حياء . وتركوهن هكذا اسبوعاً كاملًا حتى انقلبت صورتهن ثم شرعوا يقتلون من ارادوا ويسبون من اشتهوا (١) وكان منصور سحار مختفياً فمل الاقامة في مخبائه وتردى كالاكراد وقصد البلد فالتقى في طريقه قوماً من العسكر الخمسيني فاستفسروه عن اصله وفصله ومقامه فانكر حتى وصل الى بيته

(١) اكد لنا غير واحد ان درويش المدبر اغتصب خانم بنت يعقوب القس حفيد البطريرك بوغوص وركب منها الفاحشة طول الليل ولما اصبح امر بقتلها

فلم يعرفه اهله لتبدل سحنة وجهه ولبث مختفياً الى آب ثم انهزم الى ستجار

اما جرجس المنصوراتي فظل في الكنيسة ثلاثة ايام صابراً على احكام الله ثم اخذ عمته وامراة اخيه وجرجس متفونه وقصدوا قرية الكولية عراة حفاة . فاستوضحهم الجند عن شانهم فقالوا : ان الحكومة رحلتنا من ويرانشهر فثار بنا الاكراد وعرونا . ولبث جرجس واصحابه زماناً في الكولية يستعطون ثم شخصوا الى ماردين

كذا جرت مذبحة تل ارمن وبختامها نختم اخبار المذابح والفظائع . . فهلا اصاب دعاة الشر والقتلة الظلمة ما اصاب هامان الخائن فيسكن الغضب وتسود الطمانينة . قال ميخا النبي (ص ٢) « ويل للذين يفكرون في الاثم ويخترعون الشر في مضاجعهم ثم في نور الصباح يصنعونه . . ويشتهون حقولاً فيغتصبونها وبيوتاً فيحوزونها ويظلمون الرجل وبيته والانسان وميراثه »

وأُحصي عدد القتلى في ولاية دياربكر السوداء فكان ستمائة وعشرين الفاً فقط . ولا ندري هل شبع الظلمة ام لا . ولكن لا يشرد عنهم ما قيل

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

وما من عبد ظلم فشخص ببصره الى السماء الا قال له الله عز وعلا : لبيك عبدي حقاً لانصرنك ولو بعد حين

الفصل الثامن والعشرون

شذرات

حدثنا يوسف بولس كعيب قال : قصدت دار بطاني مساء الجمعة ٤ حزيران فاذا بهم يبكون ويصلون وقد حضر فرنسيس احدهم من دياربكر يقص لهم ما حدث بها من الفظائع . وبعد الغروب بساعتين ودعتهم وما وصلت الى قدام دار جنانجي حتى اكتنفني عشرة جنود من جملتهم ابن قاعو وجعلوا يضربوني وساقوني هكذا الى دير الراهبات الفرنسيسيات واوثقوا قدمي وضربوني اربعمائة ضربة ثم اراقوا عليَّ الماء واستحضر سعيد الجرموكي خلاً غسل جراحي وسقاني خمراً واطعمني حتى تراجعت قوتي وامر اثنين فحملاني الى بيتي

وصباح الاثنين ٧ حزيران مررت بكنيسة مار يوسف فتكالب علي الجنود تكراراً وطفقوا يضربوني باعواد البندقيات فدفعتُ لهم وثيقتي فتركوني وزحفت كالسلحفاة الى بيتي وما عتم ان انضممت الى العملة رفاقي ثم قصدت دار الاميركان ولبثت بها الى اواسط ايلول فشعر بي الجنود واستاقوني مع ٢٢٧ شخصاً نصرانياً الى قرى دياربكر لنحصد الاغلال . ولما وصلنا الى دياربكر اهبطونا الى السجن وعروا ولم يدعوا علينا سوى ما يسترنا وانزلوا واحداً فواحداً الى اعماق السجن وأرونا زنابيل ممتلئة من اسنان المسيحيين وآذانهم واصابعهم وانوفهم الخ (هنا ص ٢١٩) فاقشعر جسمنا وملكتنا الرعبة . ثم وزعونا في القرى فسرت انا ورزق الله كروم وفرنسيس

دبس وابرهيم الكلداني ورجلان اخران الى توله قرية عبد المسيح صباغ وفي اواسط تشرين الاول شاهدنا قريب عشرة الاف نسمة من ارمن طرابزون وما والاها فذبحهم الاعداء كلهم بشفرة اصحاب التبغ. وارتكبوا المنكرات من الحريم ثم ضحوا بهن وسلتوا امعاءهن طمعاً في الذهب . وحضر بعد ذلك قافلة ثانية من موش وكيغي كانوا اكثر من ستّ عشرة نسمة ذبحوهم كالسابقين بالسكاكين

وواصلنا العمل حتى شهر كانون الاول فساقونا الى خانكه ثم الى ميافرقين فأمر القائم مقام ان يحمل كل منا على ظهره ستين اقة قمحاً الى سعرد فسرنا كالدواب ما بين الثلوج ومات منا في الطريق ستة وعشرون رجلاً . ولما وصلنا الى سعرد لذتُ وحدي بالهزيمة . حتى وافى الالمان فنزلت واشتغلت مع العملة الى انتهاء الحرب

واخبرنا جرجس عبد المسيح حنجو قال : عوّلت بعد استيفاق اهلي على الهرب الى سنجار فتلفعت بازار النساء وقصدت بيت الحدوب فلمحني فارس بن حمو اليونس عند الجامع الكبير وقبض عليّ واستغاث برفاقه ليسارعوا اليه فالقيت الازار والحذاء وفررت فادركني الجند فقلت قتلي ههنا خيرٌ من مجيئي معكم فاقسموا لي بالطلاق الثلاث انهم لا يقتلوني وساروا بي هكذا الى مقام البوليس وعند الليل وافى ممدوح وبدري وهرون وغيرهم من المسيطرين واستنطقوني والحوا عليّ ان اعرفهم بمكان سعيد اخي فتجاهلت فطلبوا مني مائة ليرة فوعدتهم فانقلبوا راجعين وعند نصف الليل استحضروا شاباً ارمنياً فقتلوه تجاهي والقوه في البئر ولما اصبحوا اطلقوني فدفعت لهم خمساً وعشرين ليرة ووعدتهم بدفع الباقي

وانهزمت ليلا ولحقت بالجراكسة وسرت معهم الى السفح فسنجار ٠ اما اخي داود فغدر به المشكوية بعد ما استضافوه زمناً ومضوا به الى السجن فقضى فيه شهراً ثم قتل

وروى عبد المسيح سفر السرياني قال : سرت في شباط ١٩١٦ الى عبد الامام في ثمانية عملة ورايت جثث نساء القافلة الاولى (ص ٢٨٣) ثم عدت الى دكولك وشاهدت الجركس منهمكين في الفواحش مشتغلين ببيع الذهب والفضة ٠ ومرّ اذ ذاك حلمي بك متصرف ماردين الشهم فعرفني واستخبرني عما جرى بماردين فافدته فحملني كتاباً الى السيد جبرائيل تبوني يعرب فيه عن شديد حزنه ويعزّي المطران ٠ ثم صرت الى نصيبين فابصرت شاباً نحيف البنية مكسور الساق يرعى الاعشاب فاستوضحته عن امره فقال: ساقوني من اطنه مع الف نسمة حتى وصلنا الى هنا فقتلوا الجميع وضربوني رصاصتين وقطعوا ساقي وجمعوا الجثث وكوموها في هذا البيت الكبير (واشار اليّ به) فدخلته فاذا هو ممتلئ من الجثث كله ٠ فرثيت لحال الفتى وودعته وسرت الى دير قابه وكنت كلما خطوت ورايت جثثاً على طريقي دفنتها انا واصحابي

وحدثنا ميخائيل صلبو السرياني قال : كنت اشتغل السروج في الخيم عند لحف سنجار حتى صيف ١٩١٦ وشاهدت قوافل شتى اقبلت من بلاد ارمينية بحال يرثى لها طوحهم الانذال في قرى الوردية والجدالة وابحرا والجول وعين غزال وبلد والعمو وطريق البديع الخ ٠ فسرت في ثلاثة من اليزيدية ليلا الى قرية ام الديبان فهزمنا ١٧ رجلاً و١٢ طفلا و٢٦ امراة وثلاثة حمير وجئنا بهم

الى حمو شرو شيخ سنجار الكريم فاثنى علينا ونشطنا لنستحضر غيرهم . وذهبت يوماً لزيارة محمد ببر الموصلي فقال لي ابشرك يا صاح اني خطفت ثلاث نسوة ارمنيات لي ولاخوي وهن من اجمل النساء . فصبرت النفس تلك الليلة ثم قصدت اصحابي اليزيدية واحضرت ٢٢ شخصاً وسرنا ليلا الى محل محمد فاستدعينا واحدة واحدة وجئنا بالثلاث الى شيخ سنجار فشكر لنا . وكانت الواحدة استير قرينة مامور التبغ باطنه وكان اسم الثانية اوسيا والثالثة خاتون . فانضمت الثلاث الى لفيف المسيحيين ولبثن بسنجار . ووافى بعد ذلك من الاحسجا اكثر من ثلاثة الاف نسمة يحيط بهم عسكر دير الزور والشراكسة فاغار عليهم العرب وخطفوا منهم ستة عشر شخصاً دفعوا بدل كل شخص فرساً شقراء وعشرين ليرة وكان ذلك بحضوري . واقبل عند ذاك خضر الكسوما ويداه وثيابه مخضبة بالدماء وقال للجنود « والله اني قتلت اليوم اثنتين وستين امراة وسلخت ثلاث نسوة بسيفي وعثرتُ ببطونهن على اكثر من ثلاثين ليرة وانتقيت ابنتين جميلتين تقولان انهما من ازمير ومضيت بهما الى بيتي وليلة دخولي بالواحدة رايت في ضفيرتها حجر الماس وسبع عشرة ليرة وعلبة فضية فيها اثنتان وسبعون قطعة ثمينة صورت فيها ضروب الحيوانات كالسمكة والعقرب والسبع والفيل والغنم » الخ ولما ذهبت اليه يوماً اراني ذلك كله واراني ايضاً صليباً ذهبياً مرصعاً بحجارة كريمة

وحدثنا رزق الله بطرس جرما قال : كنت اشتغل اثناء المذابح عند الالمان في محطة ابي فجا قرب راس العين وفي اب ١٩١٥ هجم

علي وعلى ستة نصارى بينهم سليم صوفيه عشرون من جنود الترك والجركس يتقدمهم اصلان بك واخوه وعربان والملا عيدو النعامي وما سرنا الا القليل حتى عرونا واستعجلونا على السير الى الجرجب الكبير فاستاذناهم في الشرب فاحضر الملا طساً ملاها ماء ومزجه بالتبغ وقال لنا اشربوا منه تاسياً بمسيحكم الذي شرب المرّ على قولكم . فجرع كل منا جرعة ونحن كذلك اذا بخيال يستركض جواده وبيده ورقة تنطق بصدور العفو عنا . فلما اطلع عليها اصلان حرّج على البقية الحاق الضرر بنا . فاعترضوا عليه فقال لهم « اعلموا يا هولاء اننا لا نضع خطية هولاء في رقبتنا لانهم لم يؤذونا ابداً ولو تعدوا على حرمنا او قتلوا احداً من عشيرتنا او نهبوا دورنا لحق لنا ان نثأر منهم . والا فكيف يجوز لنا ان نرتكب هذا الاثم . والله لولا اوامر الحكومة لما عذبنا وقتلنا النصارى ابداً . فالحكومة هي المسؤولة عن سفك الدماء . اما نحن فمأمورون لا غير » قال هذا وعاد بالستة الى رأس العين فشكروا له واستأنفوا عملهم

والحوادث عندنا في هذا الصدد كثيرة جداً جداً اكتفينا بما اوردناه منها ليطلع القراء على ما حاق ببقية المسيحيين من الاذى والجفاء

الجزء الخامس

توابع المذابح ولواحق النكبات وخاتمتها

من سنة ١٩١٦ — ١٩١٨

الفصل الاول

سوق المزايدة

او طفت يا هذا في بلاد ما بين النهرين بعد المذابح والسبي لشاهدت خصوم المسيحيين يبحثون عن حمالين ونقالين ويذهبون بهم الى البيوت والمخازن والدكاكين ويحملونهم الامتعة والبضائع الى محل عمومي او الى احدى الكنائس كي يتبايعوا عليها ويكثروا اثمانها على توهمهم في صندوق الحكومة الخميص . على انا في هذا الجزء الاخير لا نقصد البحث الا عما جرى في ماردين بعد الفظائع

والمذابح فنقول

بعد ما فتك الاعداء بارواح النصارى وطحنهم البلى بكلكله حاولوا الاستيلاء على الاموال والاملاك فعهدوا الامر الى طائفة من المنصبين كحجابي افندي ونجيم بن امين افندي وعبد الكريم افندي يراسهم حسين المفتي ومحمد علي جلبي وصادق بن سري افندي فانتقوا جماعة من العسكر النصارى فيهم نعمه بن ياسو السخله اليعقوبي لينقلوا البضائع والامتعة والاقمشة والطنافس والافرشة والاخشاب والاسرة الى مخزن واحد او الى كنيستي الارمن ودار جنانجي ليتبايعوا عليها فزاولوا العمل بجد ونشاط قبل حضور المهاجرين المسلمين من ارمينيه . وكان اذا عثر احد المأمورين على حرزة تلففت بها واخذها الى بيته لئلا يشعر به البقية فيغصبوه اياها

وبادئ بدء استحلوا دفاتر التجار وسنداتهم وباعوها باسعار متهاودة تشاطروها على السكت . ثم شمروا للبيع والشراء اولاً على سطح سوق الصياغ وكان الدلالون ولاسيما اسمعيل امامهم قد كمشوا الاذيال واخذوا ينادون باعلى اصواتهم والسلع بيدهم يتزايد الحضور في ثمنها ويدفعون القيمة الى مامور الصندوق من دون ان يتصفحوا البضاعة او يقلبوها . فاشتروا الكثير باليسير والغالي بالرخيص كتاجر استعجله السفر فباع امواله جزافاً لئلا تفوته الفرص . وبعد ما باعوا وابتاعوا البضائع قصدوا دار جنانجي وتبايعوا على ما سبقوا فحشدوا بها من الاسلاب . ثم ازدحموا على الكنيستين المشار اليهما وتبايعوا على الاواني المقدسة والحلل الثمينة والقناديل والثريات والخوذ والصوالجة والصلبان الذهبية والفضية وغير ذلك مما تقادم عهده وندر

وجوده وكثر ثمنه · واننا ليعرونا الحزن والاسف معاً لدى وقوفنا على ما افتعله صاغة اليعاقبة الذين كسروا تلك الاواني وباعوها في البلاد بارباح طيبة تأثثوا بها واثروا · ولا ندري كيف طاوعتهم قلوبهم او سمحت لهم ضمائرهم ان يتصرفوا باخص بيت الله وهم يعلمون انه سحت حرام · لعمري انهم ملتزمون بردها كلها الى اصحابها والا فخطيئتهم غير مغفورة طبقاً للنص : لا تغفر الذنوب ما لم يرد المسلوب اما الكتب الارمنية والكتب القديمة فحصلت في يد العطارين ونفقتهم لصر السلع وهلم جرًّا · ولما فرغوا من البيع راحوا يفتكرون في مكيدة اخرى يكيدونها ولقمة ثانية يطعمونها

الفصل الثاني

الدفائن والمطامير

نفس بعض النصارى باموالهم وذهبهم فدفنوها بقلب الارض لئلا يستبد بها احد غيرهم · وفاتهم ان الخصوم احكم وامهر منهم فانهم اصطفوا قوماً يدّعون بصناعة الرمل ومعرفة المطامير والكنوز كالقس الياس دولباني وابرهيم المسقوف واسكندر تنورجي السريان اليعاقبة ورفعة ابن الشيخ افندي مختار حي النصارى وكلفوهم ان يطوفوا في بيوت التجار ويحفروها وينبشوا ما بها كدار جاندري وسوسي (جنانجي) ومعمار باشي وعبدالله وكجو وبطاني وتاجر وخوجا الخ فاستخرجوا منها الدفائن وسلموها الى اولي الامر فرضخوا لهم شيئاً وصرفوهم

وتفرد بدري المتصرف بدار اسكندر ادم ونبش ثلاث مطامير

كانت احداها عبارة عن علبة كبيرة ممتلئة من الملاعق والسكاكين والاواني الفضية . والثانية كانت صندوقة تضمنت حلياً ثمينة من قلائد وسلاسل وشنوف وخواتم واساور ذهبية مما قلت زنته وكثرت قيمته . وكانت الثالثة عبارة عن طنافس وبضائع وصوف وسمن وحبوب وهلمّ جراً . وما اكتفى بدري بنبش ذلك كله بل غلب على ظنه ان في الدار كنوزاً اخرى فاوفد في استحضار زيزف ابنة اسكندر ادم وقال للجندي قل لها ان امراة التصرف تدعوكِ . فقامت زيزف من فراش الحمى وسارت فاقبلت امراة بدري في نفر أرناوطي تقدح شرارات السخط من بين عينيه وابتدا يقول : افيدينا عن المخابى. والا اهلكناك واهلكنا بنتي اخيك اللتين استخلصتهما من الذبح . فخافت زيزف وقالت له . آمني اطلعك على المطامير. ثم قامت وقام معها الارناوطي وامراة بدري الى الحجرة العالية وقالت له افتح الكوة ففتحها فاذا هي خاوية خالية فبهتت المراة وملكتها الرعبة . فقال لها الارناوطي هل حسبتنا سخرية فكتمت عنا الحقيقة اقري بالمطامير والا قتلتك. فقالت له زيزف لعلي سهوت لان الدوار آخذ براسي فامهلني لاستريح . ثم نزلوا بها الى مراح الدواب فقالت استدعوا يوسف حاوا لانه يعرف المحل فاستحضروه على العجلة فدخل وقال من فوره هذا مكان المطمورة وقد نبشت فسخطوا عليه وضربوه ضربات شتى وشدخوا رأسه وكسروا كتفه واخرجوه . ولبثت زيزف وحدها تبكي على ما اصابها وكان ذووها واقفين على الباب ينتظرون النتيجة فاشفقت عليها حرُم رئيس المحاسبة وتوسطن في امرها لدى امراة بدري فقالت لها اذهبي وارجعي اليّ

في الغد. فخرجت زيزف الى بيتها وبلغت السيد جبرائيل تبوني امرها فعالج المسالة وانقذها من دهاء عدوها الغدار

واقتص آثار بدري احمد بك ابن الحاج سليمان اغا معاون القومسير فاحتال على حبو الخوجا امراة جرجس حندوله واختلس منها ١٨ ليرة واضطرها ان تستخرج من دار ابيها مطمورتين بلغت قيمتهما نيفاً وستين ليرة . وقس عليه

الفصل الثالث

قدوم المهاجرين وسكناهم في دور المسيحيين

بعد ذبح رجال المسيحيين ونسائهم اذاع الخصم انه عما قليل يوافي الى ماردين رجال مسلمون بتر الارمن اعضاءهم وقطعوا ارجلهم واكتافهم وفقأوا عيونهم وشوهوا جباههم . وستاتي معهم نسوتهم وثديهن مسلوخة ووجوههن مخدوشة ممسوخة . غير انه لما جاء المهاجرون جاؤوا بافرشتهم وامتعتهم وكانت اكياسهم ممتلئة من الاصفر والابيض وصدور نسوتهم ملطوخة بالحلي والجواهر. ولم نرَ واحدا او واحدة منهم على ما وصف الخراصون الكذبة . فاستُقبلوا بالترحاب وأُسكنوا في دور الأرمن واثقين من نفوسهم انهم استحلوها وامتلكوها بتاتاً . فعاثوا فيها عيثاً حتى ظهرت عليها علائم البلى والدمار وتصدعت حيطانها وتداعت سطوحها ولم تاذن لهم اشغالهم المهمة ان يداروها ويتلافوا خرابها . ولما اقبل الشتاء حفروا القاعات والباحات وفتشوا عن الكنوز فالفوا شيئاً كثيرا التهوا به زماناً

ومما يجدر بالذكر ان هولاء المهاجرين كانوا ميالين الى الوسخ والقذر فكانوا يجمعون الزبل ويكومونه كوماً كوماً لئلا يضيع . فتاتى من ذلك ان الروائح الخبيثة انتشرت وعمت العدوى فيهم وفي من جاورهم . وافضى النفاق ببعضهم الى ان اقتلعوا الاخشاب وقضبان الحديد وباعوها فغدت الدور العامرة كبيوت قرية دوخها العدو وضعضع ابنيتها . وما قولنا في الكنف والمراحيض فانهم سودت وجوههم بعد ان ملاوها فتحوا غيرها داخل الدور حيث يقومون ويقعدون وياكلون ويشربون . ومحصول الكلام ان دور الارمن في محلة سورب كورك تداعت وانهدمت وفي غربي البلد تقعوشت وتقوضت وفي حي المشكية امست كالمزبلة . ومـا زالت دور الوجهاء الى يوم كتابة هذه الاسطر تحت قبضتهم . لاننا من حيث وجودنا في قعر الدنيا قلّ من يفتكر في امرنا . ذلك يؤكد لنا ان لا معين ولا محامي لنا البتة سوى الاله الواحد القهار

الفصل الرابع

الوباء

اعلم انه منذ ١٦ شباط ١٩١٦ اخذت الجنود الترك تتوارد الى ماردين افواجاً فامر اولو الحل والعقد ان تخلى لهم الكنائس والجوامع والدور الكبيرة فازدادت من ثم النوب السود وتتابعت الفتوق من مرض وجوع وفقر الى غير ذلك من الافات التي جلبتها الحرب اللاقح على البشرية . لانه من الحرب كما لا يخفى تتلد الاوبئة والمجاعات والفقر وخراب الديار . فصح فينا ما كتبه حزقيال

(ص ٧) « السيف من خارج والوباء والجوع من داخل . فالذي في الصحراء مات بالسيف والذي في المدينة اكله الجوع والوباء » بناء عليه سرت الامراض العضالة كالدمامل والقروح والاخرجة والاورام والحميات الطبقة وشملت الانسان والحيوان معاً ولم تعف الشيخ والشاب ولا الكبير والصغير حتى امتلات المقابر وعجز الاحياء عن الدفن . فكنا اذا حضرنا جنازة متوفىً عزينا آله وحرضناهم ليشكروا الله لانه تزود وكفن وصُلي عليه وشيع ودفن خلافاً لاخوته الذين امسوا في البراري طعمة للوحوش الضواري . وبالتالي أَلِفت الاسماع بذكر الموت ولم يعد احد يهابه كاس وما قبل . وبلغ عدد المتوفين من جماعة السريان الكاثوليك فقط خمسمائة نسمة بنيف

اما رفعة دكتور البلدية فاصب كعبه وقت الوباء وراح يستنبط الادوية لاستحصال الذهب وكان يرسل الى بيت كل ميت قنينة ماء يمزجه بشيء من السلماني ويقبض بدل ذلك قدر ما يريد . والويل لمن لم يكن يتعالج عنده فكان يرافعه الى الحكومة ويخسره المبالغ الوافرة او يامر بحرق فراشه واثاث داره . من ذلك انه لما توفيت حبو قرينة جرجس ماران حرج عليهم رفعة دفنها ولكنه لما قبض من زوجها خمساً وسبعين ليرة ذهبية سمح عنده الدفن ورخص فيه . وكان قد اقام الحفظة على باب البلد يخرجون دفن من لم يحمل تذكرة جواز ممضية بختم رفعة والا استوجب اصحاب المتوفي سخط الدكتور فامر بنبش القبر ليفحص الميت كما افتعل ذلك بيوسف سفر السرياني وغيره

الفصل الخامس

الجبانات

تخير اولو الامر مدينة ماردين لمثوى العسكر المرضى نظراً لطيب مناخها ومن ثم فلما وصلنا الى اذار ١٩١٦ احتشد العسكر في الكنائس والجوامع ودير السريان ومقام البرتستان ودور وجهاء الارمن والسريان الكاثليك كدار جنانجي وشلمي وكنديز ودقماق وجانلدري وسوسي وفروجي وكجو وبطاني وغيرها فشغلها العسكر باجمعها . وتاتى من ذلك ان الهواء تبدل وانشب الوباء فيهم مخالبه الجارحة واصبحت البلدة كلها مستشفيات للعسكر المبتلين بالامراض والعاهات . وحدثت لسبب فساد المناخ اوبئة جارفة اكتسحت قسماً من العسكر جسيماً . فاقاموا حفارين في طرفي البلد الشرقي والغربي للحفر واللحد . وكان رئيس الحفارين حبيب طوراني السرياني . فكان هو واصحابه يحفرون كل اصبوحة خندقاً طوله خمسون ذراعا في عرض ذراعين يدفنون فيه يومياً من الستين الى السبعين عسكرياً يحمل الميت نفران على الخشب حتى اذا وصلا به الى الجبانة عرياه وعادا بثيابه ليلبسها غيره فيصاب بالعدوى نظيره

وزاول الحفارون شغلهم سنة كاملة حتى ضاقت الارض بالجثث فامتلات اراضي بنج علي وعين مسافر وجبانة السريان الكاثليك وما جاورها ونواحي باب الصور برمتها كأن الله العدل اراد الانتقام ممن سبب اهدار دم الابرياء . ولما كانت سنة ١٩١٧ قلّ عدد الجنود فقلت الوفيات وصارت تتراوح يومياً بين العشرين الى الثلاثين

واحصي عدد الجنود الذين دفنوا في غربي البلد فقط من اذار ١٩١٦ الى ايلول ١٩١٧ فكان خمسة وعشرين الفا ومذ تشرين ١٩١٧ الى نهاية سنة ١٩١٨ نحو الفين٠دع من مات ولحد في شرقي البلد٠ومات من عسكر الالمان ثمانيه لحدوا في مقبرة الارمن ثم نقلت اجسامهم الى راس الميدان ووضعت فوق ارماسهم الصلبان

والويل لمن كان يجتاز بشوارع البلد اثناء ذلك فان الجنود كانوا يضطرونه ان يحمل الميت على ظهره الى المقبرة كما حدث الامر لكثيرين من جماتهم افرام بردعاني السرياني الذي ساقه احد الجنود الى دار جنانجي وحمله ميتا ولما شارف كنيسة السريان اليعاقبة وتعب جدًا دفع للعسكري خمسة غروش وانصرف ٠ فمر غيره فكلفه العسكري ان يحمل ذلك الميت فاعطاه شيئًا وانهزم واخيرًا حمله العسكري عينه الى المقبرة

الفصل السادس

المجاعة

لا يزال دوي الجياع يطرق مسامعنا وهيئتهم الموجعة تتمثل لمخيلتنا فتثير في قلبنا عوامل الحزن والتاسف اذ كنا نراهم يقصدون الابواب ويقرعونها ليلًا ونهارًا طالبين كسرة خبز لسدّ جوعهم وكانوا يستطيبون خبز الشعير والنخالة والبلوط وحب القطن والذرة والكشنى بل شاهدنا غير واحد من اولاد الدروب يلتقطون من على المزابل بعض الحبوب فيلتقمونها ويلتمظونها

ولعمري ان رجال الحكومة كان في وسعهم ان يخففوا عنا

ويلات المجاعـة ولكنهم لم يعنهم امرنا بل حشدوا في بيوتهم القمح والطحين وغضوا عن الفقراء والبائسين . اما النصارى فلشديد رعبهم ما كانوا يتجرأون ان يراجعوا الحكومة لئلا تقضي بهلاكهم كما افتعلت بسريان الكمبيـة (بدياربكر) فانهم وقت المذابح انهزموا الى الولاية ولما ضاقت عليهم بواعث المعيشة راجعوا عبد النور مطرانهم فعرض امرهم على رشيد الخبيث فامر مدير الناحيـة الشرقية فمضى بهم الى قريتهم ليشغلهم في الفلاحة على زعمه . ودوّن اسماءهم ـ لئلا يحرم احد من سخائه وكرمه ـ ولما وصلوا وزّع على كلٍ رغيفاً . وفي تلك الليلة عينها استاقهم الى ناحيـة ديركه يقول انه يريهم الاراضي التي يلزم حرثها ولكنهم ما ساروا الا القليل حتى انصب عليهم الجنود وفتكوا بهم واتلفوهم بالفؤوس والقضبان والسياط والحجار وكانوا خمسمائة واربعة وستين شخصاً . هذا جزاء من سال الحكومة قوتاً

ومما زاد الطين بلة انه بعد مذبحة نصارى القرى قحم المشايخ والوجهاء على المخازن والاهراء وامتصوا خيراتها واقتنصوا ريعها بل بلغت اللامة من اصحاب المطامع الاشعبية ان استسلفوا اصحاب الزروع ذهباً كثيراً واستحصلوا منهم الحبوب وخزنوها في الاهراء ليبيعوها من الالمان اصحاب السكة الحديدية وكان من خبث نيتهم ان يوصلوا اسعارها الى حد يستبهظه البشر عامة فيستأسون من الحياة وتبقى الدنيا بما فيها لهم وحدهم . ولكنه تعالت احكامه الغامضة الهم قلوب اقطاب الارض الكرماء فاخذتهم اواصر الشفقة ونادوا بالهدنة والصلح فهبطت الاسعار وحبطت امال التجار وشكر الجميع

للمولى الكريم واثنوا على من انقذهم من الهلكة والدمار

الفصل السابع

ميتم السريان الكاثليك ومستشفاه

اصبحت كنيسة السريان الكاثليك منذ سنة ١٩١٦ الى ربيع سنة ١٩١٨ كمستشفىً وميتم وماوى للغرباء والمعوزين والمجلين والبائسين فكانوا يقصدونها ويستعطفون رئيسها السخي الكريم ليكفيهم البأسآ والبرحاء . ولما راى السيد جبرائيل تبوني ما صار اليه هولاء المنكودو الحظ نهض نهضة اباء الكنيسة الاولين وبذل قصي الوسع في كشف الضيم والضنك عنهم فاستقرض المبالغ الوافرة واشترى الذخائر والمؤن من قمح وشعير ودخن وبلوط وسعى في نسج الثياب والالبسة فتيسر له بتلك الوسيلة ان يجرهم من مخالب الموت

وما اكتفى الحبر الشهم بذلك بل تعطف على الذين اصيبوا باصناف الامراض فاعدّ لهم الادوية واقام لهم ممرضين يعنون بامرهم وفوض الى القس يوسف رباني وكالة الميتم والمستشفى فنهض الاب النشيط والف جمعية خيرية اشترك فيها زهاء ثلاثمائة من المؤمنين كانوا يؤدون له اسعافاً شهرياً فيوزعه الاب على المنكوبين . وكان يقدم في كل احد القداس الالهي في شان المسعفين الاسخياء ليجود الرب عليهم بسوابغ نعمه وبركاته

وساعد الاب يوسف في تلك الاعمال المبرورة حنا جرجور (بشطا) واستنسلاس بردعاني ونعوم حمال فهذا كان يعالج المرضى ولاسيما الذين كانوا شعث الشعور غبر الالوان او اصيبوا بالصلع

والقرع لقلة النظافة اما الشابان الاولان فكانا يجولان البيوت يتعهدان المرضى والفقراء ويصفان لهم الادوية ويدرّان عليهم العطاء . وقتلا الليالي هما والقس يوسف في سبيل ذلك المشروع الخيري حتى انه ليلة سابع شباط ١٩١٨ اذ كان الاب يراجع دفتر الفقراء مع استنسلاس قُلب عليه زيت الغاز فاحترقت يداه ووجنتاه وعنقه واذناه فعالجه زمناً الدكتور قسطنطين الكريم وشفاه نوعاً بعد ما قاسى من الالام اشدها مدة ثلاثة اشهر ثم استجمع قواه وواصل شغله

اما سائر الكهنة فكانوا يلقنونهم مبادئ التعليم المسيحي ويهيئون الصغار منهم الى المناولة الاولى وصرفوا في ذلك الايام الطويلة فجاءت اتعابهم باشهى الثمار . وما اكثر ما كان يتعزى قلب راعي الكنيسة واقسته الغُيُر وجمهور المسيحيين اذ كانوا يشاهدون اولئك اليتامى والفقراء الارمن والسريان متشحين بالحلل البيضاء مقبلين نحو قدس الاقداس ليتناولوا الحمل الذبيح من يد ممثله ونائبه الغيور وكانت تهيأ لهم الاطعمة وينزل الحبر وقسانه ويتناولون معهم الطعام فكانوا يشكرون ويقولون : اللهم جاز المحسنين وانعم على من تعب لاجلنا بالاجور الابدية . ولا يسعنا ان نورد في هذا المختصر اكثر مما قلنا . وللقارئ ان يستنتج من ذلك ان مبرات الكنيسة المقدسة واعمالها الخيرية تلوح خاصة وقت المعامع والنكبات. وحسبنا ان نقول ان السيد جبرائيل انقذ كثيرين من الموت والوباء وصرف على المنكوبين اكثر من ثلاثة الاف ليرة ذهبية والفضل في ذلك راجع الى السيد البطريرك مار اغناطيوس افرام رحماني الجزيل الطوبى

الفصل الثامن

سفينة تلاطمها الامواج او مآثر السيد ثئوفيلس جبرائيل تبوني راعي السريان الكاثليك

لم ندرج في مختصرنا حتى الان لآ نتفاً يسيرة من مآثر السيد ثئوفيلس جبرائيل تبوني مطران السريان المفضال وقد حان لنا الساعة ان نسرد للقراء خلاصة ما انتابه اثناء النوازل من جسيم الاخطار وما اصطنعه من المبرات . على انه كان يود من كل قلبـــه لو يسلب كل ماله وللكنيسة في سبيل القطيع الذي استودعه اياه راعي الرعاة بل كان يؤثر بذل نفسه حبـاً لخرافه انجازاً للنص الالهي « الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف » ونقول القول الفصل انه تعالى اوفده الى ماردين رحمة ومغوثة للبائسين والمنكوبين

ولد السيد ثئوفيلس في الموصل في ٣ تشرين الاول ١٨٧٩ ورضع افاويق العلوم الدينية في دير الاباء الدومنكيين. وارتسم كاهناً في ٩ تشرين الثاني ١٩٠٢ وعام ١٩٠٨ اصطفاه السيد يوحنا درور القاصد الرسولي كاتبـاً لاسراره وفي ١٩ كانون الثاني ١٩١٣ رقّاه السيد اغناطيوس افرام رحماني المثلث الطوبى الى الدرجة المطرانية ونصبه وكيلاً عاماً في ماردين . فكان عمره والحالة هذه يوم قصد ماردين اربعة وثلاثين ربيعاً فقط. وأبدى اعمالاً سامية وهمّة عالية لم يتصل اليها الا القليلون . وكان الرب يساعده في جميع اموره واليك الحقيقة

ذلك لما كان وجهاء الطائفة مسجونين مع الارمن اخوتهم شخص اليه اول دفعة ممدوح واعوانه في ٨ حزيران وطفقوا يطارحونه الاسئلة

في شأن ما له ولغبطة بطريركه من المواصلات والعلائق بالحبر الاعظم رأس الكنيسة الجامعة فقال لهم المطران انما المواصلة مواصلة دينية والعلاقة علاقة روحية

قال له ممدوح : كيف الامر عندكم في امر السياسة وكيف ينتخب البطريرك ومن يؤيده

ـ المطران : لا سياسة في الوسط غير ان الاساقفة بعد اتفاقهم على انتخاب البطريرك يسترحمون الباب العالي ليستعرفوه وينعم عليه بالفرمان والنوط ولا يخفى ان غبطة بطريركنا حائز اليوم على النوط المرصع الثمين وهو اول بطريرك فاز به

ممدوح : اني اعرف حق المعرفة انكم تراجعون فرنسا

ـ المطران : نراجعها في امر المدارس لضيق ذات يدنا عن القيام بالنفقات الضرورية للمعلمين والكتب وسائر ما يلزم

ثم استفسروه عن وطنه وآله فاجابهم المطران على ذلك كله فانصرفوا وظل المطران تتقاسمه الهموم وتتلاعب في مخيلته امواج الافكار كمن ينتظر آخر موجة تغرقه [انظر ص ٢٩٥]

ولم يتجرأ ممدوح ان يقبض عليه اذ ذاك لكونه غريب الوطن فيما نظن فراح يستنبط الحيل للايقاع به واستياقه وقتله فارسل اليه مع احدى النساء غير مرة شيئاً من البسة السيد اغناطيوس مالويان لعله يقبلها او يشتريها فيتسنى له ان يتحامل عليه ويلحقه باولاده ولكنه والحمد لله لم تنجح دسيسته لان الحبر الفطن استدرك المسئلة فلم يأخذ من تلك الالبسة شيئاً البتة . وصباح الجمعة ١١ حزيران كبس ثانية الكنيسة شرذمة من الجند فاتحين اعين السوء مادين

ايدي التعدّي للقبض على الحبر النبيل فصعد اليه احدهم واشهر عليه السلاح واستعجله على مغادرة غرفته فاستمهله الحبر هنيهة ليعدّ اوازمه فزجره الجندي الخبيث وقال له بادر فان فائق افندي المعاون ينتظرك فانحدر المطران مهرولاً مذعوراً حتى وصل الى باب الكنيسة فلمحه المعاون وقال له ارجع الى حجرتك فرجع وقلبه يخفق. وفي ذلك اليوم عينه استدعى من كتب له عرضاً رفعه الى شفيق بك المتصرف السابق (وكان بعدُ في ماردين) يلتمس منه ان يخلي سبيل السريان وأوفد العرض مع احدى النساء فلم يأذن لها الاعداء في الدخول فارسلها ثانية فلم يدعها الخصوم ان تتعدّى التوتة فعادت مأيوسة. ولم يتيسر للراعي ان يبعث اذ ذاك رجلاً كفوءاً بالمصلحة لان الرجال كافة كانوا مختفين خائفين

وثالث دفعة راح ترفيق ياور والي دياربكر الخبيث يختلق الحجج الواهية ليصيب الغرض من المطران فلفّق ورقة دسّ فيها ما وسوس اليه ابليس ورفعها الى شفيق بك يتهدّده ويحثه ان ينفي الحبر ويقتله. فاوفد شفيق في طلبه وقال له متبسماً ان عندي اوراقاً تؤذن بنفيك وقتلك . لكني اعرف انها مختلقة كاذبة لا اصل لها . وعربوناً لصدق مودتي انك قد راجعت الوالي واكدت له وثيق امانتك وصدق اخلاصك للدولة . فارجع الى مقرك مطمئناً فشكر له المطران معروفه وعاد الى غرفته

ولما عزل شفيق بك ونصب بدري المحالف القتلة حاول غير مرة ان يقبض على المطران ويسوقه . ولما لم يجد فرصة لانجاز الارب استدعاه وقال له جهرة : اعلم اني كنت معولاً على استياقك

ونفيك وانزال العقوبة بك بيد ان مدير التحريرات وخضر جلبي رئيس البلدية عارضاني وحاميا عنك . فارجع الى مقرك والزم الحياد والاخلاص للدولة

ووافى اليه ممدوح خامس مرة وشرط عليه ان يجمع مبلغاً جسيماً من الذهب من ابناء الطائفة وضرب له ثلاثة ايام مهلة . فشملته الهموم وبادر الى الكنيسة وانطرح يصلي باخبات ليلهمه الله ما به الخير والنجاة . ثم اختلى بالآباء الدومنكيين الثلاثة واستشارهم فقال له رئيسهم الاب بيره : الاجدر ان تدفعوا المبلغ لانكم بهذه الذريعة تماطلون الاعداء وتتمكنون من ايصال الخبر الى اولي الامر لعلهم يبعثون الاوامر بنجاتكم . ولا يخفى انه حين اشتداد شوكة العدو يجب ان تجعل الاموال ترساً للمدافعة عن الارواح . فسعى الحبر في جمع المال وارسل رجلاً اميناً الى ممثل جمهورية اميركا بحلب يطلعه على الاحوال لعله يتدارك الامر ويستحصل العفو عمن تبقى (هنا ص ٢٨٩)

ويضيق بنا الذرع عن استيعاب المتاعب التي تكلفها هذا الحبر الجليل في تلك الاثناء المخطرة حتى تمكن من ابلاغ الحوادث على جليتها الى المقام البطريركي . فانه كتب الى البطريرك المغبوط يطلعه بالرموز والالغاز عما جرى فكتب له تارة ان الحاجة الى حسنات القداديس غدت اقل من ذي قبل . مريداً بذلك ان عدد القسان نقص . وكتب الى غبطته ايضاً ان مسيحيي ماردين مفتقرون الى ادعية متواصلة ليمنحهم الرب ما منح المسيحيين الاولين من النعم الممتازة . وكتب اليه ايضاً اننا نطالع في هذه الايام الاصحاح

الثاني من انجيل متى : يشير بذلك الى قوله « صوت سمع بالرامة بكاء وعويل كثير راحيل تبكي على بنيها وقد ابت ان تتعزى لانهم ليسوا في الوجود »

وكتب رسالة اوفدها الى ممثل اميركا بحلب دوّن فيها حالة المسيحيين ووجوب المبادرة الى استنقاذهم وبعثها مع رجل دفع له مبلغاً وافراً فاكل المبلغ واضاع الرسالة . ولم يشعر البطريرك المغبوط بما نال جماعته من الاخطار والمذابح الا في ١١ اب ١٩١٥ فاوفد اذ ذاك الى السيد جبرائيل نائبه على لسان البرق ما نصه « دولة قائد الفيلق الرابع العام « جمال باشا » اذن الاستعلام من ولاية دياربكر بلغنا ان جماعتنا هناك مشمولون بحسن انعطاف الحكومة السنية . كذلك وكيلنا بالاستانة تيلنا صورة التوصيات السامية الى اولياء الامور بحق جماعتنا . فواصلوا رفع الادعية بشان الدولة العلية » واوفد تلغرافين آخرين الى الوالي والى نائبه في ذلك المعنى

ولما انشبت المنية اظفارها في والده المرحوم داود تبوني في ٢٩ كانون الثاني ١٩١٧ اقبلت شرذمة من الجند في اليوم عينه واضطرته ان يخرج من غرفته ليشغلها قائم مقام العسكرية فنقل حالاً الى الطبقة السفلى وظلت الحكومة واضعة عليها اليد حتى غاية الحرب وفي الحقّ ان الطائفة بل جميع المسيحيين ما اطمأنوا الا بعد استئصال تلك الارامر والفضل كل الفضل في ذلك لغبطة السيد البطريرك

والى هذا الحبر الغيور يرجع الفضل في انقاذ عدد كثير من اولاد الارمن ونسائهم بعد ما صرف لسبب ذلك المبالغ الوافرة وتكبد الاتعاب الجمة . واليك اسماء الذين سعى في فكهم من

الاسر والعبودية

روزا واغاثا ويعقوب اولاد غبطو بن اسكند آدم . وابنة انطون كسبو . وحنه قرينة مال الله شقيق السيد اغناطيوس مالويان . وناصر بن عبد الكريم سعيد . وفهيم بن حنا قزازيان . وبيدروس بن كورك جلبيان وارسله الى دياربكر عند الاب اوسيب . واغانيف قرينة عبد المسيح قاووغ . ومعلمات سعرد الثلاث . وجميله الفتاة الرهاوية التي القاها الخصوم من السطح فانكسرت ساقها . وابن وبنت لاسرة شعيا الكلدانية السعرتية كانا عند احد بكوات الصور وابا وانى هذا البيك يلتمس من المطران ان يراجع الدكتور قسطنطين صديقه الحميم في مسئلة معالجته شرط عليه المطران ان يبعث له الولدين المشار اليهما فانجز البيك الشرط وبعث الولدين الى المطران فارسلهما الى سعرت . ونضيف الى هولاء امراة شمعون الارمني وكانت في العوين وايليزه وامها وكانتا من ارضروم . وابناً لشقيق الدكتور ارميناك خاخاميان من قونيه . ومنصور طوباجيان الذي عمده السيد جبرائيل وتبناه القس يوسف رباني الى ان جاء عمه واخذه

والخلاصة ان هذا الراعي النبيل لم يتقاعس عن خرافه ولاسيما عن الارمن اثناء النوازل والكوارث بشيء من الكد والكدح ولم يضن عليهم بالعوارف والاحسانات قدر ما تمكن . ومن شاء الاطلاع مفصلاً على مبرات هذا الراعي الغيور فليطالب الكتاب المزمع ان ينشره بالفرنساوية الاب يوسف رباني السرياني المطلع على اعمال سيادته اذ كان في تلك الغضون كاتباً لسره ووكيلاً للفقراء والبائسين

الفصل التاسع

الفرنساوي الغريب

نشأت الدولة الفرنسوية على الكرم والاريحية وأشربت منذ نعومة اظفارها حليب التعطف على البشرية وأولعت ببذل المبرات الناشئة المسيحية وبثت هذا الروح الطيب في قلب شعبها حتى صار يشار اليها بالبنان في هذا الشأن ويتباهى بفضلها وجودها كل انسان. وقد قيض الله عز شانه لاومني ماردين اثناء النكبات آباء فرنسويين افاضل امتازوا كدولتهم بحب الخير والمكارم وصرفوا عنايتهم في التوسيع على الملهوفين فاعتقوا جمهوراً صالحاً من السبي والذبح وانقذوهم من المجاعات والاوبئه وخلدوا لهم الذكر الطيب على توالي الزمان

ذلك انه في ٢٦ كانون الاول ١٩١٤ شخص من الموصل الى ماردين ثلاثة آباء دومنكيين اعني الاب دومنيك بيره رئيس الرسالة والاب يعقوب رتوره وكيل القصادة والاب سمعان ياسنت معلم المدرسة وحلوا ضيوفاً كرماء عند السيد ثئوفيلس جبرائيل تبوني مطران السريان فتوسل الى صديقه حلمي بك المتصرف ان يستحصل لهم الاذن في المكث لديه اثناء الحرب فراجع المصادر العالية وافاز المطران بما تمنى. وكان مع الاباء خادم موصلي اسمه جرجس قبض عليه الجند في ١٢ حزيران وساقوه الى شيخان وفتكوا به (هنا ج٣ ف ١٢) فتاسف الاباء عليه واضربوا عن مراجعة اديب النائب خيفة ان يهريق عليهم اكواب الغضب والعطب ولزموا غرفهم

وتهيأوا غير مرة للرحيل . غير انه تعالى ابقى عليهم لعمل اسمى وافضل اعني لمواساة الحزانى واعالة الفقراء واليتامى واعتاق الاسرى

على انهم لما راوا الاعداء يبيعون اولاد الارمن في الازقة كالسلع فوضوا الى قوم من المسيحيين ليشتروهم ويحضروهم الى كنيسة السريان فكان الاباء يوآسونهم ويبالغون في الاعتناء بهم وصرف المكاره عنهم . ولما ضاقت بهم حجر الكنيسة وزعوهم في البيوت وانفقوا عليهم ما يلزم لكسوتهم وقوتهم مما بلغت قيمته اكثر من عشرة آلاف فرنك على ما نخمن

وطال مكث الاباء في الدار البطريركية السريانية الى ١٨ تشرين الثاني ١٩١٦ وهم مثابرون على اصطناع المعروف والخير وزاد الاب بيره على ذلك كله انه نمق الكنيسة الكاتدرائية وزين مذبحي قلب يسوع وسيدة سالت بنقوش مستبدعة مستظرفة تستلفت الانظار فرسم حول المذبح الاول جفنة ذات زرجونات فنواء وعناقيد حمراء وسنابل خضراء تاخذ بمجامع الافئدة . ودبج مذبح العذراء بضروب الزنبق والبنفسج وانواع الزهور الرائعة تحف بها اخراز السبحة الوردية على شكل لآل نفيسة غاية في الرونق والبهاء . ثم بذل الجهد والتعب في هندسة مذبح مار يوسف فاستحضر حجراً اصفر رسم هيئته بيده ولقن النحات فاشتغل نقوشه الدقيقة الرفيعة على احسن طرز ودفع قيمة ما صُرف عليه الاب يوسف رباني الموصلي فغدا ذلك المذبح نزهة للناظرين ومجلبة لانذهال المؤمنين . اما الاب يعقوب فكان يطوف ما بين اليتامى والبائسين ويبذل لهم النصائح الابوية ويسري عنهم الغموم . وراح الاب سمعان يلقي الدروس

على التلامذة الذين رجعوا من المدرسة الدومنكيـة ويخدم المرضى ويعزي الارمن المنكوبين اذ كان متضلعاً بالارمنية والتركية معاً

ومما يجدر بالذكر ان المدارس الاقليريسية في بلاد تركيا أغلقت جميعها الا مدرسة السريان الكاثليك البطريركية المعروفة بمدرسة الشرفة[1] في لبنان . فان غبطة السيد اغناطيوس افرام رحماني بطريرك السريان الكاثليك نهض نهضة الابطال وجمع اليها شتات التلامذة السريان من دير اليسوعيين ببيروت ودير البندكتيين باورشليم ومدرسة مار لويس الكبوشية بالقسطنطينية وشملهم بانظارة الابوية وقام باعباء جميع حاجاتهم اثناء الحرب كلها وتفضل عليهم من جيبه الخاص بجميع ما لزمهم لخروجهم من تلك الازمة سالمين مواصلين دروسهم . ودافع عنهم بكل طاقته يوم صممت تركيا ان تخرجهم من ديرهم وتجندهم ولاقى لسبب ذلك اتعاباً جزيلة وانفق مبالغ طائلة فتيسر له بعد جسيم العناء ان يرقي الى الدرجة الكهنوتية في ٢٤ ايار ١٩١٥ القس ميخائيل آجيا الحلبي ورسم في ٧ ايار ١٩١٦ القس يوحنا رحماني والقس بهنام يوحنا عزو الموصليين والقس يوسف بجوده البغـدادي والقس جرجس حمال الماrديني والقس بطرس شهله النبكي . ورقى كذلك في ٥ ايار ١٩١٨ الى الدرجة الكهنوتية القس يوسف رزقو المنصوري ووضع اليد في ١٣ نيسان ١٩١٩ على القس اسطفان نجاش الحلبي والقس افرام

(١) ضارع دير الشرفة في مواصلة الدروس الكهنوتية غير واحد من اديرة الروم الكاثليك واديرة السريان الموارنة في جبل لبنان ولا سيا المدرسة الاقليرسية للرهبنة المخلصية ومدرسة المرسلين اللبنانيين بدير الكريم بالرغم عن المشقات الكثيرة والكلف الوافرة

حنا فرنساوي الموصلي . وبذلك اولى الطائفة السريانية خيراً عظيماً وعوّض عن اكثر من اربعين كاهناً سريانياً ذبحهم الاعداء في بلاد ما بين النهرين

هذا ولما استحصل الاباء الدومنكيون الاذن من العاصمة وغادروا ماردين وصاروا الى حلب أُصيب الاب سمعان بالحمى التيفوئدية فلزم دار الخواجات مركوبلي الايطاليين وخمن الاب بيره والاب يعقوب الى قونيه في كانون الاول ١٩١٦ وسار معهما الاب دانيال الكبوشي وظل الاب سمعان متزوياً في دار اسرة مركوبلي النبيلة حتى ايار ١٩١٨ فاتهمه اعداء الخير تهمة منكرة ونددوا به واخرجوه من خلوته وزجوه في السجن وبعد ما وقفوا على برارته حكموا عليه بالسجن سنتين لكونه فرنساوياً بحتاً وسترى كيفية ذلك في خاتمة كتابنا هذا

الفصل العاشر

اليتيم الشارد

مكانك ايها الفتى النجيب . مهلاً ايها المسيحي الحباب . ما لي اراك بمجال نكدة مولمة تركض من بيت الى بيت تتحوج وتستعطي ما يسد جوعك . ما بال لباسك مرقعاً وثوبك ممزقاً . ما لك تقطع الطرق حافياً وقد علا الغبار جبهتك وبدل هيئتك . اراك مسلوت الراس مكشوفه موسخ البدن ضعيفه . يلوح لي من سمتك ورشاقة قدك وجمال بلجتك انك ذو حسب ونسب منتمٍ الى اصل شريف أثيل وعنصر طيب نبيل . فبحقي عليك تربث ريثما اشبع بصري من

روية محياك واشنف اذني بعذب خطابك . اما في ودك ان تورد لي شيئاً عن احوالك وتكاشفني بمضمرات فوادك . وتفيدني عما جرى لك حتى اوصلتك بوائق الايام الى هذا الحال المشوّوم . رحماك لا تخف عني شيئاً البتة فاني استعذب محادثتك ولو طالت واحب الوقوف على اخبارك ولو تخللها ما يكرب الخاطر ويجري المدامع فهلم هلم اضمك الى صدري وارطب بمفاوضتك لهيب شوقي . . تعال نجلس ههنا ردحاً من الزمان ثم تعود الى مواصلة مهنتك المحزنة الموثرة !

ما اسمك ايها الفتى العزيز ـ اسمي كذا

ابن من انت ـ انا ابن فلان من الاسرة الفلانية كنت البس البرود واتقلب في خفض عيش فهجم ذات ليلة على دارنا شرذمة من الجنود الاوغاد فاعترانا الفزع والهلع لمنظرهم واستحوذ على والدتي واخوتي واخواتي الخوف والوجل فجعلنا نصيح ونتنحب كبنات آوى وننوح نوح بنات النعام على ما بغتنا

ثم ماذا

فتح اولئك الانذال الابواب قسراً وانقضوا علينا كالبزاة الجارحة وحملقوا فينا الابصار . ونشمروا يضربونا ويوثقونا وقالوا انهم مزمعون ان يسوقونا ويرحلونا فحارت امي في امرها وازداد خفقان قلبها وجعلت تسح الدموع السخينة على وجنتيها اللطيفتين ملتمسة منهم ان يشفقوا علينا ويعرجوا عنا فما كان من كبيرهم الا ان انتضى سيف سخطه وقطب وجهه وقال البدار البدار والا ذبحتم كلكم في بيتكم . وكان لي اخ رضيع في المهد أودّه شديد الود فاضطروا امي ان تحل قمطه فطفق يبكي بكاءً مراً اثّر في قلبي وتناول من

ساعته ثدي امي وجعل يرتغثها بلهوجة وقبض على ساعديها كأنه يريد ان تبقى مستقرة بموضعها فسخط احد اولئك القساة العتاة. وسفقه على خديه النحيفتين وانتضى خنجره فنحر جيده كما تنحر الشاة فتفجر دمه النقي وخضب ثوب امي الثكلى المسكينة. فجعلت تندبه باكية قائلة "اي فلذة كبدي وحشاشتي اني غذوتك رضيعاً وفقدتك سريعاً" لقد جرحت قلبي وادميت فؤادي. ما ذنبك يا ولدي.. الذنب ذنبي لاني لم اوف امنية الخصم عاجلًا. ارحل اذًا الى من صوّرك في مستودعي فاني اليه استودعك وعليه القي ثقتي واياه استلهم الصبر الجميل على فقدك راغبا اليه ان يوردني ويورد اخوتك لنشرب كاس المرائر بعدك حباً له ولايمانه

الم يتيسر لوالدك ان يعارضهم ويقدعهم عن ارتكاب هذا الفعل الشنيع المنكر

والدي ! آه والدي المحبوب. تستخبرني عن والدي.. ووالدي العزيز قبل ذلك بأسابيع معدودة قبض عليه الجنود الوحوش واستاقوه الى السجن وانزلوا به العذاب ثم استاقوه مع اصحابه الى شيخان وهناك على ما فهمت تأشبوا عليه وجندلوه ثم اعملوا فيه سيوفهم كسائر رفاقه المسيحيين.. والهفتي عليك يا ابتاه !

وماذا افتعل الجنود بكم

اخرجونا من دارنا ولم يذرونا ناخذ شيئاً معنا من الزاد والمتاع ثم اقفلوا الابواب وغلقوها وجعلوا يهمزوننا وينخسوننا ويستركضوننا الى باب الصور وهناك اعدوا لنا حميرا وجحاشا دون بردعة فآثرنا المسير على الركوب حتى شافهنا قرية يقال لها حرّين فلم يدعونا نستريح

بل استاقونا الى جهة تل ارمن بعذاب شديد فاستيقنت اذ ذاك والدتي بقرب اجلنا فاستدعتنا اليها فاحطنا بها احاطة الهالة بالبدر وجعلت تنصح انا لنتشدد في ايماننا وتنشطنا لنخوض غمرات الالام كيسوع مخلصنا

اتخطر ببالك شيء من تلك المحادثة الرقيقة اللطيفة

كيف لا تخطر ببالي وقد خلفتها في قلبي بمثابة اثمن تذكار واشهى شيء على قلبي · على ان امي بمفاوضتها تلك ضارعت لوقينة الشهيرة وبنقراتيوس نجلها الودود حسبما افادني معلمي في المدرسة عن فذلكة تلك المخاطبة · فقالت لنا اناشدكم ايها الاولاد البررة ان تتذكروا التعاليم التي لقنتكم اياها منذ صغركم وتخطروا ببالكم المبادىء التي درستموها على معلميكم الافاضل واياكم والجزع او القنوط · · وبعد ان هيجت في افئدتنا عوامل الحماسة والتجلد على العذابات وضعت يمينها المباركة على هامة واحد فواحد منا فخررنا امامها وادنينا تلك اليمين من فينا وجعلنا نقبلها ونقول : لا تخشين يا اماه فانا واثقون بعناية ربنا ان لا يصدر منا الا ما يسر خاطرك · اننا تائقون بجامع قلبنا الى تضحية دمنا كأبينا المحبوب ولا بد لنا من اقتفار آثاره · فكوني مطمأنة البال يا اماه · ثم اسندنا راسنا الى صدرها وحدقنا الابصار الى محياها الوضاح ودهشنا من امارات الحنو والابهة اللائحة عليه

ثم ماذا صنعت والدتك المحبوبة

قالت لنا بصوت متقطع متهدّج والدموع ترفض من عينيها النجلاوين وتبلّل خديها الحمراوين : اني لا اكتم عنكم ان والدكم

الكريم جاد بنفسه لدن تهافت الضربات على راسه . فيا حبذا لو اصابنا ما اصابه . فان قصارى منيتي ان تخوضوا المعركة معي وتخرجوا منها مظفرين منصورين بعون ربي . ولا تبتئسوا او تتحسروا على خسارتي ذهبي وحلي التي استلبها الظالمة الغدرة تجاهكم فانتم حلي وحللي . . وبعد ان انهت كلامها الحلو المستعذب اخذت تصلي على حدة

اني اشعر بشديد تأثرك وكمدك ايها الفتى الجديد الفؤاد السريع في الاجابة لاني ما كدت استخبرك عن حالك حتى اتسعت في الكلام وافضت في التعبير من دون ان يتلعثم لسانك . ولكنك قد جرحت قلبي والمتني جداً بتاوهك واسفك

كيف لا اتاوه واتاسف وقد فقدت ابوي واخوتي وخسرت مالي وثروتي وحرمت جميع ما كان لابي . وبت لا املك شروى نقير واضطررت ان اسوح من زقاق الى زقاق واطوف من بيت الى بيت اكدي لاحصل على بلغة اسدُّ بها جوعي . وزد عليه انه لم يبق لي قريب أبيت لديه ولا محل التجيء اليه . فلا تمسي علي الامسية حتى الوذ باخربة دكاكين الارمن ذويّ التعساء واسند راسي الى حجارة لينة طرية حتى اذا بدا ضو الصبح قمت للاستعطاء والتسول . فهذا دأبي مذ رجعت من القافلة حتى هذه الساعة

فاتني ان اسألك عما جرى لوالدتك واخوتك

رحماك ايها الجليل لا تجدد جراحي وتثير فيَّ لواعج الكمد والأسى فان القصة طويلة عريضة افتقر في سردها واستيعابها الى ساعات ولا يسعني ان اعرب لك عن علاتها وتفاصيلها على جليتها .

غير اني اعتباراً لمقامك اقص عليك شيئاً ولو نزراً مما حفظته ذاكرتي الضئيلة . ذلك لما غادرت البلد مع امي واخوتي على الصورة التي شرحتها آنفاً ووصلنا الى اول مرحلة وعجنا بها قليلاً اخرجت امي خبزاً من الحقيبة لتطعمنا . فهجم اولئك الظلمة والتقفوه فبتنا نشكو الطوى ونستسقي الماء لارواء ظمانا فلا يسقينا احد . ثم استهدجنا البرية واختضنا الطريق حتى يممنا قرية تدعى عبد الامام وهناك تالب اعلاج الاكراد والخبث لائح على صورهم الممسوخة والدهاء محشو في قلوبهم الغليظة . وعقدوا عزائمهم على الفتك بنا قاطبة فنظروا الينا نظرة فهود جموحة واوقعوا فينا صيحة عظيمة حاكت خوار الوحوش الضارية . فارتجت اعضاؤنا وايقنا بحلول الاجل . ثم نشموا يقذفون من افواههم النجسة كل قبيحة وشنيعة وجدفوا على الله تعالى وعلى مسيحه وعلى الدين واسراره . ثم اقبلوا فعرونا وجرونا وطفقوا يرموننا بالحجارة واستاقونا هكذا طبقاً طبقاً الى حفرة قريبة وتقاسموا بابليس رأسهم انهم لا يذرون منا احداً . فبقيت انا في جوف القتلى لا ادري انني عالم الاحياء انا ام في عالم الموتى وعند الفجر وافى ثلاثة اعلاج وانغمسوا ما بين القتلى كأنهم دواب قاموا على المعلف ينشون فسلتوا الامعاء واستخرجوا منها الذهب وانا الحظهم صامتاً جامداً . ثم واروا الجثث في تلك البالوعة المرعبة — غير اني نسيتُ ان اذكر لك عن والدتي المحبوبة فان الجنود ضربوها نحو ثلاثين خنجراً ولمحت شفتيها اذ ذاك تتحركان اذ لم يكن خيط حياتها قطع بعد ثم رايتها ترسم بيمينها علامة الخلاص على جبهتها وبعد هذا فاضت روحها بيد خالقها فبكيتها بكاء مراً ثم انثنيت

اعزي نفسي بانها صارت لي شفيعة في السماء . اما انا فاشفق على اولئك الثلاثة كما اشفق غيرهم على من كان مثلي في السن والقدر واستخرجوني من بين الرفات ومضوا بي الى بيتهم واطعموني حتى تراجعت نفسي

ثم ماذا عرض لك

سرت مع اولئك الاوغاد مردداً في فكرتي ما اصاب والدتي واخوتي مرنماً مع اشعيا النبي « ستفرح البرية وتبتهج البادية . هوذا الهكم النقمة آتية . مكافأة الله حاضرة (ص ٣٥) ومكثت عند احد اولئك الثلاثة اخدمه بلقمتي حتى اذا تصرم الخريف والشتاء واقبل ربيع ١٩١٦ وضعت دمي بكفي وخاطرت بحياتي وبرزت من عنده وانهزمتُ متقلبا من قرية الى قرية اتقوت بالحبوب والاعشاب البرية واحتجب عن وجوه الانذال حتى وصلت الى بلدتي . وكنت لبساطة قلبي اظن اني سارى دورنا معمورة وامتعتنا باقية ولكنه خاب املي كما عرفت واخنق رجاي وما عاد لي دار ولا عقار وتُركت على انقى من الراحة واضطررت الى التسول والاستعطاء وا مصيبتي وشقائي فان حالتي جلبت الي مقت الناس ونفورهم علاوة على نوائبي الكثيرة . ليت شعري متى تتصرم هذه الايام النحسة ويمنُّ الرب على شعبه بالنجاة من المظالم

— كفاك ايها الفتى الحاضر الذهن . حسبك ايها اليتيم الكسير القلب فقد اسال بكاؤك مدامعي وافار اشجاني

نهنه دموعك كل حيٍّ فانِ ۞ واصبر لقرع نوائب الحدثانِ

— تريد ان تكلفني ما لا اطيق واحبس نفسي عن البكاء وفي

المثل هو ابكى من يتيم. بناء عليه يجمل بي ان اندب حالي وابكي حتى تفيض روحي

اذكر ايها الفتى العزيز انه ما من احد تحت الزرقاء نجا من البلايا والرزايا فانصح لك مع القائل

هوّن عليك الامور واعلم ان لها مورداً ومصدر
واصبر اذا ما بليت يوماً فان ما قد سلمت اكثر

ثم اعلم انه لا بد من يوم تنكشف فيه غياهب الغدر وتلوح شموس الحق والعدل فترفع رفيعتك لا الى حكّام الارض بل الى حاكم الحكام وقاضي القضاة فيسحت كل من بسط الى البري يد الاثم والتعدي بافظع العذابات ويدهوره الى قعر الدركات ويدفعه الى راسه ومعلمه ابليس عش اللعنات فيزمجر عليه زمجرة ابدية ويقبض على عنقه بمخالبه النارية ويمتص دماءه القذرة ويقذفه في جوف النيران الجهنمية فيتقلى الى ابد الابدين

الفصل الحادي عشر

قدوم انور باشا والالمان الى ماردين

وفي ايار ١٩١٦ بلغنا ان انور باشا مزمع ان يتفقد البلاد ويتعهد حالة العباد. فاعدّ رجال الحكومة المدرسة الاعدادية لحلوله. وصباح ١٤ ايار خرج المنصبون والضباط والجنود والوجهاء افواجاً افواجاً للاستقبال. فاقبل انور باشا راكباً اوتوموبيلاً كبيراً يتبعه اوتوموبيلان آخران في كل منهما قائدان المانيان فدخلوا البلد بكبكبة عظيمة وما استقروا بالمحل المهيأ لهم حتى قصدوا القلعة وتعهدوها ثم عادوا

الى المحل المعد لهم . وسار الى زيارته بعد الاستئذان مطارنة الكلدان والسريان واليعاقبة فاستوضح كلًّا منهم عن اسمه وملته وعن الصنائع الرائجة في البلد فافادوه عن ذلك بالتفصيل غير ان المطران الياس هاوله قال للباشا ان الكاثليك يساعدهم بابا رومية اما طائفتنا فنقيرة لا ملاذ لها الا الدولة العلية . فقال الباشا في ظني ان اهالي مديات منتمون الى طائفتك وقد تمردوا على الدولة فاكتب اليهم وانصح لهم ليودوا لها الخضوع والطاعة . قال المطران ذلك منوط برئيس الملة الذي يسكن اليوم في الموصل . اخيرا ودعهم الباشا الى الباب باكرام وترحاب .

وما استمر الباشا في ماردين الا ثلاث ساعات ولم يأذن للوجهاء ان يزوروه وركب هو والالمان الى الموصل . ومذ ذاك صار الالمان يتوافدون افولجاً افواجاً الى بلاد ما بين النهرين حتى يشغلوها . وتفردوا بالسكنى في راس الميدان والفردوس ودار اسكندر ادم وشلمي وجعلوا مركز البلدية مستشفى لجنودهم وانتقوا طائفة من العملة ليشتغلوا في طريق السكة حتى اوصلوا الخط الى ماردين في شباط ١٩١٨

ومعما اصطنع الالمان من الخير لعملة الطريق لم نرهم اسعفوا عامة المسيحيين وقت المخاطر والشدائد بل غضوا احياناً عن مساعدة العملة انفسهم . من ذلك ان عبد المسيح يوني الارمني المارديني الذي قضى زهرة عمره في حلب شخص الى العراق في تلك الاثناء ليشتغل في السكة تحت ادارة الالمان فاوفدوه الى ماردين ليشتري كلساً فقبض عليه وعلى رفيقه نفر من الجند واستاقوهما الى السجن فارسل عبد

المسيح الى ذويه ليسعوا في انقاذه فراجعوا الالمان فوعدوهم خيراً ولكنهم نكثوا وكذبوا وظل عبد المسيح مسجوناً خمسة وعشرين يوماً لا يدافع عنه احد فمضى الجند به وبرفيقه الى جنوبي البلد وقتلوهما كليهما عند الباسيق. وبلغنا ان قنصلاً المانياً مر ببرية ماردين واشترى من الاكراد قوماً من الارمن ودفع لهم ديتهم فسر الارمن بذلك وشكروا له معروفه غير ان القنصل ما تأخر ان استودع اولئك الارمن المظلومين الى الخصوم ليتصرفوا بهم كما يهوون

الفصل الثاني عشر

في الآبار والجبال والبراري والتلال

لو قصدت التطواف في براري بلاد ما بين النهرين وجبالها وتجسست آبارها وتجوفت مغاورها لشملتك الرهبة والقشعريرة فخلعت نعليك من قدميك وقلت هذه امكنة شربت دماء الابرياء ووارت اصداء المسيحيين من كل صنف وقد . وقد بلغنا ان قوماً من الالمان جالوا البراري والفيافي للوقوف على حقيقة ذلك ثم قفلوا راجعين

فكنت ترى يا هذا سنة ١٩١٥ و١٩١٦ رجالاً ونساء من كل طبقة ممدودين على الطريق منهم من التي على وجهه والشمس قد جففت جثته وسودتها ومنهم من بترت اعضاوه او قطعت هامته وتراهم جميعاً راقدين رقاداً ابدياً. الطفل بجانب امه والاخ عند اخته والرضيع على ثدي مرضعه

وقد احصى لنا الذين طافوا في تلك الامكنة اكثر من ستين بئراً ناكزة وخمسين مغارة واسعة ضمت اليها رفات البشر فتحولت

الدجان تراباً وانقلبت العظام سواداً . واشهر تلك الابار والمغاور بئار دارا وحرين والقوس/والقصور والابراهيمية والتوراط وخربة عبيد وتل كبس والعاليه وحفتماله وديركه والعراده والجراجب وراس العين . وشداده وديرالزور وارياف الخابور واقرص وشيخان وزرزوان وطريق دياربكر الخ على ان القتلة شلت يدهم لم يسعهم ان يحفروا المقابر للاصداء لئلا تفوتهم الفرص فعوّضوا عنها بارماس محفورة منذ قديم الزمان اعني بالاجباب الناشفة والابار الواسعة العميقة . ومما يجدر بالذكر انهم بعد ما ذبحوا نصارى ويران شهر في حفتماله استدعوا اليزيدية من اوادغجي واضطروهم ان يجمعوا الجثث ويلقوها في المغاور فتأمل

الفصل الثالث عشر

السخرة

لم يكن ممكناً المسيحيين ان يجولوا في الشوارع بعد المذابح لان الجنود كانوا واقفين لهم بالمرصاد حتى اذا لمحوا احداً من بعيد صاحوا به وامسكوه وحملوه الاحمال الثقال . واتفق لاحد الرهبان اذ كان في السوق ان انقضّ عليه العسكر وكلفوه ان يحمل خشبة ضخمة الى دار الحكومة ولما اوصلها اضطروه ان يذهب ويستحضر غيرها فزاول النقل حتى المساء فقال له المامور اذهب ولا تنسَ ان تعود ايضاً في الغد . .

وصمموا يوماً ان ينقلوا خلقيناً كبيراً الى الشكنة فكان كلما مرّ احد بتلك الطريق ولو شيخاً تغضبوا عليه واغتصبوه حمله او

الزموه ان يؤدي لهم شيئاً من الدراهم فجمعوا مائة وثمانين غرشاً وما اوصلوا الخلقين الى نصف الطريق فاحسب يا هـذا كم من المبالغ جمعوا حتى اوصلوه الى الثكنة

وارادوا يوماً ان يربطوا حزمة ثياب العسكر فعازتهم اشبار من الحبل فقصدوا الدكاكين وجمعوا عشرين حبلًا وكلفوا اصحابها ان يحملوها الى الرئيس . ولك ان تحزر هل كفت تلك الحبـال لربط الحزمة ام لا

وحدث يوماً لعبد الجليل ايغو ان الجنود اطبقوا عليـه وصاروا به الى المستشفى وسخروه ان يحمل الافرشة الوسخة الى مقام البرتستان فحملها صابراً ولما استثقلها اوتيح الجندي شيئاً من النقود والقاهـا عنه وانهزم الى بيته وعلى الاطلاق نقول انه لم يفلت احد من السخرة

اما اصحاب البساتين فكان الجنود يترقبونهم حتى اذا وصلوا الى باب البلد ذهبوا بما استحضروا من الثمار الى بيوتهم ودفعوا لهم ورقاً بدل الفضة فكانوا ياخذون الورق مصطبرين على القضاء والقدر ? واذا اتفق لمثل هولاء ان يجلبوا تبغاً او عفصاً او ملحاً او غير ذلك مما له دخل في مسائل الانحصار والاعشار راجت هناك اسواق الظلامة ولعب كعبهم فيضطر اصحابها ان يخلّوا ما احضروا ويغنموا نفسهم والا فيستحوذ الغاصب على تلك الاشياء ويلزم صاحبهـا ان يؤدي جزاءً نقدياً . وقس على هولاء اصحاب الفحم والحطب فانهم مـا كانوا يصلون الى احد بابي البلد حتى يتغامز عليهم العسكر ويلتقفوهم وياخذون احمالهم ويصرفونهم دون ثمن او يرضخون لهم ورقة فيقبضها الكردي ويلفها بعمامته ويعود الى قريته مصمماً ان يقطع رجله عن

المجيء ثانية الى البلد . فتاتي من ذلك ان اسعار الثمار والغلات والفحم والحطب ارتفعت ارتفاعاً فاحشاً وتعسرت بواعث المعيشة . ولو طالت الحرب على هذا النوع لهلك البشر

الفصل الرابع عشر

الاطباء العسكريون

اعلم انه مذ ربيع عام ١٩١٦ ازداد عدد الجنود ونصب لكل فيئة طبيب يتفقدهم يومياً ويعالجهم ولكنه قل ما كان يفيدهم الدواء لسوء المداراة ولعدم النظافة . وقد تعرفنا بعدد صالح من اولئك الاطباء النصارى كالدكتور قسطنطين العزيز وبتلوني وبكريان وبجورج والجلوس وليونيداس وكرابيد وقره كوز وغيرهم فكانوا باجمعهم نصارى الا راسهم فكان تركياً . وكانوا يخافونه ويمتثلون اوامره لئلا يسخط عليهم فيطوحهم في القرى وينقص عليهم عيشهم

ولما كان الراتب لا يكفي لعيشة الراس استحدث تاليف جمعية من الاطباء انحص المتجندين فاذا وجد احدهم مريضاً حرص عليه واستنزف منه مبلغاً واعطاه ورقة تؤذن باعفائه الى سنة او بضع اشهر . وعرفنا من جملة الذين انعم عليهم بتذكرة كذا واخذ منهم اكثر من عشر ليرات: حنا شلمي وانطون شمعي ونعوم جمال وحنا جرجور واسكندر جمال وملكي كاتو . يوسف اسطنبولي والياس كجي وابرهيم قبس اسحق وداود منصور وسليم قسطن . ويخطر ببالنا انه اجتمع يوماً عند راس الاطباء زهاء مائتي رجل ليفحصهم على قوله فمن كانت تذكرته مرقومة بعلامة منه سرحه ولو لم يكن مريضاً

والا اضطره ان يواصل خدمته . وكان اذا ملا جعبته من الاصفر سارع في معالجة استعفائه وانطلاقه الى بلد اسمن ائلا يذيع امره وينكشف سره فيخسر اللعبة ويُعزل . فيأتي غيره ويجدد الامر قبل حلول المدة المعينة من سالفه ايفحص المعفيين فمن دفع نجا ومن لم يدفع مزقت تذكرته واعيد الى رفقته وقضى النصارى على هذا المنوال سنتين حتى غلبت عليهم الشقوة واصفروا

واعلم ان من كانت علته ظاهرة وهو خالي الوفاض كان يقسره الرئيس على التجند مع علمه انه بانضمامه الى الجند يلحق بهم النفور او الضرر او العدوى . من ذلك ان الياس كدا المبتلى بداء الصرع رفع اليه ذات المرار امره فلم يجب الى طلبه بل اضطره ان يساق الى القلعة تارة وطوراً الى المستشفى فاتته النوبة فسرحه المامور الى بيته خلافاً لامر الطبيب وقس عليه

الفصل الخامس عشر

روساء الشعبة العسكرية

استفرص الفرصة روساء الشعبة العسكرية لخرق الحقوق وابتزاز المال فالقوا شباكهم للقنص واصابوا الغاية واحرزوا ثروة طائلة ولاسيما توفيق بك وعاكف بك وحسيب بك فانهم هم والذين انتموا اليهم اشتطوا وتمطوا وحشوا بطونهم بمال البائسين والمعوزين فاستنبطوا في سنة الحرب الثالثة اصنافاً سموها المنافع العمومية ليوسعوا على الجنود فيواصلوا البيع والشراء والاخذ والعطاء . وشملت تلك المنافع صناعة الخياطين والنساجين والخنافين والنجارين والدباغين والحدادين

على اختلاف طبقاتهم وكان للنصارى في ذلك الامتياز لانه قلّ من يحترف حرفة يتكسب بها سواهم . غير انه ما كان يتيسر للنصراني ان يفوز بذلك الحظ السعيد ويكتتب في خدمة المنافع الا بعد دفع المبالغ لرئيس الشعبة فيسجل الرئيس اسمه وكنيته في الدفتر ويتخوص منه مبلغاً شهرياً ويبعثه الى بيته

ولما ازداد عدد اصحاب المنافع امر الرئيس ان يربط كل منهم على كتفه خرقة حمراء كتبت فيها عبارة « المنافع العمومية » ثم بدلت بعبارة « مدافعة الملة » ثم اخترعوا شكلاً آخر سموه « الخدمة الخفيفة » خصوا به من كان منحرف المزاج نحيف البنية وتقاضوا منه مبلغاً شهرياً . وكان الرئيس اذا اتلف ما جمع فرض على الذين ذكرنا ان يجددوا الوثائق (لانها بليت ورثّت) ذلك ليكون الابتزاز متواصلاً والدفع والقبض غير مجذوذ فيضطرون جميعاً ان يدفعوا له شيئاً والا اعارهم طرف التعزز ومد لوثيقتهم يد التقزز ولحظهم شزراً وسرحهم وبعد هذا كان يضيف اوراقهم الى غيرها ويجعل نصيبها الحريق او الضياع

اما رجال دائرة الويركو فاذاعوا ان لا مندوحة لاصحاب الصنائع من تدوين اسمائهم في تلك الدائرة وقسروا كل شخص ان يدفع لهم اكثر من خمسمائة غرش ولربما اتصل المبلغ الى الالف والخمسمائة وكانوا يقولون له انه غدا بتلك الوسيلة معفي من تبعات الجندية واثقالها بالمرة ولكنهم بعد القبض كانوا يقسرونهم ان يواصلوا العمل . والتزم هولاء ان يحملوا الوثيقة على صدرهم كانها ذخيرة ثمينة لئلا تضيع فيلتزموا ان يجددوها بمشقة وكلفة وذهب وفضة

الفصل السادس عشر

الدياقونيون والفارّون

يعرف كل خبير انه منذ اعلان الدستور رفع روساء الملل النصرانية المعاريض الى العاصمة يطلبون اعفاء الاقليرس من التجند واجابت الدولة الى طلبهم · غير انه ما اعلنت الحرب الشعواء حتى انتقضت تلك الاوامر وخرقت تلك الحقوق وأُلغيت الانعامات وابطلت الامتيازات فغدا الشمامسة خاصة كغيرهم ملتزمين بالتجند فكان اولو الامر يزمجرون عليهم ويخوفونهم ويقبضون منهم المبالغ ليويدوا رسامتهم ويثبتوها ـ والا اضطروهم الى التجند بالرغم عن الاوامر الشاهانية ولو كانوا من اقدم الدياقونيين وأَخبرهم · وبعد ان قبضوا ما قبضوا اوفدوا الى الروساء ليعينوا لكل كنيسة ومصلى دياقوناً فاكثر فكتب الروساء الاسماء والاعمار وارسلوها فمن دفع شيئاً صحت رسامته والا حُطَّ واضيف الى الجند

ولما قل عدد الدياقونيين لسبب القتل او الموت رسم الروساء غيرهم ورفعوا اسماءهم الى حسيب بك رئيس الشعبة فاوفد محمد افندي الجاويش وشاكراً الخلوصي فراجعا الدفتر ورفعا الاسماء الى الراس فأيدهم · ولكنه بعد مضي زمن وجيز اضطر كل شماس دون الثلاثين ان يلازم العمل في المنافع العمومية · والنتيجة ان الشمامسة اصبحوا كغيرهم من قرن الحرب الى قدمها

اما الفارون فكانت مسئلتهم منوطة بالبوليس فكانوا يتندحون منتشرين في الشوارع فاغرين الافواه ليستاكلوهم او كانوا يباغتونهم

داخل البيوت فيعمشون ويتلقفون ما يجدون ريثما يشاهدون الفارّ فيقسرونه على المسير معهم او يدفع لهم راتباً شهرياً ليسكتوا عليه وما اكثر ما تجنوا على المسيحيين ولاسيما على النساء . على انا نعرض عن سرد الحوادث الخشنة ونكتفي بان نقول انهم لم يذروا امراة الا انزلوا بها الضرب حتى تدفع لهم من الصفر او البيض او تقدّم لهم ماكلا ملهوجاً وفاكهة حاضرة فينكصون على عقبهم ويؤجلون نفث سمومهم الى فرصة اخرى اطيب واحسن . وعلى الاطلاق نقول ان البوليس استرسلوا في كل الشرور والمفاسد حتى انهم لم يتركوا باباً للغدر الا فتحوه ولا طريقاً للظلم الا وسعوه ولا قبيحاً الا اشتغروا فيه ولا سوءًا الا ارتكبوه

ودخلوا مرة بيت شاب اضناه المرض منذ اشهر فصاحوا به صيحة كادت تخلع روحه واضطروا اهله ان يحملوه الى القومسير ولما وصلوا به اليه اضطره ان يلزم احد المستشفيات النظيفة ؟ فتفاقم مرضه ومات حتف انفه . وكبسوا رجلاً ثانياً وارادوه على المسير معهم فأدى لهم مبلغاً استصغروه واستزادوا فلم يزدهم فاخذوا ما اخذوا ومضوا به الى القومسير فاستبشر به وشمله بنظره حتى استحصل منه شيئاً ورده الى بيته معافى . ودخلوا يوماً بيت جرجس خباز فبادر جرجس والتف بالحصير فدخلوا وبحثوا عنه زمناً فلم يجدوه وقصد احدهم الحصير والقى به الى الارض فسمع صوت كصوت مطرقة الحداد فضحكوا وضربه احدهم ضربة اتبعها برفسة واضطروه على المسير الى مقام البوليس . والفوا رجلا بزي امراة متوسداً فلم يثبتوه فخرجوا وسالوا طفله فقال هوذا ابي في الفراش فانقلبوا

ضاحكين مقهقهين ومضوا به على تلك الصورة الى مقام البوليس · ووجدوا غيره مختفيًا في صندوق فحملوه هكذا · وانصبّوا مرة على امراة تغسل الثياب والحوا عليها في تسليم ابنها فافادتهم انه في دياربكر فلم يصدقوها بل اخذوا يعززونها والقوا قدميها بالتلق (العقلة) وعاقوا يضربونها فمر بتلك الطريق رجل نصراني وسمع الصياح فشملته الرافة ودخل الى البيت فاكد لهم ان زوجها بدياربكر فانصرفوا · والقصص في هذا المعنى كثيرة نكتفي بما اوردناه ليطلع القراء على ما افتعل البوليس من الحيف والاعتساف وركوب كل منكر وتحليل كل محرّم

الفصل السابع عشر

معرفة الجميل

من المقرر ان شكر المحسن فرض واجب والثناء على صاحب المعروف والكرم ضربة لازب على انه وُجد اثناء النوازل رجال نبلاء اشفقوا على المسيحيين وافرجوا عنهم واغاثوهم في مصائبهم فغدونا ملتزمين ان نؤدي مفترض الشكر لاريحيتهم ونسطر على صفحات كتابنا اسماءهم ملمعين بايراد شي من مناقبهم سائلين المولى الكريم ان يُجزل لهم المثوبة ويصرف عنهم المشقة ويلحظهم بعين الرافة والشفقة

واول هولاء المحسنين : حلمي بك متصرف ماردين الذي كان من افهم الرجال واذكاهم وكان رحب الذراع مواظبًا على الحسنى رفيع الهمة رفيقًا بالتوسع على الرعية وكان يحب السيد اغناطيوس

مالويان والسيد جبرائيل تبوني واسرّ اليهما بمكنونات الاعداء ومضمراتهم الفاسدة · ودافع عن المسيحيين جهده · غير ان الوالي اللئيم ابى الا ان يعزله وينصب بدله اديباً كما ذكرنا ذلك في محله

تعساً لايام تحط ذوي العلى وتعلي حطيط النفس والقدر والفخر

فالفاضل لا يعرف قدره ما لم يظهر امره ولا يحمد ذكره ما لم يجرب غيره ففي غياب حلمي بك واقامة خليل اديب لاحت الامانة والخيانة وظهرت الصداقة والعداوة

ثانيهم : شفيق بك متصرف ماردين فانه بعد ما سيق الرجال وذبحوا بذل وسعه في تخفيف الويلات على النصارى وحقن دماء النساء والاطفال ولكن اعداء الخير غلبوه وعزلوه ونصبوا مكانه بدري القبيح الذكر

ثالثهم : مخلص بك مدير التحريرات الكريم الذي تولى شؤون البلد في غياب بدري بك وشكري بك وقدري بك وآصاف بك حكام ماردين. خص بدماثة الاخلاق ولين الجانب واتصف بالمجاملة والمسايرة. وحذر اعوان الشرور مراراً شتى وجنبهم ركوب المنكرات فلم يصغوا اليه · وتوصل بعد العناء الجسيم الى كشف بعض الضيم عنهم والمحاماة عن ذمارهم وساعد السيد جبرائيل تبوني الجليل في نكباته وخفف الرزايا عنه وعن جماعته

رابعهم : حسن تحسين بك الكركوكي النبيل رئيس الجاندرمة بماردين فانه مذ عينما نشر على المسيحيين سجوف المحاماة وفياهم باظلال اللطف والاحسان حتى طابق اسمه مسماه فاحسن الى الجميع وكان وفوده علينا وفود الغيث على الارض الظمأى فاصبحنا نلهج بذكر

فضله وعوارفه ونتباهى بمحاسنه ومبراتـه . هو الذي عضد السيد جبرائيل في ملماته واسعفه في حاجاته ومهد له الصعوبات ودحر عنه جيوش النكبات . وبواسطته انقذ الحبر الغيور طائفة من المسيحيين المسبيين فتم فيه ما قيل

صديقي من يقاسمني همومي ويرمي بالعداوة من رماني
ويحفظني اذا ما غبت عنـه وارجوه لنائبـة الزمـان

خامسهم : فارس جلبي بن الحاج عبد الغني الحاج كرمو كان نازه النفس حريصاً على الخير أبى مشاركة الخصوم وشنع على اهل السعاية والنميمة ولكنهم اتخـذوا قوله مطرَّحاً فلزم داره وقت مشتعل الفتن وكان كلما قصـده ذوو النفوذ نصح لهم ليكفوا عن القسوة والتعدي فلم ينتصحوا وكان يقول لهم مع ابي العتاهية

ارحم النـاس جميعا فهم ابنـاء جنسك
ابغ للنـاس من الـ خير كما تبغي لنفسك

وهو قول مقتبس من نص الانجيل الكريم «كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوه انتم بهم »(متى ٧)

سادسهم : خضر جلبي الكومري رئيس البلدية الذي دافع عن العملة جهده ولم يدع مجالاً المعسكر الخمسيني ان يتعدَّوا عليهم ويفتكوا بهم وحامى كذلك عن السيد ثاوفيلس جبرائيل تبوني يوم حاول بدري المتصرف ان يستاقه (هنا ف ٨ ص ٤٥٩)

ونضيف الى هولاء الاجلاء كامل افندي بن سري افندي واخوته الثلاثة الذين اشتهروا بحبهم للانسانية وتأسلوا اباهم الكريم وضارعوه في شمائله . ولكن كاملا فاق الجميع باخلاصه والمحاضه

الود السيد جبرائيل تبوني ولاسيما لما تحامل عليه الخصوم وحاولوا قتله كما سترى . وزد عليهم عبد القادر جابي الاشوخ الذي خص الثقافة باسرة كجو حتى انه يوم انزاعجها عن الوطن (هنا ج ٣ ف ٢٩) سار معها وانتقذها ورحلها الى حلب . واغاث القس يوسف تفنكجي الكلداني في ملمته وانقذ الشاب عبد الكريم حنا قره كله من هجمات الخصوم وغائلة القتل . ونذكر ايضاً بين هولاء النبلاء صائب افندي مدير الديون العمومية الذي افاد جرجس افندي وعزيز افندي عن مؤامرة الاعداء في شان اهدار دماء النصارى ثم صرف عنايته في انقاذهما وارسالهما الى حلب اذ لم يكن يبقى حينئذٍ في بلاد ما بين النهرين كلها مامور نصراني غيرهما

اخيرا نذكر عبد الرزاق جلبي الدباغ المعروف بابن الويلي فانه هو الوحيد الذي قصد مطران السريان الكاثليك وقت اشتباك الملاحم وتعهد انه يذهب معه الى الموصل وينقذه من الغوائل فشكر له الحبر وابان له انه لا يستطيع الى ذلك سبيلاً اذ كان يستصعب مفارقة غنمه وقت هجوم الذئاب عليها . واستقرض منه الحبر المشار اليه مبلغاً من الذهب دون ربح وصرفه في سبيل الفقراء والمعوزين . فما عدا هولاء الذين اوردنا اسماءهم لم نرَ احدا تصدى للمحاماة عن المسيحيين وسعى في درء الخاشي عنهم اللهم الا من لم يكن له نفوذ وكلمة . ونختم الكلام بالدعاء الى المهيمن المنان ان يضفي على هولاء وعلى من حاكاهم ثوب النعم ويبلغهم من الدنيا والآخرة خير الامال ويشملهم باطالة البقاء ويجزل لهم بواعث السرور والهناء ويكافئهم على اتعابهم باوفر الجزاء

الفصل الثامن عشر

خاتمة النكبات

اصبح مسيحيو تركيا ولاسيما بقية الكاثليك في ما بين النهرين سنة ١٩١٨ بين احياء واموات يتوقعون انقلاع جرثومة الافات وانقطاع مدة النكبات وانقشاع سحب المتالف والمخاوف. وكانت تتوارد اذ ذاك البشائر على لسان البرق ان الاب الاقدس ماربندكتس الخامس عشر راس الكنيسة الجامعة مستنفد الوسع في نصح الدول ليضعوا حدًّا للمذابح ويخمدوا اجيج المعارك. وكان قداسته ينهج لهم الطرق التي يجب ان يعولوا عليها الفوز بالامن والراحة. وحرض لتلك الغاية لفيف الاقليرس الكاثليكي لاقامة الذبيحة الالهية في ٢٩ حزيران ١٩١٨ ودعا الكرادلة والاساقفة والكهنة والرهبان والراهبات الى الكنيسة الواتيكانية فأحيوا تلك الليلة ساجدين امام الحمل الذبيح وكان الاب الاقدس يتلو الصلوات بصوت عالٍ يسمعه الجميع وهو يسال الله تعالى ان ينشر على العالم جناح تعطفه ويسيل للبشر جداول السلام والطمانينة

فبينا كنا على تلك الحال دهمتنا نكبة اخرى زادت في طين سالف نوائبنا بلة واضافت الى طنبورة مخاوفنا واخطارنا نغمة وحققت لنا ان الضغائن قادحة بعدُ على المسيحيين والعداوات وافرة على ايمة الدين. نريد بذلك حادثة السيد ثئوفيلس جبرائيل تبوني مطران السريان بماردين ورفاقه في السجون والعذابات والمشقات واليك التفصيل:

ركب القطار من حلب الى ماردين سعيد معمارباشي السرياني

وبطرس ابن اخيه وكان بطرس فتى لم يبلغ الاثني عشر ربيعاً رحّلته الحكومة الى حلب في تموز ١٩١٥ مع والدته بنت عبد المسيح جنانجي واخوته الصغار (هنا ص ٢٨٨) ولما وصل بطرس وعمه الى الدربيسية قرب ماردين تعرّض لهما رجل مهاجر لئيم نفخ ابليس في اذنه ريح الغدر والخيانة فانتزع من الفتى محفظة دراهمه ودفتره وقلّبه فـاذا في احدى صفحاته قد نسخ الفتى بخط يده نتفاً من الاخبار مما لها علاقة بالحرب والصلح التقطها في حلب من ذويه واصحابه ومن الاب سيمون الدومنكي المتزوي في دار الخواجات مركوبلي وافتكر ان يبلغها السيد جبرائيل تبوني مطرانه فكتب لذلك اسمه في راس الورقة . ولما قراهـا ذلك المهاجر الخبيث دفعها الى مامور السكة فأخذها الى جماعة من الموظفين كانوا متوجهين في فيلق يدعى الفيلق الاسلامي الى بلاد الفرس يراسهم نوري باشا شقيق انور وتوفيق بك اركاني حرب مدير القسم السياسي وصادق بك مدير التحريرات وتحسين معاون القومسير وعلي القوقاسي وثروة وهداية واحمد ومحمد . وكان فيهم جواسيس يتوكفون الاخبار ويهيئون لكل حق باطلاً ولكل حيٍّ قاتلاً . ولما وقفوا على مضمون تلك الورقة شادوا عليها قصوراً وصروحاً وعلقوا عليها آمالاً فسيحة فقبضوا على الفتى وعلى عمه وعلى اربعة من المسلمين الاغنياء وذهبوا بهم الى تل هليف وبلّغوا المسئلة للقومندان فحولها الى توفيق بك المذكور وسار هو الى الموصل في طيّار

ولما درى توفيق بما عند سعيد من الاصفر والابيض استحكمت فيه الطماعية منه وحاول ان ياكل الغنيمة لكنه تخوف فاحجم واجّل الاكلة واستدعى سعيداً وبطرس وضربهما واراداهما على كشف

المحجوبات والمضمرات . غير ان شركاء سعيد في الدراهم ناضلوا عنه ودفعوا مبلغاً وافراً لتوفيق واستخلصوا بقية الفضة وانقلبوا الى بيوتهم فبقي بطرس وعمه في تل هليف يستدعيهما توفيق كل اصبوحة وامسية ويضربهما ايقراراً بما يريد هواه لا بالحقيقة . ولما طعن الفيلق الى نواحي الموصل في ٢٥ نيسان وصفا الجو لتوفيق وحده استدعاهما وروّعهما وضربهما بشدة حتى انتفخت رجلاهما ويداهما وجرت الدماء منهما وكان يقول الفتى اراك متضلعاً من السياسة خبيراً بالامور فاذهب وافتكر ملياً ثم عد واطلعني عمن استكتبك الورقة والى من قال لك ان تبلغها فاذا اظهرت لي ذلك كافأتك اعظم مكافأة والّا قتلتك شر قتلة . ولما كلّ توفيق وملّ من معالجة المسئلة بالتهديد والتوريط والتمليق والوعد استفتح الشيطان ابا الخبائث وراح هو واحزابه يتلعون اعناقهم الموقوصة الى مناوأة السيد جبرائيل تبوني اذ كان الى ذلك العهد مشمولاً بالتعطفات والانظار السامية وجرّد عزيمته على ان يرشقه بنبل الكيد والدهاء لينصيب منه الغرض . فاختلى ببطرس ودفع له عشرين ليرة ورقاً وقال له اني تعديت عليك بعد ما وقفت على برارتك وهذا مرحلك الى بيتك غير اني ارغب ان تفعل ما اقول لك . ثم دفع اليه ورقة بيضاء وقال له اكتب ما القنك او بالحري ما يوسوس الي عدو الانسانية .. وبعد هذا جعل توفيق يملي وبطرس يكتب ويده مرتجفة وقلبه يخفق : « الى المطران جبرائيل .. بشرى . الصلح يتم بعد شهرين .. قيصر المانيا راسه مشدوخ ورجله مجروحة . ولي عهده مقتول .. ابنه الثاني مجروح .. غوغاء في برلين .. فرنسا منتصرة .. جنود الانكليز وصلوا الى دير الزور وعن قريب يدوخون

الوصل . . بلّغ القس يوسف الكلداني ان حلب اسعارها غالية الخ الخ »

وبعد ان استنسخه الورقة الشيطانية كلّفه ان يعرضها على سعيد عمه ويشاوره ويرد اليه الجواب . فسار بطرس الى خيمة عمه فسبقه اليها توفيق المكار ليتنصت ولكنه تعذر عليه ان يصيب منهما الغاية فاستدعى اليه بطرس تكراراً وقال له خذ الورقة التي استنسختك الى جبرائيل مطرانك واطلب منه الجواب عاجلاً وهلم به اليَّ واحذر ان تفضح المؤامرة والا اهلكتك واهلكت اهلك وجميع من ينتمي الى عشيرتك

فاخذ الفتى الورقة والهدية وركب القطار الى ماردين فوصل نصف الليل الى المحطة والفى عبد القادر نازو فاوفد معه نفراً اوصله بسرعة الى البلد فسار توّاً الى دار سعيد سيدي وافاده عن المسئلة . ولما اصبح قصد دار منصور جبوري وعرض عليه الورقة واستشاره فقال له : لست اتشبث بمسئلة كهذه ابداً . فعاد الفتى الى دار سعيد سيدي فقصدا مقام البطريركية السريانية وسار معهما حنا جرجور ودفع بطرس تلك الورقة الى السيد جبرائيل الجليل وصرح له بخباثة توفيق وكيده وكشف له ما اسرَّ اليه . فتنبه المطران للمكيدة وزجر بطرس وانتهره واخرجه من غرفته وردَّ اليه الورقة وقال له أَعدها لمن اعطاكها . فقصد بطرس بيت عمه وما لبث الا القليل حتى بغته صالح البوليس واستعجله على المضي معه الى مقام البوليس فاختلى به القومسير واستوضحه عما افتعل وعما دار بينه وبين المطران من الحديث فافاده ان المطران انتهره واخرجه من غرفته ساخطاً . فشدد عليه القومسير واراده على طلب المطران تكراراً ليكتب الجواب

فلم يصغ اليه بطرس فضربه وامر بحبسه وجعل يستنطقه كل يوم مرتين . وحضر مخلص بك مدير التحريرات ايضاً واستجوبه فلم يثبت عليه حجة ثم هجم عليه محمد كبوشو وتشم يضربه ويلطمه ويقول له لن اعدل عن ضربك ما لم تدفع لي العشرين ليرة التي اعطاكها توفيق بك فدفعها له وظلّ محبوساً

وصباح اول ايار وافى الى مقام البوليس المستنطق ومدعي العموم وجماعة من الموظفين واستدعوا بطرس وتهددوه بالذبح واضطروه ان يقصد المطران ويطالبه بالجواب فتمنع وقال قتلي خير من ذهابي . فاستاقوه الى دار الحكومة واوفدوا شرذمة من الجند قبضوا على الحبر البريّ ومضوا به الى مقام البوليس فدائرة الاستنطاق واستجوبوه واستجوبوا بطرس بحضوره فلم يثبتوا عليهما كليهما حجة . فسرحوا الفتى والزموا الحبر الجليل ان يبيت ليلته تلك في احدى غرف المامورين فتخلى له صديقه عبد الصمد افندي راس الجاندرمة عن غرفته عربوناً لاخلاصه ومحبته وراح يعالج المصلحة لدى مدعي العموم لعله يطلقه . غير ان المدعي اللئيم أصرّ على رايه وكتب الاوراق وسيرها الى المجلس العرفي بدياربكر عش المفاسد . وادخل في التهمة القس يوسف الكلداني وسعيد سيدي وعبد المسيح سفر ومنصوراً جبوزي كنعو وجيه طائفة السريان القديم وامر بحبسهم ثلاثة ايام . اما مدير التحريرات وعبد الصمد افندي وغيرهما من الاصدقاء فانهم افرغوا جلّ المساعي حتى اطلقوهم جميعاً تحت كفالة ريثما ترجع الاوراق من دياربكر . وحرجوا على المطران الخروج من غرفته . ولا يسعنا ان نورد ما احاق بالراعي اثناء ذلك من الافكار الزعجة والهواجس القلقة وما تتابع على قلبه

من الهموم والاكدار اذ كان يتوقع الجواب بذاهب الصبر ويتفكر في العاقبة ويقول ان امامي عقبة كووداً لا بدَّ لي من الورود عليها لاني عارف حق المعرفة ان الاعداء متحمضون علي يبغون لي الغوائل اغير ما سبب

ويوم الخميس ٩ ايار تعجل الى البلد توفيق بك الداهية واوفد من فوره يطلب بطرس صاحبه فلما رآه تجهمه وعطف عليه عطفة الحنق المغتاظ وقال له تبا لك من كافر خائن بحت بالسر الى المطران وما تنجزت مما اقنعتك ثم قام اليه ولطمه وطرده وقال لا بد من قتلتك عقاباً لخباثتك اما بطرس فانهزم الى حلب بعد ما رشى البوليس · وليلة وصوله اوفد نهاد باشا في طلبه اليه تحت الليل فالقي القبض عليه وعلى اخويه الصغيرين واستاقوهم ثلاثتهم الى مقام الضباط بالعزيزية فاستنطقهم جمال بك اركاني حرب ثم سرحهم الواحد تلو الاخر · لكن الخصوم بماردين تمادوا في غيهم واصرُّوا على رايهم فاصطفوا محمد اكوشو الشهود وبعثوه في اوراق الى حكومة حلب ليرجع ببطرس الى ماردين · ولما طالعها القومسير ارسل من قبض على الفتى وزجه في السجن فظل ١٢ يوماً وشخص اليه كبوشو واراده على الرجوع · غير ان فتح الله جرباقه توسط في المصالحة وعرض الامر على جمال بك فاضطر كبوشو ان ينقلب الى ماردين وحده · واستدعى جمال بك الاب سيمون الدومنكي وبطرس وقرأ الورقة عليهما فانكراها فصرف البادري وقال لبطرس يلزمك الحضور الي متى استدعيتك · وصادف كبوشو يوماً الفتى في الطريق فدسَّ اليه ان يخلط اسرة جنانجي واسرة كندو في حكايته وقال له ان فعلت

ذلك فزت برضى الحكومة واحرزت شرفاً وسيماً

اما السيد جبرائيل المحبوب فكان يتململ على فراش الاضطراب ينتظر الجواب من رضوان بك رئيس المجلس العرفي بدياربكر ولبث اربعة واربعين يوما تساوره الافكار وتورقه الهموم حتى ذبلت عيناه الكريمتان من الكرب وازدادت بنيته النحيفة ضعفاً ووهناً. وكان نائب المتصرف مخلص بك واصحابه يترددون اليه ويسلّونه

وفي ١٣ حزيران ورده الامر بالشخوص الى حلب المحاكمة فغادر ابرشيته العزيزة يوم الاثنين ١٧ حزيران وسافر معه حقي البوليس وجميع المشتركين معه في المسئلة كالقس يوسف تفنكجي الكلداني وسعيد سيدي وسعيد معمارباشي وعبد المسيح سفر الا منصور جبوري فان بعض ذوي النفوذ ابقوا عليه لأجل غير محدود باجرة معلومة ولما وصل الحبر الجليل الى حلب قصد كنيسة السريان الكاثليك ليبيت فيها ليلته فلم يذره الوكيل فتنغص المطران واستودع امره الى رب الحول والعضد وعاد القهقرى مصطبراً على محن الزمان وكوارثه وقصد مركز الدرك بالعزيزية وبات تلك الليلة السوداء الحضيض فراشه والسقف غطاؤه وظل على تلك الحال ثلاثة ايام

ويوم السبت ٢٢ حزيران استدعي الى الادارة فاستنطقه الرئيس فلم يثبت عليه حجة فاعاده الى الحبس وبعد ثلاثة ايام نقلوه الى غرفة دنيئة موسخة لاقى فيها ضنكاً شديداً واذى كثيراً ولم يكن فيها الا يوزباشيان فقط حبسا فيها لجريمة كبرى ارتكباها. وحرجوا على خادمه الدخول اليه بتاتاً. وعند ذاك تجهز القس يوسف كاتب سره الذي سبقه الى حلب وطفق يراجع اولي النفوذ ويبحث عن

الطرائق الموصلة الى نجاة السجين العزيز كيفما كان الامر فاشار عليه المطران ان يقصد جبل لبنان وينبئ السيد البطريرك عن المسألة ليتلافاها سريعاً فبادر الكاهن النشيط وصار الى دير الشرفة والحّ على غبطة السيد البطريرك ان يسارع في انقاذ الراعي من العدو العاتي · فراجع غبطته حالاً قنصلي المانيا والنمسا وكتب الى السيد دوجبي القاصد الرسولي في العاصمة كي يتدارك الامر لدى الباب العالي ويبذل وسعه في انجاء مطرانه المحبوب · ثم قال للقس يوسف اعلم يا ولدي ني مستعد ان ابذل كل غال وثمين في سبيل السيد جبرائيل فارجع مسرعاً الى حلب ومتى وثقت بامر نجاته حوّل عليَّ بكل ما يقتضي لذلك بشرط ان تنحسم المسألة تماماً · فشكر القس يوسف لغبطته واستجمع قواه وركب الى حلب مسرعاً وظلَّ غبطة السيد البطريرك يراسل المراجع العالية ليفوز بالآمال

اما السجين العزيز فكان الخصوم يحاولون ان يجرحوه ويؤثموه ويبحثون عن مكيدة تمكنهم من سحقه واتلافه غير ان الله جلت احكامه ابى الا انقاذه من دهائهم والهمه الثقة والبسالة وجعله كصرح لا تزحزحه اعصار الاراجيف ولا تفزعه الاهوال والاخطار بل آتاه الصبر الجميل على احتمال كل مشقة واذى · على ان الاعداء احضروا الى غرفته في ١٠ آب قوماً من الرعاع والسفلة واضطروهم ان يلزموها فتبلدت فيها الروائح المستكرهة وعمَّ الوسخ المسجونين كافة فقضوا تلك الايام بالمرائر والضيقات · ثم راح الخصوم يلفقون الشكاوى على المسجونين مع السيد جبرائيل ليصيبوا منهم الغرض وارسلوا في استحضار منصور جبوري من ماردين واضافوه اليهم

وزجوا معهم في السجن فتح الله جرباقه وحاولوا ان يحبسوا كلّ من انتمى اليهم . ولما ايسوا من اثبات حجة عليهم استنزفوا منهم قسماً من المال وسرحوهم في ٢٤ اب فاطلقوا اولاً منصوراً كنعو وفتح الله جرباقه والقس يوسف تفنكجي الكلداني[1]

(1) المّت بالقس يوسف المذكور نوائب كثيرة جدًّا اليك خلاصتها : انهزم اولاً الى سنجار في ٥ تشرين الاول ١٩١٥ وخدم ثم جالية المسيحيين خدمة نصوحاً ولا سيما لمّا فشت فيهم العدوى حتى انه حمل غير واحد من المتوفين وذهب بهم ولحدهم . وفي ١٤ تشرين الاول ١٩١٦ عاد الى ماردين فأحسّ به الاعداء وادعوا انه جاسوس لفرنسا بعثته ليتجسس الاخبار ويراسلها في شؤون الارمن ويوقفها على سرائر تركيا واعمالها الخفية . ولما كان ١٩ كانون الثاني ١٩١٧ كبس بيته مصطفى معاون القومسير وكبشو وحقي البوليسان وساروا به الى قدري بك المتصرف . فاستفسره عن اصله ووطنه واستوضحه عن مدرسته وعمّاذا صار الى سنجار فاجابه على ذلك كلّه فأمر بانزاله الى السجن . فنهض عليه نوري البدليسي وضربه ضربات شتّى حتى وثمت اظفاره عن اصابع رجليه . وفي ١٤ اذار ١٩١٧ سُيّر الى دياربكر فاستكشفه مصطفى نوري رئيس المجلس العرفي عن حاله ثلاث عشرة دفعة وارسل اوراقه الى مصطفى كمال باشا قومندان الفيلق الثاني . وظلّ الاب المسكين في حبس دياربكر ينزل به اصحاب المروءة اعني القوة الوان العذاب كنتف الشعر وقلع الاظفار وحلق الراس دع الضرب والجلد والرفس واللطم . وطالت في مساكن الظلمة اقامته لا يجد ذريعة للتملص من ضيقته حتى ١٦ حزيران فوافى أمر اعدامه فسار اليه الملاّ وعرض عليه الاسلام فسخر من كلامه وقال له : موتي في سبيل ايماني خير من حياتي مسلماً . ثم مُيّز الحكم بمساعدة رضوان بك والمطران سليمان واستحصل نسخه في ١٥ آب . وفي ١١ تشرين ثاني رافعوه ايضاً وبرروه فعاد الى ماردين في ٢٧ شباط ١٩١٨ خائر القوى ضعيف البنية لكثرة ما ساموه من سوء العذاب وجرعوه من المرائر ثم صار له ما صار كما ترى في المتن . وعلى من شاء الوقوف على تفاصيل اخباره ان يراجع الكتاب المزمع ان ينشره بالفرنسية تحت عنوان

Quatre ans de souffrances

واستمر المطران الجليل في تلك الغرفة القذرة في عيش نكد . أكله منزور وسهره متواصل وقلبه مجروح لا رافد ولا مساعد له الا رب السماء . وكان البواب لا جزاه الله خيراً يتهدده بالضرب والتنكيل وسفك الدم حتى انه ثار عليه ثائره يوم الثلاثا ٢٧ اب فانتضى سيفه ليضحي بالحبر البري فوعده المطران بهدية ثمينة صرفته عن خبيث نيته . غير ان المخاوف تواترت والهموم ازدادت والاخطار تفاقمت . واذاع الخصوم في حلب انهم مزمعون ان يحرروا اسماء السريان الكاثليك ونشموا في الامر فكان ذلك ضغثاً على ابالة وشملت المخاوف جميع افراد الطائفة

ويوم الخميس ٥ ايلول استاقوا المطران الى جبل سمعان في ١٥ نصرانياً وحشروهم في مغارة ضيقة كادوا يختنقون فألهم الله احد الجند الشفقة فأذن لهم في الخروج ردحاً من الزمان لاستنشاق الهواء ثم اهبطهم الى المغارة . وفي ٧ ايلول استدعوا الحبر النبيل الى الادارة العرفية واستاقوه الى الحبس العام حيث راى جملة من كهنة الارمن ووجهائهم

ويوم الاربعا ١٨ ايلول غدا الحبر طريح الفراش يمضه الالم والوجع داخل السجن فاستصرف الله المكاره والمضايق وسأله القوة والشجاعة واقر بذنوبه عند احد الكهنة المسجونين وتهيأ للرحيل الى دار البقاء . غير ان المولى الكريم منَّ عليه بالعافية وظل كذلك حتى ٢٩ ايلول فطلبه المجلس العرفي واستجوبه شكري بك الرئيس وعمر فخري بك رئيس التحقيقات وادَّعوا ان الدولة الانكليزية نصبته اماماً الجواسيس بماردين وكلفته ان يطلعها على حركات الاتراك ويهرّب

اسراها . فما سمع المطران تلك التهم حتى اعتراه الذهول والعجب فانكرها بتاتاً وقال : كنت اظن اني لغير هذا السبب أُحضرت . على اني اقول بصراحة : كيف يتيسر لي وانا مقيم في جبل ماردين المنفرد ان اراسل الانكليز . بل كيف يمكنني ان اهرّب اسراهم . اما ترون انتم ان هذه الشكاية ملفقة زورية ؟

اخيراً لما كان صباح تشرين الاول لاذ الحبر بشفاعة سلطانة الوردية ونذر ان يكرس لها ابرشيته ويذيع عبادتها بكل مكنته وفي اليوم عينه استدعوه واستدعوا الاب سيمون وسعيداً سيدي وسعيداً معمارباشي والفتى واستنطقوهم تجاه بعضهم بعض فحكموا بتبرئة المطران مما قرفه به توفيق بك جرثومة الفتنة وقضوا على الاب سيمون ان يلزم السجن سنتين بعد ما تحققت عندهم برارته . واخيراً قالوا لبطرس امض اليوم الى بيتك ومتى بلغت الرشد حكمنا عليك بالسجن ثلاث سنوات . فقال بطرس « الله كريم . من الان الى ثلاث سنوات من يعرف ماذا يصير »

على ان غبطة السيد البطريرك والسيد دولجي القاصد الرسولي أَبديا في مسئلة المطران جبرائيل غيرة وشهامة وتكبدا اتعاباً وافرة استوجبا افضل الجزاء من الرب المنان وخلدا لهما اجمل الذكر في كل قلب ولسان . وبعد ان خرج السيد جبرائيل من سجنه قصد الكنيسة شاكراً للرب وظلّ في البطركخانة حتى ١٦ تشرين الاول فعوّل على الرجوع الى ابرشيته فتوسل اليه الحلبيون ان يمكث عندهم فأبى وغادرهم في ١٧ تشرين الاول ومساء الغد وصل الى ماردين فخرج المسيحيون لملاقاته مسرورين شاكرين المولى الذي صانه من

الغوائل في ذهابه وعذابه وسجنه وايابه . وفي الحق ان هذا الحبر النبيل شوهد وقت المعامع والشدائد ثبتاً وقوراً وحين ورود المكاره والنوائب جلداً صبوراً . وفي ايار ١٩١٩ ورده الامر من غبطة السيد البطريرك ان يصير الى حلب عاهداً اليه في غيابه النيابة العامة على الطائفة . لا برح مقيماً في كنف ستره تعالى متقلباً في فضله مرموقاً بعين تعطفه مشمولاً بتوفيقاته في جميع المشاريع الخيرية

الفصل التاسع عشر

تتمة حوادث الحرب

وبينما كان الاتراك واصحابهم يضحكون الى الدنيا والدنيا تضحك اليهم وقد عقدوا الامال على النصر النهائي اذا بجيوش الحلفاء قد اقبلوا الى سواحل البحر المتوسط فدوّخوا الثغور ودخلوا فلسطين والشام وملكوا بغداد والموصل وهزموا الالمان اقبح هزيمة ودخلوا الى حلب في ٢٦ تشرين الاول وواصلوا المسير حتى تل ابيض . فاضطرت تركيا ان تطلب الهدنة فتوقفت حينئذٍ جيوش الحلفاء وظل الاتراك يشغلون بقية بلاد ما بين النهرين الى يومنا

وشخص الى ماردين في ١٦ كانون الثاني ١٩١٩ مفتش انكليزي صار توًّا الى مركز النقطة العسكرية فانتهره البوّاب وحرّج عليه الدخول فعاد المفتش الى مقام المرسلين الاميركيين ولما بلغ ذلك خضر جلبي رئيس البلدية بادر اليه مستعذراً وذهب بهِ الى داره . وفي الغد كتب المفتش اعلاناً اشار ان يوضع في المقامات الوسمية ليجرى بموجبه . وكانت خلاصته التحذير من التعدي وخرق الحقوق والقتل كأمس

وما قبل. ولما عزل المفتش على ركوب القطار ثبطه الضباط وازعجوا خاطره فلم يكترث لتهديدهم فركب الى حلب. ومذ ذاك جعل المفتشون الانكليز يختلفون الى هذه البلاد بغية ان تسود الطمأنينة والسلامة

ووصل الى ماردين في ١١ تشرين الاول ١٩١٩ السيد بيدروس قويليان مطران الارمن الكاثليك بصفة زائر عام ليلم شعث الطائفة العزيزة ويرمم ما تهدم ويصلح ما تقوض واقام الاب اندراوس احمراني مدبرا للابرشية المحبوبة ريثما تصطلح الاحوال ويملك الامن والسلام

الى هنا ما امكننا ان نسطره اليوم ملتمسين من المولى الكريم ان يجعل تعبنا آئلاً لمجده وانتصار امنا الكنيسة الكاثليكية عروسه المحبوبة آمين

فهرس

الجزء الاول

فصل		صفحة
١	حوادث ما بين النهرين العابرة	
	ماردين	١
٢	النصرانية	٣
٣	الحوادث السياسية	٤
٤	العرب	٥
٥	المسلمون	٧
٦	الدولة الارتقية	١٠
٧	الامارة القرقوينلية والاغقوينلية	١٢
٨	الدولة العثمانية	١٣
٩	مساوئ ولاة دياربكر	١٦
١٠	الدولة الارمنية	١٧
١١	الكنيسة الارمنية	٢٢
١٢	〃 السريانية	٣١
١٣	〃 الكلدانية	٣٤
١٤	المرسلون اللاتينيون	٣٦
١٥	المرسلون البرتستان	٣٩
١٦	نكبات سنة ١٨٩٥ المعروفة بالثورة	٤٢

الجزء الثاني
نكبات الحرب العامة

فصل		صفحة
١	اعلان الحرب	٦٧
٢	تركيا والحرب	٧٠
٣	احتجاج على المانيا والنمسا	٧٢
٤	اعتداء الاتراك	٧٧
٥	ماردين والحرب	٨٢
٦	بداءة الحرب	٨٥
٧	الحرب الى ٢٠ اب	٨٨
٨	〃 الى ٣١ آب	٩٣
٩	〃 الى ١٥ ايلول	٩٦
١٠	〃 الى ٣٠ ايلول	١٠١
١١	〃 في تشرين ١	١٠٤
١٢	〃 الى ١٥ تشرين ٢	١٠٧
١٣	〃 الى آخر 〃 〃	١١١
١٤	〃 في كانون ١	١١٤
١٥	ليلة راس السنة	١١٨
١٦	الحرب في كانون ٢	١٢١
١٧	〃 في شباط	١٢٥
١٨	〃 في اذار	١٢٧

فصل		صفحة
١٩	الحرب في نيسان	١٣٠
٢٠	نبوءة السيد اغناطيوس مالويان	١٣٤
٢١	بدء الدسائس والمذابح	١٣٩

الجزء الثالث

الحبوس والمذابح والسبي وسائر الفظائع

فصل		صفحة
١	جرائم الشر	١٤٨
٢	الغاء الامتيازات	١٥٧
٣	صفات اعداء الانسانية	١٥٩
٤	القبض على مطران الارمن والكهنة والجماعة	١٦١
٥	محاكمة مطران الارمن	١٧٢
٦	ذهاب النساء الى السجن	١٧٨
٧	سوق القافلة الاولى	١٨٤
٨	وقفة على سطح دير مار افرام	١٨٦
٩	مذبحة القافلة الاولى	١٩٢
١٠	تلفيقات القتلة	١٩٨
١١	صلوات المسيحيين ونذورهم	٢٠٤
١٢	القافلة الثانية	٢٠٧
١٣	استشهاد ٩٩ مسيحياً	٢١٢
١٤	القافلة الثانية في دياربكر	٢١٥
١٥	عودة القافلة وفصل الارمن	٢٢٠
١٦	تفاصيل عذابات بعض المسيحيين	٢٢٦
١٧	عذابات الارمن وسوقهم وقتلهم	٢٣٧
١٨	ذكر الذين قتلوا	٢٤١
١٩	الى فرنسا ـ نكبات الراهبات الفرنسيسيات وقتل الاب ليونرد	٢٤٤
٢٠	اغلاق الكنائس	٢٥٢
٢١	الارمن الجاحدون ايمانهم	٢٥٥
٢٢	المآدب	٢٥٩
٢٣	قدوم القوافل من ارمينيه	٢٦١
٢٤	مصرع انطون معمارباشي	٢٦٧
٢٥	قوافل دياربكر	٢٧١
٢٦	انقضاض البزاة على العذارى المحصنات	٢٧٤

فصل		صفحة
٢٧	قافلة النساء الاولى	٢٧٨
٢٨	مذبحة نسوة القافلة الاولى	٢٨٣
٢٩	تتبع سوق النساء	٢٨٨
٣٠	رهبان السريان الافراميون	٢٩٤
٣١	الرهبان في السجن	٣٠٢
٣٢	تتبع سوق النساء	٣٠٨
٣٣	قوافل شهر ايلول	٣١٠
٣٤	العملة النصارى	٣١٣
٣٥	حزم المسيحيات	٣١٧
٣٦	سفك دماء الابرياء	٣٢٠
٣٧	الوان العذابات	٣٢١
٣٨	حالة بقية النصارى	٣٢٤
٣٩	المراثي الوطنية	٣٢٦

الجزء الرابع

مذابح بلاد ما بين النهرين

فصل		صفحة
١	نظر عمومي	٣٣٢
٢	مذبحة اورفا	٣٣٥
٣	〃 دياربكر	٣٣٧
٤	〃 ديركه	٣٤٣
٥	〃 ويران شهر	٣٥٠
٦	مذبحة راس العين	٣٥٩
٧	〃 دير الزور والشداداء	٣٦٤
٨	تواريخ سنجار	٣٦٩
٩	جالية المسيحيين بسنجار	٣٧٢
١٠	تتمة حوادث سنجار	٣٧٨
١١	مذبحة الجزيرة	٣٨٣
١٢	〃 سعرت	٣٨٦
١٣	〃 كربوران	٣٩٠
١٤	〃 دير العمر ودير الصليب وباسبرينا	٣٩٢
١٥	مذبحة مديات وصلح	٣٩٥
١٦	〃 الدكتور نعمان قره كليه وقريانته	٤٠١
١٧	حصار عينورد	٤٠٥
١٨	مذبحة كفرجوزه وباته	٤٠٩
١٩	〃 قلث وحصن كيفا	٤١١
٢٠	〃 الصور	٤١٣
٢١	〃 نصيبين وداروا	٤١٥
٢٢	حوادث دير الزعفران	٤٢٠
٢٣	مذبحة قلعة المرأة	٤٢٢

فصل			صفحة
٢٤	〃	معصرتا وبافاوا وبنابيل	٤٢٤
٢٥	〃	المنصورية	٤٢٩
٢٦	〃	القصور	٤٣٣
٢٧	〃	تل ارمن	٤٣٥
٢٨		شذرات	٤٤٠

الجزء الخامس

توابع المذابح ونواحد النكبات وخاتمتها

فصل		صفحة
١	سوق المزايدة	٤٤٥
٢	الدفائن والمطامير	٤٤٧
٣	قدوم المهاجرين	٤٤٩
٤	الوباء	٤٥٠
٥	الجبانات	٤٥٢
٦	المجاعة	٤٥٣
٧	ميتم السريان	٤٥٥
٨	مآثر مطران السريان الكاثليك	٤٥٧
٩	الفرنساوي الغريب	٤٦٣
١٠	اليتيم الشارد	٤٦٦
١١	قدوم انور باشا والالمان	٤٧٣
١٢	الآبار والجبال والبراري والتلال	٤٧٥
١٣	السخرة	٤٧٦
١٤	الاطباء العسكريون	٤٧٨
١٥	روساء الشعبة العسكرية	٤٧٩
١٦	الدياقونيون والفارون	٤٨١
١٧	معرفة الجميل	٤٨٣
١٨	خاتمة النكبات	٤٨٧
١٩	تتمة حوادث الحرب	٤٩٨

اصلاح غلط

وقع اغلاط طفيفة عدلنا عن اصلاحها لانتباه القارئ اليهـا واكتفينا بالاشارة الى بعضها : ص ١٤ س ٢ خاضعت بدل خاضعة. وص ٢٨ س ١١ دعقـا - دقعاء وص ٣٣ س ١١ ودير - وديرًا وص ٣٨ س ١١ منها - منهما وص ٤١ س ١١ يستطيعوا - يستطيعا وص ٧٢ س ١ واستبداها - واستبدادها وص ٨٨ س ١٣ ثلاثين - ثلاثون وص ١١٨ س ١٥ ويلشطوهم - وينشطوهم وص ١٣٩ س ١٣ عشر - والعشرون وص ٢٠٣ س ١٣ ينزع - ينزغ وص ٢٣٨ س ١٨ محالى - مخابئ وص ٢٧٣ س ٧ وفضوحهن - وفضحوهن وص ٢٧٧ كناتي - كنائني وص ٢٧٩ س ٩ التجهل - التجهلون وص ٣٠٧ س ١٥ ايلول - آب وص ٣٦٧ س ١٦ أمـه - أمًا وص ٤٥٧ س ٤ مختصرنا .. لاَ - مختصرنا .. الاَ وص ٤٨٣ س ٦ زوجها - ابنها ووردت بعض المرار الايادي بدل الايدي ومحتار بدل مختار..

صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب سنة الف وتسعماية وتسع عشرة
واعيد طبعـه على الاوفست سنة الف وتسعماية واحدى وسبعين

سلسلة كنوز التراث المسيحي

1 - مجموعة العظات، للقديس يوحنا فم الذهب بطريرك القسطنطينية (ت407 م)، ترجمة الأب جرجس عيسى الباسيلي الشويري والشيخ ناصيف اليازجي.

2 - مجموعة المقالات للقدّيس يوحنا فم الذهب، ترجمة البطريرك الإنطاكي أثناسيوس. تحقيق ناشد سركيس.

3 - الاستعداد للموت وفيه عقائد المسيحية في الحياة بعد الموت لمعلم الكنيسة القدّيس ألفونسيوس دي ليكوري (ت 1787)، تقديم الأب بطرس فرماج اليسوعي.

4 - روضة الواعظ، في أسرار الكنيسة وعقائدها وتصوّفها لمعلّم الكنيسة القدّيس ألفونسيوس دي ليكوري. ترجمة الأب أنطون آصاف.

دار ومكتبة بيبليون
جبيل – لبنان

مكتبة توما الأكويني معلّم معلّمي الكنيسة

1 – مجموعة الردود على الخوارج (فلاسفة المسلمين)، للقدّيس توما الأكويني وهو تفنيد ونقد لنظريات الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وعلماء الكلام على ضوء الفلسفة المسيحية. ترجمة وتعليق المطران نعمة الله أبي كرم.

2 – الخلاصة اللاهوتية للقدّيس توما الأكويني، وهو موسوعة شاملة في الفلسفة والعقائد والفرق المسيحية، ترجمة المطران بولس عوّاد. 5 أجزاء.

3 – توما الأكويني وأثره عبر العصور، بحوث في سيرته وفلسفته الإلهية والاجتماعية، تحقيق وترجمة وتأليف د. لويس صليبا.

4 – هكذا علّم توما الأكويني، مدخل إلى مؤلَّفاته ويليه كتابَي الأنبياء الكذبة والوجود والماهية ونصوص أخرى، دراسة وترجمة د. لويس صليبا.

5 – توما الأكويني والإسلام، بحوث في مصادره الإسلامية وردوده على الفلاسفة، دراسة وتحقيق د. لويس صليبا.

6 – فلسفة مسيحيّة في أرض الإسلام: التوماوية فلاسفتها ودورها في الحوار المسيحي الإسلامي، للدكتور لويس صليبا.

7 – رسالة في الردّ على المسلمين للقدّيس توما الأكويني، دراسة وتحقيق د.. لويس صليبا.

8 – قاموس الفلسفة المسيحيّة، التوماوية مصادرها وفلاسفتها، للدكتور لويس صليبا.

دار ومكتبة بيبليون
جبيل – لبنان

سلسلة الموارنة تاريخ وتراث

1 – منارة الأقداس (1 – 2) للبطريرك أسطفان الدويهي، تحقيق رشيد الخوري الشرتوني. 1350 ص

2 – البراهين الراهنة في أصل المردة والجراجمة والموارنة للمطران يوسف دريان 206 ص

3 – أصل الموارنة واستقلالهم بجبل لبنان من قديم الزمان إلى الآن للمطران يوسف دريان، تقديم يوسف السودا. 316 ص

4 – حقيقة أمر الطائفة المارونية، بحث نقدي تاريخي في أصلها واسمها وديانتها وأحوالها للمطران يوسف دريان. 365 ص

5 – كتاب المحاماة عن الموارنة وقديسيهم، تأليف القس إفرام الديراني. 550 ص

6 – الكوكب السيّار، سيرة البطريرك الياس الحويك ورحلاته إلى اسطنبول وباريس للموسينيور بطرس حبيقة والقس أوغوسطين البستاني. 535 ص

7 – شربل رفيقنا الصامت، حكاية قداسة عنوانها الصمت. د. لويس صليبا، تصدير الأب جوزف قزّي. 240ص

8 – تاريخ الطائفة المارونية للبطريرك أسطفان الدويهي، تحقيق رشيد الخوري الشرتوني. 400 ص

دار ومكتبة بيبليون

جبيل – لبنان

موسوعة تاريخ الموارنة

1 – موسوعة تاريخ الموارنة: تاريخ الكنيسة الإنطاكية المارونية من أقدم العصور إلى اليوم للخوري ميخائيل غبرئيل الشبابي. 864 ص، 20$

2 – سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للبطريرك اسطفان الدويهي، تحقيق وتعليق رشيد الخوري الشرتوني. 300 ص، 9$

3 – تاريخ أساقفة الموارنة من القرن السادس عشر حتى العشرين لِ يوسف خطار غانم. 390 ص، 10$

4 – شهداء الموارنة، مستندات تاريخية بشأنهم، سيرة واستشهاد البطريرك حجولا وآخرين نشرها البطريرك أنطون عريضة. 155 س، 6$

5 – اليد المارونية في ارتداد الكنائس الشرقية للأب بطرس روفائيل مع ملحق عن علاقة الموارنة بالكنائس الشرقية.

225ص، 8$

6 – تاريخ الموارنة في مصر (1745 - 1927) للقس بطرس خويري.

دار ومكتبة بيبليون
جبيل – لبنان

سلسلة المسيحية والإسلام بين الجدل والحوار

1 – هم... ونحن، دراسة مقارنة بين المسيحية وسائر المذاهب والديانات للأب جبرائيل كليجا. 400 ص

2 – كتاب الدعامة، محاورات حول المسيحية والأديان والمذاهب الأخرى نشره الأب جرجس دير أروتين الكاثوليكي. 400 ص

3 – الباكورة الشهية في الروايات الدينية، مناظرة وحوار بين علماء مسيحيين ومسلمين. 168 ص

4 – الأزاهير المضمومة في الدين والحكومة للشيخ أمين خيرالله صليبا، وتسبقه دراسة للدكتور لويس صليبا: مفكِّر مسيحي طالب بالإسلام ديناً للدولة.

640 ص

5 – مجموعة الردود على الخوارج (فلاسفة المسلمين)، للقدّيس توما الأكويني وهو تفنيد ونقد لنظريات الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وعلماء الكلام على ضوء الفلسفة المسيحية. ترجمة وتعليق المطران نعمة الله أبي كرم. 560 ص

6 - موجز عن الإسلام، تأليف الأب يواكيم مبارك، تقديم الشيخ صبحي الصالح. 143 ص

7 – الرد على سِيَرَ الأوزاعي: سيرة المسلمين في معاملة أهل الذمّة والحرب والمرتدين لِ صاحب أبي حنيفة الأمام أبي يوسف بن إبراهيم الأنصاري تحقيق أبو الوفا الأفغاني. 145ص

8 – توما الأكويني وردوده على فلاسفة الإسلام، بحوث في مآثره وآثاره وتأثيره، دراسة وتحقيق د. لويس صليبا. 630ص

دار ومكتبة بيبليون
جبيل – لبنان

سلسلة أديان ... وكتب مقدّسة

صدر منها

1 – الكيتا كتاب الهندوسية المقدّس. ترجمة ودراسة د. ماكن لال شودري.
155 ص

2 – أقدم كتاب في العالم: ريك ڤيدا، دراسة، ترجمة وتعليقات بقلم د. لويس صليبا.
590 ص

3 – كتاب الأقدس، كتاب البهائية المقدّس مع مدخل إلى الدين البهائي تاريخه وعقائده.
260 ص

4 – مجموعة من ألواح حضرة بهاء الله نزلت بعد كتاب الأقدس ويليها ردّ على تحذير جبهة العلماء.
270 ص

5 – كتب البابيّة المقدّسة، فهرسها ونشرها وقدّم لها المستشرق إدورد براون.
270 ص

6 – ديانة السيخ بين الإسلام والهندوسية: تاريخها عقائدها، صراعها مع الإسلام وأبرز نصوصها المقدّسة. د.لويس صليبا.

7– الدهمّابادا: كتاب البوذية المقدّس. ترجمة سحبان مروّة. 220ص

8 – التوراة السامرية، ترجمة الكاهن السامري إسحق الصوري، دراسة وتقديم سحبان مروّة.
360ص

يصدر لاحقاً:

- التوراة السامرية.
- كنزا ربّا.

دار ومكتبة بيبليون
جبيل – لبنان

سلسلة الصمت في التصوّف والأديان المقارنة

يصدرها ويشرف عليها د. لويس صليبا

صدر منها

1 – مقامات الصمت والمدن المقدّسة، ويليه ملحق في الصمت واليوغا تقديم المستشرق البروفسور بيير لوري.

2 – الصمت في الهندوسية واليوغا: تعاليمه واختباراته في الفيدا وسيَر الحكماء المعاصرين.

3 – الصمت في اليهودية: تقاليده في التوراة والتلمود وعند الحسيديم. وإيليا نبي الإصغاء إلى الصمت، قدّم له أ. إميل عقيقي.

4 – الصمت في المسيحية: مفهومه الإنجيلي واختباراته في كنائس المشرق والغرب، تقديم الأب د. جوزف قزّي.

5 – شربل رفيقنا الصامت: حكاية قداسة لبنانية عنوانها الصمت، قدّم له الأب د. جوزف قزّي.

يصدر لاحقاً

6 – الصمت في الإسلام: آدابه في سيَر الرسول وآل بيته والصوفيّة.

7 – الصمت في البوذية.

8 – التأمّل واليوغا.

دار ومكتبة بيبليون
جبيل – لبنان

كتب للدكتور لويس صليبا

صدرت عن دار ومكتبة بيبليون

I في الدراسات الإسلامية

1 – بحث في جذور النظرة الذكورية إلى المرأة في الثقافة الإسلامية، دراسة وتحقيق لكتاب بستان الراغبين لمحمد مصطفى العدوي. طبعة ثالثة. (ط3). 250 ص

2 – النساطرة والإسلام: جدلية علاقة منذ ما قبل البعثة إلى ما بعد سقوط العباسيين/دراسة وتقديم لكتاب المجدل للاستبصار والجدل. ط2. 420 ص

3 – من تاريخ الهرمسية والصوفية في الإسلام/جمع، ترجمة، وتقديم لدراسات للمستشرق البروفسور بيير لوري. ط3. 315 ص

4 – مفكّر مسيحي طالب بالإسلام ديناً للدولة/دراسة وتحقيق لكتاب الأزاهيرالمضمومة في الدين والحكومة لأمين خيرالله صليبا. 640 ص

5 – صدام الأديان والمذاهب في لبنان: شهادة من الماضي عبرة للآتي، دراسة وتحقيق وملاحق لكتاب مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان، لميخائيل مشاقة. 721ص

6 – معراج محمد/المخطوطة الأندلسية الضائعة: ترجمة لنصّها اللاتيني مع دراسة وتعليقات وبحث في جذور النظرة الغربية إلى الإسلام. تقديم سحبان مروة. ط 2. 370 ص

7 – المعراج في الوجدان الشعبي: دراسة لأثره في نشأة الفرَق والفنون والأسفار المنحولة في الإسلام. ط2. 340 ص

8 – المعراج من منظور الأديان المقارنة. دراسة لمصادره السابقة للإسلام ولأبحاث المستشرقين فيه. تقديم د. جوزف قزي. ط2. 422 ص

9 – الاغتراب اللبناني ملحمة أم مأساة. دراسة وتذييل لكتاب تاريخ المهاجرة اللبنانية مع دراسة لأوضاع المسيحيين في الولايات العثمانية. 433 ص

10 – كتاب قتل كاتبه. دراسة، تعليق وتحقيق لـ تنقيح الأبحاث للملل الثلاث لابن كمّونة الإسرائيلي. (ت683 هـ). تقديم سحبان مروة. ط2. 590 ص

11 – الرغبة المبتسرة: أبحاث ومحاولات في المحرّم. تقديم ماجدة داغر. 260ص

12 – دراسة للأثر اليهودي في الحديث النبوي والتفسير، مدخل نقدي وتنقيح وترجمة كتاب كعب الأحبار لإسرائيل ولفنسون. 284 ص

13 – توما الأكويني وردوده على فلاسفة الإسلام: التوماوية في أرض الإسلام ودورها في الحوار المسيحي – الإسلامي.

II- في الدراسات الهندية والڤيدية

14- L'Hindouisme et son influence sur la pensée musulmane selon Al-Bîrûnî (m1048), Paris, 1995, 2ème édition, 2009, 250 p.

15 – الأيورڤيدا والطب العربي: دراسة في الطب الهندي وأثره في الإسلام. مع تحقيق لمقالة من جوامع كتب الهند للطبري.
350 ص

16 – أقدم كتاب في العالم : ريك ڤيدا، دراسة، ترجمة وتعليقات.
ط3. 590 ص

17 – موسوعة الأيورڤيدا(الطب الهندي): دراسة علمية. ودليل عملي للتداوي. وحفظ العافية. 770 ص

18 – ديانة السيخ بين الهندوسية والإسلام: تاريخها. عقائدها. صراعها مع الإسلام مع نصوص من كتابها المقدّس.
ط2. 320 ص

19 – الصِمت في الهندوسية واليوغا، تعاليمه واختباراته في الڤيدا وسير الحكماء المعاصرين. ط2. 300 ص

III- في التصوّف

20 – إشارات، شطحات ... ورحيل: أناشيد ومختارات صوفية مع أبرز شطحات الحلاّج والبسطامي ولوحات لعدد منها. ودراسة لظاهرة الشطح في التصوف. بقلم المستشرق بيير لوري. ط2. 180 ص

21 – مرآة القلب: حكايات وأغنيات عاشق. ومحاولات في العشق الصوفي. مع مختارات من الأتهارڤاڤيدا وكتابات الشركسي الصوفي. مقدمة بقلم جاد حاتم. مع ذيل في القُبلة في التصوف والأديان. ط2. 190 ص

22 – المعراج بين المحدّثين والمتكلّمين والمتصوّفين. دراسة ونشر وتعليق لكتاب المعراج للقشيري. ط2. 340 ص

23 – مقامات الصمت والمدن المقدّسة: مع ملحق في الصمت واليوغا ومقدّمة للمستشرق بيير لوري. 260 ص

IV ـ في الدراسات اليهودية

24 – صراع اليهودية والإسلام من منظور يهودي: دراسة وتحقيق لكتاب تاريخ اليهود في الجاهلية وصدر الإسلام لإسرائيل ولفنسون. ط2، 350 ص

25 – الفكر اليهودي بين الخصوصية والشمولية دراسة ومدخل لكتاب خلاصة الفكر اليهودي عبر التاريخ للحاخام هرتس. 650 ص

26 – الفلسفة اليهودية: جسر تواصل بين العرب والغرب. دراسة وتكملة لكتاب تاريخ الفلسفة والعلوم اليهودية في أرض الإسلام لسليم شعشوع. 405 ص

27 – من تاريخ الصهيونية في أرض الإسلام، دراسة لجذورها في المشرق. وتلفيقاتها لتاريخه ورد على كتاب يقظة العالم اليهودي. ط2، 320 + 310 ص

28 – الصمت في اليهودية: تقاليده في التوراة والتلمود وعند الحسيديم وإيليا نبي الصمت، تقديم أ. إميل عقيقي. ط2، 350 ص

V ـ في الدراسات المسيحية

29 – الصمت في المسيحيّة: مفهومه واختباراته في الإنجيل وكنائس المشرق والغرب تقديم د. جوزف قزّي. ط2، 425 ص

30 – شربل رفيقنا الصامت: حكاية قداسة لبنانية عنوانها الصمت. ط2، 240 ص

31 – توما الأكويني وأثره عبر العصور، بحوث في سيرته وفلسفته الإلهيّة والاجتماعية.

32 – هكذا تكلّم توما الأكويني، مدخل إلى مؤلّفاته يليه كتابا الأنبياء الكذبة والوجود والماهية ونصوص أخرى.420 ص

33 – قاموس الفلسفة المسيحيّة، التوماوية مصادرها وفلاسفتها.

مجموعة مؤلفات غوستاف لوبون

1 – حياة الحقائق، بحث في الأديان والفلسفات الكبرى ومصادرها وتحوّلاتها. ويليه حضارة بابل وأشور 2/1. ترجمة عادل زعيتر. 400 ص

2 – الجماعات أفكارها ومعتقداتها، بحث في روح الجماعات ومعتقداتها وصبغتها الدينية وتقلبها. ويليه روح السياسة، وجوامع الكلم، ترجمة أحمد فتحي زغلول وعادل زعيتر 3/1. 600 ص

3 – اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر. 160ص

4 – الآراء والمعتقدات ويليه السنن النفسية لتطوّر الأمم 1/2، 405 ص.

5 – حضارة العرب، موسوعة في تاريخ الإسلام، وحضارته وعلومه وفنونه. 670 ص.

6 – حضارات الهند موسوعة في تاريخ الهند وأديانها وعلومها وفنونها. 740 ص.

دار بيبليون
باريس

avons adressé nos remerciements à ceux qui ont protégé les chrétiens et contribué pour leur part à les soulager dans leur détresse; et nous n'avons pas pensé achever mieux notre ouvrage qu'en racontant dans leurs détails l'arrestation de Mgr Gabriel Tappouni, sa comparition devant la Cour Martiale à Alep, son emprisonnement avec le R. P. Simon, supplices variés, enfin libération et retour à Mardin; armistice, occupation de la Syrie jusqu'à Tall-Abiad par les armées des alliés; arrivée à Mardin de Mgr Pierre Koyinian visiteur apostolique pour les arméniens catholiques, le 11 Octobre 1919.

Et ce malheureux pays théâtre des crimes les plus révoltants et des abominations les plus infâmes en plein siècle de civilisation, languit encore jusqu'aujourd'hui sous le joug de ses bourreaux; nous espérons qu'on mettra enfin un terme à ces boucheries humaines qui ont dépeuplé ces régions autrefois si florissantes, et que pour prix du sang de tant de martyrs si injustement répandu ces pauvres pays obtiennent de voir des temps plus calmes et des jours meilleurs, pour le développement et l'extension du christianisme et le triomphe de la croix!

tion de son Église, et l'a protégé en d'autres circonstances encore non moins difficiles, p. 295; emprisonnement des moines de St Ephrem, leur libération; suite du récit de la déportation des femmes jusqu'à la fin de Septembre; leur courage intrépide au milieu des tortures.

Dans la 4e Partie nous avons parlé longuement des massacres de Mésopotamie à Orfa, Diarbékir, Déreké, Ouairan-Chahr, Ras-el-Ain, Deir-el-Zor; chrétiens exilés à Sinjar; massacres à El-Jézireh, Séert (mission des P.P. Dominicains), Karboran, et aux villages de Tour Abdin: Deir-el-Oumor, Deir-es-Salib, Bassebrina, Mediath, et Salah: au chapitre 16, p. 401 nous avons parlé du massacre du docteur Naman Kara-Golla avec sa femme Stella, fille de Jean Tolo de Baltimore; siège de Ain-Ouard à Tour-Abdin; massacre à Kafar-Josa, Baté Kelleth, Hessen-Kifa, Es-Sor, Nsibin et Dara; couvent El-Zafaran, pour les Syriens-Jacobites; massacre des chrétiens de Kalét-Mara, Maçarta, Bafaoua, Banabil, El-Mansouryé et El-Gollyé; nous terminons cette 4e Partie par le récit des massacres à Tall-Arman.

La 5e Partie embrasse un peu plus de 50 pages: vente des biens des Arméniens, découverte de leur argent et objets précieux cachés; arrivée à Mardin des Turcs d'Arménie pour occuper les maisons des Arméniens massacrés; la peste; les cimetières, la famine, orphelinat et hôpital des Syriens catholiques; dangers qu'a courus Mgr Gabriel Tappouni en sauvant beaucoup d'enfants arméniens; les trois Pères Dominicains retirés dans l'église des Syriens catholiques du 26 Décembre 1914 au 18 Novembre 1916; un orphelin sauvé du massacre; arrivée en Mésopotamie d'Anwar Pacha avec des officiers allemands; puits, grottes et montagnes qui ont servi de lieu de sépulture aux cadavres des chrétiens; l'armée, les diacres et les fuyards; au chapitre 17 nous

prisons; on verra au chapitre 5 comment les turcs ont jugé Mgr Malauian et l'ont condamné aux supplices les plus affreux; dans les chapitres qui suivent nous avons parlé tout au long de l'arrestation des chrétiens, de leur emprisonnement, de la déportation du 1er convoi composé de Mgr Malauian, des prêtres de divers rites, et de 417 chrétiens catholiques, et leur massacre, p. 184-198; chapitre 10: nouvelles mensongères répandues au sujet du 1er convoi; chapitre 11: prières et vœux des chrétiens; chapitre 12, p. 207, déportation d'un second convoi; chapitre 13: massacre de 84 chrétiens; chapitre 15, retour à Mardin des survivants du deuxième convoi, renvoi des Syriens chez eux, pour laisser dans les prisons les arméniens seuls; chapitre 16, tortures imaginées par la barbarie turque, détails d'après le récit de ceux-là mêmes qui ont subi ces tourments affreux, p. 226-237; au chapitre 17, massacre du reste des Arméniens; nous avons consacré le chapitre 19, p. 224-251, à la France protectrice des chrétiens; nous y parlons aussi du massacre d'un Père Capucin français le P. Léonard qui a eu la bienveillance de nous donner à copier les nouvelles qui se passaient journellement à Mardin; fermeture des églises; certains arméniens sont contraints d'abjurer la foi pour embrasser l'islamisme; conduite scandaleuse des fonctionnaires turcs et leurs crimes; arrivée des convois d'Arménie; massacre du jeune Antoune Mamarbachi par Gobecho emprisonné plus tard à Alep; chapitre 27, p. 278, déportation de Mardin du 1er convoi de femmes et leur massacre, p. 283; nous avons parlé ensuite des moines du couvent de St Ephrem pour les Syriens catholiques, et la lettre d'adieux à ses fidèles de Mgr Gabriel Tappouni, vicaire patriarcal à Mardin, qui dans ces jours de persécution et d'injustice se disposait lui aussi au martyre, mais le bon Dieu l'a conservé pour l'édifica-

chapitres qui suivent on trouvera depuis son origine l'histoire de l'Eglise Arménienne, Syrienne et Chaldéenne, de la mission latine des P.P. Capucins, et de la mission protestante; au chapitre 16, nous avons parlé des massacres de 1895 à Diarbékir, Orfa, Mardin et ses alentours.

Dans la 2e Partie, p. 67-147, nous avons groupé les nouvelles de la guerre depuis sa déclaration jusqu'au mois de Juin 1915, nous avons essayé dans les 5 premiers chapitres d'exposer les causes de la guerre, et protesté contre les Etats qui n'ont point voulu défendre la cause des chrétiens innocents; dans les chapitres qui suivent sont relatées au jour le jour les nouvelles de Mardin; au chapitre 14, p. 114, nous avons parlé des P.P. Capucins, des Sœurs Franciscaines et de trois Pères Dominicains, les R.R. P.P. D. Berré, J. Rhétoré, et H. Simon; au chapitre 18 nous avons dit comment les soldats turcs ont envahi les églises pour arrêter les jeunes gens qui ont atteint l'âge requis pour le service militaire; au chapitre 19 nous avons parlé du Firman et de la Décoration envoyés de Constantinople à Mgr Malauian, de l'occupation de l'église des Arméniens, et nous avons reproduit textuellement la lettre d'adieux de Mgr Malauian adressée à ses fidèles pour les exhorter à persévérer daus la foi, p. 135; au chapitre 21 arrestation et massacre du P. Jean Chouha, prêtre chaldéen.

Dans la 3e Partie nous parlons des déportations, des emprisonnements et des massacres, p. 118-331; nous avons nommé d'abord les auteurs des maux infligés aux chrétiens, tels que Rachid Wali de Diarbékir, Hadj Zelfi député de Diarbékir, Khalil Adib, le Mutésarrif Badri, l'odieux Mamdouh, et autres ...; au chapitre 4, p. 161, arrestation de Mgr Malauian avec une partie de ses fidèles, et tortures qu'ils eurent à subir dans les

AU LECTEUR

Au début même des hostilités qui éclatèrent entre les puissances de l'Europe, en août 1914, nous avions commencé à mettre par écrit la suite des évènements qui se passaient à Mardin et ses environs; lors des sanglants massacres d'avril 1915, qui désolèrent l'Arménie, nous avons été obligés de continuer notre travail sur la marge de vieux livres tenus cachés pour les soustraire aux recherches du gouvernement turc. Nous nous sommes efforcés d'être le plus exact possible, pour cela nous avons tenu à ne citer dans notre ouvrage que les récits que nous avons entendus de la bouche même de ces rares survivants échappés à la mort.

Nous avons divisé notre livre en cinq parties dans le but de le rendre plus utile au lecteur désireux de connaitre les méfaits de la Turquie, et les persécutions continuelles dont les habitants de ces contrées malheureuses ont été l'objet de temps immémorial.

La 1e Partie renferme en résumé les évènements de la Mésopotamie jusqu'en 1895; dans les 9 premiers chapitres, p. 1-66, nous avons traité l'histoire de ce pays et particulièrement de Mardin; au chapitre 10 nous avons dit quelques mots sur le royaume d'Arménie; dans les

AL-QOUÇARA
FI NAKABAT ANNAÇARA

(Les Calamités Des Chrétiens)

Par

Un Temoin Occulaire

Document authentique rare, relatant les plus amples details, la martyrisation des Chrétiens en Turquie et en Mésopotamie, et notamment à Mardine, supportant - avec courage et audace - les oppressions, aggressions, enlèvements, déportations, captivités, massacres et toutes sortes de crimes, et ce en 1895, et durant la période allant de 1914 à 1919.

القصارى في نكبات النصارى

بقلم

شاهد عيان

العلاّمة الاب إسحق أرملة

وثيقة تاريخية نادرة تسجّل بشمول وتفصيل ما لحق
بالمسيحيين في تركيا وبلاد ما بين النهرين ولاسيما
في ماردين، من الظلم والتعدي والخطف والنفي
والسبي والذبح والقتل وسائر الفظائع
وذلك في سنة ١٨٩٥ وفيما بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٩

دار ومكتبة بيبليون
جبيل - لبنان